

صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء الثالث

دار الكتب الخديوية

كتاب

صحيح الأئمة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٢ هـ
م ١٩١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الأولى

(فى الكلام على نفس الخط ؛ وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(فى فضيلة الخط)

قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
فأضاف تعليم الخط إلى نفسه ، وآمن به على عباده ، وناهيك بذلك شرفا !
وقال جل وعز : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بما يسطرونه .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أنه الخط
كما تقدم الكلام عليه .

ويروى أن سليمان عليه السلام سأل عِفْرِيتًا عن الكلام فقال : رِيحٌ لَا يَبْقَى !
قال فما قيده ؟ قال : الكتابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لسان اليد .

وقال جعفر بن يحيى: الخط سَمَطُ الحكمة، وبه تَفَصَّلُ شُؤورها، وينتظم مشورها.

(١)

وقال النَّظَّام: الخط أصل الروح له جسدانية في سائر الأعمال. إلى ما يجري

هذا الجرى.

وقال إبراهيم بن محمد الشيباني: الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العُقُول، ووَصِيُّ الفِكر، وسِلاح المَعْرِفة، وأُنْس الإخوان عند الفُرقة، ومُحَادَثُهُمْ على بُعد المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالى في خلقه، وإنعامه عليهم من فضله، تعليمه إياهم الكتاب المَفِيدَ للباقيين، حَكَمَ المَاضِينَ، والمُخَاطَبَ للعيون بسرائر القلوب، على لغات متفرقة، في معانٍ معقولة، بحروف مؤلفة من ألف، وباء، وجيم، ودال، متباينات الصُّورَ ومُخْتَلِفَاتِ الجهات، لِقَاحُهَا التَّفْكِير، وَنِتَاجُهَا التَّأْلِيف، تَخْرُسُ مُنفردة، وتَنطِقُ مُزدوجة، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسُن مزورة، ولا حركات ظاهرة؛ ما خلا قلباً جَوْفَ باريه بطنه لِيَعْلَقَ المِدادُ به، وأرهف جانبيه ليرد ما آندس منه إليه؛ وشق رأسه لِيَحْتَسِبَ الاستمداد عليه؛ وأربع من شَفَتَيْهِ، لِيَجْمَعَ حَواشِيَ تصويره إليه؛ فهناك أَشَدُّ القلم برشفه، وقذف المادّة إلى صدره، ثم مَجَّهَا من شَقِّهِ بمقدار ما أَحْتَمَلَت شَفَتَاهُ بتخطيط أجزاء النقط التي أراد بها الخطوط، فالأبصار لها سامية، فإذا حَكَمَتِ الألسُن فالآذان لها واعية. وأولى أسمائها بها حينئذ الكلام الذي سَدَّاهُ العقلُ وألَحَمَهُ اللسان، وقَطَعَتِهُ الأَسنان، وَلَفَظَتِهُ الشَّفَتان، وصَدَّاهُ الجَو، وَجَرَّعَتِهُ الأَسْمَاعُ على أنْحَاءٍ شَتَّى، وَسَمَّيْتُهَا الأشياءَ لتعريف متناكِرها، وتمييز متشابهها، وتبيين معلومها من مجهولها. فن ذلك فَضْلُ الكِتَابِ الصَّنَاعَاتِ.

(١) عبارة الضوء. "نال بعض العلماء: الخط كالروح في الجسد".

(٢) لعله وسيت أى تطلت ونظرت. أو وسيت بها الخ.

وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئا مما يجري به الخاطر، أو يميل إليه العقل،
أو يُلْقِيهِ الفهم، أو يَقَع عليه الوهم، أو تُدْرِكُه الحواس، إلا والكتاب والكلام موكلان
به، مدبران له، معبران عنه .

فلما أن تَضَمَّنَت الحروف الدلالة، وقامت الألفاظ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل
لغة، وتَصَرَّفَ المنطق بكل جهة، فلم تكتف منه أمة بأمة، ولم تستغن عنه ملة دون
ملة، فَعَرَّبَ ذلك بلغة العرب التي هي القاهرة لجميع اللغات، المنظمة لجميع المعاني
في وجيز الصفات .

ولو لم يكن من شَرَف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هودٍ عليهما السلام
كما تقدم ذكره، وأنزل الصُّحُف على الأنبياء مسطورةً، وأنزل الألواح على موسى
عليه السلام مكتوبةً، لكان فيه كفاية .

وأيضاً فإنَّ فيه من حِفْظ الحقوق، ومنع تَمَرُّد ذَوِي العقوق؛ بما يُسَطَّر عليهم من
الشهادات، التي تقع في السجلات، والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات
البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضرُ بمشاهدة وإن كثرت
حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخطُّ أفضل من اللفظ : لأن اللفظ يُفْهَم
الحاضر فقط، والخط يفهم الحاضر والغائب . والله القائل في ذلك يصف القلم .

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَاتِ * وَجُثِّمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ * وَبِالشَّامِ مَنَاطِقُهُ يُعْرَفُ

الطرف الثاني

(في بيان حقيقة الخط)

قال الشيخ شمس الدين بن الاكفاني في كتابه "إرشاد القاصد" في حصر العلوم:

وهو علم نتعرف منه صور الحروف المفردة ، وأوضاعها ، وكيف تتركبها خطأ ، أو ما يكتب منها في السطور ، وكيف سبيله أن يكتب ، وما لا يكتب ، وإبدال ما يُبدل منها في الهجاء وبما ذا يُبدل . قال : وبه ظهرت خاصّة النوع الإنسانيّ من القوّة إلى الفعل ، وأماز به عن سائر الحيوان ، وضبط الأموال ، وترتيب الأحوال ، وحفظ العلوم في الأدوار ، واستقرارها على الأطوار ، وانتقال الأخبار من زمان إلى زمان ، وحمل السرّ من مكان إلى مكان .

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قبوله بطلب تعلمه محافظة لم يحتاج بها إلى تذكّر بعد الغيّة . ولهذا العلة استغنى عن كتاب يُصنّف فيه .

ثم قال : وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها : بالإشارة ، أو اللفظ ، أو الخط ؛ والإشارة لتوقّف على المشاهدة ؛ واللفظ يتوقّف على حضور المخاطب وسماعه ؛ أما الخط فإنه لا يتوقّف على شيء فهو أعمّها نفعا وأشرفها .

وأعلم أنه قد تقدّم في الكلام على اللغة في ”النوع الأول مما يحتاج إليه الكاتب“ أنه ينبغي للكاتب أن يتعلّم لغة من يحتاج إلى مخاطبته أو مكاتبتها من اللغات غير العربية ، فكذلك ينبغي أن يتعلّم من الخطوط غير العربية ما يحتاج إليه من ذلك فقد قال محمد بن عمر المدائنيّ في كتاب ”القلم والدواة“ : إنه يجب عليه أن يتعلّم الهندية وغيرها من الخطوط العجميّة . ويؤيد ذلك ما تقدّم في الكلام على اللغة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ”أمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلّم كتاب يهود من السريانية أو العبرانية فتعلّمها“ وكان يقرأ على النبيّ صلى الله عليه وسلم كتبهم ويحييهم عنه .

الطرف الثالث

(في وضع الخط ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى .

(في بيان المقصود من وضعه ، والموازنة بينه وبين اللفظ)

أما بيان المقصود من وضعه أعلم أن وضع اللفظ لأداء المعنى الحاصل في الذهن المشعور به للسمع ؛ إذ لا وقوف على ما في الذهن ؛ ووضع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للنظر فيه . فإذا أردت إيقافك أحدا على ما في ذهنك من المعاني تكلمت بالفاظ وضعت لها ، وإذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الإيقاف إلى أحد بغير شفاه ، نقشت النقوش الموضوعة لتلك الألفاظ ، فيطالع تلك النقوش ، ويفهم منها تلك الألفاظ ، ومن الألفاظ تلك المعاني ؛ ولا علاقة معقولة بين المعاني والألفاظ على الأمر العام ، ولا بين الألفاظ والنقوش الموضوعة ؛ ومن ثم جاء اختلاف اللغات والخطوط كالعربية والرومية وغيرهما .

وأما الموازنة بينه وبين اللفظ ، فالأصل في ذلك أن الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها : من حيث إن الخط دال على الألفاظ والألفاظ دالة على الأوهام ؛ ولاشتراك الخط واللفظ في هذه الفضيلة . وقع التناسب بينهما في كثير من أحوالهما ؛ وذلك أنهما يعبران عن المعاني إلا أن اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن ، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعل فعل المتحرك بإيصاله كل ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقر في حيزه ومكانه فثام كما أن اللفظ فيه العذب الرشيق السائع (٢) في الأسماع كذلك الخط فيه الرائق المستحسن الأشكال والصور . وكما أن اللفظ

(١) أي فنقول أعلم الخ . (٢) لعل وجه الكلام هكذا [مستقر في حيزه ، قائم في مكانه ، وما الخ] .

فيه الجَزَلُ الفصيح الذي يستعمله مَصَاقِعُ الخطباء، ومَفَالِقُ الشعراء، والمُبْتَدَلُ السخيف الذي يستعمله العوام في المكاتبة والمحاطبة، كذلك الخطُّ فيه المحرَّرُ المحقَّق الذي تكتب به الكتب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المَطْلُوقُ المرسل الذي يتكاتب به الناس ويستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقع فيه لحن الإعراب الذي يهجنه كذلك الخط يقع فيه لحن الهجاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حلوا رفع المعنى الخسيس وقربه من النفوس ، وإن كان غثا مستكرها وضع المعنى الرفيع وبعده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جيّدا حسنا، بعث الإنسان على قراءة ما أودع فيه وإن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا، صرفه عن تأمل ما تضمنه وإن كان جليلا الفائدة .

ولما أشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جُمِعَت فيهما وقع الاشتراك أيضا بين آتئهما إذ آلة اللفظ للسان، وآلة الخط للقلم ؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر في الإبانة عن المعاني إلا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جُمِعَت آتئهُ آلة طبيعية، والخط لما كان دليلا صناعيا جعلت آتئهُ آلة صناعية؛ ولما تقاسمت الآلتان الدلالة نابت إحداهما مناب الأخرى فأوقعوا اسم اللسان على القلم فقالوا : الأفلام ألسنة الأفهام، وشركوا بينهما في الاسم فقالوا : القلم أحدُ اللسانين .

الجملة الثانية

(في أصل وضعه ؛ وفيه مسلكان)

المسلك الأول

(في وضع مطلق الحروف)

قيل إن أول مَنْ وضع الخطوط والكتب كلها آدم عليه السلام : كتبها في طين وطبخه ؛ وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة ؛ فاما أظَلَّ الأرض الغرقُ أصاب كلُّ قوم

كتابهم . وقيل أَخْنُوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل لإنها أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحى، والمقالتان الأولتان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون اصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفيا علمه الله تعالى بالوحى، وبعضه اصطلاحيا وضعه البشر : واحد أو جماعة، فيصير الخلاف فيه كالخلاف فى اللغة هل هى توقيفية أو اصطلاحية على ما هو مقرر فى علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

(فى وضع حروف العربية)

قال الشيخ أبو العباس البونى رحمه الله فى كتابه "لطائف الإشارات، فى أسرار الحروف المعلومات" :

يروى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله كل نبي مرسل بم يرسل ؟ - قال بكتاب منزل - قلت يا رسول الله أى كتاب أنزل على آدم ؟ - قال : ا ب ت ث ج إلى آخره - قلت يا رسول الله كم حرف ؟ - قال : تسع وعشرون - قلت يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحمرت عيناه، ثم قال يا أبا ذر: واللذى بعنى بالحق نبيا ! ما أنزل الله تعالى على آدم إلا تسعة وعشرين حرفا - قلت يا رسول الله فيها ألف ولام - فقال عليه السلام : لام ألف حرف واحد، أنزله على آدم فى صحيفة واحدة، ومعه سبعون ألف ملك، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل على آدم ! ومن لم يعدد لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه ! ومن لا يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون حرفا لا يخرج من النار أبدا مكانه .

وهذا الخبر ظاهر في أن المراد منه حروف العربية فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضى الله عنه بحروف ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك في غير حروف العربية، وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السلام وهو الموافق لما في أول الفصل قبله، لكن في كتاب "التنبيه على نقط المصاحف وشكلها" للشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله أنها أنزلت على هود عليه السلام، ولا تباين بينهما: لجواز أن تنزل على آدم مرة وعلى هود أخرى، فربما نزلت الآية على نبي ثم نزلت على نبي آخر كما قيل في قوله تعالى: ﴿حَمَسَقُ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إنه ما بعث الله تعالى نبياً إلا وأنزل عليه ﴿حَمَسَقُ﴾ وقد أنزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ على سليمان عليه السلام، ثم أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وربما أنزلت الآية الواحدة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين كما في الفاتحة فإنها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة على أحد الأقوال.

وعلى الجملة فتخصيته أنها توقيفية وهو الموافق لأحد الأقوال في مطلق الحروف.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان، (وبولان قبيلة من طيء) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مرامر بن مرة، وأسلم بن سدر، وعامر بن جذرة، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة، ثم قاسوها على هجاء السريانية، فأما مرامر^(١) فوضع الصّور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإجماع، ثم نقل هذا العلم إلى مكة وتعلّمه من تعلمه وكثر في الناس وتداولوه.

وتقل الجوهري عن شريق بن القظامي أن أول من وضعه رجال من طيء منهم مرامر بن مرة^(١) وأنشد عليه:

(١) في الأصل مرار. والذي في جميع معاجم اللغة مرامر، وهذا في البيت أيضاً.

تَعَلَّمْتُ بِأَجَادٍ وَآلِ مُرَامِي * وَسَوَّدْتُ أَثْوَابِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ

قال الجوهري: وإنما قال آل مُرَامٍ لأنه كان قد سُمي كل واحد من أولاده بكلمة من أبي جاد وهم ثمانية . وذكر غيره نحوه فقال : أول من اخترعه وألف حروفه ستة أشخاص من طَسَمٍ كانوا نُزُولًا عند عَدْنَانَ بْنِ أَدَدَ، وكانت أسمائهم : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، فوضعوا الكتابة واخلطوا على أسمائهم ، فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها ، وسموها الرَوَادِفُ ، وهي الناء المثلثة ، والحاء ، والذال ، والطاء ، والغين ، والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجمل ، ثم انتقل عنهم إلى الأنبار ، واتصل بأهل الحيرة ، وفشأ في العرب ولم ينتشر كل الانتشار إلى أن كان المبعث .

وقيل إن نفيساً ونصراً وتياً ودومة بنى إسماعيل وضعوا كتاباً واحداً وجعلوه سطوراً واحداً موصول الحروف كلها غير متفرقة ، ثم فرقه نبت وهميسع وقيدار ، وفتقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر . وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرني قوم من علماء مصر أن أول من كتب الكتاب العربي رجل من بني النضر بن كانه ، فكتبته العرب حينئذ .

وقضية هذه المقالات أنها اصطلاحية .

وفي السيرة لأبن هشام : أن أول من كتب الخط العربي خير بن سبأ عليه في المنام قال : وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند سمي بذلك لأنهم كانوا يسندونه إلى هود عليه السلام . وهو مخالف لما تقدم من كلام أبي عمرو الداني : أن العربي أنزل على هود عليه السلام .

قال السهيلي رحمه الله في "التعريف والإعلام" : والأصح ما روينا من طريق أبي عُمَرَ بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيلُ" وهذا محتمل للتوقيف أيضا : بأن يكون إسماعيل علمها بالوحي ، وللاصطلاح : بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أول ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قِبَلِ حَرْبِ بن أُمَيَّة . قال المدائني : حدثني حسان بن عبد الملك الأنصاري قال : حدثني سليمان بن سعيد المري قال : سمعت الفراء يقول حدثني العمري أنه قيل لابن عباس من أين تعلمتم الهجاء والكتابة والشكل؟ قال علمناه من حَرْبِ بن أُمَيَّة؛ قيل : ومن أين علمه حرب بن أُمَيَّة؟ قال : من طارئ طرأ علينا من اليمن؛ قيل : ومن أين علمه ذلك الطارئ؟ قال : كانت^(١) بالوحي طود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الداني في كتاب "التنبيه على التخط والشكل" نحوه . وقيل أول ما ظهرت باليمن من قِبَلِ أَبِي سُفْيَانَ بن أُمَيَّة : عم أبي سفيان بن حرب، وأنته من قِبَلِ رجل من أهل الحيرة؛ قال أهل الحيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبي داود عن علي بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابة من أهل الأنبار ، وخرج إلى مكة ، وتزوج الصهباء بنت حرب . وقيل إنه لما تعلم أبو سفيان بن حرب الخط من أبيه تعلمه عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من قريش ، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سُفْيَانَ .

(١) في الضوء [من كاتب الوحي] .

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدي بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربية قليلاً في الأوس والخزرج ، وكان يهودى من يهود ماسكة قد علمها فكان يعلمها الصبيان بقاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون ، منهم سعيد بن زُرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، يكتب الكُتابين جميعا العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير ، ومعن بن عدى ، وأبو عبس بن كثير ، وأوس بن خولي ، وبشير بن سعد .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة" : والخط العربى هو المعروف الآن بالكوفى ومنه استنبطت الأقلام التى هى الآن . وقد ذكر أبى الحسين فى كتابه فى قلم الثلث أن الخط الكوفى فيه عدة أقلام مرجعها إلى أصلين وهما التقوير والبسط .

فالمنقور هو المعبر عنه الآن بالآين : وهو الذى تكون عراقاته وما فى معناها منخسفة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط : هو المعبر عنه الآن باليابس وهو مالا أنخساف وأنحطاط فيه كالحقق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلام الموجودة الآن . ثم قد ذكر صاحب "إعانة المنشئ" أن أول ما نقل الخط العربى من الكوفى إلى ابتداء هذه الأقلام المستعملة الآن فى أواخر خلافة بنى أمية وأوائل خلافة بنى العباس .

قلت : على أن الكثير من كُتاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا على بن مقله (رحمه الله تعالى) هو أول من ابتدع ذلك ، وهو غلط فإننا نجد من الكتب بخط الأولين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفى بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفى أميل لقربه من نقله عنه .

قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب": ويقال إن جَوْدَةَ الخط آتت إلى رجلين من أهل الشام يقال لهما الضحّاك وإسحاق بن حمّاد، وكانا يخطان الجليل، وكأنه يريد الطومار أوقريباً منه .

قال صاحب "إعانة المنشيء" وكان الضحّاك في خلافة السّفّاح : أول خلفاء بني العباس ، وإسحاق بن حمّاد في خلافة المنصور والمهديّ .

قال النّحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعني الشجرى) عن إسحاق بن حماد الجليل وأخترع منه قلماً أخفّ منه سماه قلم الثلثين ، وكان أخطّ أهل دهره به ، ثم اخترع من قلم الثلثين قلماً سماه قلم الثالث .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة": وأخذ يوسف أخو إبراهيم الشجرى القلم الجليل عن إسحاق أيضاً، وأخترع منه قلماً أدق منه وكتبه كتابة حسنة فأعجب به ذوالرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، وأمر أن تحرر الكتب السلطانية به ، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرّياستى . قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات .

قال النّحاس : ثم أخذ عن إبراهيم الشجرى الأحوال الثلثين والثلاث ، وأخترع منهما قلماً سماه قلم النصف ، وقلماً أخفّ من الثلث سماه خفيف الثلث ، وقلماً متصل الحروف ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره سماه المسلسل ، وقلماً سماه غبار الحلية ، وقلماً سماه خط المؤامرات ، وقلماً سماه خط القصص ، وقلماً مقصوعاً سماه الحوائجى . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان ، وكان عجيب البرى للقلم ، وكان وجه النعجة مقدّماً في الجليل . قال : وكان محمد بن معدان يعني المعروف بأبى ذرّجان مقدّماً في خط النصف ، وكان قلمه مستو السّتين ، وكان يشقّ الطاء ، والظاء ، والصاد ، والضاد بعرض النصف ، ويعطف

مثل يا، ويصل كل ياء من يساره إلى يمينه بعرض النصف لا يرى فيه اضطراب .
وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجلّ الكتاب خطأ في الثلث، وكان
أبن الزيات في أيام آبن طولون وزير المعتصم يعجبه خطّه ولا يكتب بين يديه غيره،
وانتهت رياسة الخط بمصر إلى طبطب المحرّر جودة وإحكاما .

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسدون أهل مصر على طبطب وآبن
عبد كان يعني كاتب الإنشاء لأبن طولون، ويقولون بمصر كاتبٌ ومحرّرٌ ليس لأمر
المؤمنين بمدينة السلام مثلهما .

قلت : ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلثائة إلى الوزير أبي عليّ محمد
أبن مقلة وأخيه أبي عبد الله .

قال صاحب "إعانة المنشىء" : وولدا طريقة اخترعاها وكتب في زمانهما جماعة
فلم يقاربهما . وتفرد أبو عبد الله بالنسخ، والوزير أبو عليّ بالدرج، وكان الكمال
في ذلك للوزير، وهو الذى هندس الحروف وأجاد تحريرها، وعنه انتشر الخط
في مشارق الأرض ومغاربها، والله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فِي الْمَسِيرِ الْمَطَايَا * إِذْ رَوَى مِنْ أَحَبِّ عَنْهُ بُقْلَهُ
وَأَجَادَ السُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الْحَدِّ * وَلَمْ لَا يُجِيدِ وَهُوَ آبَنُ مُقْلَهُ

وقول الآخر:

تَسْلَسَلْ دَمْعِي فَوْقَ خَدَيَّ أَسْطُرَا * وَلَا عَجَبٌ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ آبَنُ مُقْلَةٍ

ثم أخذ عن آبن مقلة محمد بن السمساني، ومحمد بن أسد، وعنهما أخذ الأستاذ
أبو الحسن عليّ بن هلال المعروف بابن البواب، وهو الذى أكل قواعد الخط وتممها
وأخترع غالب الأقلام^(١) التى أسسها آبن مقلة، ولما مات رثاه بعضهم بقوله :

(١) فى الضوء . وأخترع عدة أقلام .

وَأَسْتَشْعَرَ الْكُتَّابُ فَقَدْكَ سَالِقًا * فَجَرَتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمُ
فَلِذَاكَ سَوَدَتِ الدُّوَى وَجُوهَهَا * أَسَفًا عَلَيْكَ وَشُقَّتِ الْأَقْلَامُ

ومن أخذ عنه محمد بن عبد الملك، وعن محمد بن عبد الملك أخذت الشيخة
المحدثة الكاتبة زينب الملقبة بشهدة آمنة الأبرى، وعن أحمد أمين الدين ياقوت،
وعنه أخذ الولي العجمي، وعليه كتب العفيف، وعن العفيف أخذ ولده الشيخ
عماد الدين، ويقال إنه كان كاهن البواب في زمانه. وعن الشيخ عماد الدين بن
العفيف أخذ الشيخ شمس الدين بن أبي رقية محتسب القسطنطينية، وهو من عاصريه،
وأخذ عنه شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن علي الزرقاوي المكتب بالقسطنطينية،
وصنف مختصرا في قلم الثلث مع قواعد ضمها إليه في صناعة الكتابة، أحسن فيه
الصنيع، وبه تخرج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الأنباري
محتسب مصر، ونظم في صناعة الخط ألفية وسمها (بالناية الربانية) في الطريقة
الشعبانية) لم يسبق إلى مثلها، ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهند،
ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ.

قلت : وقد علم مما تقدم ذكره أن ألقاب الأقلام : من الثلثين والنصف والثلث
وخفيف الثلث والمُسَلَّس والغبار قديمة، وإن وقع في أذهان كثير من الناس أنها
من مخترعات ابن مقلة وابن البواب فن بعدهما .

الطرف الرابع

(في عدد الحروف، وجهة ابتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه أربع جمل^(١))

الجملة الأولى

(في مطلق الحروف في جميع اللغات)

وأعلم أن الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدد مخارجها، فحروف السريانيين، والروم، والفُرس، والصَّقلَب، والترُّك من أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وعشرين حرفاً؛ وحروف العبرانيين، واليونانيين، والقبط الأول، والهنود وغيرهم من اثنين وثلاثين إلى ستة وثلاثين؛ فيوجد في غير العربية من الحروف ما لا يوجد في العربية كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللغات، ويكثر في الاستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها. فالحاء المهملة، والظاء المعجمة مما أفردت بها العرب في لغاتها، واختصت بها دون غيرها من أرباب اللغات؛ والعين المهملة قليلة في كلام بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست في الفارسية، والثاء المثناة ليست في الرومية ولا في الفارسية، والفاء ليست في التركية.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : ولذلك يقولون في فقيهه بقيه بالباء الموحدة المشربة القيوية.

الجملة الثانية

(في حروف العربية)

وأعلم أنا لما كنا بحمد الله أمةً وسطاً خير أمةٍ أُخرجت للناس، وكان خير الأمور أوسطها، وكانت حروف اللغات ما بين أربعة وعشرين حرفاً إلى ستة وثلاثين كما

تقدم، كانت حروف الكلام العربى التى بها رُقم القرآن الكريم ثمانية وعشرين حرفاً فى اللفظ، متوسطة بين حروف اللغات، وهى ا ب ت ث إلى آخره، وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجى، ويسمى سبويه والخليل حروف العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التى يتركب منها الكلام العربى، وتسمى أيضاً حروف المعجم، إما لأنها مقطعة لا تُنْهَم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأن منها ما يُنْقَط النقط المعروف، أو تنقط كلها أى تُشكّل إذ النقط قد يكون بمعنى الشكّل .
وقال بعض أهل اللغة : النقط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان ، يقال منه أعجمت الحروف، ومعناه حرف الخط المعجم . وبعضهم يجعل المعجم مصدراً بمعنى الإعجام من أعجمت الشيء إذا بيّنته فكأنها مبيّنة للكلام، وتكون الهمزة فى أعجمت للإزالة أى أزلت عُجمته إما بنقطه أو شكله .

قال الشيخ عبد الخالق بن أبى القاسم المصرى : وإذا اعتبرت سائر اللغات بالتحقيق لن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفاً (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركباً من حرفين فلا يعدّه حرفاً مستقلاً .
قال علماء الحرف : وجعلت ثمانية وعشرين حرفاً على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين .

قالوا : ولما كانت المنازل القمرية يظهر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيب تحت الأرض أربع عشرة كانت هذه الحروف ما يظهر منها مع لام التعريف أربعة عشر بعدد المنازل الظاهرة : وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

(١) أى العجم النقط الخ كما فى اللسان .

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان .

والحاء المعجمة، والعين المهملة، والغين المعجمة، والفاء، والقاف، والكاف، واللام،
والميم، والهاء، والواو، والياء المثناة تحت . تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام
في لفظك وكذلك في البواق . وما يندغم منها أربعة عشر حرفا أيضا بعدد المنازل
الغائبة : وهى التاء المثناة من فوق، والتاء المثلثة، والدال المهملة، والدال المعجمة،
والراء، والزاي، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة، والضاد المعجمة،
والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والنون . تقول التاء، والتاء، والدال فتخفى في لفظك،
وكذلك في البواق .

وقد تقدم في خبر أبى ذر رضى الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسعة
وعشرين حرفا عد منها اللام ألف وهو الموجود في التصوير فلا يعول إلا عليه
إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجد في اللفظ دون الكتابة مستحسنةٌ ومستقبحةٌ، تبلغ
بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفا، ولا يوجد ذلك في لغة أمة من الأمم، أضربنا
عن ذكرها لعدم تعلقها بالخط الذى نحن بصدده، وبالله المستعان .

الجملة الثالثة

(في بيان جهة ابتداء الحروف)

وأعلم أن أصحاب الأقلام اختلفوا باعتبار مقاصدهم في البداءة بالحروف .
فمنهم من يبدأ من اليمين إلى اليسار كالعرب والعبرانيين والهنود وأهل الطبيعة
والسريانيين، أخذوا فيه على سير الفلك من المشرق إلى المغرب، والمشرق عندهم يمين
الفلك ويقال له مأخذ كورى، وقيل لأن فيه الاستمداد من الكبد إلى القلب .

ومنهم من يبدأ من اليسار إلى اليمين كالرومية واليونانية والقبطية ، وفن من الفارسية آخذا فيه على سير الكواكب السبعة السيارة من المغرب إلى المشرق . ويقال له مأخذ دُورى ؛ وقيل لأنه ناشئ عن حركة القلب إلى الكبد .

الجملة الرابعة

(في كيفية ترتيب الحروف)

وأعلم أن ترتيب الحروف على ضربين : مفرد ومزدوج ؛ وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب .
أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ
ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض
ع غ ف ق س ش ه و لا ي

وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضطغ .

وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ظغش^(١) .

(١) كذا في الأصل والضوء ولعل الصواب ظغض .

على أنه قد اختلف في كلمات أوجد هل لها معنى أم لا، وهل يكره تعلمها أم لا،
وأكثر الناس في الشرق والغرب على تعلمها .

وقد جاء أنها كانت تُعلم في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ ويشهد لذلك
قول الأعرابي في أبياته :

أَتَيْتُ مَهَاجِرِينَ فَعَلَّمُونِي * ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُتَابِعَاتٍ
وَحَطُّوا لِي أَبَا جَادٍ وَقَالُوا * تَعْلَمُ سَعْفَصًا وَقَرَيْشَاتٍ

وقيل : إن أوجد، وهوز، وحطى، وكلهن، كانت أسماء ملوك مدين، وإن كلهن
كان في زمن شعيب عليه السلام، وقد تقدم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء
واضعي الخط العربي على قولٍ والله أعلم .

الجملة الخامسة

(في كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها)

قد تقدم أن الحروف العربية على تسع عشرة صورة : وهى صورة الألف،
وصورة الباء والتاء والياء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال، وصورة
الراء والزاي، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وصورة الطاء والظاء،
وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف^(١)، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة
الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة اللام ألف، وصورة الياء،
وفرقوا بينها بالنقط كما سيأتى، وقصدوا بذلك تقليل الصور للاختصار لأن ذلك
أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور . ثم ترجع الصور التسع عشرة
صورة^(٢) بعد ذلك إلى خمس صور : وهى الألف والجيم والراء والنون والميم؛ ففى

(١) لعله وصورة القاف ليم العدد ولاختلاف الصورتين في الرسم .

(٢) لعله زائد من النسخ والصواب إسقاطه .

صورة الألف إحدى عشرة صورة ألف قائمة : وهى أ وسبع ألفات مسطوحة :
 وهى ب ت ث ، ك ل ي ، فكل هذه على صورة الألف غير أن فيها
 ما تكرر فيه صورة الألف : وهى الكاف واللام ، وألفان مبطوحتان : وهى ط ظ ،
 وألف معطوفة : وهى لا ، وفى الجيم سبع صور جيم مرفلة : وهى ج ح خ ،
 وجيمان مخذوفتان وهما د ذ ، وجيمان شاخصتان وهما ع غ ، وفى الراء ثلاث
 صور وهى ر ز و ، وفى النون ست صور وهى ن س ش ض ق ،
 وفى الميم صورتان وهما م ه .

الطرف الخامس

(فى تحسين الخط ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فى الخث على تحسين الخط)

لاخفاء أن حُسن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصف بها الكاتب ، وأنه يرفع
 قدره عند الناس ، ويكون وسيلة إلى نُجْح مقاصده ، وبلوغ مآربه ، مع ما ينضم إلى
 ذلك من الفوائد التى لا تكاد تُحصى كثرة .

وقد قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : " الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً " .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسان جسيماً وسيماً
 حسن الهيئة ، كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أنعم ، وإذا كان على ضد ذلك سَمْتَهُ
 النفوس ، ومجّنه القلوب ، فكذلك الخط إذا كان حسن الوصف ، مليح الرّصف ،

(١) لم يذكر إلا ستة ولعل الساقط الفاء فانها لم تذكر فى الصور الاتية .

مَفَحَّ العُيُون، أَمْلَسَ الْمُتُون، كَثِيرَ الْأَتْلَاف، قَلِيلَ الْأَخْتِلَاف، هَشَّتْ إِلَيْهِ النُّفُوس، وَأَشْتَهَتْهُ الْأَرْوَاح، حَتَّى إِنْ الْإِنْسَانَ لَيَقْرُوهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ كَلَامٌ دَنَى، وَمَعْنَى رَدَى، مُسْتَرِيدًا مِنْهُ وَلَوْ كَثُرَ، مِنْ غَيْرِ سَامَةِ تَلَحُّقِهِ، وَإِذَا كَانَ الْخَطُّ قِيحًا بَجَّتْهُ الْأَفْهَام، وَلَفْظَتُهُ الْعُيُون وَالْأَفْكَار، وَسَمَّ قَارَنَهُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ عَجَائِبُهَا، وَمِنَ الْأَلْفَاظِ غَرَائِبُهَا.

ويقال : إِنْ الْخَطُّ مُوَازٍ لِلْقِرَاءَةِ، فَأَجُودَ الْخَطُّ أَيْدِيَهُ، كَمَا أَنَّ أَجُودَ الْقِرَاءَةِ أَيْدِيهَا، وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْخَطَّ الْحَسَنَ هُوَ الْبَيِّنُ الرَّائِقُ الْبَهِج. ثُمَّ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَصْلٍ وَضَعَ الْخَطُّ أَنَّ الْخَطَّ وَاللَّفْظَ يَتَقَاسِمَانِ فَضِيلَةَ الْبَيَانِ، وَيَشْتَرِكَانِ فِيهَا.

قال في "موادّ البيان" : ولما كَانَ الْخَطُّ قَسِيًّا لِلْفَظِّ فِي الْبَيَانِ الَّذِي آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَعْلِيمِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَجَبَ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يُعْنِيَ بِأَمْرِ الْخَطِّ، وَيُرَاعِيَ مِنْ تَجْوِيدِهِ وَتَصْحِيحِهِ، مَا يَرَاغِيهِ مِنْ تَهْذِيبِ اللَّفْظِ وَتَتْقِيحِهِ : لِيَسُدَّ عَلَى سُرْعَةٍ وَسَهْوَةٍ كَمَا يُدُلُّ اللَّفْظُ الْبَلِيجُ الْبَيِّنُ : لِأَنَّ الْخَطَّ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الْمَتَلَةِ الَّتِي لَا تُسَاوِي مِنَ الشَّرَفِ فَإِنَّمَا تَحْصُلُ فُضَائِلُهُ لِلْجِدِّ مِنْهُ، كَمَا أَنَّ الْمَنْطِقَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّرَفِ فِي هَذَا الْحَدِّ فَإِنَّمَا تَحْصُلُ فُضَائِلُهُ النَّامَةُ لِمَنْطِقِ الْبَلِيجِ اللَّسَنِ، دُونَ مَنْطِقِ الْعَبِيِّ الْأَلَكْنِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الصَّنَائِعِ الْفَاضِلَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِنَّمَا يَحْصُلُ فَضْلُهَا لِلْمَاهِرِ فِيهَا دُونَ الْمُبْتَدِئِ.

قال : فَيَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ لَا يَقْدَمَ عَلَى تَهْذِيبِ خَطِّهِ وَتَحْوِيرِهِ شَيْئًا مِنْ آدَابِهِ فَإِنْ جَوْدَةُ الْخَطِّ أَوَّلُ الْأَدَوَاتِ الَّتِي يَنْتَظَمُ بِحَصُولِهَا لَهُ أَسْمُ الْكِتَابَةِ، وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ إِذَا حَازَهَا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا. وَقَدْ دَخَلَ بَحْسُنُ الْخَطِّ فِي الصَّنَاعَةِ مَنْ إِذَا فُحِصَ عَنْ مَقْدَارِ مَعْرِفَتِهِ وَجَبَ أَنْ تُتَرَّهَ الْكِتَابَةُ عَنْ نَسْبَتِهِ إِلَيْهَا.

ويجب مع ذلك أن يراعى تأسيس الخط على الوضع الذى أصطلح عليه المجيدون من الكتاب . فقد قسم أهل الصناعة الخط إلى قسمين : محقق ومطلق .

فأما المحقق فما صحّت أشكاله وحروفه على اعتبارها مفردة .

قال فى "موادّ البيان" : وهذا القسم هو الذى يُستعمل فى الأمور الجسيمة : ككُتُب العهود ، والإسجلات ، والتعليكات التى تبقى على الأعقاب ، والمكاتبات الصادرة عن الملوك إلى الملوك ، الدالة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .
وأما المطلق فهو الذى تداخلت حروفه واتصل بعضها ببعض .

قال فى "موادّ البيان" : وهو خط مولّد من المحقق ، يستعمل فى تنفيذ ما لا يمكن تأخير من المكاتبات المهمّة والأمر العامة . قال : ويجب أن يلزم الطريقة فى كل واحد من الخطين ، ولا يخطّ حروف أحدهما بحروف الآخر .

الجملة الثانية

(فى الطريق إلى تحسين الخط ، ويتوصّل إلى ذلك بأمور)

الأوّل — معرفة تشكيل الحروف

قال فى "موادّ البيان" : وهو الأصل فى أدب الخط : لأن الخط إنما يسمّى جيداً إذا حسنت أشكال حروفه ، وإنما يسمّى رديئاً إذا قُبِحت أشكال حروفه .
وحسّن صور حروف الخط فى العين شبيهٌ بحسّن مخارج اللفظ العذب فى السمع .

قال : والوجه فى تصحيح الحروف أن يبدأ أولاً بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حيالها ، ثم يؤخذ فى تقويمها مجموعةً مركبةً ، وأن يبدأ

(١) لم يذكر غيره ولعله آكتفى بما تقدم فى الأدوات من حسن البراية والخبر والليقة وغير ذلك فليتنبه .

من المركب الثنائي والثلاثي، ثم الرباعي، ثم الخماسي، فإن هذه هي أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد في التمثيل على توقيف المهرة في الخطوط، العارفين بأوضاعها ورسومها وأستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قلما من الأقلام يصلح لذلك الخط، وهذه الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع بكل آلة منها جزءا من صناعته لا يصنع به غيره؛ ولا يعول على كتابة خط من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفي، إذ لو كان ذلك كافيا لاستغنى في جميع الصنائع ممن يؤقف عليها. على أن كثيرا من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعاً دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحررين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخط على أصل يكون له أساسا، فإذا فصلت أحواله آنكشف فساد كثير من حروفه.

الطرف السادس

(في قواعد تتعلق بالكتابة،

لا يستغنى الكاتب المحيد عن معرفتها، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف)

الألف

قال الوزير أبو علي بن مقلة: وهي شكل مركب من خط منتصب، يجب أن يكون مستقيما غير مائل إلى استلقاء ولا أنكباب. قال: وليست مناسبة لحرف في طول ولا قصر.

قال الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهى قاعدة الحروف المفردة ، وبقى الحروف متفرعة عنها ومنسوبة إليها .

ثم الذى ذكره صاحب " رسائل إخوان الصفا " فى رسالة المرسى ، عند ذكر حروف المعجم أستطرادا أن مساحتها فى الطول تكون ثمان نقط من نُقَطَ القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثمن الطول .

والذى ذكره الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنها مقدرة بست نقط .

والذى ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته أنها مقدرة بسبع نقط ، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال ابن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون ابتداءها بنقطة وآخرها بِسَطِيَّة .

قال ابن مقلة : وأعتبرها أن تخط إلى جانبها ثلاث أَلِفَات أو أربع أَلِفَات فتجد فضاء ما بينها متساويا .

قال ابن عبد السلام : وتكون تلك الألفات المخطوطة إلى جانبها مناسبات لها فى الطول متساويات الرؤوس والأذنان .

الباء

قال ابن مقلة : هى شكلٌ مركَّب من خطين : منتصبٍ ومنسطح . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .

قال ابن عبد السلام : ويكون المنتصب طوله بمقدار ثلث ألف خطه . قال ويبدأ أوله بنقطة ، وكذلك آخره إن كان مُرسَلا ، فإن كان معطوفاً فيكن بسن القلم

اليسرى، والمستدير فيه مثل المنتصب، ولكن يكون المنتصب أرجح من المستدير بنزير يسير؛ وتكون السنّة المبتدأ بها مترجحة في الطول على آخرها المعطوف .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحته أن تزيد في أحد سنيها ألفا فتصير لاما . وزاد ابن عبد السلام في إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب تكمة ألف بحيث يكون طول جملة كطول المنسطح لا أطول ولا أقصر . ثم قال : وهذا الحرف وما يجرى مجراه من يمنة إلى يسرة، وكل ما كان كذلك فينبغي أن يمال القلم فيه نحو اليسرة قليلا . ولا يخفى أن التاء والثاء في معنى الباء في ذلك جميعه .

الجم

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : مُنكَب ونصف دائرة؛ وقطرها مساوٍ للألف . وأبدل ابن عبد السلام المُنكَب بالمنسطح . ثم قال : والمنسطح كلُّي ألف من خطه، وربما يكون أنقص بنقطة . قال : ومساحة نصف الدائرة كاليف ونصف ألف من قلم الكتابة، ورأسها يكون من يسرة إلى يمنة على استقامة تقريبا؛ وكل ما كان كذلك ينبغي أن يمال برأس القلم فيه إلى اليمنة قليلا، يبدأ أوله بشطية بالسّن اليمنى من القلم، وآخر تعريجها بالسّن اليسرى منه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحته أن تحط عن يمينها وشمالها خطين فلا تنقص عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال ابن عبد السلام : وأعتبار صحة رأسها أن تكتبه من يسرة إلى يمنة على استقامة تقريبا . قال : وحسنها أن تحفضها من الجهة اليمنى قليلا؛ وميزانها أن تُسطر سطرًا وتأخذ عليه من يسرة إلى يمنة مقدار ثلثي ألف من قلم الكتابة، بحيث لا يرتفع

أولها عن آخرها إلا يسيرا، ولا آخرها عن أولها بل تكون منسبكة فيه . واعتبار نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة . ثم قال : وليقصد أن يجعل رأس الجيم سـ واء أخذاً ابتداء الدائرة في جسد ثلث الرأس، منسبكا فيه ، بحيث يكون الثلث ضلعاً واحداً .

ولا يخفى أن الحاء والحاء في معنى الجيم في جميع ما تقدم .

الدال

قال ابن مقلة : هي شكل مركب من خطين : منكب ومنسطح ، مجموعهما مساوٍ للألف . وجعل ابن عبد السلام منها شكلاً آخر مركباً من ثلاثة خطوط : منكب ، ومنسطح ، ومستدير . وكأنه يريد الدال المجموعة . ثم قال : فالمنكب طوله بمقدار نصف ألف خطه لا غير ، وكذلك المنسطح . وأبتداء أولها بنقطة ، وآخرها إن كان مرسلًا بقطعة ، وإن كان معطوفاً بسنن القلم اليسرى .

قال ابن مقلة : واعتبار صحتها أن تصل طرفيها بخط فتجده مثلثاً متساوي الأضلاع . ولا يخفى أن الدال في معنى ما تقدم .

الراء

قال ابن مقلة : وهي شكل مركب من خط مقوس هو ربع الدائرة التي قُطرها الألف وفي رأسه سنن مقدرة في الفكر .

قال ابن عبد السلام : وتبدأ أولها بنقطة ، وآخرها إن كان مرسلًا فبسنن القلم اليمنى ، وإن كان معطوفاً فبسنن اليسرى .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تصلها بمثلها فتصير نصف دائرة .
ولا يخفى أن الزاى فى معناها .

السين

قال ابن مقلة : وهو شكل مركب من خمسة خطوط : متصّب ، ومقوّس ، ومتصّب ، ومقوّس ، ثم مقوّس .

قال ابن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أول سنّ منها إلى ثالث سنّ كلّى ألف خطّه . قال : ومساحة قوسها إن كان معطوفاً مساحة ألف من خطّه ، وإن كان مرسلًا مساحة ألفين من خطّه . وطول كل سنّة مثل سدس ألف خطّه ، يبدأ أولها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلًا فبسنّ القلم اليمنى ، وإن كان معطوفاً فبسنّة اليسرى . قال : وإذا ابتدأت بالسنّة وطلعت إلى الثانية فخذ إلى الثالثة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها ، فإنك متى أخذت رأس سنّة من أسفلها صار أسفلها مصططحاً ، ويكون البياض الذى بين السنين على السوية فى البياض .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها يعنى صحة رأسها أن تمرّ بأعلاها وأسفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئاً ولا تنقص .

ولا يخفى أن حكم الشين أيضاً كذلك .

الصاد

قال ابن مقلة : هو شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوّس ، ومنسطح ، ومقوّس .

قال ابن عبد السلام : وأبتدأوه بِسَطِيَّةٍ ، أما آتتهاؤه فإن كان مرسلًا فبسنّ القلم
اليمنى ، وإن كان معطوفًا فبسنه اليسرى . قال : ومساحة رأس الصاد في الطول
كُكْثَى ألف خطه ، ومساحة قوسها إن كان معطوفًا مساحة ألف الكتابة ؛ وإن كان
مرسلًا فمساحة ألفين من قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تجعلها مُربَّعة فتصير متساوية الزوايا في المقدار .
وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن يكون أعلاها كراء معلقة ، والمنسطح
كباء ، والمقوس كنون ؛ ويكون رأس النون مُشرفًا على آخرها .

ولا يخفى أن الضاد كذلك .

الطاء

قال ابن عبد السلام : هو شكلُ مرَّكَبٍ من ثلاثة خطوط : منتصبٍ ، ومقوسٍّ ،
ومنسطحٍ ، يبدأ أوله بنقطة وآخره بنقطة . قال : ومساحة ضوئ الطاء في الطول كُكْثَى
ألف خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبرها كأخبار ^(١) .

وقال ابن عبد السلام : أعتبر صحتها أن يكون المنتصب كألف من خطه
في الانتصاب والطول ، والمقوس كراء معلقة ، والمنسطح كباء مرسل .

ولا يخفى أن حكم الطاء في ذلك كالطاء .

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة .

العين

قال ابن مقلة : **وهي شكلٌ مركَّب من خطين : مقوِّس ومنسطحٍ أحدهما نصف الدائرة .**

وقال ابن عبد السلام : **هي شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوِّس^(١)، ومنكب ، يبدأ أوَّلها بشِطَّةٍ ، وآخر تعريجها بسنِّ القلم اليسرى ، والتعريجة نصف دائرة ، ومساحة القوس كألفٍ وثلاث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس في الطول كثلثي ألف خطه ، ويصوَّر من رأسها رأس صاد .**

قال ابن مقلة : **وأعتبار صحتها كأعتبار الجيم .**

وقال ابن عبد السلام : **أعتبارها أن تخط عن يمينها خطأ من أعلاها إلى متنها تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرا بنقطة تكون سدس ألف خطها لا غير .**

ولا يخفى أن العين في الحكم كذلك .

الفاء

قال ابن مقلة : **هي شكلٌ مركَّب من أربعة خطوط : منكبٌ ، ومستلقيٌ ، ومنتصبٌ ، ومنسطح .**

قال ابن عبد السلام : **تبدأ أوَّلها بنقطة وتأخذ على سطر إلى جهة اليسار ، ثم تأخذ المستلقي إلى أن تنتهي إلى قُبالة المنسطح بحيث يصير كالبدال المقلوبة ، ثم**

(١) لعله مقوِّسين . وفي الأصل تضييب إشارة إلى التوقف .

تأخذ من حيث انتهت إلى أن تَلَصَّقَ بالمنسطح فيبقى مثلثا متساوي الأضلاع،
مساحة ضوئه نقطة بمقدار سدس ألف خطّه؛ ثم إن كان معطوفا ختمته بسنّ القلم،
وإن كان مرسلا فبقطته .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحته أن تصل بالخط الثاني منها خطا فيصير مثلثا
قائم الزاوية .

القاف

قال ابن مقلة : هو شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكبّ، ومستلقٍ، ومقوس .
قال ابن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء سواء
بجميع ما تقدّم، وإرسالها كالنون على ماسيأتي ذكره؛ فإن كان آخرها معطوفا فبسّنّ القلم
اليسرى، وإن كان مرسلا فبسّنّه اليمنى . قال : ومساحة ضوء القوس من أوله
إلى آخره إن كان معطوفا كألف قلم الكتابة، وإن كان مرسلا فكألفين .
قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها كأعتبار النون، وسيأتي ذكره .

الكاف

قال ابن مقلة : شكل مركّب من أربعة خطوط : منكبّ، ومنسطح، ومتصّبٍ،
ومنسطح .
وقال ابن عبد السلام : وهو مركّب من أربعة خطوط، مستأني، ومنسطح،
طوله مقدار ألف وثلاث ألف من قلم الكتابة، ومنكبّ طوله مقدار ثلث ألف

من خطه ، ومنسطح ، طوله مقدار ألفين من خطه ، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب ما يتصل به ، فيصير فضاء ما بين ما اتصل بآخرها إلى رأس الكاف مثل الفضاء الذي بين المنسطحين .

قال : ولا يجوز أن تكتب مختلصة إذا لم يتصل آخرها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب متصلة قائمة لا غير ؛ وتكتب إذا كانت متصلة كاللام على ماسياقي بيانه .

قال : وتبدأ أولها بشطية فإذا انتهت إلى اتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن يفصل منها ياءان . قال ابن عبد السلام : يعنى مستقيمة ومقلوبة .

اللام

قال ابن مقلة : هى شكل مرَّكَّب من خطين : متصبٍ ، ومنسطح .

قال ابن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمتصب ياء ؛ فإن كان معطوفاً فبسن . القلم اليسرى ، وإن كان مراسلاً فبقطه .

قال ابن مقلة : وأعتبر صحتها أن تُخرج من أولها إلى آخرها خطاً يماس الطرفين فيصير مثلثاً قائم الزاوية .

قال : وتكتب على الأنواع الثلاثة التى تكتب عليها الباء .

الميم

قال ابن مقلة : هي شكل مرَّكَّب من أربعة خطوط : مُنْكَبَّ ، وَمُسْتَتَقِّ ، وَمُنْطِطَح ، وَمُقَوَّس .

وقال ابن عبد السلام : مرَّكَّب من أربعة خطوط : مُنْكَبَّ ، وَمُقَوَّس ، وَمُسْتَلَق ، بِتَقْوِيس ، وَمُقَوَّس كالراء يكون ربع دائرة ؛ فإن كان آخرها متصفا فهو في الوضع والطول مثل أَلِف من خطه غير مائل إلى استلقاء ولا أنكباب ، تبدأ أول الميم بِشَطِيطَةٍ وآخرها بِشَطِيطَةٍ .

قال : ومساحة ضوئها مثل سدس أَلِف خطَّها ؛ وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة منتصب إلى جهة اليمين .

قال ابن مقلة : وأعتبارها كأعتبار الهاء ، وسيأتي .

النون

قال ابن مقلة : هو شكل مرَّكَّب من خطِّ مُقَوَّس ، هو نصف الدائرة ؛ وفيه سِنَّة مقدرة في الفكر .

قال ابن عبد السلام : يبدأ أوله بنقطة ، وآخره إن كان معطوفاً فبِسْنِ القلم اليسرى ومساحة ضوئه أَلِف من قلم خطه ، وإن كان مُرْسَلاً فبِسْنِ القلم اليمنى ، ومساحة ضوئه أَلِفان من قَلَمِ خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن يُوصَلَ بها مثلها فتكون دائرة .

الهاء

قال ابن مقلة : هي شكل مرَّكَّب من ثلاثة خطوط ، منكَبٌّ ، ومتصِبٌّ ، ومقوَّس .

وقال ابن عبد السلام : من ثلاثة خطوط ، منكَبٌّ ، ومنسطح بترطيب ، ومستقلٌّ ؛ تبدأ أولها بنقطة وآخرها إرساله بسنِّ القلم اليميني ؛ طول المنكَبِّ كطول نصف ألف من خطه ، وطول المنسطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستقلِّ كنصف ألف قلم خطه .

قال ابن مقلة : وأعتبار صحتها أن تجعلها مربعة فتساوى الزاويتان العلياوان كَتَساوى الزاويتين السفلاوين .

وقال ابن عبد السلام : أعتبار صحتها أن تجعل رَدَّتْها في ثلثيها ، فإذا كل وضعها فاجعلها مربعة فتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافتان .

الواو

قال ابن مقلة : هي شكل مرَّكَّب من ثلاثة خطوط : مستقلٌّ ، ومنكَبٌّ ، ومقوَّس .

وقال ابن عبد السلام : هي مركَّبة من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء ، وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ؛ تبدأ أولها بنقطة ، وآخرها إن كان معطوفاً فبسنِّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلًا فبسنِّه اليميني .

اللام ألف

قال ابن عبد السلام : هي شكل مرَّكَّب من ثلاثة خطوط : منكبٌّ ، ومنسطح مستقيم ، ومستلق ؛ طول المنكبِّ كطول ألف من قلم الكتابة ، وطول المنسطح كثنائي ألف الكتابة ، وطول المستلق كطول ألف الكتابة ؛ تبدأ أوَّل المنكبِّ بنقطة ، وكذلك المستلق .

قال : وأعتبار صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها ، وأن تخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما ، وأن تخط من أعلاها إلى أسفلها خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مرَّكَّب من ثلاثة خطوط : منكبٌّ ، ومستدير يقارب ألفا ، ومستلق يقابل طرفه طرف المنكبِّ .

الياء

قال ابن مقلة : شكل مرَّكَّب من ثلاثة خطوط ، مستلقٍ ، ومنكبٌّ ، ومقوَّس . قال ابن عبد السلام : وهي كالنون ؛ وتبدأ أولها بشَطِيطَةٍ رأسها كدال مقلوبة ، طول المستلق منها كنصف ألف من خطه ، وكذلك المنكبُّ على ما تقدّم في الدال . قال : والمقوَّس إن كان معطوفا فمساحته كألف من خطه وآخره بسنّ القلم اليسرى وإن كان مرسّلا فمساحته كألفين من خطه وآخره بسنّ القلم اليمنى .

قال : ومنها نوع كرأس الكاف المستلق والمنسطح سواء .

قال ابن مقلة : وأعتبارها كأعتبار الواو .

الجملة الثانية

(في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وأتھاؤها : من نُقْطة أو شِظْية أو غير ذلك)
أما الابتداء فعلى ثلاثة أضرب .

الضرب الأول

(ما يتبدأ بنقطة ، وهو تسع صور ^(١))

صورة الباء وأختها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السين وأختها ، وصورة اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها السمرريُّ في أرجوزته في أوائل كلمات بيت واحد ، وهو قوله :

إِذَا بَدَتْ دَعْدُ رَقًا سَنَاهَا * لِعَاشِقٍ نَاحَ عَلَى هَوَاهَا

على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وهم فعَدَّ منها الفاء ، وليس كذلك بل هي مما يتبدأ بحلقة ^(٢) على ما سياتي ذكره .

الضرب الثاني

(ما يتبدأ بشِظْية ، وهو صور خمسة أحرف)

الحاء ، والطاء ، والياء ، والصاد ، والكاف

وقد جمعها السمرريُّ في قوله : ”خطي يصك“ .

وجعل ابن عبد السلام الخمسة

الغين ، والطاء ، والحاء ، والكاف ، والصاد

(١) لم يصل العدد إلى التسع ولعله سبع وسقطت صورة الراء وأختها كما يظهر بالتأمل في بقية الأضرب .

(٢) لعله بحلقة .

وجمعها في قوله : ” غط خَصَّكَ “ وألحق بها أشباهها .

الضرب الثالث

(ما يتبدأ بحلقة ^(١) . وهو صور أربعة احرف)

القاف ، والميم ، والواو ، والفاء

وقد جمعها السمرى في قوله : ” قُمْ وَفَّ “ .

وأما الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضرب الأول

(ما ينتتم بقطعة القلم . وهو صور ستة أحرف)

الطاء ، والفاء ، والباء ، واللام ، والdal ، والكاف

وجمعها ابن عبد السلام في قوله : ” دَبَّ طِفْلُكَ “ ولا يخفى أن أخواتها في معناها .

الضرب الثاني

(ما ينتتم بشظية ؛ وهو صورة واحدة)

وهي الألف

الضرب الثالث

(ما يرسل في ختمه إرسالا ، وهو صورة أحد عشر حرفا ، وهي)

السين ، والراء ، والحاء ، والميم ، والنون ، والياء ،

والعين ، والقاف ، والصاد ، والواو ، والهاء .

يجمعها قولك "سرح منيع وقصه".

الطرف السابع

(في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة؛ وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في كيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه على الورق)

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث :
الوسطى والسبابة والإبهام على القلم ، وإلى ذلك يشير أبو تمام الطائي بقوله :
وسدت * ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل *

أما قول القائل في وصف القلم أيضا :

وذي عفافٍ راكعٍ ساجد * أخو صلاحٍ دمه جارٍ
ملازم الخمس لأوقاتها * مجتهداً في طاعة الباري

يريد بالخمس الأصابع الخمس ، فإنه على سبيل المجاز ، من باب مجاز المجاورة .
قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطة غير مقبوضة ،
لأن بسط الأصابع يتمكن الكاتب معه من إدارة القلم ، ولا يتكى على القلم الاتكاء
الشديد المضعف له ، ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط ، لكن
يجعل اعتماده في ذلك معتدلاً .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتب فإنه يأخذ القلم فيتكى على الحنصر ،
ويعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوسطى على البنصر ، ويرفع السبابة على
القلم ، ويعمل الإبهام في دَوْرانه وتحريكه .

قال ابن مقلة: ويكون إمساك القلم فَوْقَ الفتحة بمقدار عَرْضِ شعيرتين أو ثلاثٍ؛
وتكون أطراف الأصابع متساويةً حَوْلَ القلم لانتْفُضِلَ إحداهن على الأخرى .
قال صاحب "الحلية": وتكون الأصابع على القلم منبسطة غير متقبضة لِيَتِمَكَّنَ
من إدارة القلم، ولا يدار حالة الاستمداد .
قال ابن العفيف: وعلى حسب تَمَكُّنِ الكاتبِ من إدارة قلمه وسرعة يَدِهِ
في الدَّوران يكون صفاء جواهر حروفه .

الجملة الثانية

(في كيفية الاستمداد، ووضع القلم على الدَّرَج)

أما الاستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة . وقد قال المقر العلاني بن
فضل الله: من لم يُحَسِّنِ الاستمدادَ وَبَرَى القلم فليس من الكتابة في شيء .
قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: وإذا مدَّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه
على صورة إمساكه له حين الكتابة، ولا يديره للاستمداد: لأن أحسن المذاهب فيه
أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في الكتاب، ويحرك رأس القلم من باطن
يَدِهِ إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصابع، ومتى عدل عن
هذا لِحَقْنِهِ المَشَقَّةَ في ثقل نَصْبَةِ الأصابع في كل مَدَّة .
قال: وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب، لأن هذا هو الذي عليه مَدَارُ
جَوْدَةِ الخط .
ثم قال: وَقَلَّمَا يُدْرِكُ علم هذا الفصل إلا العالمُ الحاذق بهندسة الخط، مع ما يكون
معه من الأناة وحسن التأدية .

ومن كلام المقرّ العلّائيّ بن فضل الله : ينبغي للكاتب أن لا يُكثر الاستمداد بل يمدّ مدّاً معتدلاً، ولا يحرك اللّيقة من مكانها، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكتّاب، ولا يردّ القلم إلى اللّيقة حتّى يستوعب ما فيه من المداد، ولا يدخل منه الدواة كثيراً، بل إلى حدّ شقّه، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة : ليأمن تسويد أنامله، وليس ذلك من خصال الكتّاب .

وأما وضع القلم على الدّرج فقال أبوعلّى بن مُقْلَة : ويجب أن يكون أزلّ . أيُوضَع على الدّرج موضع القطعة منكباً .

الجملة الثالثة

(في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكير)

قال محمد بن عمر المدائني : يُستحبُّ للكاتب في كتابته إذا فكّر في حاجة أن يضع القلم على أذنه، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه أن معاوية بن أبي سفيان كان يكتب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، فكان إذا رأى من النبيّ صلى الله عليه وسلم إعراضاً وضع القلم في فيه، فنظر إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال : ”يا معاوية إذا كنت كاتباً فضع القلم على أذنك فإنه أذكرك وللمملي“ .

وساق بسنده أيضاً إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إليه وهو يكتب في حوائجه فقال له : ”ضع القلم على أذنك فإنه أذكرك“ . وأخرج أيضاً من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتابه ”ضع القلم على أذنك يكنّ أذكرك“ .

وفي رواية عن أنس : ”كان معاوية كاتباً للنبيّ فراه يوماً قد وضع القلم على الأرض فقال : يا معاوية إذا كتبت كتاباً فضع القلم على أذنك“ .

وأخرج أيضا "أن كعبا كان يتحدث عند عائشة، فذكر إسرائيل فقال : له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب مسرّبل به والقلم على أذنه فإذا نزل الوحي جرى القلم ودرست الملائكة . فقالت عائشة : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ."

الطرف الثامن^(١)

(في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط ، وفيه ست جمل)

الجملة الأولى

(في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة ، وما يجب أن يراعى في كل حرف)
قال السمرري وأبن عبد السلام وغيرهما : كل خط متصّب ينبغي أن يكون الاعتماد فيه من القلم على سنيّه معاً ، وكل خط من يمينه إلى يسره ينبغي أن يمال القلم فيه نحو اليسرة قليلاً ، وكل خط من يسره إلى يمينه ينبغي أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمين قليلاً ، وكل شظية ينبغي أن تكون بالسنّ اليمنى من القلم ، وكل نقطة ينبغي أن تكون بسنّ القلم ، وكل تععير كما في النون وتعريقة الصاد يجب أن تكون بالسنّ الأيمن وكل إرساله يجب أن تكون بسنّ القلم اليمنى ، وكل تعريح كما في عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسنّ القلم اليسرى ، وكل ما أخذ فيه من يمينه إلى يسره كاللام ونحوها ينبغي أن يمال فيه رأس القلم إلى اليسرة قليلاً ، وكل ما أخذ فيه من يسره إلى اليمين كراس الجيم ينبغي أن يمال رأس القلم فيه إلى اليمين قليلاً ، وكل خط متصّب فيجب أن يكون آتياؤه إرساله ، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سدس ألف خطها ، وقيل مثل سبعة ، وكل شظية في أول أو آخر مثل سبع ألف خطها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسنّ الأيمن من القلم الألف واللام ورفعة الطاء والنون والباء والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة ، وأواخر التعريقات والمذات

(١) تقدم أن الأطراف سبعة فهذا زائد عليها .

وطبقة الصاد والضاد، ومدة السين والشين، وللايسر الجيم وأختاها والزّادات
وتدوير رءوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة .

قال : وكل ردة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم .

قال : ويجب أن تكون المطّات الطويلة بسنّ القلم اليمنى 'مُشَطَّاةً' ممالة، فتكون
المطّة من رأس شَطِيطِها، وأن تُكتب المدّات القصيرة بحرف القلم، وإذا أبتدأ بالمدّة
وجب أن يُدار القلم على سنّه مثل مطّة الطاء، وإذا وُصلت المطّة بحرفٍ مثلها كُتِبَتْ
بوجه القلم مثل مطّة الفاء المفردة . ثم قال : وهذا من أعظم أسرار الكتابة .

الجملة الثانية

(في تناسُبِ الحروف ومقاديرها في كل قلم)

قال صاحب "رسائل إخوان الصفا" : في رسالة الموسيقى منه : ينبغي لمن يرغّب
أن يكون خطّه جيّداً وما يكتبه صحيحَ التناسُب، أن يجعلَ لذلك أصلاً يبنى عليه
حروفه : ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه في حروفه، لا يتجاوزُه ولا يُقصرُ دونه .

قال : ومثال ذلك في الخطّ العربيّ أن تخط ألفاً بأيّ قلم شئت، وتجعل غلظه الذي
هو عرضُه مناسباً لطوله وهو الثمن : ليكون الطولُ مثل العرضِ ثمان مرّاتٍ . ثم تجعلُ
البركار على وَسَطِ الألف وتدير دائرةً تحيط بالألف لا يخرجُ دورُها عن طرفيه، فإن
هذا الطريق والمسلك يوصلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة، ولا تحتاج
في مقاييسك ما تقصده إلى شيء يخرج عن الألف وعن الدائرة التي تحيط به .

فالباء وأخواتها : كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحُها إذا أضيفتُ إليه سنّها
مساوياً لطول الألف، فإن زاد سُمج وإن قُصر قُبُح، ومقدار ارتفاع سنّها وجميع

السنن التي في السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف . والجيم وأخواتها مقدار مدتها في الابتداء لا يقصر عن نصف طول الألف .

وكذلك يجرى الأمر في العين، والغين، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والراء والزاي : كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة؛ والدال، والذال كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أزيل الاثنان الذي فيها وأعيدت إلى النسطيح لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .

والسين، والشين : كل واحدة منهما يجب أن تكون سِنَّها إلى فوق مثل مقدار ثمن الألف، وفي العرض بمقدار نصفها، وفي التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف . والصاد، والضاد : مقدار عَرْض كلٍّ منهما في مَدَّها مثل مقدار نصف الألف وفتحة البياض فيها مقدار ثمن الألف أو سدسها، وتعريقها إلى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والطاء، والظاء : كل واحدة منهما في ناحية يجب أن يكون مقداره مثل مقدار جميع طول الألف وعرضه مثل نصف الألف . والعين، والغين كل واحد منهما مقدار تقويسه في العرض مثل نصف الألف أو مثل الألف إذا أعيدت إلى النسطيح وأزيل تنبيهه، وتقويسه من أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

والفاء : يجب أن يكون تسطيحه إلى قدام بعد الطالع منه من فوق مثل طول الألف .

وحلقته وحلقة الواو والميم كلها إلى فوق مثل سدس الألف، وإلى أسفل في الميم . والواو : مثل الراء . والقاف تقويسها من فوق ينبغي أن يكون مثل سدس طول الألف، وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف : ينبغى أن يكون الأعلى منها طول الألف ، وفتحة الياء التى داخله مثل سدس طول الألف ؛ وتسطيحه من أسفل مثل أعلاه وكسرتة إلى فوق مثل نصف طول الألف .

واللام : يجب أن يكون مقدار طول قائمتها مثل الألف ، ومدتها إلى قدام مثل مقدار نصف الألف .

والنون : يجب أن يكون مقداره مثل نصف محيط الدائرة .

والياء : ينبغى أن يكون مبدؤه دالا مقلوبة لا تتجاوز مقدار طول الألف ، وتعريقها إلى أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

ثم قال : وهذه المقادير وكيفية نسبة بعضها إلى بعض هو ما توجه قوانين الهندسة والنسبة الفاضلة ، إلا أن ما يتعارفه الناس ويستعمله الكتّاب على غير ذلك .

وقد أشار الشيخ عماد الدين بن العفيف إلى ضوابط فى ذلك على ما تقتضيه أوضاع الكتّاب يجب الوقوف عندها فقال : وأعلم أن مقادير الحروف متناسبة فى كل خط من الخطوط .

وأعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثرى فى ألفيته قد جعل طول الألف سبع نقاط من كل قلم ، ومقتضاه أن يكون العرض سبع الطول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد فى الطول ، وما كان ناقصا عن ذلك فهو ناقص ، وعلى ذلك تختلف المقادير المقدرة بالألف من الحروف بنقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قدر سواء فى كل خط ، وكذلك الباء وأختاها ، والجيم وأختاها ، والعين والغين قدر سواء ، والنون ، والصاد ، والضاد ، والسين ، والشين ، والقاف ، والياء المعزقة قدر سواء ، والراء ، والزاي ، والميم ، والواو قدر سواء .

قال : وكل عرّاقة بدأت بها في كل خط ما فعلى مثلها يكون انتهاؤها .

ثم قال : فتفهم هذا القدر فإنه كثيرا ما يختلط على الكُتّاب الحذّاق .

وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدها - ما هو متناسب الطول، وهو خمس صور : صورة الألف، وصورة اللام، وصورة القاف، وصورة التاء، وصورة الكاف ويجمعها قولك "الفتك" وفرع عليها أربع صور يجمعها قولك "بث مى" .

الثاني - ما يجوز مدّه من أول السطر إلى آخره وقصره ما شاء، ما لم يقصر عن طول الألف، وهى الباء، والكاف، واللام، ويجمعها قولك "بكل" ويتفرع عليها أخواتها .

الثالث - ما هو متناسب في المقدار، وهو ثلاث صور : يجمعها قولك "دبل" . والمنكب من الدال والمستلقى منها والمنسطح والمستلقى منها والمنكب من الياء بمقدار نصف ألف خطّه .

الرابع - ما هو متناسب المساحة في حال العطف والإرسال : وهى القاف، والسين، والباء، والياء، والضاد، ويجمعها قولك "قبس يرض" وكل أخت تُلحق بأختها .

الخامس - ما هو متناسب في الإرسال وهو الميم، والواو، والزاي، ويجمعها قولك "موز" .

السادس - ما هو متناسب في الضمّ والإرسال، وهو ست صور : هى الفاء، والقاف، والهاء، والميم، والواو، واللام، ويجمعها قولك "فقه مولا" .

السابع - ماهو متناسبُ ضوء الباطن ، وهو ثلاث صور : الصاد ، والطاء ، والعين وأخواتها .

الثامن - ماهو متناسب الرؤوس ، وهو ثلاث : الصاد، والعين ، والطاء ؛ ويجمعها قولك ”صعط“ ويلحق بها أخواتها .

التاسع - ماهو متناسبٌ في التعرّيج، وهو العين، والجيم، ويجمعهما قولك ”عج“.

الجملة الثالثة

(فما يجب أعماده لكل ناحية من نواحي القلم)

قد تقدّم في الكلام على راية القلم أن للقلم سناً أيمن وسناً أيسر، وعرضاً، ووجهاً، وصدراً؛ وأنه يتعين على الكاتب معرفة كل واحد منها : ليعطى كل واحد منها حقه في الموضع الذي يقتضيه الحال. وقد ذكر السمرمري في أرجوزته جملاً كلية إذا عرفها الكاتب سهل عليه ما يرومه من ذلك فقال :

”إن كل خط متصّب الشكّل كالألف ونحوه يجب في كتابته الاعتماد على سنّي القلم جميعاً، وكلّ خطّ أخذ من اليمين إلى اليسار يجب إمالة القلم فيه إلى اليسار شيئاً يسيراً، وكلّ خطّ أخذ من اليسار إلى اليمين يجب إمالة القلم فيه إلى اليمين شيئاً يسيراً، وكل نقطة يعتمد فيها بسنّه جميعاً، وكل شظيّة فإنها تُختلّس بسنّه اليميني اختلاسا، وكل إرساله تعقيب كما في الجيم والعين يُعتمدُ فيها على السن الأيسر، وكلّ تّعير كما في النون يكتب بالسنّ اليميني“ .

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

إن للسنّ الأيمن الألف واللام، ورفعة الطاء، والنون، والباء، والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخر التعريقات والمدّات، وطبقة خطة الصاد والضاد المستقلة،

وبدء السين والشين . وللسن الأيسر الجيم وأختيها ، والرذات ، وتدوير رؤوس الفاءات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة^(١) . ثم قال : وكل ردة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم .

الجملة الرابعة

(في الترويس)

والذي يدخله الترويس في الجملة الألف ، والباء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والطاء ، والكاف ، واللام المجموعة ، ويختلف الحال في ترويسها وعدمه باختلاف الأقلام .
فمنها ما يروّس حتماً ، ومنها ما يمتنع فيه الترويس ، ومنها ما الكاتب فيه بالخيار بين الترويس وعدمه ، وربما رُوس بعض الحروف في بعض الأقلام ولم يُروّس في بعضها . ثم قد ذكر أهل الصناعة أن ترويس الألف كسبِعه . وذهب ياقوت إلى الزيادة على ذلك ؛ وترويس الباء وأختيها بقدر نقطتين ؛ وترويس الجيم بقدر نصف نصبها ؛ وترويس الصاد والطاء كالسين ؛ وترويس الفاء والقاف كالباء . وسيأتي الكلام على ترويس كل حرف منها في قلمه إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

(فيما يُطمس من الحروف ويفتح)

وهي المعبر عنها بالعتقد ، وهي صورة الصاد ، والطاء ، والعين ، والفاء ، والقاف ، والميم والهاء ، والواو ، واللام ألف المخففة ، ويختلف الحال فيها :

(١) لعله المشكولة كما يستفاد من التعريف عن أشكال الحروف الآتى .

فنها ما لا يُطَمَس بحال، وهى الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها ما يطمس فى بعض الأقلام دون بعض وهى : العين المتوسطة، والعين الأخيرة ؛ وكذلك الغين، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف .
وسياتى الكلام على ما يُطَمَس ويفتح من ذلك فى كل قلم عند ذكره .
ثم الطمس فيما يُطَمَس منها على سبيل الجواز لاعلى سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع فى ذلك إلى قانون مضبوط، وهو أنه كلما غُلِظَتِ الأقلام كان الطمس فيها على خلاف الأصل، وكلما رَقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل، وذلك أننا عدلنا عن الفتح إلى الطمس لأجل التلطيف .

الجملة السادسة

(فى ذكر الأقلام المستعملة فى ديوان الإنشاء فى زماننا)

وسياتى فى المقالة الثالثة فى الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام : أن المقتر الشهابى بن فضل الله ذكر فى ذلك خمسة أقلام، وهى : مختصر الطومار، والثُلُث، وخفيف الثُلُث، والتوقيع، والرقاع . مختصر الطومار لقطع البغدادى الكامل، والثُلُث لقطع الثلثين، وخفيف الثلث لقطع النصف، والتوقيع لقطع الثلث، والرقاع لقطع العادة .

ويلتحق بالخمسة التى ذكرها ثلاثة أقلام أخر، وهى : الطومار الكامل، والمحقق، والغبار .

فالطومار : يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

والمحقق : أَسْتَحْدِثْتُ كِتَابَهُ فِي طُغْرَاوَاتٍ كُتِبَ الْقَانَاتُ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ .

وَالْغُبَارُ : يُكْتَبُ بِهِ بِطَائِقُ الْحَمَامِ وَالْمَلَطَّافَاتُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا .

وَحِينَئِذٍ فَيَكُونُ الْمُسْتَعْمَلُ بِدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي الْجُمْلَةِ ثَمَانِيَةَ أَقْلَامٍ : الطُّومَارُ ، وَخِصَرُ الطُّومَارِ ، وَالثَّلْثُ ، وَخَفِيفُ الثَّلْثِ ، وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّوْقَاعُ ، وَالمُحَقِّقُ ، وَالْغُبَارُ .

وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْكُتَّابُ فِي تَسْمِيَةِ قَلَمِ الثَّلْثِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْأَقْلَامِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْكُسُورِ كَالثَّلْثَيْنِ وَالنِّصْفِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ :

المذهب الأول - ما نقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبي علي بن مقله أن الأصل في ذلك أن يَلْتَحِظَ الْكُوفِيُّ أَصْلِينَ مِنْ أَرْبَعِ عَشْرَةِ طَرِيقَةٍ ، هُمَا لَهَا كَالْحَاشِيَتَيْنِ : وَهُمَا قَلَمُ الطُّومَارِ : وَهُوَ قَلَمٌ مَبْسُوطٌ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُسْتَدِيرٌ . قَالَ : وَكَثِيرًا مَا كُتِبَ بِهِ مَصَاحِفُ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَقَلَمُ غُبَارِ الْحِلْيَةِ : وَهُوَ قَلَمٌ مُسْتَدِيرٌ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَالْأَقْلَامُ كُلُّهَا تَأْخُذُ مِنَ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْمُسْتَدِيرَةِ نِسْبًا مُخْتَلِفَةً ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ الثَّلْثُ سَمِيَ قَلَمُ الثَّلْثِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْخَطُوطِ الْمُسْتَقِيمَةِ الثَّلَاثَانَ سَمِيَ قَلَمُ الثَّلْثَيْنِ ، وَعَلَى ذَلِكَ أَقْتَصَرَ صَاحِبُ "مَنْهَاجِ الْإِصَابَةِ" .

المذهب الثاني - ما ذهب إليه بعض الْكُتَّابِ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْلَامَ مُنْسُوبَةٌ مِنْ نِسْبَةِ قَلَمِ الطُّومَارِ فِي الْمَسَاحَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَلَمَ الطُّومَارِ الَّذِي هُوَ أَجْلُ الْأَقْلَامِ مِسَاحَةُ عَرْضِهِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ الْبُرْدُونِ كَمَا سَيَأْتِي ، وَقَلَمُ الثَّلْثِ مِنْهُ بِمِقْدَارِ ثُلَاثِهِ : وَهُوَ ثَمَانِ شَعْرَاتٍ ، وَقَلَمُ النِّصْفِ بِمِقْدَارِ نِصْفِهِ ، وَهُوَ اثْنَتَا عَشْرَةَ شَعْرَةً ، وَقَلَمُ الثَّلْثَيْنِ بِمِقْدَارِ ثَلَاثِيهِ : وَهُوَ ثَمَانِ عَشْرَةَ شَعْرَةً . وَإِلَى ذَلِكَ كَانَ يَذْهَبُ بَعْضُ مُشَايِخِ الْكُتَّابِ الَّذِينَ أَدْرَكَاهُمْ ، وَعَلَيْهِ أَقْتَصَرَ الْمَوْلَى زَيْنُ الدِّينِ شُعْبَانُ الْآتَارِيُّ فِي أَلْفَيْتِهِ .

وهذه صور حروف الأقاليم السبعة التي تستعمل في ديوان الإنشاء ولوازمه وهي :
 الطومار، ومختصره، والثالث، وخفيف الثالث، والرّاقع، والمحقق، والغبار في حالتها
 الأفراد والتركيب .

القلم الأول

(قلم الطومار بإضافة قلم إلى الطومار)

والمراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله ، وهو المعبر عنه في زماننا
 بالقرضة ؛ فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه . وقد تقدم أنه قلم جليلٌ قدّر
 الكتاب مساحة عرضيه بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون ؛ وبه كانت الخلفاء
 تكتب علاماتهم في الزمن المتقدم في أيام بني أمية فمن بعدهم .

فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدورقي في مناقب عمر بن عبد العزيز : أن عمر بن
 عبد العزيز أتى بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت
 مال المسلمين ؛ وبالضرورة فلا يكتب في الطومار إلا بقلم الطومار ؛ وهذا دليل على
 أنه كان موجودا فيما قبله ، وأعطته من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان ، إذ
 هو أول من قرّر أمور الخلافة ، ورتب أحوال الملك ، وبه استقرت كتابة ملوك
 الديار المصرية من لدن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون "وهلم جراً إلى زماننا .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : ويكون من لبّ الجريد الأخضر، ويُؤخذ منه
 من أعلى الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل . قال : ويمكن أن يكون من القصب الفارسي .

قلت : والذي استقر عليه الحال في كتابة اليهود بالديار المصرية بقصب البوص
 الأبيض الغليظ الأنايب ؛ ينتقى قصبه من جزائر الصعيد بالوجه القبلي ؛ وفي كل سنة

يُجهز بریدی بطلب هذه الأفلام من ولاة الوجه القبلي، ويؤتى بها فتحفظ عند كاتب السرو يرى منها ما يحتاج إليه ^(١) يوضع في دواته بقدر الحاجة .

قال في "مناهج الإصابة" : ولا بد فيه ^(١) بقدر ما يحتاج إليه في حج القلم الحبر في القرطاس .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَتَابِ فِيهِ طَرِيقَتَيْنِ :

إحداهما - طريقة التلث فتجرى الحال فيه على الميل إلى ^(١)

الثانية - طريقة المحقق فتجرى الحال فيه على الميل إلى ^(١) بطريقتين، وكيفية تشكّل ^(١) والقاء والقاف فيه أوسطها لحدده ^(١) مدورة اليا ^(١) الأحرف كمثل ^(١) الرابع أن يكون فيه صاد مدورة ^(١) وكاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته : ^(١) فيه الترويس في الألف، والباء، والجيم، والدال ^(١) واللام والنون في الأفراد والتركيب عند الابتداء وأنه ^(١) الطمس في شيء من عقده كالصاد، والطاء، والقاف، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة بحال، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

(١) وقع طمس بالخبر في هذه الصحيفة في مواضع .

وهذه صورة كتابة أسم السلطان في المكاتب والولايات وغيرها منسوباً للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة ما يكتب في جليل المكاتب

الحسين بن محمد

صورة مايكتب في متوسطات المكاتبات

هذا هو محمد

صورة ما يكتب في صغار المكاتب



وهذه صورة كتابة العلامة على المناشير للإقطاع لمن علامته
الله أملى يباء راجعة

للاسلام

القلم الثاني

(قلم مختصر الطومار)

بإضافة قلم إلى مختصر، وربما قيل فيه مختصر الطومار بحذف المضاف؛ وهو الذى يكتب به فى قطع البغدادى الكامل.

وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآنارى فى ألفيته : أن مقدار مساحته ما بين كامل الطومار وبين قلم الثلاثين، وحينئذ يكون مقداره ما بين عرض ست عشرة شعرة من شعر البردون وبين أربع وعشرين شعرة؛ والحامل له على ذلك أن أعلى ما وضعوه من الأقلام المنسوبة لكسر من الكسور قلم الثلاثين، وهو عرض ست عشرة شعرة؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار، لعبروا عنه بقلم الثلاثين دون مختصر الطومار، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل، فيكون ما بين عرض ثمان عشرة شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة.

ثم هذا القلم يجوز أن يكتب به على طريقة الثلاث فى الميل فى حروفه إلى التقوير وعلى ذلك يكتب كتاب ديوان الإنشاء فى عهد الملوك عن الخلفاء، والمكاتب إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق. ويجوز أن يكتب به على طريقة المحقق فى الميل فى حروفه إلى البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطومار، وسيأتى ذكر شكل الثلاث فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أن هذا القلم بالنسبة إلى الترويس وعدم الطمس على ما تقدم فى الطومار للحوقه به فى الجلالة وسعة مساحة العرض.

وهذه صـ



—ورة كتابة— هـ



القلم الثالث

قلم الثلث

بإضافة قلم إلى الثلث، ويقال فيه الثلث بجذف المضاف وهو الذى يُكْتَب به فى قَطْعِ الثلثين .

وقد تقدم اختلاف الكُتَّاب فى نسبته هل هو باعتبار التقوير والبسط أو باعتبار أنه ثلثُ مساحة الطومار، من حيث إن عَرَض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر البرذون، وعَرَض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك؛ وقَطْعَةُ هذا القلم محترفة : لأنه يحتاج فيه إلى تشعيرات لانتأنى إلا بجرف القلم، وهو إلى التقوير أميل منه إلى البَسْط، بخلاف المحقق على ما سياتى ذكره، والترويس فيه لازم .

وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى أَلْفِيتِهِ : أنه يروى فيه من الحروف الألف المفردة، والجيم وأختاها، والطاء، والكاف المجموعة، واللام المفردة، والسنة المبتدأة، وعَقْدُهُ من الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين وأختها، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام أَلَفُ المحققة كلها مفتحة لا يجوز فيها الطمس بحال . وهو على نوعين :

النوع الأول

(الثلث الثقيل)

وربما قيل فيه ثقل الثلث ، وهو المقدرة مساحته بثمان شعرات على ما تقدم ذكره، وهذه صَوْرُهُ مفردة ومركبة .

الألف على ضربين مفردة ومركبة، فالمفردة على ثلاثة أنواع .

الأول - الألف المطلق

ا

وطريقه : أن تبتدىء فيه بصدر القلم من قفا الألف ، ثم تصعد إلى هامتها فإذا بلغتها نزلت بعرض القلم إلى وجهه ، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا في نزولك على السن اليمنى حتى إذا بلغت شاكلة الألف أدرت القلم برفق حتى تختمه بحرفه .

الثاني - المشعر

ج

وطريقه : كالذى قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره ، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث - المحرف

ح

وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه على تحريفه وتنزل به مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدرت حرف القلم على مامضى من الشرط في المطلق والمشعر .

الضرب الثاني

(المرکب مع غيره من الحروف)

ولا يكون إلا طرفاً أخيراً، إذ لا يوصل بما بعده، لأن الألف مطيئة يُركب عليها
ولا تتركب، وطريقه أنك تصعد به بعد تمام الحرف الذي قبله بصدر القلم عكسا
لتزولك بالألف المحرف، فإذا بلغت هامة الألف وقفت بالقلم حتى يكون بمنزلة
رأس الألف المحرف.

وكذلك يفعل في اللام الطالع، وهذه صورته .

الطالع

الصورة الثانية

(صورة الباء)

وهي على ضربين

الضرب الأول

المفردة

وهي ثلاثة أنواع : مجنوسة، وموقوفة، ومبسوطة . ولك في ابتدائها في الثلاث
الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بتشعيرة على ماضئ من صفة الألف
المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن، وإن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة
منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتى إذا بلغت فتلة الباء وهى الإدارة الخفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فتل القلم ومططت الباء بصدره ، حتى إذا صرت إلى آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، ونثرت يدك برفق حتى ترفع ذنب الباء ، حتى يجىء رأسها فى نهاية الدقة .

المجموعة



وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ما تقدم ، إلا أنك إذا بلغت المكان الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفت فيه بعرض القلم فتأتى مطة محرفة كتحرير القلم .

الموقوفة



وأما المبسوطة^(١) :

المبسوطة



وأما المركبة^(٢) : فعلى نوعين : متوسطة ومتطرفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما - أن يكون قبلها وبعدها مثلها ، فتكون الوسطى مرتفعة على أخواتها . وإذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت فى خط يلاصقها . وهذا فى كل حرف صغير كالنون ، والباء ، والتاء .

الثانى - أن لا يكون قبلها وبعدها مثلها ، فهى كإحدى الستات .

(١) لم يتكلم عليها . (٢) هذا هو الضرب الثانى من ضربى الباء وهى المركبة .

وأما المتطرفة : فلها حالان أيضا .

أحدهما - أن تكون مبتدأة : وهي التي تكون في أول الكلمة ، فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحذرا من يمينك إلى يسارك ، وهي تصحب الجيم وأختها .
 الثاني - أن تكون في آخر الكلمة ، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كرأس السين المبسوطة ، وتكون صورة منتهى كصورة المفردة سواء في جميع أحوالها : في الجمع والبسط والوقف ؛ وهذه صورها .

مركبة مبسوطة

مركبة موقوفة

مركبة مجموعة



الضورة الثالثة

(صورة الجيم وما شاكلها)

وهي على أربعة أضرب : مرسلّة ، ومسبّلة ، ومجموعة ، ومبلّوذة ؛
 وأبتداء جميع الصور على وجهين ، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخير الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جزءا ، وإن شاء جعلها مشعّرة ، فإنها يُبدأ فيها بصدر القلم ، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن ، والمشعّرة يُحطّفها بحرف القلم أو بصدّره على ما مضى ؛ فإذا بلغت جبهتها أدّرت بفرّرت بوجه القلم ، وأنت في الجزّة بالخيار : إن شئت جئت بها على خط مستقيم ، وإن شئت رطبّتها شيئا يسيرا ؛ فإذا بلغت قفاها ، كنت أيضا بخيرا : إن شئت رجعت في الخط الذي جئت فيه ، وإن شئت رجعت في خط تحته يلاصقه بصدر القلم ؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدّرت القلم على تحريكه فترلت بعرضه حتّى إذا بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم . ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازي

لجبهتها، كما لا يجوز أن يخرج طَرَف ذَنبها عن الخط الموازى لِقَفّها، حتّى لو نصب عليها خطوطا لناسبت أعاليها أسافلها، وهذه صورتها .

مفردة مرسلّة



وأما المسبلة : فإنها كالمرسلّة في الصورة والصفة، والفرق بينهما أنك في المرسلّة إذا بلغت الصدر ونزلت فيه، أسبلت ذنبها، وهذه صورتها .

مفردة مسبلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلّة أيضا في جميع أوصافها ويزيد عليها أنك إذا وفيت بها على ماضى من صفة المرسلّة رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة، وهذه صورتها .

مفردة مجموعة



وأما الملوّزة : فلنّها لا تكون إلا قبل الألف. وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر، فإذا بلغت جبهة الجيم، جررت بوجه القلم جرّة مبطنّة حتّى يصير البياض الأوسط لَوَزةً محققة، فترفع الألف مع جبهة الجيم وتبقى تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم، وهذه صورتها .

مبتدأة مركبة ملوّزة

ح

وزاد المتأخرون صورة أخرى تسمى الرتقاء، وصورتها أنك تبتدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدم ذكره على الثلاث حالات المتقدمة في الباب، وهي المرسلة والمسبلة، والمجموعة، وهذه صورتها .

رتقاء مجموعة

رتقاء مسبلة

رتقاء مرسلة

ح

ح

ح

وزاد المتأخرون صوراً أخرى في التركيب: وهى ثلاث: أولى، ووسطى، وأخيرة .
أما الأولى : فأبتداء العمل فيها كابتداء العمل فى الثلاث حالات الأول، ثم تتكامل
بالحرف الذى تريد، وهذه صورتها .

مركبة مبتدأة محققة

حم

وتارة تكون ملوزة وهى التى تصحب الألف وما شابهها كالذال، واللام،
واللام ألف، وقد صوروها مع الألف فتقاس على ما عداها .

وهذه صورتها مع اللام	وهذه صورتها مع اللام ألف	وهذه صورتها مع الدال
مركبة مبتدأة ملوزة	مركبة مبتدأة ملوزة	مركبة مبتدأة ملوزة
مع شبه الألف	مع شبه الألف	مع شبه الألف

حل حلا حد

وأما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل فى المبتدأة المحققة المركبة كما تقدم ولكن
بغير ترويس، وهذه صورتها .

مركبة متوسطة محققة

ح

وأما الأخيرة : فالعمل فيها كالعمل في الثلاث حالات الأول : المرسلة ، والمسبلة ، والمجموعة ، ولكن بغير ترويس ، وهذه صورها .

مركبة مختمة بمجموعة

مركبة مختمة مسبلة

مركبة مختمة مرسلة



الصورة الرابعة

(صورة الدال وأختها)

وهي على ضربين : مفردة ، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها صورة واحدة ، وهي شكل مُثلَّث على زاوية واحدة ، ويجمع طرفها جميعا يسيرا ،

وهذه صورتها :

مفردة



الضرب الثاني

المركبة

ولها أربعة أشكال : مجموعة ، ومبسوطة ، ومخطوفة ، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفعها بعد فراغك من الحرف الذي قبلها ، ولك في ذلك مذهبان :

أحدهما - مذهب الوزير أبي علي بن مقلة^(١) .

والثاني - مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ، وطريقه أن ترفعها مائلا إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذي صعدت به وبظهر القطة في الانتهاء ، وتأتي بالعراقة على شكل عراقة الدال المفردة في الجمع ، وهذه صورتها :

مجموعة مركبة

وأما المبسوطة : فحكها في جميع صفاتها حكم المجموعة ، إلا أنك إذا نزلت في المبسوطة إلى العراقة وفتلتها ، أرسلت العراقة بعرض القلم ، وهذه صورتها :

مركبة مبسوطة

(١) لم يبين طريقه ولعله سقط من قلم الناسخ فخر .

وأما المخطوفة : فهي كالمجموعة أيضا، إلا أنك تخطفها بحرف القلم وتختتمها بأدق ما تقدر عليه من النحافة، وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة



وأما المقطوفة : فهي كالمخطوفة، إلا أنك بعد الفتلة تُبقي لها ذنباً صغيراً بحرف القلم وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة



الصورة الخامسة

(صورة الراء وأختها)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

ولها ثلاثة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومقورة؛ وأبتدأوها في جميع الصور على وجهين .

أحدهما - أن تبدأ من قفاها صاعداً إلى هامتها ثم تنزل إلى وجهها .

والثاني - أن تبدأ بها حذاً من رأسها، وهو مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب .

ثم لكل واحدة منها بعد ذلك عمل يخصها . فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل على خط الاستواء بقدر ربعها ، ثم تدير القلم وتبدأ في العراقة بصدر القلم ، ويكون تنزيك إياها أكثر صبا من الباء المفردة قليلا ، فإذا عرقت مثل ما نزلت به أولا على خط الاستواء نثرت يدك بالقلم إلى فوق وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون ختمها بسن القلم اليمنى ، وهذه صورتها :

مفردة مجموعة



وأما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها على ما ذكرناه ، وترسل ما عرقت منها على ما تقدم في الدال المجموعة وتتقص منها النثرة الأخيرة ، وتحدد طرفها ، وهذه صورتها :

مفردة مبسوطة



وأما المقورة : فطريقها أن تنزل بأقل مما ذكرناه شيئا يسيرا ، وهذه صورتها :

مفردة مقورة



الضرب الثاني

المركبة

ولها أربعة أشكال : مخطوفة، ومقطوفة، وبترء، ومدغمة .

فأما المخطوفة : فهي كالمقورة في الصورة، غير أن عراقتهما بحرف القلم، وهذه صورتها :

مركبة مخطوفة

س

وأما المقطوفة : فإنك تبقى لها ذنباً صغيراً، وهذه صورتها :

مركبة مقورة

س

وأما البترء : فإنك تقطفها من الثلثين فتحذف ثلثها وتأتي بها مستدقة الطرف ، وهذه صورتها :

مركبة مقطوفة

عس

وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقبح بعد المد، وسميت مدغمة مجازاً وإلا فالحرف الذي قبلها هو الذي يدغم فيها، لكنهم لما حذفوا منها شيئاً لقبوها بذلك ، ولا بُدَّ أن تحذف من الحرف الذي قبلها شيئاً من آخره وتحذف منها شيئاً من أولها .

وَتُثْبِقُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ؛ وَهَذِهِ صُورَتُهَا :

مركبة مدغمة



الصورة السادسة

(صورة السين)

وحكمها في حالتي الأفراد والتركيب سواء، غير أنها في حالة الأفراد تزيد العراقة ، وعراقها كعراقة النون في الجمع والبسط والتقوير؛ وسيأتى الكلام على ذلك في حرف النون إن شاء الله تعالى .

ثم هي على نوعين : محققة، ومعلقة .

فأما المحققة : فلها شكلان، مظهر، ومدغمة .

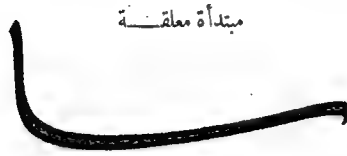
فطريق المظهرة أن تبدأ بوجه القلم ثم تدير القلم منها إلى أختها إدارة لطيفة في نهاية الاعتدال، وتحدد رأس الثانية بسن القلم اليمنى، ويكون الذى بين الأولى والثانية أقل مما بين الثانية والثالثة، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البواب . وإذا كان قبلها شيء يكون سواء، ويجوز أن تكون مصدرة مقلوبة، وهذه صفتها :

محققة مظهرة



وأما المعلقة : فصفتها أنك تحذف السين حذفاً وتقيم جرّة مقامها، وتبدأها بوجه القلم عاملاً إلى آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة، فإن كانت متوسطة، فالأولى أن تكون محققة، ولا بد من جرّ فوق المعلقة نقطت أو لم تنقِط، وهذه صورتها :



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف، ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المعرّاة، وقيل إنها لم ترفى خط أبى البواب إلا مفردة .

الصورة السابعة

(صورة الصاد)

والكلام فى عراقتها كالكلام فى عراقه السين : من الجمع، والبسط، والتقوير، وسيأتى الكلام على ذلك فى حرف النون .

نعم لا تكون عراقتها إلا حديدة الطرف فى جميع صورها، ولا يجوز فيها الوقف بحال . أما نفس الصاد فلها شكل واحد، وهى تقارب التلويزة . وللناس فيها مذهبان : الأول إظهار مبدأ الصاد تحت رأس العراقة، والآخر إخفاؤه، وفى كلا المذهبين لا بد من ظهور رأسها شيئاً يسيراً . فإن كانت متوسطة، فىكون رأسها بحرف القلم

محدد الطرف.. وإن كانت مفردة أو متطرفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم .
وإذا ركبت على خط قبلها، لا يكون خطأ على خط ولا يظهر أكثر من خط واحد،
وهذه صورتها :

مجموعة

ص

الصورة الثامنة

(صورة الطاء وأختها)

وهي ثلاثة أنواع : موقوفة، ومرسلة، ومحقة
فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها على صورة الألف المطلق . فإذا وفيت به،
رجعت طالعا من تلقاء ذنب الألف حتى تقارب شاكلته، فترجع إلى يمينك، فتركب
عليه شكلا على صورة اللوزة، وتخرج ذنب اللوزة من تحت الألف وتقف عليه
بعرض القلم فتظهر القطعة، وهذه صفتها .

مفردة موقوفة

ط

وأما المرسلة : فهي على نحو ما تقدم في الموقوفة غير أن الجزة السفلى هاهنا مبطنة،
وفي الموقوفة على خط مستقيم، وهذه صفتها .

مفردة مبسوطة

ط

وقد اختلف الكُتَّاب في رأس الطاء، فكان بعضهم يذهب أن يكون على طَرَف اللُّوزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخي عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها ؟ بحضرة جماعة من الكُتَّاب، فقال : تُكْتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة، فقلت : الحمد لله الذى أبقي على جديد الأرض من يُحَسِّنُ صفة الخط بمثل هذا الضبط . فلما أردت الانصراف أشار إلى أن أجلس فجلست حتى أنصرف القوم، فقال : قد كنتُ سألتُ عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فاحذف رأس الياء وألصق قفا الياء بَدَنِبِ الطاء، ثم تممها على مذهبك فى الياء أثنى شئتَ، ولا تخرج صدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصفحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكلام .

قال الشيخ أبو القاسم : فينبغى أن يكون رأسها فى آخر اللوزة، ولا يكون مربكا على ظهرها لانه إذا تركب بطل هذا القياس .

وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها على صورة اللام المبتدأة المعلقة، ويأتى الكلام على ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالى .

وأكثر ما تستعمل هذه الطاء إذا كانت مشعرة بألف قبلها وألف بعدها . فستحسن، وهذه صفتها .

متوسطة بين قائمين

طا

وأعلم أنه لا بد للطاء من مدة قبلها تتركب عليها، ويكون طرفها ينتهى إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نقصان، ويمحوز في طَرَف هذه المدة الجُمع وعدمه، وكلا المذهبين حسن .

الصورة التاسعة

(صورة العين وأختها، ولها حالان)

الحال الأول : أن لا تكون متصلة بما قبلها، وهى على نوعين : ملوَّزة، ومركَّبة .
فأما الملوَّزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم فى غاية الدقة، حتَّى إذا وصلت إلى هامتها، مكَّنت إدارة قلمك فصرت عاملاً بوجهه إلى قَمَحْدُوَةِ العين فتصير على صورة اللوزة؛ وتكون هذه العين قبل الهاء المدغمة؛ وهذه صفتها .

ملوَّزة



وتكون أيضا قبل هاء الرفع؛ وهذه صورتها .

ملوَّزة مع هاء الرفع



وأما المركبة : فهى مركبة من راءين محققة ومعلقة ، وأبتداؤها على ما تقدّم فى الملوَّزة؛ غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأدرت القَمَحْدُوَةَ، نزلت على خطٍّ مستقيم أو قريب من الاستقامة . والذي وجد بخط الأستاذ أبى الحسن بن البواب على

الاستقامة ، وهذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالألف واللام وما جرى
تجراهما ، وهذه صفتها .

مركبة ونلية

ا

وكثير من الكُتّاب يخطونها مع ما قبلها كالجماعة والبضاعة ، فإنهم يردّون من
الألف إلى العين جرة مبطنة يجعلونها عالية العين ، وهي مستحسنة ، ولا بدّ لها من
ألف قبلها وحرف طالع بعدها ، وهذه صفتها .

مردوفة وشكولة

ا

الحال الثاني : أن يكون قبلها شيء متصل بها ، وتسمى المربعة ، وهي على
نوعين : منوّرة ، ومطموسة .

فأما المنوّرة : وتسمى المحققة ، فإنك إذا خرجت من الحرف الذي قبلها أتبعته
خطا محدوديا مبطنا إلى يسارك بصدر القلم ، ثم حررت عالية العين بوجه القلم ثم على
الجرة الأولى جرة تناقضها مثلها في القدر والمساحة بقطع الخط الأول ، ثم إن
كانت معرقة عرقت . وإن كانت غير ذلك اتبعتها ما بعدها .

وعلاوة صحتها أن تلتبس البياض الذي في وسطها فإن تناسبت زواياه فهو في غاية الصحة وقد تم تركيبها ، وإلا فتحرر حتى يصح ما رسم ؛ وهذه صفتها .

مربعة مفتوحة

عد

وأما المطموسة ، وتسمى المعلقة ولا تكون إلا في قلم التوقيعات والرقاع ، فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة ، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة ، وهذه صورتها .

معلقة مطموسة

عد

ثم إن كانت معرقة مفردة أو مركبة ، فالعراقة على ثلاثة أنواع : مسبلة ، ومرسلة ، ومجموعة ، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة : فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف الدائرة ، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القمَّحْدُوَّة ، بل يكون كل واحد منهما مساويا لما فوقه ، غير زائد عليه ولا ناقص عنه . وكان الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله يقول : ” المرء على ترك شيء مما يعملُه أقدرُ منه على تكلف شيء لم يعتده ” ويأمر الطلبة بإخراج دَنَبِ العين من تحت صدرها ؛ وهذه صورتها .

مفردة مسبلة

ع

وأما المرسلة : فإنك تأتي بالعراقة نصف دائرة محققة ، وتأمل فيها من المسامحة ما وصف في المسبلة والمسبلة تكون حديدة الطرف ، والمرسلة يجوز فيها التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب ؛ وهذه صورة التحديد ، وهذه صورة الوقف .

مفردة مرسلة



وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا في جميع أوصافها ، وتزيد عليها أنك إذا وقَّيت بها على ما مضى من صفة المرسلة ، رددت ذنبها على عجزها فصارت هنالك دائرة ؛ وهذه صفتها .

مفردة مجموعة



الصورة العاشرة

(صورة الفاء)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فعلى ثلاثة أقسام : مجموعة، ومبسوطة، وموقوفة. وقد تقدّم الكلام على هذه العراقات في حرف الباء، فأغنى عن إعادته هنا، وهذه صفة العراقات الثلاث.



وأما المركبة : فإنها تكون مقلوبة ، وذلك أن بياضها يكون الحادّ منه في ملتقى الخطين اللذين يتقاطعان في ذهابها ومجيئها ، ويكون عرضه عند هامتها ؛ وهذه صفة المتوسطة .

متوسطة



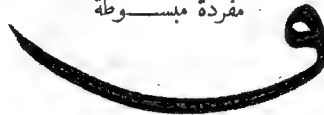
الصورة الحادية عشرة

(صورة القاف)

وهي على ضربين أيضا : مفردة، ومركبة

فأما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء، وحكم عراقتها حكم النون، وستأتي، غير أنها تكون مفردة مبسوطة وهي مستحسنة بخلاف النون ؛ وهذه صفتها .

مفردة مبسوطة



وأما المركبة : فإنها كالفاء في جميع ما تقدم، فلا حاجة إلى تمثيلها .

الصورة الثانية عشرة

(صورة الكاف)

وهي على ثلاثة أنواع : مبسطة ، ومشكولة ، ومعزاة ؛

ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسطة : فتكون مفردة ومركبة ، وإفرادها قليل ؛ والمركبة منها موضعها
الابتداءات والوسط ، ولا تكون طرفاً أخيراً بحال ؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم
من رأسها حتى ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتفتل على هذا المنهج إلى المطّة
السفلى ، وتمطها بصدر القلم وتقط ذنبها ؛ وتوشى في عاليتها أن تكون على خط مستقيم
لتجعلها قالباً للطة السفلى ؛ وأعتبر صحتها باعتبار البياض الذى فى وسطها إذا استقام
استقامت ؛ وهذه ضرورتها فى الإفراد ، والتركيب ، والابتداء .

متوسطة مبسطة

مبتدأة مبسطة

مفردة مبسطة

ك ك ك

وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة ؛ وموضعها الابتداءات والوسط ، ولا تنفرد
البتة ؛ وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بألف أو لام تدينّت ولا يخرج الحرف
الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلاً لأن الكاف المبسطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتي بعدهما مدّة، وإنما سميت مشكولة للجرّة التي عليها؛ وهذه صورتها في الابتداء وفي الوسط .

مبتدأة مشكولة

متوسطة مشكولة

ك ك

وأما المعزّة : فلا تكون إلا طرفاً أخيراً وهي في الصورة والشبه كاللام المطلقة، والفرق بين اللام والكاف المعزّة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط، والمبسوط من اللام كالقائم فيها؛ وهذه الكاف لا تجمع أبداً، فإن موضعها أواخر السطور؛ وهذه صفتها .

مفردة معزّة

ل

الصورة الثالثة عشرة

(صورة اللام)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على نوعين : مجموعة، ومطلقة

فأما المجموعة : فطريقها ان تبدأ من قفاها على نحو ما وصف في الألف المطلق
 لأن الألف واللام يجريان على نظام واحد في كل خط لأنهما صاحبان، كالباء والتاء،
 وكالحاء والخاء، وكالعين والغين . فإذا وصلت إلى شاكلته عرقت اللام عراقية
 أكثر حُدُورا من الباء، وجمعت ذنبها كما تقدم في حرف الراء؛ وهذه صفتها .

مجموعة

مطلقة

الضرب الثانى

المركبة

وهى على قسمين : محققة ، ومبتدأة معلقة .

فأما المبتدأة المحققة : فهى كالمرسلة غير أنها محذوفة المطة لأجل التركيب ؛ وهذه صفتها .

مبتدأة محققة

ل

وأما المبتدأة المعلقة : فتتزل فيها بعرض القلم مائلا من يمينك إلى يسارك ، وهى تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف وهى الجيم ، والحاء ، والخاء ، ويكون مبتدؤها يوازى قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العراقة ؛ وهذه صفتها :

مبتدأة معلقة

لحا

الصورة الرابعة عشرة

(صورة الميم)

وهي على خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومسبلة، ومبسوطة، ومفتولة .

الضرب الأول

المحققة

وهي على نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنها كثيرا ما تصحب اللام ، وصفتها إذا أردت^(١) وضعها أنك إذا صرت إلى آخر الحرف الذي تريد منه الميم المحققة ، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر يجواره طالما فيه ، ثم تعرق كتعريق الميم المعلقة ؛ وهذه صفتها .

مبتدأة محققة

وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا آتته من الحرف الذي قبل هذه الميم ، يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة ؛ وهذه صفتها .

محققة مختمة

(٢)

وأما المحققة غير المبتدأة :

(١) في العبارة شيء يظهر للتأمل . (٢) سقط الكلام عليها من النسخة .

الضرب الثانى

المعلّقة

وهى على نوعين، مبتدأة، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لا تحسن إلا مشعّرة مع ما قبلها ، ولا تكون إلا قبل الألف ؛ وهذه صفتها .

معلّقة مبتدأة

ما

وأما المعلقة غير المبتدأة : فإنها تختص بالبسملة على مذهب الحنّاق .

وطريقها : أنك إذا مططت إلى آخر المطّة، رجعت بالميم فى الخط الذى جئت فيه، حتّى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لثلاثىء منافرة ؛ فإذا وصلت إلى جبهة الميم، عرّقتها على ما رسم فى الرأء المجموعة والمقورة والمبسوطة والمخطوفة .

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البوّاب لا يفردّها ؛ وهذه صفتها .

معلّقة مختمة

س

وأما المعاقبة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كابتداء المحققة ، فإذا بلغت فتلتها ألصقت مدتها بقفاها ، والأولى أن تكون مطموسة ، فإذا بلغت جبهتها عرقت كتعريق الراء المدعّمة ، لا يستعمل فيها غير ذلك ؛ وهذه صفتها .

معلقة مبتدأة



الضرب الثالث

المُسَبِّلَة

ولا بأس بتركيبها وأفرادها ، غير أنك إذا وصلت إلى جبهتها أسبلت عراقه كهيئة الألف الأولى من فوق ، وتكون حديدة الطرف ؛ وهذه صفتها .

مركبة

مفردة مسبلة



الضرب الرابع

المبسوطة

وهي كالمحققة ، وهي مفردة ؛ وهذه صفتها .

مبسوطة



الضرب الخامس

المفتولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الحدّاق. وبعض الكتاب يميزها مع غير الهاء، والأول أجود .

وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهاء المدغمة تهّوس بصدر القلم ثم تنزل بقدر ما قوست، ثم تدير الميم عن يمينك وتردّ إلى يسارك شكلا مدورا، وتعرقها على ماتقدم في المعلقة والمحقة، وهذه صفتها .

مفتولة



الصورة الخامسة عشرة

(صورة النون)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأوّل

المفردة

وهي على أربعة أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسّطة، ومدغمة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خطّ مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ما ينزل من الباء وبلغت الفتلة، أدّرت القلم برفق من الفتلة بصدر القلم،

ثم تصوير العِراقَة جمعاً بصدر القلم ، حتى إذا بلغت ذنبها ختمت بحرف القلم ؛
وهذه صفتها .

مفردة بمجموعة



وأما المقصورة : فإنها تكون كنصف دائرة ، ويكون ذنبها موازياً لرأسها من غير زيادة
عليه ؛ ويجوز أن يكون ناقصاً عنه شيئاً يسيراً ، وذلك قليل ؛ وهذه صفتها .

مفردة مقصورة



وأما المبسوطة : فأكثر ما تكون متطرفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها أنك
إذا نزلت على ما وصف في المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم إلى العِراقَة ،
جعلتها قطعة قوس من دائرة عظمى ، حتى يكون فيها تبطين يسير ، وتختتمها بحرف
القلم ، ولا يجوز في شيء من مبسوبات العِراقَة أن يكون مرفوعاً ؛ ولا يجوز أن يكون
إلا حديد الطرف ؛ وهذه صفتها :

مفردة مبسوطة



وأما المدغمة : فإنها لا تنفرد البتة ؛ ولا تحسن إلا مع ثلاثة أحرف ، مع الميم وهي
كثيرة المؤاخاة لها ، ومع الكاف ومع العين .
وكان بعض الكتاب يأبى إدغام النون ويكرهه ، إلا الأستاذ أبا الحسن بن البواب .

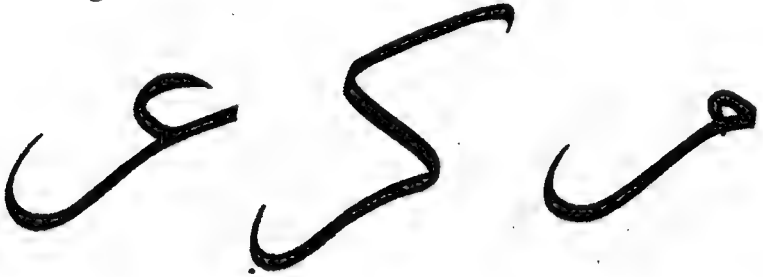
ولا يتقدم هذه النون من سائر الحروف إلا ثلاثة أحرف : الميم المعلقة من سائر الميمات، والعين الملوّزة : وهى الصادية من أشكال العين خاصة، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف، صببت النون صباً فى عَرْض اللام المبتدأة المعلقة، فإذا صببت ثلثها، ختمت العراقة على مارسم فى الرء المدغمة وعراقة الميم المدغمة ؛ وهذه صورها :

مدغمة مع العين

مدغمة مع الكاف

مدغمة مع الميم



الصورة السادسة عشرة

(صورة الهاء)

وهى على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهى على نوعين : معرّاة، ومركبة

فأما المعرّاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى عجزها ميلاً إلى ذات اليمين شيئاً يسيراً، ثم تفتل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها، ثم تصعد بمثل ما كنت آنحدرت به من وجهها إلى قفاها، وهذه صفتها .

معرّاة



وأما المركبة : فهي في الصورة قريبة من المُعْتَزَّة إلى صدرها ؛ فإذا بلغت صدرها وأنت طالع إلى وجهها ، رفعت به عرض القلم وأخرجت وجه الماء إلى قفاها ؛ والكاتب مخير بين التقليل والتكثير في ذلك . ويكون الطرف الخارج إلى قفاها محددا ؛ وهذه صفتها :

مركبة



وإنما سميت مُرْكَبَةً وإن كانت مفردة مجازا للتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركب كيفما وقع في المصطلح المختلط بغيره .

الضرب الثاني

المركبة

وهي على قسمين

القسم الأول

المشقوقة

وهي على ستة أنواع : ملوزة ، ووجه الهرم ، ومشقوقة طولاً ،

ومشقوقة عرضاً ، ومختلصة ، ومدعّمة .

فأما الملوزة : فتكون مبتدأة ، ومتوسطة ، ولا تتأخر بحال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدار نصف الماء المفردة ، ثم تدير القلم من يسارك إلى يمينك حتى إذا وصلت إلى المكان الذي آبتدأت منه أدت إلى يمينك أيضاً حتى يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم ، وتقف عليها وقفة خفيفة ، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتى تصير إلى المكان الذي آبتدأت منه أولاً ، فيصير رأس الماء حاداً في الغاية .

ومذهب الأستاذ أبي الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل
بجزء يسير ؛ وهذه صفتها .

مقورة



وإن كانت متوسطة : فهي غير مستحسنة إلا قبل الألف ، وطريقها على ما تقدم
ولها حكم : وهو أنك تجيء بالخط الذي قبلها حتى يشقها متصلا بالألف ، حتى لو
طرحت الهاء لاتصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا ،
ويكون هذا العمل في كل حرف يقع معها ؛ وهذه صفتها .

مقورة مستديرة



وأما وجه الهر : فتكون أيضا مبتدأة ، ومتوسطة ؛ ولا يجوز تأخيرها . وطريقها
في الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا ، ثم تردّها
عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة ، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين ، فإذا بلغت
المكان الذي ابتدأت منه تكففتها طولا حذارا من أن يقع فيها حوّل ، وهو أن يكون
أحد شقيها أوسع من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة .

فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم .

وهذه صورتها في الابتداء

وجه الهر

وهذه صورتها في التوسط

وجه الهر متوسطة

هـ هـ

وأما المشقوقة طولا : فإنها لا تكون إلا متوسطة ؛ ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها ؛ ولا تصحب من حروف المعجم غير اللام وحدها ؛ وطريقها كطريق وجه الهر ، ويفترقان في القاعدة فتكون قاعدتها مستديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها ؛ وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بما بعدها كأنما زيدت الهاء عليها ؛ وهذه صفتها .

مشقوقة طولا

هـ

وأما المشقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبة اللام أيضا ؛ وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة ، أدت الهاء فأصعقتها بوجه اللام وشققت الهاء عرضا ، ولا بد من مدة لطيفة تكون بعدها ؛ وهذه صفتها .

مشقوقة عرضا

هـ

وأما المختلّسة : فإنها لا تكون إلا مبتدأة، ويكون بعدها من الحروف حروف المتداللين : وهى الألف، والواو، والياء، وهى مطموسة؛ وهذه صفتها .

مختلّسة

ح

وأما المدغمة : فلا تكون إلا متوسطة؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صعدت فى خط يلاصق الخط الذى هبطت فيه من غير ونزى يكون بينهما؛ وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا؛ ويتوئح فيها الترطيب : وهو شدة الاستدارات، فتنى كان العمل فيها يابساً كان رديئاً؛ وهذه صورتها :

مدغمة

فها

القسم الثاني

ما يقع في آخر الكلمة وهي على نوعين .

هاء الرِّدْف ، والمُخَفَّاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها طلعت فيه بصدر القلم ، ثم نزلت في الخط الذي صعدت فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبي الحسن بن البواب .

ومذهب الوزير أبي علي بن مقلة أن تنزل في خط يلاصق الخط الذي صعدت فيه ، وكلاهما مستحسن ؛ فإذا بلغت ثلثي ماصعدت به جئت بصدر القلم إلى وجه الهاء ولا تخرج رأسها إلى قفاها البتة ؛ وهذه صفتها :

مردوفة

هـ د

وأما المُخَفَّاة : فأكثر ما تصحب الحروف القصار ، وهي يمين أليق ؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذي قبلها أدت منه إلى الهاء إدارة لطيفة مهللة ، ثم تأتي بنصف راء مدغمة حديدة الطَّرف مخطوفة ؛ وهذه صفتها :

مخطوفة

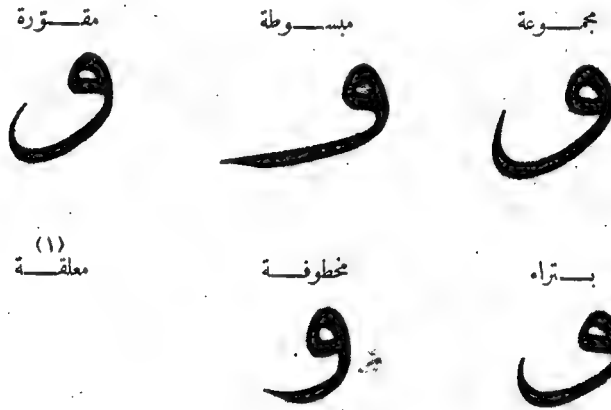
س

الصورة السابعة عشرة

(صورة الواو)

ونظيرها في التركيب الفاء، وفي الإفراد القاف، لكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسوطة، ومقورة، وبتراء، ومخطوفة؛ ويكون ذلك في الإفراد والتركيب .

وكان بعض الكتاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد تقدم أن الراء والزاي، والميم، والواو قدر سواء في كل خط .



الصورة الثامنة عشرة

(صورة اللام ألف)

ولها ثلاث صور : محققة، ومخففة، ووراقية

فأما المحققة : فلا تكون إلا مفردة ولا يجوز تركيبها بحال ؛ وطريقها أن تبدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصورة، ثم تفتل إلى قاعدتها بوجه القلم، ثم ترفع القلم

(١) لم يضع لها رسماً في الأصل .

وقد بَطَّنتَ قلمك فصيرت بطنه مما يلي يمينك وظهره عن يسارك؛ ويكون قدر الألف واللام قدرا سواء في الطول والالتواء والغِلَظِ والنَّحَافَةِ؛ ويكون ما بينهما كواحد منهما؛ وتكون القاعدة على هيئة رأس الفاء المبسوطة لكنها مقلوبة؛ وهذه صورتها:

محققة مفردة



وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحسن جيد . وصورتها في التركيب كصورتها في الأفراد؛ وطريقها أن تأتي بلام معلقة على ما تقدم في اللام المعلقة في حرف اللام، ثم ترمى عليها ألفا مُعَوَّجَةً إلى ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا على الخط الذي لامست به الحرف الذي قبل اللام إن كانت مركبة؛ وهذه صفتها :

مخففة مركبة



وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معا؛ وهذه صورتها في الأفراد :



وأما الوراقية : فإنها كالمحققة ، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادة الزوايا، والأولى أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا يكون هذا الشكل إلا في قلم
النسخ وما شاكله وفي قلم المحقق وما شابهه ؛ وهذه صفتها :

وراقية

لا

الصورة التاسعة عشرة

(صورة الياء)

وهي على ضربين : مفردة، ومركبة

الضرب الأول

المفردة

وهي على ثلاثة أنواع : مجموعة، ومقوّزة، ومبسّطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة وصدرها
أيضا دالا مستوية، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة، وعلامة صحتها أن تكون
الدالان صحيحتين كما تقدّم . وإذا ركبت خطا من ذنبها إلى صدرها، صار صادًا
جيدة، وهذه صفتها :

مفردة مجموعة

ى

وأما المقورة : فبدؤها كباء المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلى صدرها عرقت نصف دائرة ؛ ويكون ذنبها يحاذي صدرها ؛ وتكون حديدة الطرف ؛ ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمع ؛ ويكون رأسها موزونا على صدرها ، لا يجاوزها ، سواء انفردت أو تركبت ؛ وهذه صورتها :

مقورة



وأما المبسوطة : فعلى ما تقدم في المقورة ؛ وتفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهللة ، وتكون حديدة الطرف ولا يجوز فيها الوقف ؛ وهذه صورتها :

مبسوطة



الضرب الثاني

المرکبة

وهي على ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة

فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكمهما حكم الباء ، والتاء ، والنون ؛ وما شابهها .

وأما المتأخرة : فعلى ثلاث صور ، محققة ، وراجعة ، ومعلقة .

فأما المحققة: فعلى ما تقدم أولا، غير أنك تحذف رأسها للتركيب؛ وهذه صورتها:

محقة



وأما الراجعة: فتختص ببعض الكلم دون بعض: كالفاء، واللام، وهى مع الفاء أكثر استعمالا.

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطته شيئا يسيرا وجئت برأس كرأس الياء، ويكون فيها شيء من تبطين، ثم تجرّ القلم إلى ذات اليمين بحركة معتدلة في التكييف، فإذا بلغت ثلاثة أرباعها أدت القلم برفق، ولا تظهر الإدارة، ثم تمر وأنت مديراً لقلمك حتى تحتها بحرف القلم في نهاية الدقة والتحديد؛ وهذه صورتها:

راجعة



وأما المعلقة: فتكون على صورة اللام المجموعة واللام المرسلّة؛ وهذه صفتها:

معلقة



النوع الثاني

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيه خفيف الثلث، وهو الذي يكتب به في قَطْع النصف، وصوره كصور الثلث الثقيل المتقدمة الذكر لا تختلف، إلا أنه أدق منه قليلا وألطف مقادير منه بنزيريسير .

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ : والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيل تكون متصباته ومبسوطاته قدر سبع نُقْط على ما في قلمه، على ما تقدم، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منه خمس نقط . فإن نقص عن ذلك قليلا، سمي القلم اللؤلؤي .

القلم الرابع

قلم التوقيع

بإضافة قلم إلى التوقيع، سمي بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور القِصَص، ويقال فيه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه . ثم هو على نوعين .

النوع الأول

قلم التوقيع المطلق

وهو الذي يكتب به في قَطْع الثلث، وقد تقدم أن أول من اخترعه يوسف أخو إبراهيم الشجري، وأن ذا الرياستين : الفضل بن هارون أعجب به، وأمر أن تحزركتابه السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسي، ولعله إنما سمي الرياسي لما تقدم من اختصاص الكتب السلطانية به أخذًا من الرياسة، وقواعد حروفه وأوضاعه في الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه في أمور .

أحدها - أن قَطَّته إلى التدوير أميل ، بخلاف الثلث فإن قَطَّته إلى التحريف أميل . وذلك أن التوقيع آمتلاء حروفه على السواء بخلاف الثلث ، فإن فيه تشعيرات تحتاج إلى التحريف .

الثانى - أن حروفه إلى التقوير أميل من الثلث ، وإن كان فى الثلث ميل إلى التقوير فإنه لا يبلغ فى ذلك مبلغ التوقيع .
قال لى الشيخ عبد الرحمن المَكْتَبُ^(١) الشهير بابن الصائغ : ويكون فى سطره تقوير ما على نسبة تقوير حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان فى ألفيته : وتكون متصباته مرسومة كما فى الثلث .
قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المَكْتَبُ : ويموز ترك الترويس فى بعض حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآنارى : ويخبر فيه بين الطمس والفتح فى العين المتوسطة ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والواو ، وعقدة اللام ألف المحققة . وخص الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآنارى : ويختص من الحروف الزائدة على الثلث ، بالراء المقورة ، والراء البتراء ، والراء المخطوفة ، والواو المقورة ، والواو البتراء ، والواو المخطوفة ، والعين البتراء ، وسيأتى ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) قال فى الصحاح للجوهري : والمَكْتَبُ الذى يعلم الكتابة ، قال الحسن : كان الحجاج مَكْتَبًا بالطائف يعنى معلمها . وفى المصباح كتبت الغلام تكتيبا علمته الكتابة . [ففيه لغتان] .

حرف الألف

مركب

ا

محرف

ا

مشم

ا

مطلق

ا

الباء

مبسوطة

ب

موقوفة

ب

مجموعة

ب

مركبة مبتدأة . مركبة متوسطة

ب

مدغمة مبسوطة

ب

مدغمة مجموعة

ب

مركبة مبسوطة

عب

مركبة موقوفة

ف

الجيم

مرسلة

ح

مسبلة

ح

مجموعة

ح

رتقاء مفردة عرسلة

ح

رتقاء مقفورة مسبلة

ح

رتقاء مفردة مجموعة

ح

مركبة مبتدأة ملوزة

ح

رتقاء مبتدأة

ح

مركبة متوسطة

ح

مركبة مختتمة عرسلة

مح

مركبة مسبلة

مح

مجموعة

مح

الدال

مركبة مجموعة	مختلطة	مفردة مجموعة
عد	د	د
مركبة مشعرة	مركبة مخطوفة	مركبة مختلطة
هد	حد	عد

الراء

مفردة مبسوطة	مخطوفة	مقوورة
ر	ر	ر
مركبة مدغمة	مركبة مبسوطة	مفردة مدغمة
عر	حر	ر
مركبة مجموعة	مفردة مجموعة	
صهر	ر	

السين

مخسوفة

مجموعة

مبسوطة

س س س

مبتدأة مركبة

متوسطة

مخسوفة

ساحس عس

مطرقة مبسوطة

مطرقة مجموعة

مفردة معلقة

عس عس س

مركبة مطرقة معلقة

مركبة متوسطة معلقة

عس حسا

الصاد

مبسوطة

مجموعة

مخسوة

ص ص ص

مطرقة مخسوة

متوسطة

مبدأة

صا ص ص

مطرقة مبسوطة

مطرقة مجموعة

فص فص

الطاء

مركبة ملفوفة

مفردة موقوفة

مفردة مرسلة

طا

ط

ط

مبتدأة مبسوطة

متوسطة لقائمين

متوسطة لمبسطين

طسم لطا سط

مطرفة موقوفة

مطرفة مرسلّة

وط و ط

العين

مرسلّة

منسبلة

مجموعة

نعلية بينها منتصب

ع ع ع عا

نعلية بينها ما هو في حكم المنتصب

صادية بينها مبسوط

صادية بينها ما هو في حكم المبسوط

ع ع ع عم

مولفة مع الإفراد

مولفة مع التركيب

بـتراء

ماح صالكا حح

الفاء

بجموعة

موقوفة

مبسوطة

ف

ف

ف

مبتدأة

متوسطة

منطرفة مجموعة

فر

فر

فر

منطرفة موقوفة

منطرفة مبسوطة

ف

ف

القاف

مفردة مجموعة مخسوفة مبسوطة

ف ف ف

مطرقة مجموعة مطرقة مخسوفة مطرقة مبسوطة

ح ح ح

الكاف

مجموعة مفردة موقوفة مبسوطة

ك ك ك

مشكولة مبتدأة متوسطة مبسوطة مبتدأة

كا مكلف كبا

وسطى

مشكولة مبتدأة

متوسطة

ملكه كه هكه

مبسوطة

منزول عليها

مشكولة مركبة مطرفة مجموعة بزورقها

اسك عك حط

اللام

يخرج منها قاف على طريقة ياقوت

يخرج منها فون على رأى ابن البواب

مفردة

ل لى لى

مطرفة

وسطى

مركبة مبتدأة

أوباء على طريقة ابن العفيف

لى لى لى لى

الميم

مبتدأة مشعرة

مسبلة

مخطوطة

مفردة

هـ مـ مـ مـ

مسبلة ملوزة

مسبلة ملفوفة

وسطى محققة

وسطى مقلوبة

مـ مـ مـ مـ

النون

وسطى

مختلطة

مدغمة

مفردة مجموعة

نـ نـ نـ نـ

مختلطة

مدغمة

مركبة مطرفة مجموعة

مـ مـ مـ مـ

الهاء

مركبة مبتدأ ملوزة

هـ

مفردة مثلثة

هـ

مفردة مربعة

هـ

طالعة

هـ

مدغمة

هـ

وجه المهر

هـ

مردوفة

هـ

محققة

هـ

محدودة

هـ

مخطوفة

هـ

الواو

مبسوطة مفتوحة

و

مجموعة مفتوحة

و

مبسوطة مشدودة

و

مجموعة مشدودة

و

بـتراء

و

مخلوطة متوارة

و

مقوارة

و

اللام الف

مركبة محققة

لا

مرشوفة مفردة

لا

محققة مفردة

لا

الياء

راجعة

مركبة

مفردة بمجموعة

ي ي ي

مركبة مبسوطة

مركبة بمجموعة

مبتدأة ثم وسطى

لب في في

مركبة مبسوطة

مركبة مخسوفة

مركبة راجعة

و حي ي

القلم الخامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قلم الرقاع

بإضافة قلم إلى الرقاع، والمعنى أنه يُكتب به في الرقاع جمع رُقعة، والمراد الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصاص وما في معناها، وهو الذي يكتب به في قطع العادة من المنصوري والقطع الصغير، وصوره في الأصل كصور حروف الثلث والرقاع^(١) في الإفراد والتركيب إلا أنه يخالفه في أمور :

أحدها - أن قلمه أميل إلى التدوير من قلم التوقيع الذي هو أميل إلى التدوير من قلم الثلث .

قال لى الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المكتّب : وتكون جَلْفَةُ قلمه في الزاوية أقصر من الثلث والتوقيع .

الثاني - أن حروفه تكون أدقّ وألطف من حروف التوقيع .

الثالث - أن الترويس لا يقع في متصباته من الألف المفردة وأخواتها إلا في القليل، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع - أنه يغلب فيه الطمس في العين المتوسطة والأخيرة، وكذلك الفاء، والقاف، والميم، والواو، وعقدة اللام ألف المحققة. أما الصاد والطاء والعين المفردة والمبتدأة فإنها لا تكون الا مفتوحة .

الخامس - أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد في غيره كالألف المائلة إلى جهة اليمين على ماسياتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وهذه صورة حروفه إفراداً وتركيباً

الألف

طالغ

محرف

مشم

مطلق

ا

ا

ا

ا

الباء

مفردة موقوفة

مدغمة مبسوطة

مدغمة مفردة

مجموعة

ب

ب

ب

ب

مطرقة مبسوطة

مطرقة موقوفة

مبتدأة، وسطى، مطرقة

ب

ب

ب

الجسيم

مفردة مرسلّة

ح

مفردة مسبلة

ح

مفردة مجموعة

ح

رتقاء مرسلّة

ح

رتقاء مجموعة

ح

رتقاء مسبلة

ح

مبتدأ

حسد

وسطى

ح

وسطى مفتوحة

لح

مطرقة مرسلّة

ح

مطرقة مسبلة

ح

مطرقة مجموعة

ح

الذال

مفردة مجموعة	مختلطة	مخطوطة	مشمرة
ذ	ذ	ذ	هد

مركبة مجموعة	مختلطة	مخطوطة
مد	عد	مد

الراء

مجموعة	مقطوعة	مخطوطة	بتراء
ر	ر	ر	ر

محققة	مدغمة	مقطوعة
ر	ر	ر

السين

مجموعة

س

معلقة

س

مخوفة

س

مبسوطة

س

مبدأة

س

متوسطة

س

مطرقة مجموعة

س

مبسوطة

س

مخوفة

س

معلقة

س

الصاد

مجموعة

ص

مبسوطة

ص

مخسوفة

ص

أولى مركبة

صد

وسطى مركبة

صم

مطرقة مجموعة

نص

مطرقة مبسوطة

فص

مطرقة مخسوفة

فص

الطاء

مبتدأة

طا

موقوفة

ط

مرسلة

ط

مطرقة موقوفة

عط

مطرقة مرسلة

حط

متوسطة

حط

العين

مجموعة

ع

مسبلة

ع

مرسلة

ع

متوسطة

عاد

مبتدأة صادية

ع

مبتدأة نعلية

عا

مطرقة مجموعة

وع

مطرقة مسبلة

وع

مطرقة مرسلة

وع

الفاء

مبسوطة

و

موقوفة

و

مجموعة

و

مطرقة مجموعة

فف

وسطى

فعد

أولى مركبة

ف

مطرقة مبسوطة

فف

مطرقة موقوفة

فف

القاف

مبتدأ	مبسوطة	مخسوفة	مفردة بمجموعة
ق	ق	ق	ق

متوسطة	مطرقة بمجموعة	مطرقة مخسوفة	مبسوطة
ق	ق	ق	ق

الكاف

مجموعة	موقوفة	مبسوطة	أولى مشكولة
ك	ك	ك	كلا

مركبة بمجموعة	وسطى مشكولة	
ك	لكم	ك

أولى مبسوطة

كه

مركبة مقوِّرة

ك

مركبة موقوفة

ك

مشكولة مفصولة

كـ

مشكولة موصولة

كـ

وسطى مبسوطة

لكـ

اللام

مبتدأة

له

مبسوطة

لـ

موقوفة

لـ

مفردة بمجموعة

لـ

موقوفة

لـ

مبسوطة

لـ

مجموعة مركبة

لـ

متوسطة

لـ

الميم

مفردة معلقة	مخطوطة	مسبلة	مبتدأة مركبة
مر	مر	م	م
وسطى مركبة	مطرفة معلقة	مركبة مسبلة	مختمة محقة
مر	مر	عم	مر

النون

بمجموعة	مدغمة بمجموعة	مدغمة مبسطة
ن	ن	ن
مبسطة	مخسوفة	أولى وسطى
ن	ن	ن
مجموعة مركبة	مبسطة مركبة	مخسوفة مركبة
ن	ن	ن

الهاء

مدغمة	وجه الهمز	مدورة	مربعة
هـ	هـ	هـ	هـ

محدودة	مشقوقة طولا	ماوزة	مشقوقة عرضا
هـ	هـ	هـ	هـ

مختلطة	مختلطة	محققة
هـ	هـ	هـ

الواو

مبسوطة مركبة	مجموعة مركبة	مبسوطة مفردة	مجموعة مفردة
عو	فو	و	و

اللام ألف

مرفلة

فلا

محقة مركبة

حلا

مفردة

لا

محقة مفردة

لا

الياء

مبتدأه . وسطى

د

راجعة

د

مخسوفة

ي

مجموعة مفردة

ي

راجعة مركبة مختمة

د

مخسوفة مركبة

ي

مجموعة مركبة

ي

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جميعا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 قَالَ إمامنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه
 المعروف قروض الأيام ردول ومن توفاني
 عن نفسه ضاع ومن قاهر الحق قهره والسلام

الجملة السابعة

(في كتابة البسملة)

وبيان صورتها في كل قلم من الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء ؛ وفيها مهيعان

المهيع الأول

(في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام ؛ وتشتمل على ثمان قواعد)

الأولى - قد اتفق الكتاب على تطويل باء البسملة أكثر مما يطول به غيرها من الباءات التي في أول الكلمة . وسيأتى في الكلام على البسملة في المقالة الثالثة أنها طوّلت بدلا من الألف المحذوفة بينها وبين السين لكثرة تكرارها . وقد ذكر بعض المصنّفين في الخط أنها تكون بمقدار ثلثي ألف ذلك الخط .

وقد سبق القول على مقدار ألف كل قلم فيما تقدم ؛ وهذا أصل يترتب عليه غيره .

الثانية - في البسملة خمس أخوات متساويات في الطول والانتصاب ، وهي :

ألف الجلالة ، والألف واللام من الرحمن ، والألف واللام من الرحيم ؛ فكلها على

مقدار واحد ، وقد سبق .

الثالثة - فيها أربع أخوات متساويات في الإرسال : وهى إرسالَةُ الميم من بسم وإرسالَةُ الراء من الرحمن ، وإرسالَةُ الراء من الرحيم ، وإرسالَةُ الميم من الرحيم .

الرابعة - فيها أربع أخوات متساويات في الضوء : وهى الميم من بسم ، والهاء من الجَلالة ، والميم من الرحمن ، والميم من الرحيم .

الخامسة - فيها أختان متناسبتان في المقدار : وهما الهاء من الرحمن ، والحاء من الرحيم .

السادسة - أن لامات الجلالة تكون موازيةً من أعلاها للباء في أول البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفض من اللام الأولى يسير .

قال ابن عبد السلام في الميزان : بحيث لا يُدرك ذلك إلا بتأمل . والذي ذكره الشيخ زين الدين الآثاري أنها تكون ناقصة عنها بقدر نُقْطة (يعنى من نُقْط قلم كتابتها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانية مثل ذلك .

السابعة - أن يكون بين الباء والسين قدرُ رُبْع ألف من ألفات ذلك الخط ، وتكون أسنان السين منها محددة الأطراف ، ويكون الأخذ من كل سِنَّ من أسنان السين من أعلاها آخذاً فيها إلى أسفل مع التساوى من الأعلى وكذا من الأسفل ، بحيث إنه إذا خُطَّ خطٌّ من أسفل الباء إلى آخر السين لاصق بهما وقع على الاستقامة ، ثم يأخذ في مد السين من أعلى السنة الأخيرة منها ، وتكون أصابعه مقدمة وكُلوة يده مؤنَّرة .

الثامنة - أن يكون البسط بين اللام الأولى والثانية متخففاً لمستويا ، وكذلك ما بين اللام الثانية والهاء .

المهيج الثانى

(فى بيان صورة البسملة فى كل قلم من الأقلام التى تستعمل
فى ديوان الإنشاء)

قد تقدم أن الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء مما يكتب به كُتَابُهُ سِتَّةُ أَقْلَامٍ
وهى : مختَصَرُ الطُّومَارِ، وقلم الثلث الثقيل والحفيف ، وقلم التوقيعات ، وقلم الرَّقَاعِ ،
وقلم الغُبَارِ، إلا أن المحقق لا بسملة له فى ديوان الإنشاء : لأنه إنما يستعمل فى كتابة
طغرة كتاب على ما تقدم ذكره ، ولا بسملة للطغرة .

اللهم إلا أن يكتب مختصر الطُّومَارِ على طريقة المحقق فتكتب البسملة فيه على
طريقة المحقق ، بخلاف قلم الغُبَارِ فإنه يكتب به فى المَلَطَّاتِ فيحتاج إلى البسملة
وإن لم يحتج إليها فى البطائق .

ولتعلم أن صورة البسملة فى هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكل
قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الربانية صُورًا مِنْ ذَلِكَ : وأنا أوردتها على
الترتيب إن شاء الله تعالى .

فأما بسملة قلم مختصر الطُّومَارِ ، فقد تقدم أن طريقته طريقة الطُّومَارِ ، وأن الطُّومَارِ
تَارَةً يُكْتَبُ على طريقة المحقق وهو الأكثر ، وتَارَةً يُكْتَبُ على طريقة الثلث ، وعليه
عمل كُتَابِ الإنشاء ، وربما عملوا على طريقة المحقق ، وحينئذ فإن كان المكتوب
على طريقة المحقق فبسمته على طريقة المحقق مع أملاء قلمه على حَدِّ قلم مختصر
الطُّومَارِ على ما تقدم بيانه .

وهذه صورة بسملته

لس
الحر

على طريقة ————— الـثـلـث

مراد
هم

وأما قلم الثلث وقلم الثلث الخفيف فطريقتيهما واحدة لا خُفَّ بينهما إلا في رِقَّةِ القَمِّ وغلظه على ما تقدم بيانه في الكلام على أصل الأقلام.
وللبسملة فيهما ثلاثُ صور.

الصورة الأولى - أن تكون الراء في الرحمن وفي الرحيم مخسوفة؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الراء فيهما مجموعة والنون في الرحمن مجموعة ؛ وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة الثالثة : أن تكون الراء فيهما مدعّمة والنون في الرحمن مدعّمة ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم التوقيع فلها ثلاث صور :

الصورة الأولى - مختصرة من قلم الثلث ف تكون كهى ، إلا أنها أدق قلما منها ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الحاء فيها في الرحمن مقبولة وفي الرحيم مأكولة ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن تكون الحاء فيها في الرحمن والرحيم مقبولة ؛ وهذه صورتها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة قلم الرقاع، فإن السين تكون فيها بالتدريج، كل سنّ دون التي قبلها
بيسير، والكاتب فيها يخير بين وصل أسنانها وفصلها فصلاً يسيراً. وقد أصطلحوا
على أن تكتب الألف التي قبل الجلالة فيها متصلةً بميم بسم، وتكون مثل الألف
والصاعد في قلم الرقاع، ثم يعمل لها ذيلٌ وتُوصل بالجلالة؛ ولها ثلاث صور.

الصورة الأولى - أن تكون الراء فيها مدغمة، والحاء في الرحمن والرحيم مقلوبة؛

وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثانية - أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رتقاء؛ وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصورة الثالثة - أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها؛ وهذه صورتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما بسملة الغبار^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) لعله فلها صورة واحدة وهي هذه.

الجملة الثامنة

(في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(حسن التشكيل)

قال الوزير أبو علي بن مقلة : وتحتاج الحروف في تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء :

الأول - التوفية ؛ وهي أن يؤتى كل حرف من الحروف حظه من الخطوط التي يركب منها : من مقوس ومنحنٍ ومنسطح .

الثاني - الإتمام ؛ وهو أن يعطى كل حرف قسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها : من طول أو قصر أو دقة أو غلط .

الثالث - الإكمال ؛ وهو أن يؤتى كل خط حظه من الهيئات التي ينبغي أن يكون عليها : من انتصاب ، وتسطيح ، وأنجاب ، واستلقاء ، وتقويس .

الرابع - الإشباع ؛ وهو أن يؤتى كل خط حظه من صدر القلم حتى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدق من بعض ولا أغلظ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما .

الخامس - الإرسال ؛ وهو أن يرسل يده بالقلم في كل شكل يجري بسرعة من غير احتباس يضره ولا توقف يرهشه .

الضرب الثاني

(حسن الوضع)

قال الوزير: ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء .

الأول - الترصيف؛ وهو وصل كل حرف متصل إلى حرف .

الثاني - التأليف؛ وهو جمع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي

ويحسن .

الثالث - التسطير؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى تصير سطرا منتظما

الوضع كالمسطرة .

الرابع - التنصیل؛ وهو مواقع المدّات المستحسنة من الحروف المتصلة .

وأعلم أن المدّ في الخطّ قديم، فقد حكى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب":

أن أهل الأنبار كانوا يكتبون المَشَقَّ . وكأنه يريد أنهم كانوا على ذلك في القديم،

فقد تقدّم أن أول ما تعلّم أهل الحجاز الخطّ من أهل الأنبار . على أن صاحب

"موادّ البيان" قد حكى أن جماعة من المحزّرين كانوا يكرهون المَشَقَّ لإفساده خطّ

المبتدئ ودلالته على تهاون المنتهى .

قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سين مبيّنة ثم صارت كراهة ذلك سُنّة

وعُرِفَا . والذي عليه حدّاق المحرّرين استعمال المدّ .

قال في "موادّ البيان" وهذه المدّات تستعمل لأمرين: أحدهما أنها تحسّن الخطّ

وتتقّضه في مكان كما يُحسّن مدّ الصوت اللفظ ويفخّمه في مكان . الثاني أنها ربما

أوقعت ليم السطر إذا فضل منه مالا يتّسع لحرف آخر: لأن السطر ربما ضاق

عن كلمتين وفضل عن كلمة فتمدّ التي وقعت في آخر السطر لتقع الأخرى في أول

السطر الذي يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور ، وتكره إذا كانت سينا مدغمة .

قال في "موادّ البيان" : فيجب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلا يوقعها في غير المواضع اللاتقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويقسّد المعنى ، مثل أن يوقع المدّ في متعلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستعلم ، أو يوقع المدّ في متسلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستسلم . ثم قال : وبالجمله فالكلمة الأصلية أسماء كانت أو حرفا أو فعلا لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأول

(الثنائية)

وهي إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف .

فالأسماء : نحو ندّ، وضرّ، وسرّ، وشّرّ، وظلّ، وظلّ، وما أشبه ذلك .

والأفعال : نحو قُلْ، وكُلْ، وقُمْ، وعدّ، ونمّ، وسرّ، ونحو ذلك .

والحروف : نحو هل ، وبل ، وقط ، وقد ، ومدّ ، وعن ، ولو ، ولم ، ومنّ ، وما ، وما يجري مجرى ذلك .

فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ في شيء منها إلا في سرّ، وشّرّ، من الأسماء وسرّ من الأفعال لأن السين أو الشين وإن كان كل منهما حرفا على حياله في صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن في نحو ظلّ ، وظلّ ، في بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر في "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ فيها .
(١٠)

وحكى صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتاب كان يمدّ في أواخر السطور مثل ماء، وهل، وعن . ثم حكى عن أبي القاسم بن خلوفاً : أن ذلك لا يجوز في عن في أول السطر ولا في آخره .

الصنف الثاني

(الثلاثية)

قال في "مواد البيان" : والمدّ فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين . قال : ومنها ما يُسمَح في مدّه للضرورة كما إذا وقع في آخر سطر يحتاج إلى التتميم فيمدّ كييع وقطع ونحوهما . وعلى نحو من ذلك جرى صاحب "منهاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن تمدّ إذا كان ثالثها ألفاً أو لاماً . وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ في الكلمة الثلاثية إذا كان أولها الجيم وأختاها، والطاء، والسين، والعين . قال في "مواد البيان" : وينبغي إذا مدّ أن يُقدّم الحرفان الأولان وتوضع المدة بينهما وبين الثالث . أما عسى، ومتى، وفقى، ونحوها فإنها لا تتحمل المدّ بحال .

الصنف الثالث

(الرباعية نحو محمد وجعفر)

قال أبو القاسم بن خلوفاً : والمدّ فيه جائز بل المدّ فيه أحسن من القصر . قال في "مواد البيان" : ولا يجوز أن يقدم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المدّ بين الحرفين الأولين والحرفين الآخرين فقط . قال : على أن منها ما لا يحسن المدّ فيه نحو تغلب، وخبير، ونير .

الصنف الرابع

(الخُماسية)

نحو : مشتمل ، ومستقل ، ومسيطر ، ومهيمن .

وقد اختلف علماء الخط فيه على مذهبين : فذهب صاحب "مواد البيان" إلى أن المدَّ فيها لا يحسن ، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما في الثلاثية ؛ وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المدَّ فيها لازم ، لا يجوز تركه . ثم إذا مدَّ فالذى ذكره في "مواد البيان" أن الأحسن أن يُقدِّم حرفين ويُوقِّع المدَّ بينهما وبين الثلاثة الأخرى .

أما ما كان زائدا على خمسة فقد ذكر صاحب "العناية الربانية" أنه يرجع فيه إلى الأصول . ويعتبر من السادسة ^(١) فإنه مدَّ فيما بعد السين من مسلمون وبعد التاء من معتبر .

قال في "مواد البيان" : ويصح المدُّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل ، كتبه ، وعلمته ، وفيه ، ومنه ، وعليه ، وإليه ، إذا وقعت المدة بين تمام الكلمة والضمير .

قال : ومَشَّق السين يُحسِّن الخطَّ في بعض المواضع ، ويقبَح إذا وقعت طرفا نحو مَشَّق السين من العباس والحواس ؛ وأقْبَح من ذلك مشقُّها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدَّمها نحو يأنس ، وعانس ، وجالس ، وناعس . وإذا توالى سينان أو سين وشين ، فالأحسن أن يفصل بينهما في الخط المحرَّر بمدة لطيفة نحو مَسَسْتُ وَغَشَشْتُ وَرَشَشْتُ .

(١) لعل الصواب من الثلاثي بالتاءين المتثنين .

قال أبو القاسم بن خُلف : ومن الحروف مالا يحسُن المدُّ بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختها، والياء، والفاء، والقاف، واللام، وأما الكاف المشكولة فإنه لا يجوز مدُّ ما بعدها في ابتداءٍ ولا تَوْسِيطٍ .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في ألفيته حروفاً يجوز مدُّها في مواضع : أحدها - الباء وأختها، فتمدَّ إذا كان بعدها دال مثل بَدْر، أو راء مثل بَرٌّ، أو ميم مثل تم، أو هاء مثل هَزْ، وأنه ربما مُدَّت إذا كان بعدها لام مثل بل، أو لام ألف مثل بلا .

الثاني - الجيم وأختها، فتمدَّ إذا كان بعدها دال مثل حداد، أو راء مثل حرير، أو ميم مثل حم، أو هاء مثل جهر .
الثالث - السين وأختها، وتمدَّ إذا كان بعدها راء مثل سرر، أو ميم مثل سم، أو هاء مثل سهم .

الرابع، والخامس - الصاد وأختها، والطاء وأختها، فلا يجوز مدُّ واحدٍ منها بحال .
السادس - العين وأختها، فتمدَّ إذا كان بعدها دال مثل عد، أو راء مثل عر، أو ميم مثل عم، أو هاء مثل عهن .

السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر - الفاء، والقاف، واللام، والميم، والهاء، فحكمها حكم العين وأختها في جواز المدِّ فيما تقدَّم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدتين في كلمة واحدة و"على" تمدَّ إذا كانت الياء معرَّقة، فإن كانت راجعة لم يجز المدُّ أصلاً : لأنه يجتمع في كلمة ثلاثية مدتان .

قال في "موادِّ البيان" : ويقبَحُ أن تتمدَّ حرفين توالي بينهما في سطر واحد، وأن تُوقَعَ حرفين ممدودين في سطرين : أعلى وأسفل على تقابلي وتخاذٍ .

(١) الكلام فيما يجوز مده فانيات هذا القسم سهو عن المقسم .

قال السُّرْمَرِيُّ : وإن كان في آخر الكلمة ياء لم يحز المدة قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المدة بعد السين في أسم موسى ، ولا قبل السين في أسم عيسى ^(١) .
 قال الآثاري : وأجاز بعضهم مد العين منه بخلاف السين .
 قال ابن العفيف : ولا تُدغم الواو والنون بعد مد أصلا في خفيف ولا ثقیل .
 قال : ولا يحسن إدغام السين بعد الكاف المشكولة ، ويجوز بعد اللام والميم .
 قال في "مواد البيان" : ويقبح أن تكتب ياءان معطوفتان متقاربتان في سطر واحد .
 قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازي : وإذا توالى العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلى ذات اليمين .
 قال ابن أبي رقية : سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف : هل يكون ذلك في كل قلم ؟ قال نعم ! إذا تمكّن الكاتب من وضعها إلا في المحقق فإنه غير جائز .
 قال السُّرْمَرِيُّ : وإن أتت ياءان متقاربتان مثل قول القائل "لى صلى" ردّ ياء الأخرى من الكلمتين دون الأولى ، وإن شئت عرّقتهما جميعا ، وهو اختيار الوزير ابن مقلة . قال : وتردّ الياء بعد الألف واللام مثل إلى في خفيف الأقلام دون ثقیلها على الأحسن .
 قال الآثاري : وإذا توالى حروف متشابهة كتبت التصير منه مقدّما على الطويل .

(٢) الصنف الخامس

(مراعاة فواصل الكلام)

قال في "مواد البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتمل كل فصل منها على نوع من الكلام عما تقدّمه : لتعرف مبادئ الكلام ومقاطعها ، فإن الكلام ينقسم فصولا طوالا

(١) كذا في الضوء أيضا والمراد سواء اتصل المد بالياء أو كان قبله في كلمته .

(٢) لم يترجم في الضوء بخاس ، ولا بسادس ، وأقتصر في الترجمة على ما بهما وهو المناسب .

وقصارا، فالطَّوَالُ كتنقسم متشور المترسل إلى رسائله، ومنظوم الشاعر إلى قصائده .
ومثل هذا لا يحتاج إلى تفصيل : لأنه لا يشكل الحال فيه في الرسالة أو القصيدة
بغيرها اتصالا وانفصالا .

والفصول القصار كأنقسام الرسالة إلى الفصول ، والقصيدة إلى الأبيات . ومثل
هذا قد يشكل ، فينبغي أن يُمَيَّزَ تمييزاً يؤمِّنُ معه من الاختلاط ، فإن ترتيب الخط
يفيد ما يفيد ترتيب اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتباً تَخَصَّصَ بعضُ المعاني
من بعض ، وإذا كان مُخَلَّطاً أشكلت معانيه ، وتعذر على سامعه إدراك محموله .

وكذلك الخط إذا كان متميزاً للفُصول ، وصل معنى كل فصل منه إلى النفس على
صورته ، وإذا كان متصلاً دعا إلى إعمال الفكر في تخليص أغراضه .

وقد اختلفت طُرُقُ الكُتَّابِ في فصول الكلام الذي لم يُمَيَّزْ بذكر باب أو فصل
ونحوه . فالنُّسَاخُ يجعلون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين ، وكُتَّابُ الرسائل يجعلون
للفواصل بياضاً يكون بين الكلامين من سجع أو فصل كلام ، إلا أن بياض فصل
الكلامين يكون في قدر رأس إبهام ، وفصل السجعتين يكون في قدر رأس خنصر .

قال في "مواد البيان" : وينبغي أن لا تكون الجملة في آخر السطر والفاصلة في أول
السطر الذي يليه ، فإنه مُلَيِّسٌ لانتقال الكلام ؛ بل لا يجعل في أول السطر بياضاً أصلاً
لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور ؛ ولا أن يُفَسِّحَ بين السطر والذي يليه
إفساحاً زائداً عما بين كل سطرين ، ولكن يُرَاعَى ذلك من أول شروعه في كتابة السطر
فيقدَّر الخط بالجمع والمشق حتى يخلص من هذا العيب .

الصنف السادس

(حسن التدبير في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها)

لأن السطور في المنظر كالفصول، فإذا قطع السطر على شيء يتعلق بما بعده كان قبيحا، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة في آخر السطر وبعضها في أول السطر الذي يليه .

ثم للفصل المستقيم في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان :

الصنف الأول

(فصل بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها في السطر والذي يليه) مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" في آخر السطر، فيكتب الكاف والتاء والألف في آخر السطر والباء في أول السطر الذي يليه، أو يقع في آخر السطر لفظ "مسرور" فيكتب الميم والسين والراء فيه والواو والراء الثانية في أول السطر الذي يليه ونحو ذلك .

قال في "مواد البيان" : وهو قبيح جداً لأنه لا يجوز فصل الأسم عن بعضه . قال : وأكثر ما يوجد ذلك في مصاحف العامة وخطوط الوراقين، والحامل لهم على ذلك في الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكاملها، ومن هنا احتاج الكاتب إلى النظر في ذلك بالجمع والمشق من حين شروعه في كتابة أول السطر على ما تقدم . قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك في المصاحف التي كتبت في زمن أمير المؤمنين : عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط، فربما وقع في بعض الأماكن اللفظة فيقطعها في آخر السطر ويجعل باقيها في السطر الثاني .

وعلى ذلك حمل ما روى أن عثمان رضى الله عنه . قال : ” إِنَّ فِي الْمُصْحَفِ لَحَنًا سَتَقِيْمُهُ الْعَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا “ إذ لا جائز أن يكون ذلك لَحْنًا في اللفظ فقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على أن ما بين دَفَتَي المصحف قُرْءَانٌ ، ومحال أن يجتمعوا على لحن . على أن هذه الرواية غير مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلى ذلك الشاطبي بقوله في الرأية :

وَمَنْ رَوَى سَتَقِيْمُ الْعَرَبُ أَلْسِنَهَا * لَحْنًا بِهِ قَوْلَ عُمَانَ فَمَا شِهرَا

الصنف الثاني

(فصل الكلمة التامة وصلتها)

مثل ان يكتب ”وصل كتابك وأيدك الله“ مُفَصَّلات ، فيكتب ”وصل“ في آخر السطر و”كتابك“ في أول الذي يليه ، أو يكتب ”أيدك“ في آخر سطر وأسم ”الله“ تعالى في أول الذي يليه ، وما جرى مجرى ذلك .

قال في ”مواد البيان“ : والأحسن تجنبه إذا أمكن ، فإن لم يمكن فيتجنب القبيح منه ، وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه : كعبد الله و غلام زيد وما أشبه ذلك : لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة الاسم الواحد ، والفصل بين الاسم وما يتلوه في النسب : كقولك زيد بن محمد ، فلا يجوز أن يفصل بين الاسم والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة ابن تثبيت البتوة كقولك لزيد ابن جاز قطع الابن عما تقدمه . وكأنه إنما امتنع ذلك لأن لزيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : ومما يقبح فصله الفصل بين كل اسمين جعلاً اسماً واحداً نحو حضرموت ، وتأبط شراً ، وذى يزن ، وأحد عشر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدييره متسع لا يسع أستيفائه .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الأولى

(في لواحق الخط ، وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في النقط ، وفيه أربع جمل)

الجملة الأولى

(في مسيس الحاجة إليه)

قال محمد بن عمر المدائني : ينبغي للكتاب أن يُعجم كتابه ، ويبيّن إعرابه ، فإنه متى أعراه عن الضبط ، وأخلاه عن الشكل والنقط ، كثّر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف . وأنخرج بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال ” لكل شيء نور ، ونور الكتاب العجم ” . وعن الأوزاعي نحوه .

وقال أبو مالك الحضرمي : أي قلم لم تعجم فصوله ، آستعجم محموله . ومن كلام بعضهم ” الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة ” .

ثم قد تقدّم في الكلام على عدد الحروف أن حروف المعجم تسعة وعشرون حرفاً ، وقد وضعت أشكالها على تسعة عشر شكلاً . فمنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الحرفان : كالذال والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين . ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة منه الثلاثة : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألّف . ومنها ما لا يلتبس حالة الأفراد ، فإذا رُكّب ووُصل بغيره ألتبس : كالنون والقاف ، فإن النون في حالة الأفراد منفردة بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها في أول كلمة أو وَسَطها، آسْتَبْت بالباء وما في معناها، والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس، فإذا وصلت بغيرها أولاً أو وسطاً آلتبس بالفاء، فاحتيج إلى مِيزٍ يُمَيِّز بعض الحروف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللَّبس، ويذهب الاشتراك .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغي أن القاف والنون إذا كتبا في حالة الإفراد على صورتها الخاصة بهما لا يُنْقَطان، لأنه لا شبه بينهما ولا يُشَمَّان غيرهما، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعض مشايخنا الاشتراك في صورة الحروف . وقال : الصورة والنقط مجموعهما دالٌّ على كل الحرف ؛

إذا تقرّر ذلك فالنقط مطلوب عند خوف اللبس، لأنه إنما وُضِعَ لذلك ؛ أما مع أمن اللبس فالأولى تركه لئلا يُظْلَمَ الخَطُّ من غير فائدة .
فقد حكى أنه عُرِضَ على عبد الله بن طاهر خط بعض الكُتَّاب فقال ما أحسنه !
لولا أنه أكثر شؤنيته .

وقد حكى محمد بن عمر المدائني أن جعفر المتوكل كتب إلى بعض عمّاله أن أحص من قبلك من المدنيين وعرفنا بمبلغ عددهم، فوقع على الحاء نقطة بجمع العامل من كان في عمله منهم وخصّاهم فماتوا غير رجلين أو واحد .

وقد حكى المدائني عن بعض الأدباء أنه قال : كثرة النقط في الكتاب سوء ظنٌّ بالمتكاتب إليه .

أما كُتَّاب الأموال فإنهم لا يرون النقط بحال ؛ بل تعاطيه عندهم عيبٌ في الكتابة .

الجملة الثانية

(في ذكر أول من وضع النقط)

قد تقدّم في الكلام على وضع الحروف العربية أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من قبيلة بولان على أحد الأقوال. وهم : مُرَار بن مُرَّة^(١)، وأسلم ابن سُدرة، وعامر بن جَدرة، وأن مرارا وضع الصور، وأسلم فصل ووصل، وعامرا وضع الإعجام . وقضية هذا أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف .

وقد روى أن أول من نَقَطَ المصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي من تلقين أمير المؤمنين : "على كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط في ذلك الإعجام، فيحتمل أن يكون ذلك ابتداء لوضع الإعجام، والظاهر ما تقدّم، إذ يبعد أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرَبِيَّةً عن النقط إلى حين نَقَطَ المصحف .

وقد روى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شيء حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المراد بالنقط الذي وضعه أبو الأسود الشكل على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في بيان صورة النقط، وكيفية وضعه)

قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله: وللنَّقْط صورتان : إحداهما شكلُ مربعٍ والأخرى شكلُ مستدير .

قال : وإذا كانت نقطتان على حرف ، فإن شئت جعلت واحدة فوق أخرى، وإن شئت جعلتهما في سطرٍ معاً، وإذا كان يجوار ذلك الحرف حرفٌ يُنْقَط لم يجز أن يكون النقط إذا اتسعت إلا واحدة فوق أخرى، والعلة في ذلك أن النقط إذا كُنَّ

في سطر نخرجن عن حروفهن فوق اللبس في الأشكال، فإذا جعل بعضها على بعض كان على كل حرف قسطه من النقط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان على الحرف ثلاث نُقط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق اثنتين، وإن كانت شينا فبعض الكتاب ينقطه كذلك ، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرًا، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة .

أما السين إذا تقطت من أسفلها فإنهم يتقطنها ثلاثة سطرًا واحدًا .

الجملة الرابعة

(فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا تقط له)

قد تقدم أن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفًا سوى اللام ألف، وإن ذلك على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين، وأن المنازل أبدأ منها أربعة عشر فوق الأرض، وأربعة عشر تحت الأرض، ثم إنه لا بد أن يبقى مما فوق الأرض منزلة مخفية تحت الشفق، فكانت الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفًا بعدد المنازل المخفية : وهي الأربعة عشر التي تحت الأرض، والواحدة التي تحت الشعاع، إشارة إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لاختفائها : وهي الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والذال، والزاي، والشين، والضاد، والطاء، والغين، والفاء، والقاف، والنون، والياء، وآخر الحروف .

وكانت الحروف العاطلة ثلاثة عشر بعدد المنازل الظاهرة : وهي الألف، والحاء، والذال، والراء، والسين، والضاد، والطاء، والغين، والكاف، واللام، والميم، والهاء، والواو .

فأما الألف فإنها لا تُنْقَطُ لِأَنفَرادها بصورةٍ واحدة، إذ ليس في الحروف ما يُشبهها في حالتى الإفراد والتركيب .

وأما الباء فإنها تُنْقَطُ من أسفل لِتُخَالِفَ التاء المثناة من فوق، والتاء المثناة في حالتى الإفراد والتركيب، والياء المثناة من تحت، والنون في حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً ونُقِطَت من أسفل لئلا تلتبس بالنون حالة التركيب .

وأما التاء فإنها تُنْقَطُ بِأَتْنَتَيْنِ من فوق لِتُخَالِفَ ما قبلها وما بعدها من الصورتين في حالة الإفراد وتُخَالِفُهُمَا مع الياء والنون حالة التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الشاء فإنها تُنْقَطُ بثلاثٍ من فوق لِتُخَالِفَ ما قبلها من الصورتين في الإفراد وتُخَالِفُهُمَا مع النون والياء أيضاً في التركيب ابتداءً أو وسطاً .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لِتُخَالِفَ الصورتين بعدها .

وأما الحاء فإنها لا تُنْقَطُ، ويكون الإهمال لها علامة، حُذِّقَ الكُتَّابُ يجعلون لها علامة غير النقطة: وهى حاء صغيرة مكان النقطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَطُ بواحدةٍ من أدناها لِتُخَالِفَ ما قبلها : من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنْقَطُ ولا تَعَلَّمُ، ويكون تركُّ العلامة لها علامة .

وأما الذال فَتُنْقَطُ بواحدةٍ من فوق فَرَقاً بينها وبين أختها .

وأما الراء فإنها لا تُنْقَطُ ولا تَعَلَّمُ، ويكون الإهمال لها علامة .

وأما الزاى فإنها تُنْقَطُ بواحدةٍ من فوق فَرَقاً بينها وبين الراء .

وأما السين فإنها لا تُنْقَطُ، وتكون علامتها الإهمال كغيرها، وبعض الكُتَّاب ينقطها بثلاث نقطٍ من أسفلها .

وأما الشين فإنها تُنْقَطُ بثلاث من فوق فَرَقًا بينها وبين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بد من جَرَّة فوقها؛ ثم إن كانت محققة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعل نقط ثالث من أعلاهما؛ وإن كانت مدغمة فالأولى جعل الثلاث نقط سطرا واحدا .

وأما الصاد فإنها لا تنقط؛ نعم حُذِّقَ الكُتَّاب يجعلون لها علامة كالحاء، وهي صاد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقطُ بواحدة من أعلاها فَرَقًا بينها وبين أختها .

وأما الطاء فإنها لا تُنْقَطُ لكن لها علامة كالصاد والحاء، وهي طاء صغيرة تحتها .

وأما الظاء فإنها تنقطُ بواحدة من فوقها فَرَقًا بينها وبين أختها .

وأما العين فإنها لا تُنْقَطُ، ولها علامة كالحاء، والصاد، والطاء، وهي عين صغيرة في بطنها .

وأما الغين فإنها تنقطُ بواحدة فَرَقًا بينها وبين أختها .

وأما الفاء فمذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها، ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلاف بين أهل الخط أنها تنقط من أعلاها إلا أن من نقط الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف بأنتين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما، ومن نقط الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدم من كلام الشيخ أثير الدين أبي حيان رحمه الله عن بعض مشايخه : أن القاف إذا كتبت على صورتها الخاصة بها ينبغي أن لا تُنْقَطُ إذ لا شبهة بينهما^(١) وذلك في حالتى الأفراد والتطرف أخيرا .

(١) أى بين القاف والفاء .

وأما الكاف فإنها لا تنقط، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكلة، وإن كانت معرأة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما أَلْتَبَسَتْ باللام .

وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تَعَلَّم، وترك العلامة لها علامة .

وأما الميم فإنها لا تنقط ولا تعلم أيضا لأنفرادها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بواحدة من أعلاها، وكان ينبغي اختصاص النقط بحالة التركيب ابتداءً أو وسطاً لانتباسها حينئذ بالباء، والتاء، والياء أوائل الحروف، والياء آخر الحروف؛ بخلاف حالة الإفراد والتطرف في التركيب أخيراً فإنها تختص بصورة فلا تلتبس كما أشار إليه الشيخ أمير الدين أبوحيان رحمه الله، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاء فإنها لا تنقط بجميع أشكالها، وإن كثرت؛ لأنه ليس في أشكالها ما يلتبس بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لا تنقط وإن كانت في حالة التركيب تقاربُ الفاء، وفي حالة الإفراد تقارب القاف : لأن الفاء لا تشابهها كل المشابهة ، ولأن القاف أكبر مساحةً منها .

وأما اللام أَلِف فإنها لا تنقط لأنفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها ، وإن كانت في حالة الإفراد والتطرف في التركيب لها صورة تخصها : لأنها في حالة التركيب في الابتداء والتوسط تشابهُ الباء، والتاء، والياء، والنون، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الإفراد كما في النون، وربما نقطها بعض الكُتَّاب في حالة الإفراد بنقطتين في بطنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقصود الثاني

(في الشكل، وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في اشتقاقه ومعناه)

قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شَكَلِ الدابة ، لأن الحروف تُضَبَطُ بقيد فلا يلتبس إعرابها كما تُضَبَطُ الدابة بالشكال فيمنعها من الهروب . قال أبو تمام :

تَرَى الْأَمْرَ مُعْجُومًا إِذَا كَانَ مُعْجَمًا * لَدَيْهِ وَمَشْكُولًا إِذَا كَانَ مَشْكُولًا

الجملة الثانية

(في أول من وضع الشَّكْل)

وقد اختلفت الرواية في ذلك على ثلاث مقالات ، فذهب بعضهم إلى أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلي : وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوم الناس به مافسد من كلامهم : إذ كان ذلك قد فَشَا في الناس .

فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القراء أن أولا ، فأحضر من يُمسك المصحف ، وأحضر صبغا يخالف لون المداد . وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ فَايَ فاجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرتُ فَايَ فاجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضمنتُ فَايَ فاجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة (يعني تنوينا) فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك نصر بن عاصم الليثي ، وأنه الذي نحسبها وعشرها .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك يحيى بن يعمر .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جِلَّةِ تابعي البصريين .

وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لاغير . وأن الخليل

أبن أحمد هو الذي جعل الهمزة والتشديد عن الروم والإشمام ^(١) .

الجملة الثالثة

(في الترغيب في الشكل والترهيب عنه)

وقد اختلفت مقاصد الكُتَّاب في ذلك ، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه ، والحث

عليه : لما فيه من البيان والضبط والتقيد .

قال هشام بن عبد الملك : أشكّلوا قرائن الآداب ، لئلا تنبذ عن الصواب .

وقال علي بن منصور : حلّوا غرائب الكلم بالتقيد ، وحصّنها عن شبه

التصحيف والتحريف .

ويقال : إجماع الكُتُب يمنع من استعجابها ، وشكلها يصونها عن إشكالها ،

ولله القائل :

وكانَّ أحرفَ خطّه شجرٌ * والشَّكلُ في أغصانه نَمْرٌ

وذهب بعضهم إلى كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لأن يُشكّل الحرف على القارئ أحبّ إلى من أن

يُعاب الكاتب بالشكل . ونظر محمد بن عبّاد إلى أبي عبيد وهو يقيّد البسملة

فقال : لو عرفته ما شكلته . وقد جرد الصحابة رضوان الله عليهم المصحف حين

جمعوا القراءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلو كان مطلوباً لما جردوه منه .

(١) كذا في الأصل .

قال الشيخ أبو عمرو الداني : وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله ابن عمر، وقال بذلك جماعة من التابعين .

وأعلم أن كُتَاب الدِّيُونَة لا يعرَّجون على النقط والشكل بحال، وكُتَاب الإنشاء منهم مَنْ منع ذلك محاشاة للكتوب إليه عن نسبته للجهل بأنه لا يقرأ إلا ما نُقِط أو سُكِلَ ، ومنهم مَنْ ندب إليه : للضبط والتقييد كما تقدم .

والحق التفريق في ذلك بين ما يقع فيه اللَّبْس ويتطرق إليه التحريف لغلقته أو غرابته وبين ما تسهل قراءته لوضوحه وسهولته .

وقد رخص في نَقَط المصاحف بالإعراب جماعة : منهم ربيعة بن عبد الرحمن ، وابن وهب . وصرح أصحابنا الشافعية رضي الله عنهم بأنه يُندب نَقَط المصحف وشكله ؛ أما تجريد الصحابة رضوان الله عليهم له من ذلك فذلك حين ابتداء جمعه حتى لا يدخلوا بين دقتي المصحف شيئا سوى القراءة ، ولذلك كرهه مَنْ كرهه .

وأما أهل التوقيع في زماننا فإنهم يَرغبون عنه خشية الإلزام بالنقط والشكل إلا ما فيه إلباس على مامر ، وأهل الدِّيُونَة لا يرون بشيء من ذلك أصلا ويعتدون ذلك من عيوب الكتابة وإن دعت الحاجة إليه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الجملة الرابعة

(فيما ينشأ عنه الشكل ويتربُّ عليه)

وأعلم أن الشكل جارٍ مع الإعراب كيفما جرى ، فينقسم إلى السكون (وهو الجزم) ، وإلى الفتح (وهو النصب) ، وإلى الضم (وهو الرفع) ، وإلى الجر (وهو الخفض) . أما السكون فلأنه الأصل . وأما الحركات الثلاث فقد قيل إنها مشاكلة للحركات الطبيعية : فالرفع مشا كل حركة الفلَّك لارتفاعها ، والجر مشا كل حركة

الأرض والماء لانتخاضها، والنصب مشا كل حركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثم لم يكن في اللغة العربية أكثر من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

ثم الذى عليه أكثر النحاة أن الحركات الثلاث مأخوذة من حروف المد واللين وهى الألف، والواو، والياء، اعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثانى مأخوذ من الأول . فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا، ولقيت عمرا، وضربت بكرا، والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : رأيت أباك، وأكرمت أخاك، ويكون إطلاقا للروى المنصوب كقولك : المذهب، وأنت تريد المذهب، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف، والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض فى قولك مررت بزيدا، وأخذت عن زيد حديثا، والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال، والضممة من الواو لأنها من مخرجها : من الشفتين، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، ونرج بكرا، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلة المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

وذهب بعض النحاة إلى أن هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة اعتمادا على أن الحركات قبل الحروف، بدليل أن هذه الحروف تحدث عند هذه الحركات إذا أشبعت، وأن العرب قد آستغنت فى بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف آكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

(١) أى الأسماء الخمسة أو الستة على الخلاف .

وزهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذةً من الحركات ، ولا الحركات مأخوذة من الحروف ، اعتماداً على أن أحدهما لم يسبق الآخر، وصححه بعض النحاة .

الجملة الخامسة

(في صور الشكل ومَحَالِّ وضعه على طريقة المتقدمين والمتأخرين)

وأعلم أن المتقدمين ... (١) ... في غالب الصور إلى التقط بلون يخالف لون الكتابة . وقال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وأرى أن أستعمل النقط لونيْن ، الحرة والصُّفْرة ، فتكون الحرة للحركات ، والتنوين ، والنشديد ، والتخفيف ، والسكون ، والوصل ، والمدّ ؛ وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

قال : وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة . ثم قال : وإن أستعملت الخضرة للابتداء بالفتات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا ، فلا أرى بذلك بأساً . قال : ولا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقد أحدثوا لذلك صوراً مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل شكل منها ، ومن أجل اختلاف صورها وتباين أشكالها رخصوا في رسمها بالسواد . ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور .

الأولى

(علامة السكون)

والمتقدمون يجعلون علامة ذلك جرّةً بالحُرّة فوق الحرف ، سواء كان الحرف المسكّن همزة كما في قولك : لم يَسْأْ ، أو غيرها من الحروف كالذال من قولك : أَذْهَبْ .

(١) لعل المراد يميلون في شكل غالب الخ . وفي الضوء كانوا يجعلون الشكل نقطاً الخ .

أما المتأخرون، فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عراقة الميم استخفافاً، وسمّوا تلك الدائرة جزمة، أخذوا من الجزم الذى هو لقب السكون، ويحتمل أن يكونوا أتوا بتلك الدائرة على صورة الصّفر فى حساب الهندود ونحوهم إشارة إلى خلوّ تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى، ومنه قولهم : "صِفْرُ اليَدَيْنِ" بمعنى أنه فقير ليس فى يديه شئ من المال .
وَحَدَّاقُ الْكُتَابِ يجعلونها جima لطيفة بغير عراقة إشارة إلى الجزم .

الثانية

(علامة الفتح)

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نُقْطَةً بالجمرة فوق الحرف . فإن أتبعت حركة الفتح تنويناً، جعلت نقطتين، إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين .
والمتأخرون يجعلون علامتها ألفاً مضطجعة . لما تقدّم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بأعلى الحرف موافقة للمتقدمين فى ذلك، وسمّوا تلك الألف المضطجعة نُصْبَةً أخذوا من النصب ؛ ويجعلون حالة التنوين خطين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدمون لذلك نقطتين، وعبروا عن الخطتين بنصبتين .
قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ويكون بينهما بقدر واحدة منهما .

//

الثالثة

(علامة الضم)

أما المتقدمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نُقْطَةً بالجمرة وسط الحرف أو أمامه، فإن لحق حركة الضم تنوينٌ، رسموا لذلك نقطتين : إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين على ما تقدّم فى الفتح .

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضمة واوا صغيرة : لما تقدّم أن الواو من علامة الرفع في الأسماء المعتلة، وسَمَّوْها رفعة لذلك، ورسَموها بأعلى الحرف ولم يجعلوها في وسطه كيلا تَشِين الحرف، بخلاف المتقدمين لمخالفة الاون ولطافة النقطة . فإن لحق حركة الضم تنوينٌ رسَموا لذلك واوا صغيرة بخطّة بعدها : الواو إشارة للضم، والخطّة إشارة للتنوين، وعبروا عنهما برفعتين . وبعضهم يجعل عوض الخطّة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى .

الرابعة

(علامة الكسر)

والمتقدمون يجعلون علامة الجرّة نقطة بالجرّة تحت الحرف . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسَموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسر شَطِيطَةً من أسفل الحرف إشارة إلى الياء التي هي علامة الجرّ في الأسماء المعتلة على مامر، وسَمَّوْا تلك الشَطِيطَةَ خَفْضَةً، أخذًا من الخفض الذي هو لقب الكسر، ولم يخالفوا بينها وبين علامة النصب لاختلاف محلّها . فإن لحق حركة الكسر تنوينٌ رسَموا له خطتين من أسفله : إحداهما للحركة، والأخرى للتنوين .

الخامسة

(علامة التشديد)

والمتقدمون اختلفوا : فذهب أهل المدينة أنهم يرسمون علامة التشديد على هذه الصورة (^(١)) ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشد مع الفتح فوق الحرف، ومع الكسر تحت الحرف، ومع الضم أمام الحرف .

(١) بياض في الأصل والضوء .

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله : وعليه عامة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطة علامة للإعراب ، وهو عندى حسن .
وعامة أهل الشرق على أنهم يرسمون علامة التشديد صورة شين من غير عرابة على هذه الصورة (٣) كأنهم يريدون أول شديد ، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبداً ويعربونه بالحركات . فإن كان مفتوحاً جعلوا مع الشدة نقطة فوق الحرف علامة الفتح ، وإن كان مضموماً جعلوا مع الشدة نقطة أمام الحرف علامة الضم ، وإن كان مكسوراً ، جعلوا مع الشدة نقطة تحت الحرف علامة الكسر . وعلى هذا المذهب استقر رأي المتأخرين أيضاً ؛ غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة على الإعراب علامات الإعراب التي أصطلحوا عليها من النصب ، والرفعة ، والخفضة . فيجعلون النصب والرفعة بأعلى الشدة ، ويجعلون الخفضة أسفل الحرف الذي عليه الشدة . وبعضهم يجعلها أسفل الشدة من فوق الحرف . ولا فرق في ذلك بين أن يكون المشدد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

(علامة الهمزة)

والمتقدمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب كما تقدم في كلام الشيخ أبي عمرو الداني رحمه الله : ويرسمونها فوق الحرف أبداً ، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالجمرة على ما تقدم . وسواء في ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفاً ، إذ حق الهمزة أن تلزم مكاناً واحداً من السطر : لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عرابة ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين ، ولأنها تمتحن بها كما سيأتى .

ثم إن كانت الهمزة مصوّرة بصورة حرف من الحروف: فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاها. وإن كانت مفتوحة، جعلت بأعلى الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها. وإن كانت مضمومة، جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها. وإن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها. وربما جعلت بأعلى الحرف والخفضة بأسفله.

وقد اختلف القدماء من النحويين في أيّ الطّرفين من اللام ألف هي الهمزة. فحكى عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال: الطّرف الأول هو الهمزة، والطّرف الثاني هو اللام.

قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله: وإلى هذا ذهب عامة أهل النقط، وأستدلوا على صحة ذلك بأن رسم هذه الكلمة كانت أولا لاما مبسوطة في طرفها ألف على هذه الصورة "لا" كنحو رسم ما أشبه ذلك مما هو على حرفين من سائر حروف المعجم مثل "يا، وها" وما أشبههما إلا أنه آسثقل رسم ذلك كذلك في اللام ألف خاصة لا اعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم فحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلى الآخر فأيهما ضم إلى صاحبه كانت الهمزة أولى ضرورة. وتعتبر حقيقة ذلك بأن يؤخذ شيء من خيط ونحوه فيصقّر ويخرج كل واحد من الطرفين إلى جهة، ثم يقام الطرفان فيتين من الوجهين أن الأول هو الثاني في الأصل، وأن الثاني هو الأول لا محالة في التضفير.

وأیضا فقد آتفق أهل صناعة الخط من الكُتّاب القدماء وغيرهم على أنه يرسم الطّرف الأيسر قبل الطّرف الأيمن، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من ابتدأ برسم الألف قبل الميم في "ما" وشبهه مما هو على حرفين، فنبت بذلك

أن الطرف الأول هو الهمزة، وأن الطرف الثاني هو اللام : إذ الأول في أصل القاعدة هو الثاني، والثاني هو الأول على ما مر، وإنما اختلف طرفاها من أجل التضيف.

وخالف الأخفش: فزعم أن الطرف الأول هو اللام، والطرف الثاني هو الهمزة، وأستشهد لذلك بأن ما تلفظ به أولا هو المرسوم أولا وما تلفظ به آخره هو المرسوم آخره، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أولا ثم بالهمزة بعدها. ونازعه في ذلك الشيخ أبو عمرو الداني. والحق أن ذلك يختلف باختلاف اللام ألف على مارتبه متأخرو الكتاب الآن. ففي المضمورة على ما تقدم، وفي المضمورة بهذه الصورة "لا" بالعكس.

وإن كانت الهمزة غير مصورة بحرف من الحروف كالهمزة في جزء وخبء، جعلت العلامة في محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب: من سكون، وفتح، وضم، وكسر. فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوين، جعل مع الهمزة علامة التنوين: من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على ما مر في غير الهمزة. قال الشيخ أبو عمرو الداني رحمه الله: وتمتحن الهمزة في موضعها من الكلام بالعين، فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التنوين أو لم يلحقها، فتقول في آمنوا عامنوا، وفي وءاتى المال وعاتى المال، وفي مستهزئين مستهزين، وفي خاسئين خاسعين، وفي مبرءون مبرعون، وفي متكئون متكعون، وفي ماء ماع، وفي سوء سوء، وفي أولياء أولياع، وفي تنوء تنوع، وفي لتنوء لتنوع، وفي أن تبوءا أن تبوعا، وفي تبوء تبوع، وفي من شاطي من شاطع، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطرد.

السابعة

(علامة الصلة في ألفات الوصل)

أما المتقدمون فإنهم رسموا لها جرّة بالحمرة في سائر أحوالها ، وجعلوا محلها تابعا للحركة التي قبل ألف الوصل . فإن وليها فتحة كما في قوله تعالى : ” نَتَقُونَ الذِّى ” جعلت الصلة جرّة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما في قوله تعالى : ” رَبِّ الْعَالَمِينَ ” جعلت الصلة جرّة حمراء تحت الألف على هذه الصورة (١) وإن وليها ضمة كما في قوله تعالى : ” نَسْتَعِينُ أَهْدِنَا ” جعلت الصلة جرّة حمراء في وسطها على هذه الصورة (+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوين جعلت الصلة أبدا تحت الألف ، لأن التنوين مكسور للساكنين ما لم يأت بعد الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمة لازمة نحو قوله تعالى : ” فَيَلًا أَنْظُرْ ” و ” عِيُونَ أَدْخُلُوهَا ” . قال بعضهم بضم التنوين فتجعل الجرّة على ذلك في وسط الألف .

وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صادًا لطيفة إشارة إلى الوصل] وجعلوها بأعلى الحرف دائما ولم يرأعوا في ذلك الحركات ، اكتفاءً باللفظ .

تنبيه

قد تقدم في ... (١) ... الأول من الهجاء أن اللفظ قد يتعين في الهجاء إلى الزيادة والنقصان ، ولا شك أن الشكل يتغير بتغير ذلك ، ونحن نذكر من ذلك ما يختص بالهجاء العرفي دون الرسمي باعتبار الزيادة والنقص .

(١) ما بين الدائرتين بيض له في الأصل وأخذناه عن ” ضوء الصباح ” .

(٢) بياض في الأصل .

أما الزيادة، فمثل أولئك، وأولو، وأولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الداني : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصفرة في وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعل نقطة بالحمرة أمامها في السطر لندل على الضمة . قال : وإن شئت جعلتها في الواو الزائدة : لأنها صورتها ، وهو قول عامة أهل النقط . هذه طريقة المتقدمين .

أما المتأخرون : فإنهم يجعلون علامة الهمزة على الواو وهو مخالف لما تقدم من اعتبار الهمزة بالعين فإنها لو امتحنت بالعين، لكان لفظها عولك وكذلك البواقي . وأما النقص فمثل النبئ إذا كتبت بياء واحدة، وهؤلاء، وياء ادم إذا كتبتا بحذف الألف بعد الهاء في هؤلاء والألف الثانية في ياء ادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها على رأى المتقدمين، وصورة العين على رأى المتأخرين قبل الياء الثانية في النبيين . وتجعل ذلك على الألف الثانية في يا ادم لأنها صورتها وعلى الواو في هؤلاء لأنها صورتها .

ووراء ما تقدم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمد وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها والله أعلم .

(فائدة)

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا بد من تناسب الشكل والنقط وتناسب البياضات في ذلك للحروف .

الفصل الرابع

من الباب الثاني من المقالة الأولى

(في الهجاء، وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في مصطلحه الخاص، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(المصطلح الرسمي)

وهو ما أصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم في كتابة المصحف عند جمع القرآن الكريم، على ما كتبه زيد بن ثابت رضى الله عنه، ويسمى الاصطلاح السلنى أيضا، ونحن نورد منه ما جرت إليه الكلام أو وافق المصطلح العرفى .

الضرب الثانى

(المصطلح العروضى)

وهو ما أصطلح عليه أهل العروض فى تقطيع الشعر، وأعتادهم فى ذلك على ما يقع فى السمع دون المعنى، إذ المعتد به فى صنعة العروض إنما هو اللفظ: لأنهم يريدون به عدد الحروف التى يقوم بها الوزن متحركا وساكا فيكتبون التنوين نونا، ولا يُراعون حذفها فى الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذفون اللام وغيره مما يدغم فى الحرف الذى بعده: كالرحمن والذاهب والضارب، ويعتمدون فى الحروف على أجزاء التفعيل، فقد نثقت الكلمة بحسب ما يقع من تبين الأجزاء كما فى قول الشاعر:

سَبْدَى لَكَ الْيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودَ .
فيكتبونه على هذه الصورة :

سَبْدَى ، لَكَ لَأَيَّامًا ، مَّا كُنْ ، تَجَادِلُنْ * وَيَأْتِي ، كَبَا الْأَخْبَا ، رِمْلَمْ ، تَزُودِي .

المقصد الثاني

(في المصطلح العام)

وهو ما اصطاح عليه الكتاب في غير هذين الاصطلاحين ، وهو المقصود من الباب ؛ وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(في الأفراد ، والحذف ، والإثبات ، والإبدال ، وفيه مدركان)

المدرَك الأول

(في بيان الأصل المعتمد في ذلك ، وما يكتب على الأصل)

وأعلم أن الأصل في الكتابة مطابقة المنطوق المفهوم ، وقد يزيدون في وزن الكلمة [ما ليس في وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له ، وينقصون من الكلمة] عما هو في وزنها استخفافا واستغناء بما أبقى عما أتقص إذا كان فيه دليل على ما يحذفون : كما أن العرب تسرف في الكلمة بالزيادة والنقصان ، ويحذفون ما لا يتم الكلام في الحقيقة إلا به استخفافا وإيجازا إذا عرّف المخاطب ما يقصدون .

قال ابن قتيبة : ورُبَّمَا تركوا الاشتباه على حاله ، ولم يفصلوا بين المتشابهين وأبكتفوا بما يدل عليه من متقدم أو متأخر : كقولك للرجل الواحد : يغزوا ، وللاثنتين

(١) سقطت هذه الجملة من الأصل ووجدناها " في أدب الكاتب " و " في ضوء الصبح " فأثبتناها لأنها مرادة له وليستقيم الكلام .

لن يَغْزُوا وللجميع لب يَغْزُوا بالواو والألف في الجميع من غير تفريق بين الواحد والاثنين والجمع ، وبقوه على أصله .

إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلح المعروف هو على قسمين .

القسم الأول

(ماله صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو على أصله المعترف فيه في ذوات الحروف وعددها)

بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها ، سواء بقي لفظه على حاله

أم أنقلب النطق به إلى حرف آخر)

فيكتب لفظ ”إمحي“ بغير نون بعد الألف ، وإن كان أصله أنمحي على وزن أنفعل من المحو : لأن الإدغام من كلمة واحدة ؛ بخلاف ما إذا كان الإدغام من كلمتين ؛ فيكتب لفظ ”من مال“ بنون في من منفصلة من ميم مَال وإن كانت النون الساكنة تدغم في الميم .

ويكتب لفظ خنق مصدر خنق ولفظ أنت وما أشبهها بنون ، وإن كانت النون مخفأة في القاف من خنق وفي التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو من كافر .

ويكتب غير وما أشبهها بنون أيضا وإن كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميما ؛ وكذلك في حالة التركيب نحو من بعد . ويكتب مثل أضربوا القوم ويغزو

الرجل بواو ، وكذلك كل ما فيه حرف مد حذف لساكن يليه لأنه لولا التقاء الساكنين لثبتت هذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون وإن كانت في وصل الكلام

لإشباع في الفتحة لأن الوقف عليه بألف . ومن أجل ذلك كتبت (لِكِنَّا هُوَ اللَّهُ)

(١) في المصباح أن فعل خنق من باب قتل ومصدره ككتف ويسكن للتخفيف .

بألف بعد النون في لكنا إذ أصله لكن أنا . ويكتب المتون المنصوب مثل زيداً وعمراً من قولك : رأيت زيدا وضربت عمراً بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخلاف المتون المرفوع والمجروح نحو جاء زيد ومررت بزيد، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذا المتونة بالألف على رأى المازني رحمه الله ومن تابعه : لأن الوقف عليها بالألف لضعفها، والمبرد والا كثرون على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ابن عصفور : وهو الصحيح : لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون، وأيضاً فإنها إذا كتبت بالنون كانت فرقاً بينها وبين إذا الطرفية لثلا يقع الإلباس . وفصل الفراق قال : إن أُلغيت كتبت بالألف، وإن أُعْمِلت كتبت بالنون لقوتها . ويحكى عن أبي العباس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أَشْتَبِي أَنْ أَكْوِي يَدَ مَنْ يَكْتُبُ إِذَنْ بِالْأَلْفِ لَأَنْهَا مِثْلُ أَنْ وَلَنْ، ولا يدخل التنوين في الحروف .

ويكتب نحو لَسَفَعَا بالألف لأن الوقف عليها بالألف، وكذلك يكتب اضرباً زيدا ولا تضرباً عمراً بالألف على رأى من آدعى أنه الأكثر، ووجهه بأن النون الخفيفة تنقلب ألقاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً في الوقف .

(١)
وذهب بعضهم إلى أنها تكتب بالنون تشبيهاً لنونه بنون الجمع نحو اضربن للجمع المذكور وبه جزم الشيخ أثير الدين أبو حيان . ووجهه بأنه لو كتب بالألف لالتبس بأمر الاثنين ونهيهما في الخط، وإن كنت إذا وقفت عليه وقفت بالألف فلم تُراعَ حالة الوقف في ذلك لأن الوقف منع من اعتباره ما عرض فيه من كثرة الإلباس :

(١) أى تشبيهاً لنون التوكيد التى فى الفعل المسند الى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المسند الى الجمع .

لأنهم لو أرادوا (على الوقف بالألف) كتابته بالألف، كثر الأَبْس بالوقف والخط، فتجنبوا ما كثر به الإلباس. ويكتب كل اسم في آخر داء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُشْتَرى ومُهْتَدَى ومُسْتَدْعَى ومُقْتَرَى في حالتى الرفع والجر بغير داء، كما في قولك جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وكذا في الباقيات، وفي حالة النصب بالياء مع زيادة ألف بعدها كما في قولك: رأيتُ قاضياً وغازياً وداعياً وما أشبهه.

وإن كان جمعاً: فإن كان غير منصرف كُتِبَ في حالتى الرفع والخفض بغير داء على ما تقدم.

فِيُكْتَبُ في الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسوارٍ ودواعٍ، وفي الخفض مررت بجوارٍ وسوارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير داء في الحالتين.

ويكتب في النصب بالياء إلا أنه لا تزد الألف بعدها، فتكتب رأيت جوارىً وسوارىً ودواعىً.

فإذا دخلت الألف واللام في جميع هذه الأسماء، أثبت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء في الجميع.

قال ابن قتيبة: وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا في كتابة المصحف. ويكتب نحو ره أمرًا بالرؤية، ولم يرَه نفيًا للرؤية، وقه أمرًا بالوقاية، ولم يقه نفيًا لذلك وما أشبهه بالهاء وإن كانت الهاء تسقط منه حالة الدَّرج، لأن الوقف عليها بالهاء. وكذلك قولهم: مه أنت، ومحجى مه جئت: لأن الوقف على ما الاستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهاء، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف ألفها بعد

(١) كذا في الضوء أيضاً ولعله [بمه آتيت].

الجار نحو حَتَّامَ وإِلَامَ وَعَلَامَ فإنه لا تلحقها الهاء لشدة الاتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التأنيث في نحو رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقحمة بالهاء
لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح ، وبعضهم يقف عليها بالتاء ، وهى لغة قليلة
فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع في رسم المصحف الكريم مواضع من ذلك
نحو قوله تعالى : ﴿ أَفِينِعْمَتِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ كتبوا أَفِينِعْمَتِ بالتاء ، والأكثر ما تقدم .
قال ابن قتيبة : وأجمع الكتابُ على كتابة السَّلامُ عليك ورحمت الله وبركاته
في أول الكتاب وآخره بالتاء . قال : فإن أضفت تاء التأنيث إلى مضمر ، صارت تاء
فتكتب شَجَرَتِكَ وناقَتِكَ ورحمتِكَ وما أشبهه بالتاء .
أما أخت و بنت ، وجمع المؤنث السالم مثل قائمات وصائمات وتائبات ، وتاء
التأنيث الساكنة في آخر الفعل نحو قامت وقعدت ، وما أشبه ذلك ، فإنه يكتب
جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .
قال ابن قتيبة : وهَيَّاتَ يوقف عليها بالهاء والتاء ، والإجماع على كتابتها بالتاء .
ثم اللفظ الذى يكتب على نوعين :

النوع الأول

(أن يكون آسما لحرف من حروف الهجاء ، وهو على وجهين)

الوجه الأول

(أن يكون آسما قاصرا على الحرف لم يسم به غيره ؛ وله حالان)

أحدهما - أن يقصد اسم ذلك الحرف لا مسماه فيكتب الملفوظ به نحو جيم إذا
سئل كتابته فيكتب بجيم وياء وميم .

الثاني - أن يقصد مسماه لا اسمه فيجب الاختصار في الكتابة على أول حرف في الكلمة، ويكتب بصورة ذلك الحرف مثل قَ قَ نَ صَ، ولذلك كتبت الحروف المفتحة بها السور على نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالا لهذه الحروف تميز بها، فهي أسماء مدلولاتها أشكال خطية، ولو لم يضعوا لها هذه الأشكال الخطية، لم يكن للخط دلالة على المنطوق . ولو اقتصروا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لها أشكالا مفردة تميز بها لم يمكن ذلك : لأن الكتابة بحسب النطق متوقفة على معرفة كل حرف وشكل كل حرف غير موضوع، فاستحال كتبها على حسب النطق . ألا ترى أنك إذا قيل لك : أكتب جيم، عين، فاء، راء؛ وإنما تكتب هذه الصورة "جعفر" والملفوظ بلسان الأمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالملفوظ على قياس غيره من الألفاظ .

ويشهد لذلك ما حكى أن الخليل رحمه الله قال يوما لطلبته : كيف تنطقون بالجيم من جعفر ؟ فقالوا جيم فقال : إنما نطقم بالاسم ولم تلفظوا بالمسؤول عنه، ثم قال : الجواب جه لأنه المسمى من الكتاب (يريد جيا مفتوحة، وإنما أتى فيها بالهاء ليتمكن الوقف عليها) .

الوجه الثاني

(أن لا يكون الاسم قاصرا على الحرف بأن يسمى به غيره أيضا كما إذا سُمي رجل بـقاف أو ياسين، فللكتاب فيه مذهبان) :

أحدهما - أن تكتب صورة الحرف هكذا قَ ويس .

والثاني - أن يكتب الملفوظ به هكذا "قاف" و "ياسين" وهو اختيار أبي عمرو بن الحاجب رحمه الله .

النوع الثاني

(أن لا يكون أسما لحرف من حروف المعجم ، وهو على وجهين أيضا)

الوجه الأول

(أن يكون له معنى واحد فقط)

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاي ، ياء ، دال .

الوجه الثاني

(أن يكون له أكثر من معنى واحد)

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك : أكتب شعرا فإن دلت القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ما ينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر .

الضرب الثاني

(ما تغير عن أصله ، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما تغير بالزيادة . والزيادة تقع في الكتابة بثلاثة أحرف)

الحرف الأول

(الألف ، وتزداد في مواضع)

(منها) تزداد بعد الميم في مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينا وبين مئة ، وإنما كانت الزيادة من حروف العلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها ، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهمزة ، ولأن الفتحة من جنس الألف . ولم تكن الزيادة ياء ، لأنه يستعمل في الخط أن يجمع بين حرفين مثنان في موضع مأمون فيه اللبس .

(١) عبارة الضوء نان كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة " زيد " وهي أوضح .

ألا ترى إلى كتابتهم خطيئة على وزن فعيلة بياء واحدة ولو كتبت على صيغة لفظها، لوجب أن تكتب بياءين، ياء لبناء فعيلة، وياء هي صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لاستئصال الجمع بين الياء والواو، وجعل الفرق في مائة ولم يجعل في منه لأن مائة أسم ومنه حرف والأسم أحمل للزيادة من الحرف، ولأن المائة محذوفة اللام بدليل قولهم: أمأيت الدراهم، فجعل الفرق في مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الاستعمال؛ ثم اختلف في المثني منه ف قيل لا يزداد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لبس في الثنية، والراجح الزيادة كما في الإفراد : لأن الثنية لا تغير الواحد عما كان عليه . أما في حالة الجمع، فقد اتفقوا على منع الزيادة فكتبوا ” مئتين ومئات “ بغير ألف بعد الميم : لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد وجمع السلامة ربما تغير فيه أيضا فغلبت .

قال الشيخ أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة ” مائة “ على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء . قال : وكثيرا ما أكتبُ أنا ” مئة “ بغير ألف كما تكتب ” ففة “ لأن كُتِبَ مائة بالألف خارج عن القياس . فالذى اختاره أن تكتب بالألف دون الياء على وجه تحقيق الهمزة، أو بالياء دون الألف على وجه تسهيلها .

(ومنها) تراد بعد واو الجمع المتطرفة في آخر الكلمة إذا اتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضَرَبُوا وأَضَرُّوا وما أشبههما فتكتب بألف بعد الواو . وسُمِّيَ ابن قتيبة هذه الألف ألف الفصل لأنها تفصل بين الفعل كي لا تلبس الواو في آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبت أَوْرَدُوا وصَدَرُوا مثلا بغير ألف ثم اتصلت بكلام

(١) لعل الأظهر لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف. ولمَّا فعلوا ذلك في الأفعال التي تتقطع وأوها
عن الحرف كالفعلين المتقدمين، فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل وأوها بالحرف
قبلها نحو كانوا وبنوا ليكون حكم هذه الواو في جميع المواضع واحدا. أما إذا لم تقع
طرفا في آخر الكلام نحو ضربوهم وكألوهم ووزنُوهم، لم تلحق به الألف. فلو
اتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو لن يضربوا ولن يذهبوا. فذهب
بعض البصريين أنه لا تلحقها الألف. ومذهب الأخفش لحوقها كالماضى والأمر.
ولو اتصلت باسم نحو ضاربوهم وضاربو زيد. فذهب البصريين أنها لا تلحق
بل يجعل الاسم تلو الواو. ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضاربوا زيد
وقاتلوا عمرو وهُموا بألف بعد الواو في الجميع، والراجح الأول.

(ومنها) زادها الفراء في يدعو ويغزو في المفرد حالة الرفع خاصة تشبيها بواو الجمع.
وأطلق ابن قتيبة النقل عن بعض كتّاب زمانه بأنها لا تُلحق في مثل ذلك : لأن
العلة التي أُدخِلت هذه الألف لأجلها في الجمع لا تلزم هنا : لأنك إذا كتبت الفعل
الذي تتصل واوه به من هذا الباب مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واؤه واو العطف
أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها لأن الواو من نفس الفعل لا تفارقه إلا في حال
جرمه، والواو في صدرُوا، ووردُوا وأُجمع مكثف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد
وتنوهم الواو عاطفةً لشيء عليه. قال : وقد ذهبوا مذهبها. غير أن متقدمي الكتّاب
لم يزالوا على إلحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم في كل
موضع واحدا.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وقَصَّ الكسائي في حالة النصب فقال : إن لم
يتصل به ضمير نحو لن يدعوك، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين.

(١) لعل الصواب [إن لم يتصل به ضمير نحو لن يدعوك بآلف. وإن اتصل به ضمير نحو إلخ].

(ومنها) تزداد شذوذاً بعد الواو المبدلة من الألف في الربو فتكتب بألف بعد الواو على هذه الصورة (الربوا) تنبيهاً على أن الأصل أن يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت في مواضع من المصحف ، كما في قوله تعالى : ”إِنْ أَمْرٌ هَلَكٌ“ تنبيهاً على أنه كان ينبغي أن تكون صورة الهمزة ألفاً على كل حال ولا يعتد بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هي فتح الراء دائماً ، والقياس كتابته بصورة الحركة التي قبل الهمزة ، وكذلك كتبوا ”لَا أَوْضَعُوا“ بزيادة ألف بعد اللام ألف ، وذلك يختص برسم المصحف الكريم دون غيره ، فلا يقاس عليه والله أعلم .

الحرف الثاني

(الواو ، وتزداد في مواضع أيضاً)

(منها) تزداد في عمرو بعد الراء إذا كان علماً في حالتى الرفع والجر فرقاً بينه وبين عُمر . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم ، ولا ألفاً لئلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة في عمرو دون عُمر ، لأن عمراً أخف من عُمر من حيث بناءه على فَعَلَ ومن حيث أنصرأفه . أما في حالة النصب فلا تزداد فيه الواو ويكتب عمرو بألف وعُمر لا يكتب بألف لأنه لا ينصرف ، وكذلك المحلى باللام كالعمر والمضاف كعمره والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إِنَّمَا أَنْتَ فِي سُلَيْمٍ كَوَاوٍ * أُلْحِقْتُ فِيهِ هَجَاءَ ظُلْمًا يَعْمُرُ

وكذلك عُمر واحد عُمرور الأسنان : وهو اللحم الذي بينها ، وما هو بمعنى المصدر مثل قولهم : لعمر الله لا تزداد فيه الواو إذ لا لبس . ولم يفرقوا في الكتابة بين عُمر العلم وعُمر جمع عُمرٍ لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبسان .

(ومنها) تزداد في أولئك بين الألف واللام فرقا بينها وبين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذي بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبست بإليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الياء : لمناسبة ضمة الهمزة، ومن الألف : لاجتماع صورتى الألف وهم يحذفون الواحدة إذا اجتمعت صورتها، وجعلت الزيادة في أولئك دون إليك : لأن الأسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف .

قال ابن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة . (ومنها) تزداد في أولى وفي أولو بين الألف واللام، أما في أولى فالفرق بينها وبين إلى، وأما في أولو فبالحمل على أولى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أنير الدين أبو حيان بحثا وادّعى أنه لم يظفر في تعليقه بنص . قال : وحمل التأنيت في أولات على التذكير في أولى .

(ومنها) تزداد في أونى تصغير أُنحى بين الألف والحاء ، والتغير يأنس بالتغير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما في أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزيدها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلي .

الحرف الثالث

(الياء المنشأة تحت)

وتزداد في مواضع من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : (بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) بياءين بين الألف والdal من قوله : "بَأَيْدٍ". وقوله تعالى : (من نبأى المرسلين) بياء بعد الألف من نبأ، وقوله تعالى : (من مَلَأِيهِ) و (من مَلَأِيهِمْ) بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الاتقياد إليه في المصحف اقتداءً بالصحابة رضوان الله عليهم .

أما في غير المصحف فيكتب بأيد بياء واحدة لأن الهمزة فيه أول كلمة فتصوّر ألفا كغيرها من الهمزات الواقعة أولا على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى . ويكتب من نبي ومن ملئه ومن ملّهم بغير ياء لأن الهمزة في نبي وملأ أخيرة بعد فتحة فتصوّر ألفا كما في نحو كلاً وخطأ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير .

وذهب بعضهم إلى أنها تكتب في هذا ياء على ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو من كلته أو لم تضاف نحو من الكلئ .

قال بعضهم : والأقيس أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو من خطئه لأنها صارت معه كالمتوسطة ويكتب ألفا إذا تطوّفت نحو من خطأ اعتبارا بما يؤول إليه في التخفيف والله أعلم .

النوع الثاني

(ما يغير بالنقص)

والنقص يقع في الكتابة على وجهين .

الوجه الأول

(ما لا يختص بحرف من الحروف ، وهو المدغم)

فيكتب كلّ مشدّد من كلمة واحدة حرفا واحدا نحو شدّ ومدّ وآدّ كر ومقرّ وأقشعرّ فيكتب بدال واحدة في شدّ ومدّ وآدّ كر وراء واحدة في مقرّ وأقشعرّ وإن كان في اللفظ حرفان ، فإن الحرف المدغم فيما بعده هو متلفظ به ساكنا مدغما ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب النطق ، لكنه لما أدغم ضعّف بالإدغام ، إذ صار النطق به وبالمدغم فيه نطقا واحدا فأقتصرت الكتابة على حرف واحد ولم يجعل للأول صورة اختصارا . وسواء كان المدغم إدغام مثل نحو ردّ أو مقارب نحو أطّجع أصله

أضطجع . وأجروا نحو قَنْتُ مجرئاً ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لشدة اتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرقين مثلين .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو مِّمَّ وعَمَّ وإِلَامَّ^(١) .

الوجه الثاني

(ما يختص بحرف من الحروف)

وينحصر ذلك في خمسة أحرف :

الحرف الأول

(الألف ، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجر، فيكتب للقوم وللغلام وللناس بلامين متواليتين من غير ألف ، بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجر فإنها لا تُحذف، فيكتب بالقوم وبالغلام وبالناس بألف بين الباء واللام . وإن كان في أول الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام في ألتقاء وألتفات وألتباس . ثم دخلت لام الجر أو باؤه ثبتت الألف ، فيكتب بالتقاء ولالتفاتا ولالتباس الأمر على وبألتباسه ، فإن أدخلت ألف التعريف ولامه على الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تصل الكلمة بلام الجر وبائه لم تحذف شيئاً ، فيكتب الالتقاء والالتفات والألتباس بلامين ولامين^(٢) ، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجر أو وبائه ، فيكتب بالالتقاء وبالالتفات وبالألتباس ولالاتقاء ولالاتفات ولالاتباس .

(ومنها) تُحذف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالى، وبعد الميم من الرحمن إذا دخلت عليها الألف واللام، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء على هذه الصورة "الله"

(١) ليس من الباب فالصواب حذفه كما وقع في الضوء . . . (٢) لعله بألفين ولامين .

وإن كانت المدة بعد اللام الثانية توجب ألفاً بعدها، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم على هذه الصورة "الرحمن" وإن كانت المدة على الميم توجب ألفاً بعدها : لأنه لا التباس في هذين اليمين ، ولكثرة الاستعمال . فلو تجزّدا عن الألف واللام كتبوا بالألف كما قالوا : لآله أبوك يريدون لله أبوك ، فحذفوا حرف الجز والألف واللام وكتبوه بالألف . وكقولك : رحمان الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف .

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام في عبد السلام وفي السلام عليكم ، فيكتبان على هذه الصورة : "عبد السلم" و "السلم عليكم" .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة ، فتكتب على هذه الصورة : "ملئكة" . قال أحمد بن يحيى : لأنه لا يشبهه لفظ مثله ، ولكثرة الاستعمال .

(ومنها) تحذف بعد الميم من سموات ، فتكتب على هذه الصورة : "سموات" .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وعلة الحذف فيه علة الحذف في الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم الشبه . وأما الألف الثانية منه وهى التى بعد الواو، فإنها لا تحذف : لأنها دليل الجمع ، ولأنها لو حذفت لاجتمع فى الكلمة حذفان ، وقد كُتِبَتْ فى المصحف بحذف الألفين جميعا فيجب الإتيان إليه فى المصحف خاصة .

(ومنها) تحذف بعد اللام فى أولئك ، وبعد الذال من ذلك فيكتبان على هذه الصورة : "أولئك" و "ذلك" . فلو تجزّدا أولاً وذا عن حرف الخطاب وهو الكاف ، كتبوا بالألف فيكتبان على هذه الصورة : "أولاء" و "ذا" .

(ومنها) تحذف بعد ها التنبيه إذا اتصلت بذا التى للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب فى آخر الكلمة ؛ فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء ، فيكتب الجميع بغير ألف ، فان اتصلت بأسم الإشارة الكاف نحو ذاك أمتنع الحذف ، فيكتب بألف

بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر اختلاف حرف الخطاب بالنسبة
للأفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا وتي في الإشارة بتا^(١) للذكر وتي للمؤنث ،
فإن الألف لا تحذف معهما إذا اتصلت بهما ها التنبيه ، فيكتب هاتا وهاتي وهاتان .
وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هاتم وهانا وهانت أيضا ، فتكتب
بألف واحدة بعد الهاء في جميع ذلك . قال : وهو القياس ؛ وكان الأصل أن تكتب
بألفين على هذه الصورة : ها أتم وها أنا وها أنت ؛ ثم تلى الهمزة . ودليل أن ألف
ها قد حذفت من ها التنبيه في غير اتصالها بذا وما والاها من رسم المصحف في ثلاثة
مواضع من القرآن الكريم في النور ﴿ آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وفي الزحرف ﴿ يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ﴾
وفي الرحمن ﴿ آيَةُ النَّعْلَانِ ﴾ .

قال ابن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب
في القرآن الكريم بالألف وغير الألف لاختلافهم في الوقف عليها .
(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثمانى نساء ، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو
ثمان عشرة وعندي من النساء ثمان فإنه لا تحذف الألف ، بل تكتب على هذه
الصورة : "ثمان عشرة وعندي من النساء ثمان" لأنه قد حذف منه الياء فلو حذف
الألف ، لتوالى الحذف فيكثر : فمثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمَنِيًّا وَثَمَنِيًّا * وَثَمَانِ عَشْرَةَ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا

يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفي ثمانين وجهان : أحدهما إثبات
الألف بعد الميم فيها : لأنه قد حذف منه الياء إذ الياء في ثمانين ليست ياء ثمانية لأنها
حرف الإعراب المنقلب عن الواو في حالة الرفع ، فلو حذفت الألف أيضا لتوالى
فيه الحذف . والوجه الثاني الحذف : لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه قد عاقبتها

(١) كذا في الضوء أيضا ولعله سهو أو سبق قلم فان تا وتي للمؤنث كما هو واضح .

ياء أخرى فهُما لا يجتمعان، فكأن الياء موجودة إجراء للعاقب مجرى المعاقب . وإذا قلت ثمانون بالواو، فحكمه حكم ثمانين بالياء في جواز الوجهين .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ثلاث فيكتب على هذه الصورة : ”ثَلَثَ“ سواء كانت مفردة، نحو عندى ثَلَث من البَطَّ، أو مضافة نحو ثَلَث نساء، أو مركبة نحو ثَلث عشرة امرأة، أو مغطوفة نحو ثَلث وثلاثون جارية، وحكم ثَلثة بالتاء كذلك في جميع الصور .

وكذلك تحذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو، فيكتبان على هذه الصورة : ”ثَلثين“ و ”ثَلثون“ .

فأما ثَلَاث المعدول كما في قوله تعالى : ”مَثْنًى وَثُلَاثَ“ . فقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : لم أقف فيه على نَقْل . قال : والذي أختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهما أنه لم يكثر كثرة ثَلث، وثَلثة، وثَلثين، وثَلثون . والثاني أنها لو حذفت لآلِيسَت بثَلِث الذي ليس بمعدول .

قال ابن قاسم رحمه الله : وقد ذكر في ”المقنع“ أنه محذوف في الرسم .

(ومنها) تحذف من - يا - التي للنداء إذا اتصلت بهمزة نحو يا أحمد، يا إبراهيم، يا أبا بكر، يا أبا نانا، فتكتب على هذه الصورة : يا أحمد، يا إبراهيم، يا أبا بكر، يا أبا نانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو أَلَف يا لا صورة الهمزة .

وقال أحمد بن يحيى : المحذوف صورة الهمزة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهمزة المتصلة بيا كهزمة آدم أمتنع الحذف، وكتبت بألفين على هذه الصورة : يا آدم : لأنهم قد حذفوا أَلَفا من آدم لتوالى أَلَفَيْنِ، وحرف النداء مع المنادى كالكلمة الواحدة بدليل أنه لا يجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لآجمع فيما هو كالكلمة الواحدة حذف أَلَفَيْنِ .

أما إذا لم يل يا همزة البتة نحو يازيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكتاب فيه إثبات الألف في يا . وفي كلام أحمد بن يحيى تجوز كتابته بغير ألف أيضا، توجيهها بأنهم جعلوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مقام الألف واللام بدليل أنهم لا ينادون ما فيه ألف ولا م، فلا يقولون يا الرجل .

(ومنها) تحذف من الحارث إذا كان علما ودخلت عليه الألف واللام، فيكتب على هذه الصورة: الحرث . أما إذا عرى عن الألف واللام، فإنه يثبت فيه الألف لئلا يلتبس بحرب بالباء الموحدة إذ قد سمي به، وإنما أمتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنما يدخلان من الأعلام على ما كان صفة إذا أريد به معنى التفاؤل وحرب ليس بصفة فلم يدخل عليه وإن كانا قد دخلا على بعض المصادر كالعلاء . وكذلك إذا كان حارث اسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا كما إذا عرى عن الألف واللام .

(ومنها) تحذف مماكثر استعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شيء، سواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فكتب على هذه الصورة: ملك، وصالح، وخلد، وإبراهيم، وإسماعيل، وهرون، وسليمان . بخلاف ما إذا لم يكثر استعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان، وقارون، فإنها لا تحذف ألفها .

وقد حذف في بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت على هذه الصورة: هروت، ومروت، وهمن، وقرون .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله: وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها في نحو صالح، وخالد، ومالك جيد .

وقال أحمد بن يحيى : يحوز فيه الوجهان ، وهو قضية كلام ابن قتيبة .

أما إذا كان العلم الذي كثر استعماله على ثلاثة أحرف فما دونها نحو هالة وأوس^(١) ولام ، فإنه لا تحذف ألفه ، وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو إسرائيل وداود ، لأنهم قد حذفوا من إسرائيل صورة الهمزة ، ومن داود الواو فامتنع حذف الألف لثلاثا يتوالى الحذف .

ويلتحق بذلك في الإثبات ما لو خيف بالحذف التباسه : كعامر ، وعباس ، فلا تحذف منه الألف أيضا ، لأنه لو كتب بغير ألف ، لالتبس عامر بعمر ، وعباس بعبس .

(ومنها) تحذف استحسانا مما كثر استعماله ، مما في آخره الألف والنون نحو شعبان ، وعثمان وما أشبههما ، فيكتبان على هذه الصورة "شعبن" و "عثمن" .
قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله : إلا أنهم لم يحذفوا ألف عمران والإثبات في نحو شعبان حسن أيضا .

قال ابن قتيبة : فأما شيطان ، ودهقان ، وإثبات الألف فيهما حسن . وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبيا بغير ألف ، إلا أن الكُتَّاب مُجْعُونَ على ترك القياس في ذلك .

(ومنها) تحذف من كل جمع على وزن مفاعل أو وزن مفاعيل ، إذا لم يحصل بالحذف التباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له في الصورة ، بحيث لا يقع اللبس مثل خواتم ودواق في وزن مفاعل ومحاريب وتمائيل وشياطين في وزن مفاعيل

(١) كذا في الأصل والضوء أيضا .

تحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خَوَاتِمٌ ، ودَوَاتِقٌ ، ومحَرِيبٌ ، ومَثِيلٌ ، وشَيْطَانٌ ، ودهقين . إذ المفرد منها خَاتِمٌ ، ودَانِقٌ ، ومحَرَابٌ ، ومِثَالٌ ، وشيطانٌ ، ودهقانٌ ، وهى لا تشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد ، مثل مساكين فى وزن مفاعيل جمع مسكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد . فلو كان الحذف يؤدى إلى موافقته للواحد فى الصورة لكنه فى غير موضع المفرد نحو ثلاثة دراهم ، ودراهم جياذ ، ودراهم معدودة ، حذف منه الألف وكتب على هذه الصورة : ثلاثة دراهم ، ودراهم جياذ ، ودراهم معدودة ، لأنه لا يلتبس حينئذ . بخلاف عندى دراهم ونحوه فإنه لو حذف الألف منه ، لالتبس بدرهم المفرد . ثم الحذف فى مفاعل ومفاعيل على ما تقدم إنما هو على سبيل الجواز ، وإلا فالإثبات أجود .

وشرط بعض المغاربة فى جواز الحذف شرطا : وهو أن لا تكون الألف فاصلا بين حرفين متماثلين ، فلا تحذف الألف من نحو سكاكين ، ودكاكين ، ودنانير ، لئلا يجتمع مثلان فى الخط وهو مكروه فى الخط ككراهته فى اللفظ . وقد كتبت فى المصحف مساكين ، ومساكنهم بغير ألف على هذه الصورة مساكين ، ومسكينهم ، وإن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وإنما كتبنا كذلك لأنهما قد قرئا بالإفراد فكتبنا على ما يصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿ وَمَا يُجَادِعُونَ ﴾ بغير ألف على هذه الصورة ﴿ وَمَا يُجْدِعُونَ ﴾ لأنه يصلح لقراءة يُجْدِعُونَ من الثلاثى . (ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والتاء المزيدتين نحو صالحات ، وعابدات ، وقتات ، وذَكَرات ، فكتب على هذه الصورة "صَالِحَاتٌ ، وَعَبْدَاتٌ ، وَقَتَاتٌ ، وَذَكَرَاتٌ" .

وكذلك تحذف من صفات جمع المذكر السالم نحو الصالحين، والقانتين، فيكتب على هذه الصورة : ”الصلّحين“ و”القُتّين“ وإن لم يكن فيه ألف أخرى حملا على المؤنث .

وقال بعض المغاربة: إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات، والصالحات، فيختار حذف ألف الجمع وإبقاء الأخرى . وثبت في المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة : ”سموت، وصلحت“ وكذلك سياحات، وغَيَّابَات . وإن كان ليس فيه ألف أخرى فليختار إثبات الألف كالمسلمات ، وثبت أيضا في المصحف محذوف الألف على هذه الصورة : مسلمت .

قال: وتحذف أيضا في جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا: كالشاكِرِينَ، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها في كثرة الاستعمال فتكتب على هذه الصورة ”الشكرين، والصدقين، والخسرين، والكافرين، والظلمين“ .

نعم إن خيف اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، آمتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لآلتبس بطلحات جمع طَلْحَةٍ . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارهين، وفارحين . فلو حذفت الألف منه، لآلتبس بجاذرين، وفَرِهين ، وفَرَحين، وهما مختلفان في الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهب به مذهب الزمان، وفعل يدل على المبالغة لاعلى الزمان، .

وكذلك لو كان مضعفا مثل شابات ، والعادين ، فلا يجوز فيه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص في الخط إذ جعلوا الصورة للمُدْغَم والمُدْغَم فيه شكلا واحدا . ولذلك كتبوا في المصحف الضَّالِّين والعادين بالألف . وقد أجرى مجرى المضعّف في الإنبات مابعد ألفه همزة نحو الخائنين . وقد حذفت ألفه في بعض

المصاحف، فكتب على هذه الصورة "الحئين". ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتل اللام مثل دانيات حملا على داني، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات، ومثل الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل . وحمل . اجمع بالألف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات في حذف الألف، وإن كانت العلة فيهما مفقودة . قال ابن قتيبة : وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لا يجوز فيه حذف الألف نحوهم القاضون ، والرامون ، والساعون : لأنهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لما استثقلوا ضمة في الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء، فكهوا أن يحذفوا الألف أيضا لثلاثي يخلوا بالكلمة .

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما اجتمع فيه ألفان مثل آدم، وأزر، وأمن، وأمين، وأتين، وأنفا، ووراك، وقراءة، وبراءة، وشنان، وشبهه، فكتب على هذه الصورة "آدم، وأزر، وآمن، وآمين، وآتين، وآنفا، ووراك، وقراءة، وبراءة، وشنان" فلو أنفتح الأول منهما كما في قرأ الفعل الآتين من القراءة، كتب بألفين على هذه الصورة : (قرأ) ، لثلاثي يتبس بفعل الواحد، إذ المفرد تقول فيه قرأ فكتبه بألف واحدة . وذهب قوم إلى أنه في التثنية يكتب أيضا بألف واحدة مسندا إلى ألف الآتين، وبه قال أحمد بن يحيى . والذي عليه المتأخرون وهو الأجود عند ابن قتيبة ما تقدم .

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما اجتمع فيه ثلاث ألفات ، مثل برأت جمع براءة ، ومسأت جمع مساء ، فكتب بألفين فقط على هذه الصورة : "برأت" و"مسأت" لأنها في الجمع ثلاث ألفات . فلو حذفوا اثنتين، أخلوا بالكلمة .

(ومنها) تحذف من أول الكلمة في الاستفهام في اسم، أو فعل، نحو الله أذن لكم ؟ السحر إن الله سيبيطه ؟ الذكرين حرم أم الأنثيين ؟ أوصفي البنات على البنين ؟

أالرجل في الدار؟ أاسمك زيد أم عمرو؟ فتكتب بألف واحدة على هذه الصورة:
 اللَّهُ؟ أَلَسَّحَرُ؟ أَلَذَّكَرَيْنِ؟ أالرجل؟ أاسمك؟ أآلآن؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحيى، وعليه جرى ابن مالك رحمه الله : أنه لافرق بين
 المكسورة، والمضمومة. والذي ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بالفتحة، إحداهما
 ألف الوصل، والأخرى همزة الاستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وجاز في نحو أالرجل الأمران،
 ورسمت في المصحف بألف واحدة نحو أالذكرين، أآلآن .

(ومنها) تحذف من ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجر، نحو
 عَمَّ تَسْأَلُ؟ وَفِيمَ تُفَكِّرُ؟ وَمِمَّ فَرِقْتَ؟ وَلِمَ تَكَلَّمْتَ؟ وَبِمَ عَلِمْتَ؟ وَحَتَّى تَغْضَبُ؟
 وَعَلَامَ تَدَّأَبُ؟ فتكتب كلها بغير ألف في آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة، ويصير
 حرف الجر كأنه عوض من الألف المحذوفة . وكان الحذف من الاستفهامية دون
 الموصولة لأن آخرها منتهى الاسم، والأطراف محل التغيير بخلاف الموصولة: لأنها
 متوسطة من حيث إنها تحتاج إلى صلة .
 وحكى الكوفيون ثبوتها في الاستفهامية أيضا، والله أعلم .

تذنيب

تحذف الهمزة المصورة بصورة الألف في أربعة مواضع :

الأول - تحذف بعد الباء من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فتكتب بغير ألف على
 هذه الصورة: "بسم". والقياس إثباتها كما تكتب يأياها بالألف لكنها حذفت لكثرة
 الاستعمال، أما في غير بسم الله الرحمن الرحيم، فظاهر كلام ابن مالك أنها لا تحذف،
 فتثبت في بِاسْمِ رَبِّكَ، وفي بِاسْمِ اللَّهِ، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلى لفظ الله تعالى وليس متعلقا بالباء ملفوظا به ، حذفت وإلا فلا ، فتثبت في بآسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفي نحو قولك تبركت بآسم الله : لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جَرَّاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئت أثبت وإن شئت حذفت ، فمن أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ؛ ومن حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم في الأصل ، فحذفت في الاستعمال . فإن أضفت الأسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائي : تحذف ، وقال الفراء : لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كررت معه ، فإذا عدوت ذلك أثبت الألف .

الثاني - تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هي فاء الفعل من وزن الكلمة ، مثل قولك فأت وأت : لأنهم لو أثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين ألفين : إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التي هي فاء الفعل ، مع أن الواو والفاء شديدتا الاتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين ألفين في سائر هجائهم إلا على خلاف في المتطرفة كما مر ، لأن الأطراف محل التغيرات والزيادة ، فلذلك حذفوها في نحو فأذن ، وأتمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿ وَأَمْرُ أَهْلِكَ ﴾ فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو وبين الهمزة التي هي فاء الفعل ثبتت ، نحو آئتو ﴿ أَلَّذِي أَوْثَمِنَ ﴾ . ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي ﴾ وكذلك لو كانت ابتداء والهمزة فاء الفعل ، نحو أُنْذِنَ لِي ، أَوْثَمِنَ فلان ، ثبتت أيضا ، أو ليست فاء ، نحو ثم أضرب ، وأضرب ، فاضرب . وكذلك في ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ ﴾ .

الثالث - تحذف في آبن وآبنة مما وقع فيه آبن مفردا صفة بين علمين ، غير مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنة فلان بغير ألف في آبن وآبنة . ولا فرق في ذلك بين أن يكون العلمان آمنين ، نحو هذا أحمد بن عمر ، أو كئيين ،

نحو هذا أبو بكر بن أبي عبد الله، أو لقين، نحو هذا نبت بن بطة، أو أسما وكنية،
نحو هذا زيد بن أبي قحافة، أو لقبا وأسما، نحو هذا أنف الناقة بن زيد، أو كنية
ولقبا، نحو هذا أبو الحرث بن نبت، أو لقبا وكنية، نحو هذا بدر الدين بن أبي بكر.

فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من ابن ولا تسقط فيما عداها، فلو قلت هذا
زيد أبنيك، وابن أخيك، وابن عمك، ونحو ذلك مما ليس له صيغة بين علمين، أثبت^(١)
فيه الألف. وكذلك إذا كان خبرا كقولك: أظن زيدا ابن عمرو، وكأن بكرا
ابن خالد، وإن زيدا ابن عمرو، فتثبت الألف في الجميع. ومنه في القراءة الكريم:
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ بْنُ اللَّهِ) كتبنا في المصحف
بالألف. فلو شئت الابن، ألحقت فيه الألف صفة كان أو خبرا، فتكتب قال
عبد الله: وزيد أبنا محمد كذا وكذا، وأظن عبد الله وزيدا أبني محمد فعلا كذا بالألف.
وكذلك إذا ذكرت ابنا بغير اسم، فتكتب: جاء ابن عبد الله بالألف أيضا. وحكم
أبنة مؤنثا في جميع ما ذكر حكم الابن، تقول: جاءت هند أبنة قيس، فتحذف الألف.
وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أن يكون مذكرا فلا تسقط من أبنة.

ونقل أحمد بن يحيى عن أصحاب الكسائي: أنه متى كان منسوبا إلى اسم أبيه
أو أمه أو كنية أبيه أو أمه وكان نعتا، حذفوا الألف فلم يُجزه في غير الاسم والكنية
في الأب والأم. قال: وأما الكسائي فقال: إذا أضفت إلى اسم أبيه أو كنية أبيه،
وكانت الكنية معروفةا بها كما يعرف باسمه، جاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات،
والحذف استعمال، فإذا عدى الاستعمال، رُجع إلى الأصل.

وحكى ابن جني عن متأخرى الكتاب: أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية، تقدمت
أو تأخرت. قال: وهو مردود عند العلماء على قياس مذاهبهم.

(١) في الضوء [مما ليس بين علمين] وهي أوضح. [ولعل الأصل مما ليس صفة].

والألف تحذف من الخط في كل موضع يحذف منه التنوين وهو حُذِفَ مع الكُنْى .

الرابع - تحذف من كل مُعَرَّف بالألف واللام إذا دخلت عليه لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، نحو ﴿ وَلَا حِرَّةٌ جَيْرُكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أو لَامُ الْحَرْفِ ، نحو للذَّارِ أَلْفُ سَاكِنٍ غَيْرِكَ ؛ وقياسها الإثبات كما أثبتوها في لَأَبْنُكَ قائم ، ولِأَبْنِكَ مال ؛ وسبب حذفها التباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم : إلى أنها لا تحذف مع لام الإبتداء فوقاً بينها وبين الجازة . ولم يحذفوها من نحو مررت بالرجل والله أعلم .

الحرف الثاني

(اللام ، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف من الذى للزومها ، فكأنها ليست منفصلة ، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفردة في لزوم البناء ، ولفظ الواحد كأنه باق فيه ؛ ولم يحذفوه من المثنى كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا ﴾ فكتبوه بلامين فوقاً بينه وبين الجمع . وإنما آخضت التثنية بالإثبات ، لأنها أسبق من الجمع ، واللبس إنما حصل بالجمع .

(ومنها) تحذف من التثنية للزومها كما تقدم ، ومن تثنيتهما وهى التَّانِ ، وجمعهما : وهى الآتِ لأنهما لا يلبسان ، بخلاف تثنية الذى وحروفه .

وقال أحمد بن يحيى : كتبوا الآتى (التثنية) واللاتى (التثنية) وأسقطوا لاما من أولها وألفا من آخرها . قال : وهذا للاستعمال لأنه يقل في الكلام مثله ، ويدل عليه ما قبله وما بعده ، ولو كتب على لفظه كان أولى .

قال الشيخ أنير الدين أبو حيان رحمه الله: والذي عهدناه من الكتاب أنه لا تحذف الألف لثلاثا يلتبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل واللييلة على أجود الوجهين ، فيكتبان بلام واحدة على هذه الصورة : ” اللَّيْلُ وَاللَّيْلَةُ “ : لأن فيه اتباع المصحف ؛ وأجاز بعضهم كتابته بلامين . قال أبو حيان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من ... (١) ... ونحوه ، مما دخل عليه لام الجر فيكتب بلامين وإن كان في اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمد بن يحيى : يكتب اللطيف بلام واحدة لأنه قد عُرِفَ بحذف ، وهذا بخلاف اللغو ، والأعيب ، والأعبة ، واللاعبين ، واللغو ، واللؤلؤ ، واللآت ، واللهم ، والأهَب واللوامة ، فإنها لا تحذف منها اللام .

قال ابن قتيبة : وكل اسم كان أوله لاماً ثم أدخلت عليه لام التعريف ، كتبت بلامين ، نحو اللهم ، واللبن ، واللحم ، واللجام ، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد اختلفوا في الليل واللييلة لموافقة المصحف كما تقدم .

الحرف الثالث

(النون ، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف مِنْ عَنْ إِذَا وَصَلَتْ بِمَنْ أَوْ يَمَّا ، فتكتب عَمَّنْ وَعَمَّا وَعَمَّ .

(ومنها) تحذف مِنْ مِّنْ الْجَارَةِ إِذَا وَصَلَتْ بِمَنْ أَوْ مَا ، فتكتب مِّنَّ وَمِمَّا .

(ومنها) تحذف مِنْ إِنْ إِذَا وَصَلَتْ بِلَمْ ، فتكتب لِمَّ .

(ومنها) تحذف مِنْ أَنْ الْمَفْتُوحَةِ إِذَا وَصَلَتْ بِلا ، فتكتب أَلَّا .

(١) بياض بالأصل ولعله من اللَّعِبِ ونحوه الخ .

الحرف الرابع

(الواو، وتحذف في مواضع)

(منها) تحذف لأَمِنْ اللبس، مثل ما كتبوا من قوله تعالى: ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾. ﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ بغير واو في يدعو ويمحو، لأن ذكر الداع في الأول، وذكر الله تعالى في الثاني يمنع أن يكون الفاعل جماعة فلا يحصل اللبس، بخلاف قولك لا تضربوا الرجل: فإنه لو حذف لالتبس الجمع فيه بالواحد.

(ومنها) تحذف مما توالى فيه واوان في كلمة واحدة، مثل داوود، وطاووس، ورؤوس، ويستون، ويلون، وأووا إلى الكهف، ويسوا، وتبوؤوا، وجأؤوا، وبأؤوا، وأسأؤوا، ويؤوده، ويؤوس، وفادزؤوا، ومبرؤون، فيكتب باو واحدة. وكتب بعضهم طاووس ونحوه باووين على الأصل، والقياس الاقتصار على واو واحدة كراهة اجتماع المثليين.

وأستغنى ابن عصفور من ذلك موضعاً، وهو أن لا يؤدى إلى اللبس، نحو قول وصؤول على وزن فعول فإنه يلتبس بقول وصول، واختاره أحمد بن يحيى.

(ومنها) تحذف مما توالى فيه ثلاث واوات في كلمتين ككلمة، مثل ليسوءا، وينوءون، فتكتب ليسوءوا، وينوءون، باووين فقط، ويكتب لووا، وأجتووا، وآلثووا، باووين، لأنه لو حذف إحدى الواوين لالتبس الجمع بالمفرد.

ووقع في المصحف كتابة يستون، ويلون، باو واحدة، وذلك لأن في يستون ونحوه أجمع واوان وضمة، فناسب الحذف، وفي لووا رؤوسهم، ونحوه أنفتح ما قبل الواو فناسب الإثبات.

(ومنها) تحذف للجزم كما في قولك لم يَغْدُ فتحذف الواو علامة للجزم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الحرف الخامس

(الياء، وتحذف في مواضع)

- (منها) للجزم كما في قولك : لم يَقْضُ ، فتحذف الياء من آخره علامة للجزم .
- (ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل ، نحو قوله تعالى : ”وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٌ“ بغير ياء في آخرها لمراعاة ما قبله من قوله ”وَالْفَجْرِ“ .
- (ومنها) تحذف فيما توالي فيه ياءان أو ثلاثة ، فَكُتِبَ النَّبِيُّ ، وَخَاسِئٌ ، وَخَاطِئٌ ، وإِسْرَائِيلَ ، وما أشبه ذلك بياءين فقط ، وإن كان في اللفظ ثلاث ياءات .
- (ومنها) تحذف لأمن اللبس ، فَكُتِبَ قَارِئِينَ جمع قارئ بياء واحدة ، فرقا بينها وبين قَارِئِينَ تثنية قارئ فإنها تكتب بياءين .
- (ومنها) تحذف مدّة ضمير الغائب مثل قولك : ضربه ، فكتبه بغير واو ، وإن كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفته ووقفت على الهاء ساكنة ، وكذلك مدّة ضمير الغائبين ، مثل قولك : ضربهم في لغة من وصل الميم ، وكذلك حذفوها إذا وليت الكاف ، نحو ضربكم زيد ولكم في لغة من وصل الميم بواو وبياء ، لأنه إذا وقف حذف الصلة والله أعلم .

النوع الثالث

(ما يُغَيَّرُ بالبدل)

والحروف التي يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف ، والواو ، والياء ، والألف والياء أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف في ثلاثة محال :

(١) لعل في العبارة سقطا والأصل فيكتب بياء فقط وإن كان في اللفظ يامين وبيامين فقط وإن كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

المحل الأول

(الاسم، وهو ثلاثة أحوال)

الحال الأول - أن تكون الألف فيه رابعة فصاعداً، نحو المِعْزَى، والمُسْتَدْعَى، والحَبْلَى، والمرَضَى، والملْهَى، والمدْعَى، والمُسْتَرَى، ومِثْلَى، ومَثْنَى، وكذلك أَعْمَى، وأَعْشَى، وأَظْمَى، وأَقْنَى، وأَذْنَى، وأَعْلَى، ومُعَاْفَى، ومُنَادَى، وما أشبه ذلك، فتكتب الألف في جميع ذلك ياءً سواء كان منقلبا عن واو أو منقلبا عن ياء، لأنك إذا شئت شئت بالياء، ومن ثم كتبت ياويلتى، وياحسرتى، ويا أسفى، بالياء إشعاراً بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياءً، إلا فيما قبلها ياء نحو الدنيا، والعُلْيَا، والقُصْيا، وهُدْيَا، وَمَعْيَا، وَمَحْيَا، وعام حياً ورؤيَا، وسُقْيَا، فإنك لا تكتب الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان في الخط. نعم يغتفر ذلك في نحو يحيى ورَيْثُ عَمَيْن: للفرق بين يحيى علما وبينه فعلا وبين رَيْثُ علما وبينه وصفا، وكان البدل في العلم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفة أثقل.

قال ابن قتيبة: وأحسبهم أتبعوا في يحيى رسم المصحف.

فلو كان مهموزاً، نحو مستقراً ومستتبناً، أو قبل آخره ياء نحو خطايا، وزوايا، ورَكَايَا، والْحَوَايَا، والحيا، وما أشبهه كتب بالألف.

الحال الثاني - أن تكون الألف فيه ثالثة، فإن كانت مبدلة عن ياء، نحو قَتَى، ورَحَى، وسَوَى، والهُدَى، والمدَى للغاية، والهوى لهوى النفس، ونَدَى الأرض، ونَدَى الجود، وحَنَى الدابة، والكرى النوم، والقَذَى، والأَذَى، والنجى: خُشُّ القول، والضنى: المرض، والرَدَى: الهلاك، والطوى: الجوع، والأَسَى: الحزن، والعَمَى: في القلب والعين، والنجى: جنى الثمرة، والصدى: العطش، والشرى: في الجسد، والضوى:

(١) كذا في الضو. أيضا وليس مما نحن فيه.

الهْزَال، والثَّرَى : التراب النَّدِيّ، والجَوَى : داء في الجوف، والسَّرَى : [سَيْر] الليل، والسَّلَى : سَلَى الناقة، وَمَنَى : المكان المعروف، والمدَى^(١) الغاية، والصَّدَى أَسْم طائر يقال إنه ذكر البوم، والنَّسَى : عرق في الفِخْذِ، وطَوَى : وَادٍ، والوَغَى : الحرب، والوَحَى : العَجَلُ، والورَى : الخَلْقُ، والذَّرَى : الناحية وأنا في ذَرَى فلان، والمعَى واحد الأمعاء، والحِجَى والنَّهَى العقل، والحَشَى واحد الأحشاء، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت منقلبة عن واو، نحو عصا، ومَنَا للقدْر، ورجًا لجانب البئر، والقَنَا في الأنف، والرَّمَا والقرَا للظهر، والعَشَا في العين، والقَفَا: قَفَا الإنسان، والصَّغَا : مِيلُكَ للرجل، ووطَا جمع وطاة، و[لُهَا جمع] لهاة، والقَلَا جمع فلاة، كتب بالألف .
وتفتقر الواو من الياء فيه بطرق أقربها التثنية تقول في الأول فتيان، ورحيان، وسويان .

قال ابن قتيبة: فلو ورد عليك اسم قد دُثِّي بالواو والياء عَمِلْتَ على الأكثر الأعم .
وذلك نحو رَحَى، فإن من العرب من يقول رحوت الرِّحَاء، ومنهم من يقول رَحِيت، قال: وكتبها بالياء أحبُّ إلى لأنها اللغة العالية .

وكذلك الرِّضَا من العرب من يقول في تثنيته رضيان، ومنهم من يقول رضوان، قال: وكتبته بالألف أحبُّ إلى : لأن الواو فيه أكثر، وهو من الرضوان . وكذلك الحكم في متى، لأنها لو سُمِّي بها وُثِّي، لقلت متيان، فيعلم أنه من ذوات الياء . وتقول في الثاني : عَصَوَان ومَتَوَان ورجَوَان، فيعلم أنه من ذوات الواو . فإذا أشكل عليك شيء فلم تعلم أهو من ذوات الواو [أو من ذوات الياء]؟^(٢) نحو خَسَا بالخاء المعجمة والسين المهملة، كتبته بالألف لأنه هو الأصل .

(١) تقدم فهو مكرر . (٢) الزيادة عن ضوء الصبح .

ومنهم من يكتب الباب كله بالألف على الأصل وهو أسهل للكتاب . وعلى تقدير كتبها بالياء فلو كان متونا فاختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا ، وهو قياس المبرر وقياس المازنى أن يكتب بألف إذ هي ألف التنوين عنده في جميع الأحوال .
وقاس سيويوه المنصوب بالألف لأنه للتنوين فقط .^(١)

قال ابن قتيبة : وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث ، فما كان في المؤنث بالياء كتبت بالياء ، نحو العمى ، والظمى ، لأنك تقول عمياء وظمياء ، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبت بالألف ، نحو العشا في العين ، والعنا وهو كثرة شعر الوجه ، والقفا في الأنف ، لأنك تقول عشاء ، وقنواء ، وعثواء .

قال : وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحد في الهجاء إلا الهاء من المقصور ، نحو الحصى ، والقطا ، والنوى ، فما كان جمعه بالواو كتبت بالألف ، وما كان جمعه بالياء كتبت بالياء .

وكتبت لدى بالياء لأنقلابها ياء في لديك .

وأما كلاً ، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف ، لأن ألفه عن واو . ومن زعم أنها عن ياء كالمعى ، كتبت بالياء . وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ على مذهبهم لأن الألف عندهم للتثنية ، وألف التثنية لا يجوز أن تكتب ياء لثلاثا . يلبس المرفوع بغيره . وقياس كلنا عند البصريين أن تكتب ياء ، وشذ كاتبها بالألف .

قال ابن قتيبة : والذي أستحبه أن تكتب كلاً وكلنا في حال الرفع بالألف ، وفي حالتى الجر والنصب بالياء . فإذا قلت : أتانى كلاً الرجلين أو كلنا المرأتين ، كتبت بالألف . وإذا قلت : رأيت كلى الرجلين أو كلتى المرأتين كتبت بالياء ، لأن العرب قد فرقت بينهما في اللفظ فقالوا : رأيت الرجلين كليهما ، ومررت بالرجلين كليهما ، ومررت بالمرأتين كلتيهما . وقالوا : جاءنى الرجلان كلاهما ، والمرأتان كلتاها .

(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ . (٢) أى مع المكى كاهى عبارة ابن قتيبة .

وتترى إن لم تتون، فألفها للتأنيث وإن تونت فهي للإلحاق، وقياسها أن تكتب بالياء . ومن زعم أنه فعل، فألفه بدل التنوين كألف صبرا، فهو قياسه .
ووقع في كلام ابن البادس أن تترى في الخط بياء، وهو خلاف المعروف .

تنبيه

لو اتصل الأسم الذي يكتب بالياء بضمير متصل، نحو رَحَاكَ، وَقَفَاكَ، وَمَلْهَاكَ، وَمَرَعَاكَ، ففيل يكتب بالياء كحال عدم اتصالها، فيكتب على هذه الصورة: رَحِيكَ، وَقْفِيكَ، وَمَلْهِيكَ، وَمَرَعِيكَ .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : واختيار أصحابنا فيه بالألف إذا اتصل به ضمير خفض أو ضمير نصب، سواء كان ثلاثيا أم أزيدا، إلا إحدى خاصة فإنها تكتب بالياء حال اتصالها بضمير الخفض، ونحو من إحداهما كحالتها دون الاتصال، واختلفوا إذا اتصلت بتاء تأنيث تنقلب هاء في الوقف، فذهب البصريون إلى كتابتها ألفا، نحو الحصاة، واختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصية .

الحال الثالث - أن تكون الألف فيه ثانية، ونحو ما إذا كانا آسمين، فيكتب بالألف على صورة النطق به .

المحل الثاني

(الفعل، وله حالات)

الحال الأول - أن تكون الألف فيه رابعة فصاعداً، نحو أعطى، وأستعلى، وتداعى، وتعادى، وأستدنى، وما أشبهه فتكتبه كله بالياء إلا أن يكون مهموزا، نحو أخطأ، وأنبأ، وتخطأ، وأستنبأ، فإنه يكتب بالألف . وكذلك إذا كان قبل آخره ياءً، نحو أستحيا، وتحيأ، وأعيأ، وتعأيا، وأستعيا، وما أشبهه فإنك تكتبه بالألف .

ووقع في بعض المصاحف ﴿نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ بالألف في آخر نحشى ، وفي بعض المصاحف بالياء .

الحال الثاني - أن تكون الألف ثالثة ، فترده إلى نفسك ، فإن ظهرت فيه الواو فأكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، ومحا ، وغزا ، وسلا ، وعلا من العلو ، لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، ومحوْتُ ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذ زكى ، فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكى يزكو ، إلا أن العرب يُميلون الأفعال ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فأكتبه بالياء ، نحو قولك : قضى ، ومشى ، وسعى ، وعسى ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ، ويجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيه

لو اتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقبل يكتب على حاله بالياء ، فيكتب على هذه الصورة : رميه ، وجزاه ، ورعاه ، والصحيح كتابته بالألف . قال ابن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله ، وكتبته كله بالياء ، فتكتب أغزى فلان فلانا ، وأدنى فلان فلانا ، وألهى فلان فلانا بالياء . وهو من غزوت ، ودنوت ، وهوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدנית ، وألهيت . وكذلك تكتب يُغزى ، ويُدنى ، ويُلهى ، على البناء لما لم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول في تثنيته : يُغزيان ، ويُدنيان ، ويُدعيان .

الحل الثالث

(بعض الحروف)

وأعلم أن الحرف الذى فى آخره ألف فى اللفظ إنما يكتب ألفاً على صورة لفظه ، نحو ما ، ولا ، وألا ، وما أشبهها ، وأستثنوا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها - بلى، قال بعض النحاة لإمالتها: وقال سيديويه: لأنه إذا سبى بها وثنيت قبل بَلَّانٍ كما يقال في متى مَتَّانٍ .

الثانية - إلى، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء في قولهم إليك .

الثالثة - على، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا في قولهم عليك .

قال ابن قتيبة: وكان القياس فيها وفي إلى أن تكتب بالالف لعدم جواز الإمالة فيها .

الرابعة - حتى، وكتبت بالياء حملا على إلى لكونهما بمعنى الانتهاء والغاية، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكما .

تنبيه

لو وليت ما الاستفهامية حتى، أو إلى، أو على، كُتِبَ بالالف على هذه الصورة: حَتَّام، وإلام، وعلَّام، لأنها شديدة الاتصال بما الاستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه، فكأن الألف وقعت وسطا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا اتصل بضمير خفض أو ضمير نصب، فإنه يكتب بالالف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله: فإن وُصِلَ في حَتَّامٍ وإلى الهاء الحائِرة، فلك أن تجريها على الاتصال ولا تَعْتَدَّ بها، ولك أن تعتدَّ بها وترجع الألف في حتى، وإلى، وعلى، إلى أصلها، فتكتب بالياء يعني على هذه الصورة حتى مه، وإلى مه، وعلى مه .

(فائدة)

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للجاورة كما في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ فإن الضُّحَىٰ ونحوه قياسية عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو، ولكنه كتب بالياء لمجاورة سجي، وسجي وإن كان من ذوات الواو أيضا، كتب بالياء لمجاورة قلى الذى هو من ذوات الياء، فسجى مجاور، والضحى مجاور المجاور .

وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضع من رسم المصحف الكريم : وهى الصلاة، والزكاة، والحياة، والنجاة، ومِسْكَاة، وَمَنَاء، فتكتب على هذه الصورة : الصلوة، والزكوة، والحيو، والنجوة، ومِنُوة، ومِسْكُوة . فمنهم من كتبها كذلك فى غير المصحف أيضا أتباعا للسلف فى ذلك، ومنهم من كتبها بالألف وهو القياس، ووجه بأن رسم المصحف متبع فى القراءة خاصة . ولا يكتب شئ من نظائر ذلك إلا بالألف . كالقناة، والقطاة، أقتصارا على ما ورد به الرسم السلفى .

قال ابن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو على لغات الأعراب، وكانوا يميلون فى اللفظ بها إلى الواو شيئا . وقيل بل كتبت على الأصل، إذ الأصل فيها واو، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات، وزكوات، وحيوات، وإنما قلبت أَلِفًا، لما أُنْفَتِحَتْ وأُنْفَتِحَ ما قبلها .

قال : ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة : أى الصلاة، والزكاة، والحياة، لكان من أحب الأشياء إلى أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا بين العوض والعوض منه، فكتبوه بواو وألف بعدها على هذه الصورة : الربوا . وفى بعض المصاحف ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا﴾ بألف بغير واو، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبيه

لو اتصل بشئ مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلاتهم، وزكاتهم، وحياتك، ونجاته، ومِسْكَاة، ورباه، كتبت بالألف دون الياء، والله أعلم .

القسم الثاني

(ما ليس له صورة تخصه)

وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة، ولها ثلاثة أحوال .

الحال الأول

(أن تكون في أول الكلمة)

فنكتب ألفا بأي حركة تحركت : من فتحة، مثل أحمد، وأيوب، وأحد، أو ضمة : نحو أخذ، وأكرم، وأوحى، وأولئك، أو كسرة : نحو إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وإئيد، وإيل، وإذ، وإذا، وإلى، وإلا، وإما، سواء في ذلك همزة القطع مثل أكرم، وهمزة الوصل مثل آتخذ، والهمزة الأصلية مثل أمرئ، والهمزة الزائدة مثل إشاح . وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقرّبها من الساكن، والساكن لا يقع أولا، فجعلت لذلك على صورة واحدة . واختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزة في المخرج، وفارقت أختيها في الحقيقة، ولا فرق في ذلك بين أن تكون الهمزة مبدأة كما في الصور المذكورة، أو تقدمها لفظ آخر، نحو ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ وفَيْئِي، وأفأنت، وبأنه، وكأنه، وكأين، وبإيمان، وإيلاف، وإليامام، وسأترك، ولأقطعن، ومررت بأحمد، وجئت لأكرمك، وأكتحلّت بالإئيد، إلا فيما شدد من ذلك، نحو هؤلاء، وأبنؤم، ولئن، ولئلا، ويومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أولا، لكنهم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وأبنؤم بالواو، وإن كانت في الحقيقة مبدأة . دليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن أسم الإشارة . وكذلك ابن أسم أضيف إلى الأم، لكنهم شبهوها بهمزة لؤم، فكتبوها بالواو، وراعوا في ذلك كثرة لزوم

هاء الإشارة، وعدم انفكك أبثوم الواقع في القرآن، فكأنها صارت همزة متوسطة .
 وكتبوا همزة لئن ، ولئلا ، وحيئنذ ، ويومئذ ، وما أشبهها ياء وإن كانت أول كلمة
 وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لئن ، فلأن أصلها لئن بلام ألف ونون . وأما
 لئلاً ، فلأن أصلها لئاً ، بلام ألف ونون منفصلة من لا ، بدليل أنهم إذا لم يحيثوا
 بعدها بلا ، كتبوها لئاً ، نحو جئت لأن تقرأ ، لكنهم جعلوا اللام مع أن كالشيء
 الواحد . وكذلك حينئذ ، ويومئذ ، فإن الأصل أن يفصل الظرف المضاف للجمله
 التي بقى منها إذ المنونة توين العوض وأن يكتب بالألف ، لكن جعل الظرف مع
 إذ كالشيء الواحد ، فوصل بإذ ، وجعلت صورة الألف ياء كما جعلوها في يئس .
 وكذلك الحكم في كل ظرف أضيف إلى ما ذكر ، سواء المفرد : كالأمثلة المذكورة ،
 والجمع نحو أزمانئذ . وسيأتى الكلام على ما يتعلق من ذلك في الفصل والوصل
 إن شاء الله تعالى .

الحال الثاني

(أن تكون متوسطة ، ولها حالتان)

الأولى - أن تكون ساكنة ، فلا يكون ما قبلها إلا متحركاً وتكتب بحركة
 ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحاً ، كتبت ألفاً نحو رأس ، وكأس ، وبأس ، ويأس ،
 وضأن ، وشأن ، ودأب ، وتأمر ، وتأكل . وإن كان ما قبلها مضموماً ، كتبت واواً ،
 نحو مؤمن ، وتؤمن ، وتؤوى ، وتؤتى ، ومؤتى ، ويؤفك ، وما أشبهها . وإن كان ما قبلها
 مكسوراً ، كتبت ياء ، نحو بر ، وذئب ، وبئس ، وأنبيهم ، ونبتنا ، وجئت ، وجئنا ،
 وشئت ، وشئنا ، ولمئت ، وما أشبهها .

الثانية - أن تكون الهمزة متحركة ، والنظر فيها باعتبارين .

الاعتبار الأول - أن يكون ما قبلها ساكناً، وحينئذ فلا يخلو : إما أن يكون حرفاً من حروف العلة (وهي الألف والواو والياء) أو حرفاً صحيحاً . فإن كان الساكن الذي قبلها حرفَ علة نُظِرَ : إن كان حرف العلة ألفاً، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صورة نحو ساءل ، وأبناءكم ، وأبناءكم ، ونساءكم ، ونساءكم ، وجاءكم ، وجاءكم ، (وساءل ، فأعل من السؤال) وما أشبهه . وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو، نحو التَّسْأَلُ ، وأباؤكم ، وأبناؤكم ، وأولياؤكم ، وبآبائنا، وشبه ذلك ؛ وإن كان حرف العلة واواً أو ياءً : فإما أن تكونا زائدين للذَّ، أو تكون الياء للتصغير أو أصليتين أو ملحقتين بالأصل . فإن كانتا زائدين للذَّ نحو خطيئة، ومقروءة، وهنيئاً، مريئاً، أو ياء تصغير نحو أقيس تصغير أقيس جمع فاس، فلا صورة للهمزة . وإن كانتا أصليتين نحو سوءة، وهيئة، أو ملحقتين بالأصل نحو جيئل (وهو الضبع)، وحوَّبة (وهو الدلو العظيم)، والحوَّبُ (أسم موضع)، والسَّمَوَلُ (أسم رجل) ، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها فتقول : سَوَّة، وهية، وجيل، وحوبة، وحب وسمول . ولا صورة للهمزة حينئذ في تحقيقها ولا في حذفها . وإن كان الساكن الذي قبلها حرفاً صحيحاً، نحو المرأة، والكمأة، ويسام، ويسام، ويلؤم ونحو ذلك، فتنتقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وتحذف الهمزة . والأحسن الأقيس أن لا تثبت لها صورة في الخط لافي التحقيق ولا في الحذف والنقل .

ومنهم من يجعل صورتها الألف على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة: المرأة والكمأة، ويسام، ويسام، ويلأم، وهو أقل استعمالاً . وقد كتب منه حرف في القرآن بالألف، وهو قوله تعالى : ” يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ “ .

(١) كذا في الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر .

ومنه من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكمة، ويسام، بالألف، ويكتب يسيم بالياء، ويكتب يلوم بالواو. وأستثنى بعضهم من ذلك ما إذا كان بعدها حرف علة، نحو سؤل، ومشؤم، فلم يجعل لها صورة أصلا، وإذا كان مثل رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها. وكذلك الموعودة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ على ما كتبت في المصحف بواو واحدة لا يجعل لها صورة.

الاعتبار الثاني - أن يكون ما قبلها متحركاً فينظر: إن كانت مفتوحة مفتوحاً ما قبلها، كتبت ألفاً نحو سأل، ورأيت، وأرأوك، وبدأكم، وأنشأكم، وقرأه، وليقرأه، وشبه ذلك. إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها، نحو مآل ومآب. وذهب بعضهم إلى أنها تصوّر ألفاً فتكتب بالعين. وإن كانت مفتوحة مكسوراً ما قبلها نحو خاطئة، وناشئة وليبطئن، وموطئاً، وخاسئاً، وينشئكم، وشانئك، صوّرت بجانس ما قبلها (وهو الكسرة) فتصوّر ياء. وإن كانت مفتوحة، مضموماً ما قبلها نحو الفؤاد، والسؤال، ويؤده إليك، ويؤلف، ومؤجلاً، ومؤذن، وهزواً، وشبهه، صوّرتها بجانس ما قبلها. وإن كانت مضمومة، مضموماً ما قبلها، نحو نؤم، كصبر جمع صبور، أو مضمومة، مفتوحاً ما قبلها نحو لؤم، كتبت بالواو في الحالتين، إلا إن كان بعدها في الصورتين واو، نحو رءوس، ونؤم، وإن كانت مضمومة، مكسوراً ما قبلها نحو يستهزون، وأنيثكم، ولا يئبئك، وسنقرئك، كتبت بواو على مذهب سيديويه، وياء وواو بعدها على مذهب الأخفش.^(٢)

(١) أي فلا صورة لها. (٢) هذا خاص بنحو يستهزون ويقرهون.

الحال الثالث

(أن تكون الهمزة آخرًا، ولها حالتان أيضا)

الأولى

(أن يكون ما قبلها ساكنًا، والنظر فيها باعتبارين)

الاعتبار الأول - أن يكون ما قبلها صحيحًا، فتحذف الهمزة وتلقى حركتها على ما قبلها ولا صورة لها في الخط، نحو جزء، وخبء، ودفع، والمراء، وملء. سواء في ذلك حالة الرفع والنصب والجر. وقيل: إن كان ما قبل الساكن مفتوحًا، فلا صورة لها. وإن كان مضمومًا، فصورتها الواو، وإن كان مكسورًا، فصورتها الياء مطلقًا. وقيل: إن كان مضمومًا أو مكسورًا فعلى حسب حركة الهمزة، فيكتب الجزء، والدفع، بالواو في الرفع وبالألف في النصب وبالياء في الجر. وإن كان شيء من ذلك منصوبًا متونًا فيكتب بألف واحدة، هي البدل من التنوين. وقيل: يكتب بألفين، إحداهما صورة الهمزة، والأخرى صورة البدل من التنوين.

الاعتبار الثاني - أن يكون ما قبلها معتلًا، فينظر: إن كان حرف العلة زائدًا للمد، فلا صورة لها نحو نبيء، ووضوء، وسماء، والسوء، والمسئء، وقترء، وشاء، ويشاء، والماء، وجاء، إلا إن كان متونًا منصوبًا فيكتبه البصريون بألفين، والكوفيون وبعض البصريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفًا نحو سماء: الألف الواحدة حرف العلة، والأخرى البدل من التنوين. فإن اتصل ما قبله ألف بضمير مخاطب أو غائب، فتصوّر الهمزة واوا رفعًا، نحو هذا سماءك، وياء جرًا نحو نظرت إلى سماءك، وألفا واحدة هي ألف المد نصبًا، نحو رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

(١) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها مدزائد ولعله مصحف وأصله [وبناء ونساء والمساء وخباء الخ]. فليحذر.

العلة ياء أو واو نحو رأيت وضوءاً، فيكتب بألف واحدة. وإن كان حرف العلة غير زائد للذ، فلا صورة للهمزة في الخط .

الحالة الثانية

(أن يكون ما قبل الهمزة متحركاً)

فكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها . فإن كانت الحركة فتحة ، رسمت ألفاً ، نحو بَدَأَ ، وَأَنْشَأَ "وَمِنْ سَبِيحٍ نَبِيًّا" وَالْمَلَأَ ، وَيُسْتَهْزَأُ ، على البناء للفعول ، وَيُنْشَأُ كذلك ، ورأيت أَمْراً وما أشبهه . وإن كانت كسرة رسمت ياء ، نحو قُرِئَ ، وَأُسْتَهْزِئَ ، ولكل أمرئٍ ، ومن شَاطِئٍ ، وَيُسْتَهْزِئُ ، على البناء للفاعل ، وبرئ ومررت بأمرئٍ . وإن كانت ضمة ، رسمت واوا ، نحو أَسْرَأُ ، وَاللُّؤْلُؤُ ، وما أشبه ذلك ، إلا في مثل النبا إذا كان منصوباً متوناً فقليل : يكتب بألفين نحو سمعت نبأً ، وقيل : بواحدة وهو الأولى . وإن اتصل بها ضمير ، فعلى حسب الحركة قبلها كالحال إذا لم يتصل بها ضمير . وقيل : إن كان ما قبلها مفتوحاً ، فبألف نحو لن يقرأ ، إلا أن تكون هي مضمومة فبواو ، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو ، وبالياء إن قلنا بإبدالها ياء ، وقيل إن أنضم ما قبلها أو أنكسر ، فكما قبل الاتصال بالضمير ، فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها . وإن أنفتح ما قبلها وأنفتح ، فبالألف نحو لن يقرأ ، وكذلك إذا أنفتح ما قبلها وسكنت نحو لم يقرأ ، ولم يُنبأ ، وأقرأ ، وإن نشأ وما أشبهه . وإن أنفتح ما قبلها وأنضمت ، فبالواو نحو يقرأ . وقيل بالواو والألف كما كتبوا في المصحف (قُلْ مَا يَعْبَوْنَ) و (نَبَأُ الْخَصْمِ) و (يَدْعُوا الْخَلْقَ) (أَوَمَنْ يُنَشِّئُ) بواو وألف في الجميع . أو أنكسرت ، فبالياء نحو من المقرئ ، وقيل بها وبألف كما كتبوا في المصحف (مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ) بألف وياء .

تنبيه

قد تقدّم في الحذف أن همزة الوصل تحذف في بعض مواضع وتثبت فيماعداهـا .
 فحيث ثبتت ، كتبت بحسب حالها إذا ابتدئ بها . فإن كانت يبتدأ بها مضمومة ،
 كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منها ، نحو أوْثَمَنَ فلان ، وقلت لك
 أوامر فلانا بكذا ؛ وإن كانت يبتدأ بها مكسورة ، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة
 أو ياء مبدلة منها ، نحو آذَنَ لي يازيد ، آتِ القوم ، آتِ عليهم كذلك وإن كان
 النطق بها واوا بضم ما قبلها نحو ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ آذَنَ لِي ﴾ تكتبه ياءً على الهمزة
 في الابتداء بها ؛ ويستثنى فاء إِفْعَلْ من نحو يَوْجَلْ مثل يَوْسَنَ فإنها تكتب واوا
 بعد الواو والفاء كما في قولك فأوجَلْ ، وأوجَلْ . يكتبان بإثبات ألف الوصل ، والواو
 بعدها ولم يكتبوها على ابتداء الهمزة . أما بعد غير الواو والفاء ، فإنها تكتب بحسب
 الابتداء بها نحو قلت لها آيِجلى ، أو ثم آيِجلى ، وقلت لكم آيِجلوا ، فانك تلفظ به واوا
 وتكتبه ياء للانفصال ؛ وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظا وخطا ، نحو قلت لَكَ
 آيِجلى ، وكذلك إذا ابتدئ بهمزة الوصل نحو آيِجلى ياهند .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتْ هَمْزَةٌ اسْتِفْهَامٌ وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ قَطَعَ صَوْرَتُ هَمْزَةِ الْقَطْعِ بَعْدَهَا
 بِجَانِسِ حَرَكَتِهَا . فَإِنْ كَانَتْ الْحَرَكَةُ فَتْحَةً كَتَبْتُ أَلْفًا ، نَحْوَ أَسْجَدَ . وَإِنْ كَانَتْ الْحَرَكَةُ
 ضَمًّا كَتَبْتُ وَآوَا نَحْوَ أُؤْزِلُ . وَإِنْ كَانَتْ الْحَرَكَةُ كَسْرَةً كَتَبْتُ يَاءَ نَحْوَ أُتْنِكَ
 لِأَنَّهَا إِذَا خَفَّفَتْ بِالْبَدَلِ كَانَ إِبْدَالُ الْمَفْتُوحَةِ أَلْفًا ، وَإِبْدَالُ الْمَضْمُومَةِ وَآوَا ، وَإِبْدَالُ
 الْمَكْسُورَةِ يَاءَ . وَقَدْ تَحْذِفُ الْمَفْتُوحَةُ خَطَا فَتَكْتُبُ بِأَلْفٍ وَاحِدَةٍ ، نَحْوَ أَسْجَدَ كَمَا
 فِي رِسْمِ الْمَصْحُفِ .

وَأَخْتَلَفَ فِي السَّاقِطَةِ مِنَ الْهَمْزَتَيْنِ وَالْحَالَةِ هَذِهِ : فَقِيلَ الثَّانِيَّةُ ، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ
 أَبُو بِيحْيَى : وَقِيلَ الْأُولَى وَهُوَ قَوْلُ الْكَسَائِيِّ .

فلو كانت ثلاث ألفات في اللفظ نحو قوله تعالى : (أَلِهْتُنَا خَيْرٌ) فقال أحمد ابن يحيى : تكتب بواحدة .

وآختلف في الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وآبن كيسان إلى أنها الاستفهامية لأنها حرف معنى . وحكى الفراء عن الكسائي : أنها الأصلية وحكاها آبن السيد عن غير الكسائي وحكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا نحو قوله أَلَا إِنَّكَ ، لأن الألف هي الأصل ، والهمزة حرف زائد لمعنى كالواو والفاء فلا يعتد به ، لكنه قليل ، والله أعلم .

الجملة الثانية

(في حالة التركيب والفصل والوصل)

وَأعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ، لأن كل كلمة تدل على معنى غير معنى الكلمة الأخرى ، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبر عنهما يكون متميزا . وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزا بفصله عن غيره . ويستثنى من ذلك مواضع كتبت على خلاف الأصل .

(منها) أن تكون الكلمتان كشيء واحد ، وذلك في أربعة مواضع .

الموضع الأول - أن تكون الكلمتان قد رُكبتا تركيب مزج ، مثل بعلبك : ليدل على أن التركيب الذى يعتبر فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج ، وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيب إسناد نحو زيد قائم ، أو تركيب إضافة نحو غلام زيد ، أو تركيب بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين نحو خمسة عشر ، وصباح مساء ، وبين بين ، وحيص بيص ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخط فيه كلمة بأخرى .

الموضع الثانى - أن تكون إحدى الكلمتين لا يتبدأ بها فى اللفظ ، نحو الضمائر البارزة المتصلة ، ونون التوكيد ، وعلامة التأنيث والتثنية والجمع فى لغة أكلونى البراغيث ، وغير ذلك مما لا يمكن أن يتبدأ به ، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين .

الموضع الثالث - أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها ، وذلك ما كان نحو باء الجز ، وفاء العطف ، ولام التأكيذ ، وفاء الجزاء ، فإن هذه الحروف لا يوقف عليها ، فلما أمتزجت فى اللفظ أمتزجت فى الخط فتكتب متصلة وإن كانت فى الحقيقة كلمتين .

الموضع الرابع - أن تكون الكلمة مع الأخرى كشيء واحد فى حال ما فاستصحب لها الاتصال غالبا : مثل بعلبك ، إذا أعرب إعراب المضاف والمضاف إليه ، فإن هذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدى الكلمتين من الأخرى ، لأن الإعراب قد فصلهما . أما إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا ، لأن اللفظ الثانى منتهى الاسم ، فهو مفرد فى المعنى وفى اللفظ .

وكتبوا لثلاً مهموزةً وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأن إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا ، إلا أن الناس آتبعوا رسم المصحف ، وكذلك لئن فعلت كذا تكتبه بالياء آتباعا للمصحف ، وإن كان القياس أن يكتب بالألف . وسيأتى الكلام على وصل لا بيان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) توصل من الجارزة وهى المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدم فى موضعين :

الموضع الأول - توصل بين المفتوحة الميم مطلقا ، سواء كانت موصولة نحو أخذت الدرهم ممن أخذته منه ، أو موصوفة كما فى المثال المذكور فإنها فيه تحتل

المعنيين جميعا، أو استفهامية نحو مَن أنت؟ أو شرطية نحو مَن تأخذُ درهمًا أخذُ منه، وإنما وصلت بها لأجل اشتباههما خطأ إذ لو كتبنا مَن لكانتا مشتبهتين في الصورة فأدغمت نون مَن في ميم مَن ونزلت منزلة المدغم في الكلمة الواحدة، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كتبه متصلا، وقد تقدّم الكلام على ذلك في الحذف. هذا هو المشهور الراجح.

وقال الأستاذ بن عصفور: إن كانت مَن استفهامية، كتبت مفصولة على قياس ماهو من المدغمات على حرفين.

الموضع الثاني - توصل بعد حذف النون أيضا بما، إذا كانت موصولة نحو عجبتُ مما عجبتَ منه، أو استفهامية نحو مِمَّ هذا الثوب؟ أو زائدة كما في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ أَغْرُقُوا﴾. أما إذا كانت شرطية نحو مَن مات أخذ أخذُ، أو موصوفة نحو أكلتُ من ما أكلتَ منه، فإن القياس يقتضى أن تكون مفصولة.

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور: إذا كانت ما غير استفهامية، كتبت مَن معها، وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا في حالة الاستفهام فقط، وتكتب منفصلة فيما عداها.

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله: والأول أصح لأن علة الوصل في مَن مفقودة في مما، وهي التباس اللفظين خطأ.

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم، في موضعين. - الموضع الأول - توصل بِنَ الموصولة غالبا، نحو رَوَيْتُ عَنْ رَوَيْتَ عَنْهُ، ويجوز فصلها، فتفصل عن مَن مَن وتثبت النون في عن، وأما مَن غير الموصولة، فالقياس فصلها، فتكتب في الاستفهام عن مَن تسأل؟ وفي الشرط، عن مَن ترض أرض عنه، فتفصل عن مَن مَن على ما مر.

وزعم ابن قتيبة أن عن من تكتب موصولة بكل حال ، سواء الموصولة وغيرها كما تكتب عم وعمما موصولة من أجل الإدغام . وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام في ذلك لأنهما كلمتان إلا في نحو عمما قليل لزيادتها .

الموضع الثاني - توصل بما الاستفهامية ، كما في قوله تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ وتحذف الألف من ما على ما تقدم في الحذف .

(ومنها) توصل مع بما إذا كانت زائدة ، وتقطع إذا كانت موصولة ، قاله ابن قتيبة .

(ومنها) توصل في بمن في موضعين :

الموضع الأول - توصل بمن الاستفهامية دائما نحو قولك : فيمن تفكر ؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت النون من عن ومن ، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثاني - توصل بما إذا كانت موصولة في الغالب نحو فكرت فيما فكرت فيه ، ولا تسقط الياء على ما مر . ويجوز في هذه الحالة فصلها ، ففصل "في" عن "وما" . وتكتب على هذه الصورة "في ما" . وكذلك توصل بما إذا كانت استفهامية نحو قوله تعالى : ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ ولا تحذف ياءها كما تقدم .

أما مع إذا اتصلت بما أو بمن ، فإنها تكتب منفصلة . قاله ابن قتيبة .

قال بعض النحاة : أظن سبب ذلك قلة الاستعمال ، وإلا فما الفرق بين مع وبين في . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما في الاسمية ، فإن في لا تكون إلا حرفا ، ومع إن تحركت كانت أسما ؛ وإن سكنت ، بخلاف والأصح الاسمية ، وأيضا فإنها تنفصل مما بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصب للاسم ، الروافع للخبير ، إذا دخلت على ما الزائدة نحو إنما وكأنا وليتا . فنكتب إنَّ وكانَّ وليتَ متصلات بما ، نحو إنما فعلت كذا ، وإنما كلمت أخاك ، وإنما أنا أخوك ، وكأنا وجهه قر ، وليتا هذا الشيء لي ،

ونحو ذلك . فإن كانت ما موصولة ، كتبت مفصولة نحو **إِنَّ** ما قلت لحق ، وكأن ما حدثت صحيح ، وليت ما لك لى . على أنه قد جاء فى القرآن كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت فى القرآن مفصولا إلا قوله تعالى فى الأنعام : **(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ)** . وقد كتبوا فى المصحف : **(إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ)** فى الطور وغيره متصلا ، وكذلك : **(إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ)** . مع رفع كيد ونصبه ، وإن كانت ما موصولة فى الموضعين .

(ومنها) توصل قل بما إذا دخلت عليها نحو قلما أتيتك مائة مرة .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون نحو : **(إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ)** .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون نحو : **(وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ)** . وإنما حذف النون فى هذه ومقابلها لإدغامها كما فى مما وعمما ونحوه .

(ومنها) توصل أين بما نحو : **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ)** . لأن ما إذا دخلت على أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون ، فترفع النون ، فإذا دخلت عليها ما ، قلت : أينما تكن أكن فخرمت ، فصارت أين وما كأنها كلمة واحدة . فإن كانت ما موصولة ، فصلت نحو أين ما اشتريت تريد أين الذى اشتريت .

ولم يصلوا متى بما بل كتبوها منفصلة عنها ، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما فى حاتم فتكتب متام فيتعذر إدراكها .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما نحو : **(وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ قُولُوا وَجْوهَكُمْ شَطْرَهُ)** . كما تقدم فى أين .

(ومنها) توصل كل بما المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو كَلَّمَا جِئْتَنِي أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ . فإن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة نحو كُلُّ مَا تَفْعَلُ حَسَنٌ، وكُلُّ مَا كَانَ مِنْكَ حَسَنٌ .

قال ابن قتيبة: وكُلُّ مَنْ مَقْطُوعَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَمَكَانٍ .

(ومنها) توصل هل يَلَا، وتحذف إحدى اللامين على هذه الصورة (هَلَّا فَعَلْتَ) وتقطعها من بل، فتكتب (بَلْ لَا تَفْعَلْ) .

قال ابن قتيبة: والفرق بينهما أَنَّ لَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَى هَلْ تَغْيِيرُ مَعْنَاهَا، فَكَأَنَّمَا مَعَهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ؛ وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى بَلْ لَمْ تَغْيِرِ الْمَعْنَى تَقُولُ : بَلْ تَفْعَلْ، وَبَلْ لَا تَفْعَلْ، كَمَا تَقُولُ : كَيْ تَفْعَلْ، وَكَيْ لَا تَفْعَلْ .

(ومنها) توصل بين بما الزائدة، نحو بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ، وَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي .

(ومنها) توصل أَيْ بِمَا إِذَا كَانَتْ مَا زَائِدَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : (أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ) وكما تقول : أَيُّمَا الرَّجُلَيْنِ لَقِيتُ فَأَكْرَمَ . فإن كانت ماموصولة قطعت فتكتب أَيْ مَا تَرَاهُ أَوْفَقُ، أَيْ مَا عِنْدَكَ أَفْضَلُ، مَقْطُوعَةٌ .

(ومنها) يوصل يوم وحين بإِذٍ مِنْ قَوْلِكَ يَوْمَئِذٍ وَحِينَئِذٍ، وَكَانَ الْقِيَاسُ الْفَصْلُ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْهَمْزَةِ .

(ومنها) توصل لَئِنْ وَلِئَلَّا وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا كَلِمَتَيْنِ . إِذَا الْأَصْلُ لِإِنْ وَلِأَنَّ لَا وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ كِتَابَتِهِمَا بِالْيَاءِ دُونَ الْأَلْفِ، لِكُونِهِمْ جَعَلُوهُ مَعَ مَا بَعْدَهُ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ .

(ومنها) توصل أَنَّ الْمَفْتُوحَةَ بِلَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ حَذْفِ النُّونِ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فَتَكْتُبُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ (أَلَّا) . (وَالثَّانِي)، تَفْصِلُ مِنْهَا وَتَثْبِتُ النُّونَ، فَتَكْتُبُ عَلَى

هذه الصورة : (أن لا يقوم) . (والثالث) ، يُفصل بين أن تكون مخففة عن الثقيلة ، فتكتب مفصولة نحو علمت أن لا يقوم زيدٌ ، وعلمت أن لا ضرر عندك ، التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عندك ولذلك ثبتت في قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدر كتبها متصلة على اللفظ وتحذفها في الخط ، نحو يعجبني ألا تقوم وهو قول الأخفش وابن قتيبة وأخيار ابن السيد . (والرابع) ، التفصيل بين أن تدغم بغنة ، فتكتب منفصلة أو بغير غنة فينوى الاتصال وتحذف خطأ . ويروى عن الخليل ، وأستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع في القرآن مواضع متصلة ومواضع منفصلة فيجب اتباعها اقتداء بالسلف . وقد وقع في المصحف وصل مواضع القياس فصلها ، فيجب وصلها في المصحف اتباعا لرسمه ، وتوصل في غيره في الغالب أو في بعض الأحوال .

(ومنها) وصلت بئس بما في موضعين :

أحدهما - ﴿ بئسًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ في البقرة .

والثاني - ﴿ بئسًا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ في الأعراف .

(ومنها) وصلت نعم بما للادغام . وحكى ابن قتيبة فيه الفصل والوصل .

(ومنها) وصلت إن بلم مع حذف النون للادغام في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَجِيبُوا

لَكُمْ ﴾ في هود ، بخلاف التي في القصص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون .

(ومنها) وصلت أن بلم مع حذف النون للادغام في سورة الكهف في قوله :

﴿ أَلَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ .

(ومنها) وصلت أم بمن في نحو قوله تعالى : ﴿ آمَنَ هُوَ قَانِتٌ ﴾ .

قال محمد بن عيسى : كل ما في القرآن من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع

في النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ . وفي التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ .
وفي الصافات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ . وفي فصلت : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا ﴾ .

(ومنها) وصلت كي بلا في نحو كَيْلًا وَلَيْلًا في أربعة مواضع في المصحف،
﴿ لَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ في آل عمران . و ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ في الحج
و ﴿ لَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ ﴾ في الأحزاب . و ﴿ لَيْلًا تَأْسُوا ﴾ في الحديد
وما عداها فهو مقطوع كما في أول الأحزاب .

ووجه ابن قتيبة المقطوع بأنك تقول: آتيتك كي تفعل وكي لا تفعل، كما تقول:
حتى تفعل وحتى لا تفعل فيختلف المعنى بالنفي والإثبات فيه .

الفصل الخامس

من الباب الثاني من المقالة الأولى

(فما يكتَب بالظاء، مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتَب بالضاد)

وإنما خصت الظاء بالذكر دون الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضاد ؛
وخصّ ما يكتَب بالظاء بالذكر دون ما يكتَب بالذال المعجمة ، لأن الدال والذال
في صورة الكتابة واحد ، فلا يظهر خطأ الكاتب فيه ، بخلاف الظاء والضاد : فإن
شكلهما مختلف فيظهر خطأ الكاتب وعوّاره فيه ؛ فلذلك وقعت العناية بالتنبيه على
ما يكتب بالظاء دون ما يكتب بالذال المعجمة .
وقد أوردته على حروف المعجم ليقرب تناوله .

حرف الألف

فيه - أظله الشيء : إذا غشيه ؛ أما أضله من الضلال إذا ضلّ دابته إذا نذت ،
فبالضاد .

حرف الباء

فيه - بهَّظه الأمرُ : إذا أتعبه . وفيه ، البَظُر : وهو اللِّحمة المتدلِّية من فَرْج المرأة ، التي تُقَطَّع بِالْحَتَّانِ .

حرف التاء المثناة فوق

فيه - التَّقْرِيطُ : وهو المدح ، والتَّلمِظُ : وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لا ابتلاع ما حَصَلَ بين الأسنان .

حرف الجيم

فيه - الجَوَّازُ : وهو الجافي المتكبر ، أو الأَكُولُ ، والجَحْوَظُ : وهو نُتُو العين وندورها ، ومنه أبو عُثْمَان الجاحِظُ ، وبِحِظَّةِ البرمكي .

حرف الحاء المهملة

فيه - الحِفْظُ : وهو ضِدُّ النِّسيان ، والحَفِيفَةُ : وهى المَوْجِدَةُ ، والحِظُّ : وهو الغنى والنصيب . ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لِلَّذِينَ كَرِهُوا حَظَّ الْأُنثِيَّ ﴾ . أما الحِصُّ بمعنى الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴾ . والحُظْوَةُ : وهى الرفعة ، والحَظَرُ : وهو المنع . ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا نُمَدِّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَشِيمٍ مُّخْتَضِرٍ ﴾ . وفى معناه الحَظِيرُ : وهو المحوَّط من قصب ونحوه . أمَّا الحُضُورُ خلاف الغيبة فإنه بالضاد ، والحِظْلُ : وهو النَّبَاتُ المُرُّ المعروف .

حرف الشين المعجمة

فيه - الشَّطِيطَةُ : وهى القِطْعَةُ من الشئ ، والشَّطَاظُ : وهى عِيدَانٌ لِطَافٍ يُجْمَعُ بِهَا الْعِدْلَانُ ، والشَّظَفُ : وهو خُشُونَةُ العيش ، والشَّوَاظُ : وهو لَهَبُ النار . ومنه

قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكَ شَوَاطِلٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ﴾. والشَّيْطَمُ : وهو الفرس الطويل الظهر؛ والشَّناطِي : وهى أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه - الظَّنُّ : بمعنى 'التخمين والشك'؛ والظَّنَّةُ : وهى التَّهْمَةُ . أما الضَّنُّ بمعنى 'البخل فإنه بالضاد، وعلى المعنيين قرئ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بالضاد والظاء : لانتجاء المعنيين فى النبىِّ صلى الله عليه وسلم إذ ليس بجَبِيل ولا مَتَمٍّ ؛ وفيه ظَلَّ يفعل كذا : إذا فعله نهارا . ومنه قوله تعالى : ﴿فَطَلَّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ . وقوله : ﴿فَطَلَّكُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ . وقوله : "وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا" .

أما ضَلَّ من الضلال : خلاف الهدى ؛ وضَلَّ الشئُ : إذا ضاع ، بالضاد . وفيه الظَّلُّ : خلاف الحرِّ حيثما وقع وما يُسْتَقَى منه ، والظُّلْم وما يَتَشَعَّبُ منه ، والظَّلام وما يتفرع منه ، والظُّلْم (بفتح الظاء) وهو ماء الأسنان ، والظِّلْمُ : وهو ذَكَرُ النِّعَام ، والظُّبَى : واحدُ الطُّبَاء ، والظُّبَيْة الأنثى منه ، والظُّبَيْة : حَيَاءُ النِّقَاطَةِ ، والظُّبَةُ : وهو حُدُّ السيف ، والظُّرْف : وهو الوعاء الحسن ، والظُّعْن : وهو السِّفَر . ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ ظَعَنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ . والظَّرَاب : وهى الهِضَاب . أما الضَّرَابُ مصدر ضاربتُه فإنه بالضاد ، والظَّعِينَةُ : وهى المرأة ، والظُّلْف : وهو للبقرة والغنم كالحافر للخيول ، والظُّلْف : وهو نزاهة النفس ، والظُّفَر : واحدُ الأظفار ، والظُّفَر : وهو النصر . أما ضَفَرَ الشعر ونحوه بالضاد ، والظُّفَر : وهى المُرْضِعة ، والظُّهْر : وهو العُضْوُ المعروف . أما الضَّهْر : وهو صخرة فى الجبل يخالف لونُها لونه فإنه بالضاد ، والظَّهِير : وهو المَعِين ، والظَّهيرة : وهى وَسَطُ النهار ، والظَّمَا : وهو العطش ، والظَّارار جمع ظَرٌّ : وهو الغليظ من الأرض . أما الضَّرِير : بمعنى 'الاعمى' بالضاد ،

وَالظَّرِبَانُ : وهى دَوِيَّةٌ مَتْنَةُ الرِّيحِ ، وَالظَّلْعُ : وهو الغَمَزُ يقال نَاقَةٌ ظَالِعٌ إِذَا غَمَزَتْ فِي الْمَشْيِ . أما الضَّلْعُ واحد الأضلاع فإنه يَكْتَبُ بالضاد، ومنه قولهم فَرَسٌ ضَالِيعٌ .

حرف العين المهملة

فيه - الْعَظْمُ : وهو معروفٌ ؛ وَالْعَظْمَةُ : وهى الكِبْرِيَاءُ وما تَصَرَّفَ مِنْهَا ، وَعَظَّهَ الدهرُ وعَظَّتْهُ الحربُ . أما الْعَضُّ بالأسنان فبالضاد، وَالْعَظْلُ ^(١) : وهو الشَّدَّةُ، ومنه تَعَاظَلُ الجراد والكلاب فى السَّفَادِ . أما الْعَضْلُ بمعنى المنع فإنه بالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحُوا أَرْوَاجَهُنَّ﴾ . وكذلك قولهم : أَعْضَلَ الأَمْرُ إِذَا صَعُبَ . ومنه الداءُ الْعُضَالُ ، وسوقُ عُمَاطٍ : وهو سُوقٌ كان يُقام للعرب فى الجاهلية وأصل الْعُكْظِ الْحَبْسُ .

حرف الغين المعجمة

فيه - الْغَيْظُ بمعنى الحَتَقِ وما تَفَرَّعَ عنه ، أما غَاضُ المَاءِ بمعنى غَارَ وَالْغَيْضَةُ وهى مَنِيْتُ الشَّجَرِ فى المَاءِ فبالضاد، وَالْغِلَظُ وما تَصَرَّفَ مِنْهُ .

حرف الفاء

فيه - الْفَظَاظَةُ : وهى القسوة ومنه قوله تعالى : ﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ . أما أَنْفِضَاضُ الْجَمْعِ فبالضاد، ومنه قوله تعالى : ﴿لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . وكذلك أَفْضِضَاضُ الْبَكْرِ وَالْكَأَبِ ؛ وَالْفَظِيعُ : وهو الشنيع ، وَفَاطَ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ . أما فَيْضُ الْإِنَاءِ وَالدَّمْعُ بمعنى السَّيْلَانِ ، فبالضاد ؛ وَمَنْ ثَمَّ جَازَ أَنْ يَكْتُبَ فَاطَتْ نَفْسَهُ بِالظَّاءِ عَلَى مَعْنَى مَاتَتْ نَفْسَهُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكْتُبَ بِالضَّادِ عَلَى مَعْنَى سَالَتْ نَفْسَهُ .

(١) كذا فى الضوء أيضا بالظاء المشالة . وفى اللسان فى مادة (ع ض ل) ... [وأصل العضل المنع والشدة]

أى بالضاد الساقطة ولم يذكره بهذا المعنى فى مادة (ع ظ ل) .

حرف القاف

فيه - القَيْظ وهو صميم الحر وما تَصَرَّف منه . أما القَيْض الذى هو القشر الأعلى من البيض فبالضاد ، وكذلك قَيْضُ الله له كذا أى أتاحه له ، والقَرظ : وهو ثمرة شجرة السَّنط التى يدبغُ بها الجلد . أما القَرَض بمعنى 'القطع فبالضاد، ومنه قَرَضَ المال .

حرف الكاف

فيه - الكَظْم : وهو كَتَمَ الحُزْنَ، والكَظْ : وهو شدَّة الحرب ، وكَظِمَةُ : وهو أسم مكان بالبحرين .

حرف اللام

فيه - لَظَى : أسمُ جهنمَ، واللَّظُ : وهو اللزوم . ومنه "أَلْظُوا بِيَاذَا الْجَلَالِ والإِكْرَامَ" أى ألزمو هذا الأسم فى الدعاء والمناجاة به، واللَّحْظُ : وهو النظر بمُنْحر العين ، واللَّمْظُ : وهو بياضُ الجفلة السفلى من الفرس ؛ ومنه قيل فرس أَلْمَظُ ، واللَّفْظُ : وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك .

حرف النون

فيه - النَّظْم وما تصرف منه ، والنَّظَر بالعين وما تصرف منه ، والنَّظِير وهو المثل . أما النَّصَارَة بمعنى 'البهجة فبالضاد، ومنه قوله تعالى : ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ)) . ومنه اشتقاق بنى النَّصِير وفى معناه النَّصَارُ أسمُ الذهب ؛ والنَّظَافَة : وهى خلاف القَدَارَة .

حرف الواو

فيه - الوَظِيف : ما فوق الرُّسْع من ذوات الحافر، والوَظِيفَةُ ، وأصلها الطعام الراتب ثم أَسْتَعِمِلَتْ فيما هو أعَمُّ من ذلك .

حرف الياء

الْيَقَظَة : وهى خلاف النوم .

المقالة الثانية

في المسالك والممالك ؛ (وفيها أربعة ابواب)

الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

(في معرفة شكل الأرض، وإحاطة البحر بها، وبيان جهاتها الأربع، وما أشتملت عليه من الأقاليم الطبيعية، وبيان مَوَاقِعِ الأقاليم العُرفية من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعة لها، ومعرفة طريق أستخراج جهة كل بلد؛ وفيه طَرَفَانِ) .

الطَّرَفُ الأول

(في شكل الأرض، وإحاطة البحر بها)

أما شكل الأرض فقد تقرّر في علم الهيئة أن الأرض كُرِّيَّةُ الشَّكْلِ والماء مُحِيطُ بها من جميع جهاتها إلا ما اقتضته العناية الإلهية من كشف أعلاها لوقوع العِارة فيه؛ وقيل هي مُسَطَّحة الشَّكْلِ؛ وقيل كالتُّرس؛ وقيل كالطُّبْل. والتَّحْقِيقُ الأول؛ وبكل حال فالماء مُحِيطُ بها من جميع جهاتها كما تقدّم .

قال في "تقويم البلدان" : وأحواله معلومة في بعض المواضع دون بعض، فمن المعلوم الحال الجانب الغربي ويسمى بحر أوقيانوس (بهزة مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف مكسورة ثم ياء مشاة تحت مفتوحة ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة) .

(١) هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولى - المَشْرِقُ، سميت بذلك لَشُرُوقِ الشمس منها، ويقال لها الشَّرْقُ أيضا .

الثانية - المَغْرِبُ، سميت بذلك لغروب الشمس فيها، ويقال لها الغَرْبُ أيضا .

الثالثة - الشَّمالُ (بفتح الشين) وهى التى إذا أَسْتَقْبَلَتِ المَشْرِقَ كانت على شِمَالِكَ ويقال لها الشام أيضا، لأن الشام كانت فى جهة الشمال عن بلاد المغرب فسميت الجهة به، وأهل مصر يسمون هذه الجهة البَحْرِيَّةَ : لكونها جهة البحر الرومى، وأتسمية لها بِأَسْمِ الرِّيحِ التى تهب منها فقد سبق أنهم يسمُّون الرِّيحَ التى تهبُّ من الشمال البَحْرِيَّةَ : لأنها يسارها فى البحر كيف كان .

الرابعة - الجَنُوبُ (بفتح الجيم) وهى التى إذا أَسْتَقْبَلَتِ المَشْرِقَ كانت على جانبك الأيمن ولم يُسَمَّ بالأيمن كما سُمِّيَ بمقابلته بالشَّمال، لأنه لما ذكر الشَّمال لم يبق إلا الجانب الأيمن فَاسْتُغْنِيَ عن ذكره، وأهل مصر يسمون هذه الجهة القبلىة : لوقوعها فى جهة قِبْلَتِهِمْ ولذلك يبدءون بها فى التحديد، وإن كان الأصل الابتداءَ بالمشرق : لأن منه مبدأ حركة الفلك .

ثم كُرَّةُ الأرض يقسمُها خطُّ فى وَسَطِها بنصفين : نصفِ جنوبيّ، ونصفِ شماليّ؛ ويسمَّى هذا الخط خطَّ الأَسْتَوَاءِ لآسْتَوَاءِ الليل والنهار عنده فى جميع فصول السنة، ويقاطعه خطُّ آخرُ يقسمُها بنصفين : نصفِ شرقى ونصفِ غربى، وتصير الأرض به أربعة أرباع، ويسمى هذا الخط خطَّ نصفِ النهار لمسامة الشمس له فى نصفِ النهار؛ وكلُّ من هذين الخطين مقسوم بمائة وثمانين درجةً، كل درجة ستون دقيقةً . وسيأتى تقدير ذلك بالأُميال والفراسخ والمراحل والبُرْدُ فى الكلام على بُعد ما بين البلدان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا بَعْدَ عَنْ أَقْصَى الْعِمَارَةِ فِي الْمَغْرِبِ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ يَعْبُرُ عَنْهُ عِنْدَ عُلَمَاءِ
الْهَيْئَةِ وَالْمِيقَاتِ بِالطُّولِ ؛ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَبْتَدَاءِ ذَلِكَ : فَالْقُدَمَاءُ أَبْتَدَؤْهُ مِنْ جَزَائِرِ
الْبَحْرِ الْمَحِيطِ تُعَرَّفُ بِالْخَالِدَاتِ ، يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي جُمْلَةِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ،
وَالْمُحَقِّقُونَ عَلَى أَبْتَدَاءِ ذَلِكَ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي هُوَ أَقْصَى الْعِمَارَةِ
الْآنَ ، وَبَيْنَهُمَا عَشْرُ دَرَجَ ، وَنَهَايَةُ الْعِمَارَةِ فِي الْمَشْرِقِ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ كُنْدُرٌ ، وَمُتَصَفٌّ
بِمَا بَيْنَ الْإِبْتَدَاءِ وَالنَّهْيَةِ الشَّرْقِيَّةِ يُسَمَّى قُبَّةَ أَرِينَ ، وَيَعْبُرُ عَنْهُ بَقْعَةُ الْأَرْضِ ؛ وَهِيَ عَلَى
بَعْدِ رُبْعِ الدَّوْرِ مِنَ الْمَبْدَأِ الْغَرْبِيِّ ، وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِيهِ بِاخْتِلَافِ الْإِبْتَدَاءِ مِنَ الْجَزَائِرِ
الْخَالِدَاتِ أَوْ مِنَ السَّاحِلِ . وَمَا بَعْدَ عَنْ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ يَعْبُرُ عَنْهُ بِالْعَرَضِ ؛
فَإِنْ كَانَ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ فَالْعَرَضُ جَنُوبِيٌّ ، وَإِنْ كَانَ فِي جِهَةِ الشَّامِلِ فَالْعَرَضُ
شَمَالِيٌّ . وَيَعْتَبَرُ الطُّولُ وَالْعَرَضُ فِي الْأَمْكِنَةِ مِنَ الْبُلْدَانِ وَغَيْرِهَا بِالْأَدْرَجِ وَالْأَقَائِقِ
عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ النِّصْفُ الْجَنُوبِيُّ مِنَ الْأَرْضِ لِأَعْمَارَةٍ فِيهِ إِلَّافِيَا قَارِبَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ فِي بَعْضِ
بِلَادِ الزَّيْتِ وَالْحَبْشَةِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا لَا يَزِيدُ عَرَضُهُ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَ فِيمَا أَوْرَدَهُ
السُّلْطَانُ عِمَادُ الدِّينِ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" أَوْسَتْ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَخَمْسِينَ
وَعَشْرِينَ دَقِيقَةً فِيمَا ذَكَرَهُ إِسْحَاقُ الْحَارِثِيُّ وَغَيْرُهُ . وَأَكْثَرُ الْمَعْمُورِ إِنَّمَا هُوَ فِي النِّصْفِ
الشَّمَالِيِّ ؛ وَالْعِمَارَةُ فِيهِ فِيمَا بَيْنَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى نَهَايَةِ سِتِّ وَسِتِينَ دَرَجَةً وَنِصْفِ
دَرَجَةٍ فِي الْعَرَضِ ؛ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى نَهَايَةِ الشَّامِلِ خَرَابٌ لِأَعْمَارَةٍ فِيهِ ، وَغَالِبُ الْعِمَارَةِ
وَأَقْعُ بَيْنَمَا يَجَاوِزُ عَرَضُهُ عَشْرَ دَرَجَ إِلَى حُدُودِ الْخَمْسِينَ دَرَجَةً ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فِي جِهَةِ
الْجَنُوبِ إِلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ ، وَفِي جِهَةِ الشَّامِلِ إِلَى حَدِّ الْعِمَارَةِ غَالِبُهُ جِبَالٌ وَقِفَارٌ ؛
وَغَالِبُ الْعِمَارَةِ فِي الطُّولِ مِنْ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ الْغَرْبِيِّ إِلَى تِسْعِينَ دَرَجَةً فَمَا دُونَهَا .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(فما اشتملت عليه الأرض من الأقاليم الطبيعية)

قد قَسَمَ الحَكَمَاءُ المعمورَ إلى سبعة أقاليم ممتدة من المغرب إلى المشرق في عُرُوض قليلة تتشابه أحوال البقاع في كل إقليم منها، ثم اختلفوا في ترتيبها بحسب العرض، فقوم جعلوا ابتداء الأول منها خطَّ الاستواء، وآخر السابع منتهى العارة في الشمال وهو ست وستون درجة على ما تقدم .

قال في "تقويم البلدان": والذي عليه المحققون أن ابتداء الإقليم الأول حيث العَرَضُ اثنتا عشرة درجة وثلاثا درجة، وما وراء ذلك إلى خط الاستواء خارج عن الإقليم الأول في جهة الجنوب، وآخر الإقليم السابع حيث العَرَضُ نحسون درجة وثلاث درجة، وما وراء ذلك إلى نهاية العمران في الشمال خارج عن الإقليم السابع إلى الشمال فيكون من العمران ما لم يدخل في الأقاليم السبعة، وعليه وقع الترتيب في هذا الكتاب .

الإقليم الأول - مبدؤه حيث العَرَضُ اثنتا عشرة درجة وثلاثا درجة كما هو مذهب المحققين على ما تقدم، ووسطه حيث العَرَضُ ست عشرة درجة ونصف وثمان درجة، وآخره حيث العَرَضُ عشرون درجة وربع وثمان درجة، فتكون سعته سبع درجات وثلاثي درجة وثمان درجة .

الإقليم الثاني - مبدؤه حيث العَرَضُ عشرون درجة وربع وثمان درجة، ووسطه حيث العَرَضُ أربع وعشرون درجة وثلاثا درجة، وآخره حيث العَرَضُ سبع وعشرون درجة ونصف درجة، فتكون سعته بالتقريب سبع درج وثلاث دقائق .

الإقليم الثالث - مبدؤه حيث العرض سبع وعشرون درجة ونصف درجة ؛
ووسطه حيث العرض ثلاثون درجة وثلاثا درجة ؛ وآخره حيث العرض ثلاث
وثلاثون درجة ونصف وثمان درجة ^(١) بالتقريب .

الإقليم الرابع - مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمان
درجة ؛ ووسطه حيث العرض ست وثلاثون درجة ونحس وسدس درجة ؛ وآخره
حيث العرض تسع وثلاثون درجة ؛ إلا عشرين ؛ فتكون سعة نحس درج وسبع عشرة
دقيقة بالتقريب .

الإقليم الخامس - مبدؤه حيث العرض تسع وثلاثون درجة ؛ ووسطه حيث
العرض إحدى وأربعون درجة وربع درجة ؛ وآخره حيث العرض ثلاث وأربعون
درجة وربع وثمان درجة ؛ فتكون سعة أربع درجات وربع وثمان وعشر درجة
بالتقريب .

الإقليم السادس - مبدؤه حيث العرض ثلاث وأربعون درجة وربع وثمان
درجة ؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعشر درجة ؛ وآخره حيث
العرض سبع وأربعون درجة ونحس درجة ؛ فتكون سعة ثلاث درجات ونصف
وثمان ونحس درجة .

الإقليم السابع - مبدؤه حيث العرض سبع وأربعون درجة ونحس درجة ؛
ووسطه حيث العرض ثمان وأربعون درجة ونصف وربع وثمان درجة ؛ وآخره
حيث العرض خمسون درجة وثلاث درجة ؛ فتكون سعة ثلاث درجات وثمان
دقائق .

(١) فتكون سعة ست درجات وثمان درجة [ولعل هذه الفذلكة سقطت من قلم الناسخ وقد ذكرت في الضوء
وتقويم البلدان] .

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف في الطول والقصر باعتبار القرب من خط الاستواء والبعد عنه ؛ فكلما قرب الإقليم من خط الاستواء كان أكثر طولاً من الذى يليه : ضرورة أن أوسع الكُرّة وسَطُها وما بعده من الجانبين يقصر شيئاً فشيئاً .

فطول الإقليم الأول - من ابتدائه من ساحل البحر المحيط الغربى إلى ساحل البحر المحيط الشرقى فيما ذكره في "تقويم البلدان" مائةً وأثنان وسبعون درجةً وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثانى - مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثالث - مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

وطول الإقليم الرابع - مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرة دقيقة .

وطول الإقليم الخامس - مائة وخمس وثلاثون درجة وأثنان وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السادس - مائة وست وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم السابع - مائة وتسع عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة الثانية

(فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البلدان فى التعريف بها والسفر إليها؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فى البحر المحيط)

وهو المستدير بالقدر المكشوف من الأرض . وأحواله معلومة فى بعض المواضع

دون بعض .

فمن المعلوم الحال منه الجانب الغربى، ويسمى بحر أوقيانوس، وفيه الجزائر

الخالدة المتقدمة ذكرها فى الكلام على الأطوال .

ويأخذ فى الامتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من زقاق سبتة الذى بين

الأندلس وبرّ العدوّة إلى جهة الجنوب حتى يتجاوز صحراء لمتونة : وهى بادية البربر

بين طرف بلاد المغرب من الجنوب وبين طرف بلاد السودان من الشمال، ثم يمتدّ

جنوباً على أرض خراب غير مسكونة ولا مسلوكة حتى يتجاوز خط الاستواء المتقدم

ذكره إلى الجنوب .

قال الشريف الإدريسي : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة، لا يعيش فيه

حيوان، ولا يسلك فيه مركب .

ثم يعطف إلى جهة الشرق وراء جبال القمر التى منها منابع نيل مصر الآتى

ذكرها، فيصير البحر المذكور جنوبياً عن الأرض، ويمتدّ شرقاً على أراض خراب

وراء بلاد الزنج، ثم يمتدّ شرقاً وشمالاً حتى يتصل ببحر الصين والهند، ثم يأخذ مشرقاً

حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة، وهناك بلاد الصين؛ ثم ينعطف

في شرق الصين إلى جهة الشمال ويصير في جهة الشرق عن الأرض، ويمتد شمالا على شرق بلاد الصين حتى يتجاوز حد الصين، ويسامت سدّ يأجوج ومأجوج، ثم ينعطف ويستدير على أرض غير معلومة الأحوال؛ ويمتد مغربا ويصير في جهة الشمال عن الأرض، ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها؛ ثم ينعطف غربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويصير في جهة الغرب منها، ويمتد على سواحل أمم مختلفة من الكُفَّار حتى يُسامت بلاد رومية من غربها، ثم يمتد جنوبا ويتجاوز بلاد رومية ويسامت البلاد التي بينها وبين الأندلس، ويتجاوزها إلى سواحل الأندلس؛ ويمتد على غربي الأندلس جنوبا حتى يجاوزه وينتهي إلى زُقاق سَبْتَة الذي وقعت البداءة منه .

الطَّرَف الثاني

(في البحار المنبثّة في أقطار الأرض، ونواحي الممالك، وما بها من الجزائر المشهورة) وهي على ضربين :

الضرب الأول

(الخارج من البحر المحيط وما يتصل به)

والمشهور منه ثلاثة أبجر .

البحر الأول

(الخارج من البحر المحيط الغربي إلى جهة الشرق)

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أهمهم عليه من شماليّة، ويعبر عنه بالبحر الرومي أيضا، وقد يعبر عنه بالبحر الشامي : لوقوع سواحل الشام عليه من شرقيه، ومخرجه من المحيط من بحر أوقيانوس المتقدم ذكره بين الأندلس وبرّ العدوة

من بلاد المغرب، ويسمى هناك بحر الرقاق، وربما قيل رُقَاق سَبْتَة - لمجاورته لها على ماسيائي، وهو هناك في غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسي : والثابت في الكتب القديمة أن سَعَتَه عشرة أميال ولكنه آتسع بعد ذلك .

قال ابن سعيد : وهو في زماننا ثمانية عشر ميلا .

قال في "الروض المعطار" ويذكر أنه كان عليه قطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طَنْجَة من بر العُدوة، مبنيةً بالحجارة، لا يعلم لها نظير في معمور الأرض، يتر عليها الناس والدواب من جانب إلى جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامي بمائة سنة طمى فأغرق القنطرة، وربما ظهرت لأهل المراكب تحت الماء . قال : والناس يقولون إنه لأبد من ظهورها قبل فناء الدنيا .

ويتبدى هذا البحر من أول بحر الرقاق المقدم ذكره، ويمتد على (سواحل الغرب) إلى حدود الديار المصرية فيمتر على مدينة (طَنْجَة) حيث الطول ثمان درج، والعرض خمس وثلاثون درجة ونصف، ثم يعطف جنوبا وشرقا إلى مدينة (سلا) . ثم يمتد شرقا وشمالا إلى مدينة (سَبْتَة) ويمتد كذلك حتى يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغرب الأقصى على بُعد منه، ثم يمتد إلى حدود مدينة (تلمسان) قاعدة الغرب الأوسط، ثم يأخذ شرقا بميلة إلى الشمال حتى يصير عند (الجزائر) فُرْضة بِجَايَة، ويمر حتى يسامت (بجاية) .

ثم يمتد حتى يجاوز مدينة (مرسى الخرز) الذي به معاص المَرَجَان شرق قُسْطَينَة : آنحر مملكة بِجَايَة من الشرق، ثم يتجاوز مملكة بِجَايَة إلى أول حدود أفريقية، ويمر في سمت وسط المشرق حتى يقابل مدينة (تونس) قاعدة أفريقية من شمالها، ويدخل منه خور إلى تونس المذكورة .

ثم يمتد بعد أن يتجاوز تُونُس نحو تسعين ميلا شرقا نصًّا، ثم يعطف جنوبا حتى يصير له دخلة كبيرة في الجنوب، وفي فَم هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتد في الجنوب إلى قريب من مدينة (سوسة)؛ ثم يشرق إلى سوسة المذكورة ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة (المهديّة)؛ ثم يمر شرقا وجنوبا حتى يتجاوز مدينة (صفاقس)، ويمتد حتى يجاوز جزيرة (جرّبة)؛ ثم يعطف شمالا ويصير للبحر الجنوبي دخلة في البحر، ويمتد شرقا وشمالا حتى يبلغ مدينة (أطرابلس) : وهي آخر مدن أفريقيا؛ ثم يمتد شرقا حتى يجاوز حدود أفريقيا عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتد شمالا على سواحل (برقة) الآتي ذكرها في جملة نواحي الديار المصرية إلى (طلمينا) ثم ينعطف إلى جهة الشمال، ويكون للبحر في البحر دخلة إلى (رأس أوثان) : وهو جبل داخل في البحر، ثم يشرق من رأس أوثان إلى (رأس تبنى) : وهو جبل في البحر قبالة رأس أوثان من جهة الشرق؛ ثم يعطف إلى الجنوب ويمتد جنوبا حتى يسامت (عقبة برقة) : وهي أول حدود الديار المصرية ، على ما يأتي ذكره في تحديدها .

ثم يمتد على سواحل مصر، ويمر شرقا وجنوبا إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقا إلى عند مصب فرقة النيل الشرقية، ويأخذ مشرقا إلى (رشيد)^(١) ثم إلى (الفرما) ثم إلى (العريش) ثم إلى (رَحْ) : وهي منزلة في طَرَف رمل الديار المصرية

(١) بياض في الأصل . وفي الضوء [رشيد عند مصب فرقة النيل الغربية ، ويمتد كذلك إلى مدينة دمياط ، عند مصب فرقة النيل الشرقية ، ويأخذ شرقا إلى الطينة ثم إلى الفرما ... الخ] .

من جهة الشام على مرحلة من غَزَّة، حيث الطُّول نحو ستِّ وخمسين درجة ونصف والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

ثم ينعطف ويأخذ شَمَالاً على (سواحل الشام) الآتي ذكرها في الكلام على المملكة الشامية فيمتد إلى مدينة (غَزَّة) ، ثم إلى (عَسْقَلان) ، ثم إلى (يَافَا) ميناء الرملة من أعمال الصَّفِّقة الساحلية من دمشق، ثم إلى (قَيْسَارِيَّة) . (بفتح القاف) وهي مدينة خراب تعدّ من جُند فلسطين، كانت من أمّهات المُدن، ثم إلى (عَثْلَيْث) من أعمال صَفْد، ثم إلى (عَكَّا) من أعمالها، ثم إلى (صُور) من أعمالها، ثم إلى (بَيْرُوت) من أعمال الصَّفِّقة الشمالية من دمشق، ثم إلى (جُبَيْل) : وهي مدينة قديمة خراب، ثم إلى (أَنفَة) : من أعمال طرابلس، ثم إلى مدينة (طرابلس)، ثم إلى (أَنْطَرطُوس) من أعمالها، ثم إلى (بَلْنِيَّاس^(١)) من أعمالها، ثم إلى (جَبَلَة) من أعمالها، ثم إلى (الْأَذْفِيَّة) من أعمالها، ثم إلى (السُّوَيْدِيَّة) ميناء أَنْطَاكِية من أعمال حَلَب، ثم يأخذ البحر غرباً بشمال إلى (أَيَّاسَ)، مدينة الفتوحات الجاهانية، ثم إلى (المَصِيصَة) ثم إلى (أَذْنَة) ثم إلى (طَرَسُوس) ثم يمتد شَمَالاً بغَرْب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن؛ ويمتد على سواحل بلاد الروم التي هي الآن بيد التركمان الآتي ذكرها في مكاتبات ملوكهم إلى (الْكُرْكُ) . (بضم الكاف وسكون الراء المهملة) وهي بلدة بساحل بلاد المساميين هي الآن بيد صاحب قبرس؛ ثم يمر شَمَالاً إلى (الْعَلَايَا) ، ويقابلها من البر الآخر (دِمياط) من سواحل الديار المصرية تقريباً، ثم يمر إلى (أَنْطَالِيَّة) ، ثم إلى (بَلَّاط) ، ثم إلى (طَنْفَزَلُو) ، ثم إلى (إِيَّاس لُوق) ، ثم إلى (مَغْنِيْسِيَا) ، ثم إلى مدينة (ابزو) : وهي بلدة على فم الخليج القسطنطيني من الشرق، وبها يعرف الخليج فيقال فم ابزو، ويقابلها من البر الآخر غربى مدينة الإسكندرية، فيما بينها وبين بَرْقَة؛ ثم يجاوز الخليج المذكور ويمتد مغرباً بمِيلة إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجية، فيمر على بلاد المرا : وهي مملكة أولها فم الخليج القسطنطيني

(١) قال في معجم البلدان [بضمين وسكون النون] . وفي القاموس [بَلْنِيَّاس كِسْر طراط] فلعن فيه لغتين .

المتقدم ذكره من جانبه الغربي . كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفة الكيتلان من الفرنج ، وقد فتحها الآن ابن عثمان وأستملكها من الروم .

ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (الملفجوط) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به . ويقابلها من البر الآخر شرقى برقة ، ثم يمتد في الغرب إلى بلاد أقليرنس ، ثم إلى بلاد الباسليسة : وهي امرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعائة فُعْرِفَتْ بها .

ويقابلها من البر الآخر أوساط برقة . وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب (جُون البنادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هذا ، ويمتد غربا بشمال حتى يصير طرفه غربى رومية ، وعلى طرفه مدينة (البُنْدُقية) ومن فمه إلى منتهاه نحو سبعائة ميل ، ثم يجاوز فم الخور المذكور إلى مملكة بولية ، وأولها فم خور البنادقة من الجانب الغربى . ويقابلها من البحر الآخر (طَامِيْنَا) فُرْضة برقة المتقدمة الذكر ، ثم يمتد في الغرب إلى بلاد (قلفريه) من جملة مملكة بولية المتقدمة الذكر .

ويقابلها من البر الآخر بلاد أطرابلس من بلاد إفريقية ، ثم يمتد إلى ساحل (رومية) ، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقابلها من البر الآخر شرقى تُوُس من إفريقية . ثم ينقطع تغريبه ويأخذ جنوبا حتى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التُّسْقَان : وهم جنس من الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزعفران .

ويقابلها من البر الآخر مدينة تُوُس : قاعدة أفريقية المتقدمة الذكر ، ويمتد في الجنوب إلى بلاد (بيزه) وهي بلدة على الركن الشمالى من جزيرة الأندلس إليها ينسب الفرنج البيازنة والحديد البيزانى .

ويقابلها من البر الآخر (مرسئى الخرز) آخر مملكة بجاية من الشرق على ما تقدم ذكره .
ثم يمتد إلى بلاد (جنوة) الآتى ذكرها فى الكلام على البلاد الشمالية ، ثم يأخذ
غربا إلى جبل البرت : وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض
الكبيرة ذات الأهم المختلفة ، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرقا ويدخل الركن الشرقى
من الأندلس فيه ؛ ويمتد فى الشرق ، ويستدير على الركن المذكور ، ثم يعطف غربا
ويمتد على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (برشلونه) ثم إلى مدينة (طرطوشه) .
قال فى "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية .

قال فى "تقويم البلدان" : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجارب ثم يمتد كذلك بين الغرب
والجنوب إلى مدينة بلنسية ، ثم يعطف غربا إلى دانية ؛ ثم يمتد غربا بجنوب إلى
مدينة مالقة ثم يمر إلى الجزيرة : وهى مقابلة لساحل سبتة وطنجة حيث وقع الابتداء .
وسأتى الكلام على ضبط ما لم يضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف
مع ذكر صفاتها عند التعرض لذكرها فى الكتاب فى مواضعها إن شاء الله تعالى . .
وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يذكر ألف فرسخ ومائة
وسبعون فرسخا ، وغاية عرضة فى بعض الأماكن ستمائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومى المتقدم الذكر فبحر نييطش (بنون مكسورة وياء مشناة
تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة فى الآخر) . وهو المعروف فى زماننا
ببحر القريم : لتركب بلاد القريم على ساحله ، ويعرف أيضا بالبحر الأرمنى : لتركب بعض
بلاد أرمينية على بعض سواحله ، وربما قيل فيه البحر الأسود : وهو متصل ببحر الروم
المذكور من شمالية ، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطش) بزيادة لفظ "ما" فى أوله وباقى
الضبط على ما تقدم وهو المعروف فى زماننا ببحر الأزق : لتركب بلاد الأزق على ساحله
الشرقى وليس وراءه بحر متصل به : ولذلك يُعبر عنه بعضهم ببحيرة مانيطش وهو

يُصبُّ في بحر نيطش، وبحر نيطش يصب في بحر الروم؛ ولذلك تُسرِع المراكب في سيرها من القِرَم إلى بحر الروم، وتبطئ في سيرها من بحر الروم إلى القِرَم لآستقبالها جريان الماء.

وأول بحر نيطش المذكور مما يلي بحر الروم . (الخليج القسطنطيني) المتقدم ذكره في تحديد بحر الروم : وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر.

قال ابن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وأتصاله بالبحر الرومي من جانبه الشمالي، ويمتد شمالا على (سواحل بلاد الروم) من البر الشرق منه إلى (قلعة الجرون) وهي قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابل القسطنطينية ويمتد من الجرون شمالا بميلة يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كربى على خليج القسطنطينية على القرب من الجرون المذكورة؛ ثم يمتد شرقا بشمال إلى مدينة (كتروا)، وهي آخر مدن القسطنطينية التي على هذا الساحل، ثم يمتد إلى مدينة (كينولى) وهي بلدة على الخليج القسطنطيني، ثم يأخذ بين الشمال والغرب، ويكون للبر دخلة في البحر إلى جهة الغرب، وعلى طرف هذه الدخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها في مكاتبات ملوك الكفر، ثم يأخذ في الاتساع إلى مدينة (سامسون)، وهي بلدة من سواحل بلاد الروم، ثم يأخذ مُشرقاً إلى مدينة (طرازون)، وهي فرضة للروم بهذا الساحل، ثم يمتد شمالاً بميلة إلى مدينة (سُخوم)، وهي مدينة على ثلاثة أيام عن طرازون شرقاً بشمال، وبينها وبين بلاد الكرج يوم واحد، ويقال إنها من بلاد الكرج؛ ثم يمتد شرقاً بشمال إلى مدينة (أَبْجَاس)، وهي مدينة في جبل على ساحل البحر على القرب من سُخوم؛ ثم يتضايق البحر مُغرباً ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البرآن ويصير

الماء بينهما مثل الخليج، وهو مصب بحر مَانِيطُش في بحر نِيطُش، وعلى جانب هذا الخليج مدينة (الطامان) من سواحل الروم: وهى حد بلاد الروم، من مملكة بركة المستملة على القرم، ودشت القَبَجاق، والسراى، وخوارزم على ما سياتى بيانه فى مكاتبات القانات، ثم يأخذ فى الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة، ويمتد على سواحل الأزق الآتى ذكرها فى مكاتبات حاكمها إلى مدينة الشقراق، وهى أول بلاد الأزق، ومنها ينتهى تشريقه، ثم يعطف إلى الشمال ويأخذ إلى مدينة (الأزق)، ثم يستدير من الأزق حتى يصير إلى الغرب، وينتهى إلى الخليج الذى بين بحر نِيطُش وبحر مَانِيطُش المتقدم ذكره .

وهناك مدينة الكرش من بلاد الأزق مقابل مدينة الطامان المتقدمة الذكر من البر الآخر، ثم يمر جنوبا ويمتد على سواحل القرم الآتية الذكر فى مكتبة حاكمها، فيمر إلى مدينة (الكفا) فُرْضة القرم .

ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون المتقدمة الذكر، ثم يمتد كذلك إلى مدينة صُوداق: وهى فُرْضة ببلاد القرم أيضا .

ويقابلها من البر الآخر مدينة سامسون المتقدمة الذكر، ثم يأخذ فى الانضمام جنوبا ويعطف مشرقا بحيث يكون للبر دخلة فى البحر، ويمتد على سواحل بلاد البلغار إلى مدينة صَارِي كَرمان من بلاد البلغار، وبينها وبين صُلغات مدينة القرم خمسة أيام .

ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنُوب المتقدمة الذكر، ثم يأخذ فى الاتساع غربا بميلة إلى الجنوب ويمتد كذلك إلى مدينة أَقْبَا كَرمان من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتد على (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلى بلدة صَقْجى، وعندها يصب نهر طُنا (بطاء مهملة مضمومة بعدها نون وألف) . وهو نهر عظيم بقدر مجموع دجلة والفُرات، ثم

يتضابق ويأخذ شرقاً حتى ينتهى إلى أول الخليج القُسْطَنْطِينِيّ المتقدم ذكره، ثم يأخذ جنوباً ويتقارب البرّان ويمتدّ كذلك إلى مقابل مدينة كربى المتقدمة الذكر، ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة (القُسْطَنْطِينِيَّة) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها فى مكتبة ملكها .
ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدمة الذكر، ثم يمتدّ حتى يصبّ فى بحر الروم حيث وقع الابتداء . وسيأتى الكلام على ضبط مالم يضبط من البلاد التى على ساحل هذا البحر المتقدمة الذكر مع ذكر صفاتها عند الكلام على مكاتبات ملوكها وحكّامها إن شاء الله تعالى .

ويبحر نيطش المتقدم ذكره على القرب من الخليج القُسْطَنْطِينِيّ بجزيرة (مرّمرأ) الآتى ذكرها عند الكلام على مكتبة ملكها فى جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحر الثانى

(الخارج من المحيط الشرقى إلى جهة الغرب)

وهو بحر يخرج عند أقصى بلاد الصّين الشرقية الجنوبية مما يل خط الاستواء حيث لا عرض، وقيل : على عرض ثلاث عشرة درجة فى الجنوب، ويمتدّ غرباً بشمال على (سواحل بلاد الصّين) الجنوبية، ثم على المفاوز التى بين الصّين والهند حتى ينتهى إلى (جبال قامرون) الفاصلة بين الصّين والهند .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بها فى شرقها، ثم يجاوز (جبال قامرون) المذكورة ويمتدّ على سواحل بلاد (الهند) من الجنوب، ويمرّ على (سُقالة الهند) وهى سُوفارة، ويمتدّ حتى ينتهى إلى آخر الهند، ثم يمتدّ على مفازة السّند الفاصلة بينه وبين البحر، ويمرّ حتى ينتهى إلى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشمال على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويجأوزه إلى بلاد اليمن فيمّر على (ساحل مهرة) : أول بلاد اليمن ، ويمتد من شمالها على سواحل اليمن من جنوبه حتى ينتهي إلى مدينة (عدن) فُرْصَة اليمن ، ثم يمر من عدن إلى الشمال بميلة إلى الغرب نحو مجرا حتى ينتهي إلى (باب المندب) وهو فُرْصَة بين جبلين ، ويخرج منه ويمتد غربا بميلة إلى الشمال اثني عشر ميلا ، ثم يعطف شمالا ويمتد على سواحل اليمن الغربية إلى (علافقة) فُرْصَة مدينة (زبيد) ، ثم يمتد شمالا أيضا إلى مدينة (حلي) من أطراف اليمن من جهة الحجاز ، وهي المعروفة بحلي ابن يعقوب ثم يمتد شمالا على (ساحل الحجاز) إلى (جدة) ، فُرْصَة على بحر القلزم ، ثم يمتد شمالا إلى (الحقفة) ميقات الإحرام لأهل مصر ، ثم يمتد شمالا بميلة إلى الغرب حتى يتصل بساحل (ينبع) ، ثم يأخذ بين الغرب والشمال حتى يجاوز (مدين) الآتي ذكرها في كور مصر القديمة ، ويمتد شمالا بجنوب حتى يقارب (أيلة) الآتي ذكرها في كور مصر القديمة أيضا ، ثم يعطف إلى الجنوب حتى يجاوز أيلة المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبي محمد) ويكون للبردخلة في البحر في جهة الجنوب ، ثم يعطف شمالا حتى ينتهي إلى فُرْصَة (الطور) : وهي مكان حط وإقلاع لمراكب الديار المصرية ، وما يصل إليها من اليمن وغيرها ، ويمر في الشمال حتى يصل إلى فُرْصَة (السويس) : وهي مكان حط وإقلاع للديار المصرية أيضا ، وعنده ينتهي بر العرب ببحر القلزم ويتبدى بر العجم . وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تقدم ذكره في الكلام على أصل هذا البحر .

ثم من السويس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر ، ويمتد موازيا لبلاد الصعيد حتى ينتهي إلى مدينة (القلزم) التي ينسب إليها هذا البحر الآتي ذكرها في الكلام على كور مصر القديمة ، ويقابلها من بر الحجاز أيلة ، ثم يأخذ عن القلزم جنوبا بميلة إلى الشرق حتى يسامت فُرْصَة الطور المتقدم ذكرها ، وتصير فُرْصَة الطورين أيلة

والْقَلْزِمُ غربي الدخلة المتقدم ذكرها، ثم يمتد كذلك حتى ينتهي إلى (القَصِيرِ)، فُرْضَةُ قُوصٍ، ثم يتسع في جهتي الجنوب والشرق حتى يكون اتساعه تسعين ميلاً، وتسمى تلك القطعة المتسعة بِرَكَّةِ الْغُرُنْدَلِ : وهي التي أغرق الله تعالى فيها فرعون، ثم يأخذ جنوباً بميلة يسيرة إلى الغرب إلى (عِيَذَابَ)، فُرْضَةُ قُوصٍ أيضاً . ويقابلها من برّ الحجاز جُدَّةُ فُرْضَةُ مَكَّةِ الْمُشْرِفَةِ، ثم يمتد في سمت الجنوب على (سواحل بلاد السودان) حتى يصير عند (سَوَاكِينَ) من بلاد البجاة، ثم يمتد كذلك حتى يحيط (بجزيرة دَهْلَكَ) وهي جزيرة قريبة من ساحل هذا البحر الغربي، وأهلها من الحبشة المسلمين . ويقابلها من البر الآخر جنوبي حُلِّيَّ ابْنِ يَعْقُوبَ من بلاد اليمَن، ويمتد حتى يصل إلى رأس (جبل المُنْدَبِ) المتقدم ذكره .

وهناك يضيق البحر حتى يرى الرجل صاحبه من البر الآخر .

ويقال : إنه بقدر رميتي سَهْمٍ، وتُرى جبال عَدَنَ من جبال المُنْدَبِ في وقت الصبح، ثم يتجاوز باب المُنْدَبِ ويأخذ شرقاً وجنوباً، ويتسع قليلاً قليلاً ويمر على بقية سواحل الحبشة حتى يمر بمدينة (زَيْلَعٍ) من بلاد الحبشة المسلمين .

ويقابلها عَدَنَ من بَرِّ اليمَن، وهي عن عَدَنَ في الغرب بميلة إلى الجنوب، ثم يمر إلى مدينة مَقْدِسُو^(١)، ثم يمتد كذلك حتى ينتهي إلى (خليج بَرِّرَا) الخارج من بحر الهند في جانبه الجنوبي على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويتجاوز فم هذا الخليج ويمتد على (سواحل بلاد اَنْزُجِ) حتى ينتهي إلى آخرها، ثم يمتد على (سواحل بلاد الواق واق) على أماكن مجهولة حتى ينتهي إلى مبدئه من البحر المحيط الشرق . على أنه في تقويم البلدان لم يتعرض لساحل هذا البحر الجنوبي فيما هو شرقي باب المُنْدَبِ لعدم تحققه .

(١) في تقويم البلدان [بكسر الدال] وفي معجم البلدان [بفتح الدال] فهما لغتان .

وأعلم أن هذا البحر يسمى في كل مكان باسم ما يسامته من البلدان ، أو باسم بعض البلدان التي عليه . فيسمى فيما يقابل بلاد الصين بحر الصين ، وفيما يقابل بلاد الهند إلى ماجاورها إلى بلاد اليمن شرق باب المندب بحر الهند ، وفيما دون باب المندب إلى غايته في الشمال والغرب بحر القلزم نسبة إلى مدينة القلزم المتقدمة الذكر في ساحل الديار المصرية .

قال في "تقويم البلدان" : وطول هذا البحر من طرف بلاد الصين الشرق إلى القلزم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب ، ومقتضى كلام ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلاثان : فإنه قد ذكر أن طول بحر الصين والهند إلى باب المندب أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ ، ثم ذكر أن طول بحر القلزم ألف وأربعمائة ميل ، وهي أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلاثان وبين الكلامين بون .

وكلام صاحب تقويم البلدان أقرب إلى الصواب . فإنه أستخرجه من تضريب الدرَج واستخراج أميالها وفراسخها . وبآخر بحر القلزم من الذراع الآخذ إلى جهة السويس على ميل من مدينة القلزم موضع يعرف (بذنب التمساح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين الفرما حتى يكون بينهما نحو سبعين ميلا فيما ذكره ابن سعيد .

قال في "الروض المعطار" : وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل ما بين القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم ، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى في كتابه . قال : ولما لم يتأت له ذلك آحفر خليجا آخر مما يلي بلاد تنيس وديمياط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان (؟) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية، وتدخل من بحر القلزم إلى ذنب التماسح فيقرب مافي كل بحر إلى الآخر، ثم آرتدم ذلك على طول الدهر .

وقد ذكر ابن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذنب التماسح المتقدم ذكره فهماه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقال : إِذَنْ يَتَخَطَّفُ الرُّومُ الْمُجْحَاجَ .

وذكر صاحب "الروض المِعْطَار" أن الرشيد هم أن يوصل ما بين هذين البحرين من أصل مَصَبِّ النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما يلي بلاد الفَرَمَا فقال له يحيى بن خالد : إن تم هذا تَخَطَّفُ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَكَّةَ ، وَاحْتِجَّ عَلَيْهِ بِمَنْعِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ .

ويتفرع من البحر الهندي بحران عظيمان مشهوران ، وهما (بحر فارس ، والخليج البربرى) .

فأما بحر فارس ، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره من شماليه ، ويمتد شمالا بميلة إلى الغرب غربى (مفازة السند) الفاصلة بينه وبين بحر الهند ، ثم على غربى بلاد السند ، ثم على أرض (مَكْرَانَ) من نواحي الهند ، ويخرج منه من آخر مَكْرَانَ خَوْرٌ يمتد شرقا وجنوبا على ساحل مَكْرَانَ وَالسُّنْدِ حَتَّى يَصِيرَ السُّنْدُ غَرْبِيَّةً ، ثم يعطف آخره على (ساحل بلاد كَرْمَانَ) من شماليها حتى يعود إلى أصل بحر فارس ، فيمتد شمالا حتى ينتهى إلى مدينة (هُرْمُوز) وينتهى إلى آخر كَرْمَانَ فيخرج منه خَوْرٌ يمتد على ساحل كَرْمَانَ من شماليها ، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصل بأصل بحر فارس ، ويمتد شمالا ثم يعطف ويمتد مغربا إلى (حصن ابن عُمَارَةَ) من بلاد فارس ، وقيل من بلاد كَرْمَانَ ، وهو اليوم خراب ،

ثم يمتد مغرباً في جبال منقطعة ومفاوز إلى مدينة (سِيرَاف) ثم يمتد كذلك إلى (سِيف البحر) بكسر السين : وهو ساحل من سواحل فارس ، فيه مزارع وقرى مجتمعة ؛ ثم يمتد إلى (جَنَابَة) من بلاد فارس ، ثم يمتد إلى (سِينِيز) من بلاد فارس ، وقيل من الأهواز ثم يمتد إلى مدينة (مَهُرُوبَان) من سواحل خوزستان ، وقيل من سواحل فارس ، وهي فُرْصَة (أَرَجَان) وما والاها ، ثم يمتد مغرباً بميلة يسيرة نحو الشمال إلى مدينة (عَبَادَان) من أواخر بلاد العِراق من الشرق على القرب من البَصْرَة عند مَصَبِّ دِجْلَة في هذا البحر ؛ ثم ينعطف ويمتد جنوباً إلى (كَاطِمَة) وهي جَوْنٌ على ساحل البحرين مما يلي البصرة على مسيرة يومين منها ؛ ثم يمتد إلى (القَطِيف) من بلاد البحرين ثم يمتد كذلك إلى مدينة (عُمَان) فُرْصَة بلاد البحرين ، وإليها تنتهي مراكب السند والهند والزنج ، ويخرج على القرب منها عن يمين المقلع من ساحلها في جهة الغرب بحرٌ بِلَاد (الشَّحْرِ) من اليمن أيضاً ، وإليها ينسب العنبر الشَّحْرِيُّ الطَّيِّب كما تقدم ذكره في النوع الخامس فيما يحتاج إليه من نفيس الطيب ؛ ثم يمر على سواحل (مَهْرَة) من شرق بلاد اليمن حتى ينتهي إلى مبدئه من بحر الهند .

قال في "تقويم البلدان" : وبفم هذا البحر ثلاثة أجبلٍ يخشاها المسافرون ، يقال لأحدها كُسَيْرٌ ، والثاني عَوِيرٌ ، والثالث ليس فيه خير .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وطول هذا البحر أربعائة فرسخ وأربعون فرسخاً ، وعمقه ثمانون باعاً .

وأما الخليج البربري ، فهو ينبعث من بحر الهند المتقدم ذكره في جنوبي جبل المنْدَب المتقدم الذكر ، ويمتد في جنوبي بلاد الحبشة ، ويأخذ غرباً حتى ينتهي إلى مدينة بَرَّاء (بباين موجدتين مفتوحتين ورايين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

وهي قاعدة الزَّاوَةِ من السُّودَان، حيث الطُّولُ ثمان وستون درجةً والعَرْضُ ست درج ونصف .

قال في "تقويم البلدان": وطوله من المشرق إلى المغرب نحو خمسمائة ميل .
قال الشريف الإدريسيّ : وموجه كالجبال الشواهي ولكنه لا ينكسر . قال :
يركب فيه إلى جزيرة قنبلو ويقال قنبلة ، وهي جزيرة للزُّنُج في هذا البحر .
قال في "القانون" : وطولها اثنتان وخمسون درجة ، وعرضها في الجنوب ثلاث درج .
قال الإدريسيّ : وأهلها مسلمون .

البحر الثالث

(الخارج من المحيط الشمالى، المعروف ببحر برّديل)

(بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام فى الآخر) .

قال ابن سعيد : ويقال له بحر برطانية أيضا ، وهو بحر يخرج من شمالى الأندلس ويأخذ شرقا إلى خلف جبل الأبواب الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ويقرب طرفه الشرقى حتى يبقى بينه وبين بحر الروم المتقدم ذكره أربعون ميلا ، وهناك مدينة (برّديل) التى يضاف البحر إليها .

الضرب الثانى

(من البحار المنبثة فى أقطار الأرض ما ليس له اتصال بالبحر المحيط)
وهو بحر الخزر (بفتح الخاء والزاي المعجمتين، وراء مهملة فى الآخر) .

ويسمى بحر جرجان لوقوع مدينة جرجان على ساحله ، وبحر طبرستان لوقوع ناحية طبرستان على ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر ملح منفرد عن البحار لا اتصال له بغيره البتة .

قال ابن حوقل : وهو مظلم القعر ، ويقال إنه متصل ببحر نيطش من تحت الأرض .

قال المسعودي : وهو غاط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه فائله أم من طريق الحس ، أم من طريق الاستدلال والقياس .

قال الشريف الإدريسي : وهو مدور الشكل إلى الطول ، وقيل مثلث الشكل كالقلم ، وعلى ساحله الجنوبي بلاد الجيل والديلم ، وعلى جانبه الشرق بلاد جرجان والمفاضة التي بين جرجان وخوارزم ، وعلى جانبه الشمال بلاد الترك والخزر وجبال سياه كوه ، وعلى جانبه الغربي بلاد إيلاق وجبال الفتق ، وأبتدأه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف باب الأبواب من بلاد آران ، حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على القرب من دربند شروان ، ثم يمتد جنوبا من باب الحديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكرفيه ، ثم يمتد مشرقا بانحراف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا ، فيمر على أراضي موقان من عمل أردبيل من آذربيجان ، ثم يمتد جنوبا وشرقا حتى تبلغ غايته في الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قصبة طبرستان ، ثم ينعطف ويمتد شرقا حتى يجاوز بلاد الجيل إلى مدينة آبسكون ، وهي فرضة جرجان ، ثم يمتد إلى نهايته في الشرق حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض نحو أربعين عند مدينة جرجان ، وهي في الشرق منه قرية من ساحله ، ثم ينعطف ويمتد شمالا وغربا حتى يبلغ نهايته في الشمال حيث العرض نحو خمسين درجة ، والطول تسع وسبعون

(١)
درجة؛ وفي شماليه وغربيه يصبّ نهر إيل الذي عليه مدينة السراى قاعدة مملكة
أزبك الآتى ذكرها في مكتبة قانهم إن شاء الله تعالى .

قال في "تقويم البلدان" : وليس في هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصل الثالث

من الباب الأول من المقالة الثانية

(في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في كيفية استخراج جهات البلدان)

إذا كنت في بلد وأردت أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذي أنت فيه، فالذى أطلقه
كثير من المصنّفين أنك تعرف طول البلد الذى أنت فيه وعرضه، وطول البلد الآخر
وعرضه، وتقابل بين الطولين وبين العرضين فإن كان ذلك البلد أعرض من بلدك
مع مساواته له في الطول، فهو عنك في جهة الجنوب . وإن كان أطول من بلدك
مع مساواته له في العرض، فهو عنك في جهة الشرق . وإن كان أقلّ طولاً مع مساواته
في العرض، فهو عنك في جهة الغرب . وإن كان أطول وأعرض من بلدك،
فهو عنك بين الشرق والشمال . وإن كان أقلّ طولاً وعرضاً، فهو عنك بين المغرب
والجنوب . وإن كان أقلّ طولاً وأكثر عرضاً، فهو عنك بين الجنوب والشمال .
وإن كان أكثر طولاً وأقل عرضاً، فهو عنك بين الشرق والجنوب .

والذى ذكره المحققون من علماء الهيئة أن البلد إذا كان أطول من بلدك مع
مساواته له في العرض، يكون عنك في جهة الشرق بميلة إلى الشمال . وإذا كان أقلّ

(١) في معجم البلدان بالثناة الفوقية [بوزن إيل] .

طولا مع مساواته له في العرض ، يكون في جهة الغرب بميلة إلى الشمال أيضا .
وإذا كان أقل طولا وعرضا ، يكون بين المغرب والجنوب على ما تقدم ، إلا أن يقل
الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
على وسط المغرب . وإذا كان أقل طولا وأكثر عرضا ، فإنه يكون بين المشرق
والمغرب على ما تقدم ، إلا أن يقل الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
على وسط المشرق .

الطرف الثاني

(في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان)

قد تقدم أن الأطوال والعروض في الأمكنة والبلدان تعتبر بالدرج والدقائق ،
وأن الدرجة مقسومة بستين دقيقة ، ثم الذي حققه القدماء كبطليموس صاحب
المجسطى وغيره تقدير الدرجة بستة وستين ميلا وثلاثي ميل ، وبه أخذ أكثر المتأخرين ،
وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرصد المأمورين مما يخالف ذلك بنقص عشر درج
مما لا تعويل عليه .

وقد نقل علاء الدين بن الشاطر من المتأخرين في "زيجه" عن القدماء أنهم قدروا
الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا ، وبستين ميلا ، وبمئتي ألف وأربعين ألف ذراع ،
وبخمسة برود ، وبمسير يومين .

وقدر الشافعي رضي الله عنه ذلك بسير يودين بالأيام المعتدلة دون لياليهما ، وقدر
السير بالسير المعتدل ، وتقدير الدرجة كما بين القسطاط ودمياط ، فإن عرض دمياط
يزيد على عرض القسطاط بدرجة وكسر يسير على ما سيأتي ذكره .

فاذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذي أنت فيه وبين بلد آخر على الخط المستقيم ،
فلك حالتان :

الحالة الأولى - أن يكون ذلك البلد على سَمْتِ بلدك الذى أنت فيه فى الطول أو العرض، فأنظر كم درجة بينهما بالزيادة والنقص فاضربه فى ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعد ما بينهما من الأميال على الخط المستقيم، فاعتبره بما شئت من المراحل والفراسخ والبُرد على ما تقدم بيانه .

الحالة الثانية - أن لا يكون ذلك البلد على سَمْتِ بلدك الذى أنت فيه . فطريقك أن تقابل بين عرض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنظر كم فضل ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيده أحد الطولين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كلاً من فضل الطولين وفضل العرضين فى مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جذره، وهو القدر الذى إذا ضربته فى مثله حصل عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدرج، فاضربه فى ست وستين وتُثلثين على ما تقدم، فما بلغ فهو أميال . فاعتبره بما شئت من المراحل والفراسخ والبُرد على ما تقدم .

مثال ذلك - أن الفُسْطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة ودمشق طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف درجة، ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث درج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين : وهو خمس درج فى مثله يبلغ خمسا وعشرين ، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف فى مثله يبلغ أثنى عشر وربعاً، فتجمع ما حصل من الضربين، وهو خمس وعشرون وأثنا عشر وربع يكون سبعة وثلاثين وربعاً فخذ جذرها يكن ستاً ونصف سدس تقريباً، وهو ما بين الفُسْطَاطَ ودمشق من الدرج، فاضربه فى ست وستين وتُثلثين، وهى ما للدرجة الواحدة من الأميال يكن أربعائة وخمسة أميال وثلث سدس ميل، فإذا آعتبرت كل أربعة

وعشرين ميلاً بمرحلة على ما تقدم، كانت سبع عشرة مرحلة تقريباً، وهو القدر الذى بين القُسطاطِ ودِمَشقَ على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلدان على التعاريح بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

وقد ذكر أبو الرِّيحان البيرونى في كتابه "القانون": أن زيادة التعريح على الاستواء يكون بقدر الخمس تقريباً. فإذا كان بين البلدين أربعون ميلاً على الخط المستقيم كانت بحسب سير السائر خمسين ميلاً .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريح على بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد فى الأسفار .

اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدم بين القُسطاطِ ودِمَشقَ، فقد مرّ أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب، فإذا أضيف إليها مثلُ خمسها، وهو ثلاثة وخمسان، كانت عشرين مرحلة، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل . وأعلم أن أطوال البُلدان وعُرُوضها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفرّس . و"رسم المعمور" المترجم للأمون من اللغة اليونانية . و"الزيجات" وغير ذلك اختلاف كثير وتباين فاحش . ومن صرح بذلك أبو الرِّيحان البيرونى فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها: ولم يتهىألى تصحيح جميعها، وقد صححتُ ما أمكن منها .

قال فى "تقويم البُلدان": إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

الباب الثاني

من المقالة الثانية

(في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء، ومَقَرَّاتهم في القديم والحديث، وما أنطوت

عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت عليه من الترتيب،

وما هي عليه الآن، وفيه فصلان)

الفصل الأول

في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء : من خلفاء بني أُمَيَّةَ بالشَّام ، وخلفاء

بني العبَّاس بالعراق ، وخلفاء الفاطميين بمصر، وخلفاء بني أُمَيَّةَ بالأندلس .

أما الخلافة، فسيأتى في المقالة الخامسة في الكلام على الولايات أن المراد بها

خِلافة النبي صلى الله عليه وسلم بعده في أمته . ولذلك كان يقال لأبي بكر الصديق

رضي الله عنه : خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال

في الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتى ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .

وأما مَنْ وليها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات .

الطبقة الأولى

(الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وأولهم ((أبو بكر الصديق رضي الله عنه))؛ بوع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه

النبي صلى الله عليه وسلم ! على ما سيأتى ذكره في الكلام على البيعات من المقالة

الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقي حتى توفى لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة

ودفن مع النبي صلى الله عليه وسلم ! في حُجْرَةِ دَائِشَةَ رضي الله عنها

وبويع بعده ((عمر بن الخطاب رضى الله عنه)) فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عهد له بالخلافة ، وتوفي يوم السبت سلخ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبى لؤلؤة : غلام المغيرة بن شعبة ، ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه

وفى أيامه فتحت الأمصار ففتحت دِمَشْقُ على يد خالد بن الوليد وأبى عبيدة ابن الجراح ، وتبعها فى الفتح سائر بلاد الشام ، ففتحت بَيْسَانُ ، وطَبْرِيَّةُ ، وقَيْسَارِيَّةُ ، وفَلَسْطِينُ ، وعَسْقَلَانُ ، وبَعْلَبَكُ ، وحمص ، وحلب ، وقنسرين ، وأنطاكية ، وسار إلى بيت المقدس فى خلال ذلك ، ففتحه صلحا .

وفتح من بلاد الجزيرة الفواتية الرقة ، وحران ، والموصل ، ونصيبين ، وآمد والرها .
وفتح من العراق القادسية ، والمدائن ، على يد سعد بن أبى وقاص ، وزال ملك الفرس ، وأنهزم ملكهم يزديجرد إلى فرغانة من بلاد الترك .

وفتح أيضا كور دجلة ، والأبله ، على يد عتبة بن غزوان .

وفتح كور الأهواز على يد أبى موسى الأشعرى .

وفتح نهاوند ، وإصطخر ، وأصبهان ، ونستر ، والسوس ، وأذر بيجان ، وبعض أعمال خراسان .

وفتح مصر ، والإسكندرية ، وأنطاكس ، وهى برقة ، وطرابلس الغرب ، على يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده ((عثمان بن عفان رضى الله عنه)) لثلاث بقين من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقتل بالمدينة لثمان عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل يوم الأضحى ، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده ((على كرم الله وجهه)) يوم قتل عثمان، وقتل لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق، ودفن بالنجف على الصحيح المشهور.

وبويع بالخلافة لأبنه ((الحسن)) بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه، وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الأولى، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن توفي بها في ربيع الأول سنة تسع وأربعين، وقيل ست وخمسين.

الطبقة الثانية

(خلفاء بنى أمية)

أولهم ((معاوية بن أبي سفيان)) كان أميراً على الشام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمر بها إلى أن سلم الحسن إليه الأمر، فاستقل بالخلافة وبقى حتى توفي بدمشق مستهل رجب الفرد سنة ستين من الهجرة، وقيل في النصف من رجب، وهو أول من رتب أمور الملك في الإسلام.

وقام بالأمر بعده ابنه ((يزيد)) بالعهد من أبيه، وبويع له بعد وفاته في رجب سنة ستين، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين.

وقام بالأمر بعده ابنه ((معاوية)) وبويع له بالخلافة في النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، فأقام بالخلافة أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل عشرين يوماً.

وقام بالأمر بعده ((مرؤان بن الحكم))، وبويع له بالخلافة بالجالية في رجب سنة أربع وستين، ثم جددت له البيعة في ذي القعدة من السنة المذكورة، وتوفي بالطاعون بدمشق في شهر رمضان سنة خمس وستين.

وقام بالأمر بعده أبنه ((عبد الملك)) بالعهد من أبيه ؛ وبويع له بالخلافة في الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفي بِدِمَشْقَ منتصف شوال سنة ست وثمانين .

وقام بالأمر بعده أبنه ((الوليد)) بالعهد من أبيه ؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفي بِدِمَشْقَ في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

وقام بالأمر بعده أخوه ((سليمان بن عبد الملك)) ؛ وبويع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفي بِدَائِقَ لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده أبن عمه ((عمر بن عبد العزيز)) بعهد له ؛ وبويع له بالخلافة يوم موته، وتوفي بِحُنَاصِرَةَ لخمس وقيل لست بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقام بالأمر بعده ((يزيد بن عبد الملك بن مروان)) بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لأبن عمه عُمر؛ وبويع له يوم موت عمر، وتوفي بِجَوْلَانَ لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه ((هشام بن عبد الملك)) بعهد من أخيه يزيد؛ وبويع له بالخلافة في يوم موته ، وتوفي بِالرُّصَافَةِ لست خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده ((الوليد بن يزيد بن عبد الملك))؛ وبويع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين^(١) .

(١) أى فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعده أبنه **(يزيد)** المعروف بالناقص ؛ سمي بذلك لتقصه الجند ما كان زادهم **يزيد** ؛ بويج له بالخلافة يوم قتل الوليد، وتوفى بدششق لعشر بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده أخوه **(إبراهيم بن الوليد)** ؛ بويج له بالخلافة بعد وفاة أخيه في ذى الحجة المذكور، فكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوماً ثم خلع نفسه .

وقام بالأمر بعده **(مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي)** بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمر إليه ؛ وفي أيامه ظهرت دعوة بني العباس ، وقصدته جيوشهم فهرب إلى مصر ، فأدرك وقتل بقرية يقال لها بوضير من الفيوم ، وبزواله زالت دولة بني أمية .

الطبقة الثالثة

(خلفاء بني العباس بالعراق)

وأول من قام بالأمر منهم بعد خلفاء بني أمية **(السفاح)** وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس : عم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بويج له بالخلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وتوفى بالأنبار لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه **(المنصور)** أبو جعفر عبد الله ؛ بويج له بالخلافة يوم موت أخيه **السفاح** ، وتوفى بطريق مكة وهو محرم بالحج سنة ثمان وخمسين ومائة ، ودفن بالحجون .

وقام بالأمر بعده أبنه **(المهدي)** أبو عبد الله محمد ؛ بويج له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد ، وتوفى بماسبذان في المحرم سنة تسع وستين ومائة .
وقام بالأمر بعده أبنه **(الهادي)** أبو محمد موسى ؛ بويج له بعد أبيه يوم موته وهو غائب ، فسار إلى بغداد ودخلها بعد عشرين يوماً ، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

(١) وكان مقبلاً بمرجان يحارب أهل طبرستان بعسكر أبيه .

وقام بالأمر بعده ((الرشيد)) أبو محمد هرون بن المهدى، بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادي، وتوفي ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه ((الأمين)) أبو عبد الله محمد، ويقال أبو موسى، ويقال أبو العباس، بالعهد من أبيه هرون الرشيد، وبويع له صبيحة الليلة التي توفي فيها أبو الرشيد، وقتل لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه ((المأمون)) أبو العباس، ويقال أبو جعفر عبد الله، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين، وبويع له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو غائب، وبويع له البيعة العامة لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وتوفي بأرض الروم لليلة بقيت من رجب، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمان عشرة ومائتين، ودفن بطرسوس .

وقام بالأمر بعده أخوه ((المعتصم بالله)) أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطرسوس، فسار إلى بغداد، فدخلها مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين، وتوفي بسامرا لثاني عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه ((الواثق بالله)) أبو جعفر هرون، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفي بسر من رأى لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه ((المتوكل على الله)) أبو الفضل جعفر، بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق، وقتل لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبنه ((المستنصر بالله)) أبو جعفر محمد؛ بويع له بالخلافة صبيحة قتل أبيه المتوكل، وتوفي بَسَاصًا ثلاث خلون من ربيع الآخر، وقيل لخمس خلون من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ((المستعين بالله)) أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة في اليوم الثاني من موت المستنصر، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وجهّز إلى واسط، فقتل بها في آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده ((المُعْتَرِّ بالله)) أبو عبد الله محمد، وقيل أبو الزبير ابن المتوكل على الله المتقدم ذكره؛ بويع له ببغداد حين خلع المستعين نفسه، وبايعه المستعين فيمن بايع، وخلع ثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم قتل بعد ذلك .

وقام بالأمر بعده ((المهتدي بالله)) أبو عبد الله ، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله، وقتل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ؛ وكان يقال هو في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية .

وقام بالأمر بعده ((المعتمد على الله)) أبو العباس ، ويقال أبو جعفر أحمد بن جعفر المتوكل المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المهتدي بالله، وتوفي لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ((المعتضد بالله)) أبو العباس أحمد بن الموفق، طلحة بن جعفر المتوكل؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المعتمد على الله، وتوفي ببغداد لسبع وقيل لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أبوه ((المكتفى بالله)) أبو محمد عليّ؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه المعتضد وهو غائب بالرقّة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتي عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين. وقام بالأمر بعده أخوه ((المقتدر بالله)) أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المتقدم ذكره، وخُلِعَ لعشر بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين.

وبويغ ((المرتضى بالله)) أبو محمد عبد الله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم اضطرب عليه الأمر فأختفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بابن المعتز فصادره، ثم أخرج من دار السلطان ميّتا لليلتين خلّتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خَلَعَ المقتدر بالله نفسه؛ وبويغ بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقي حتى قُتِلَ لثلاث خلون من شوال سنة عشرين وثلاثمائة.

وقام بالأمر بعده أخوه ((القاهر بالله)) المتقدم ذكره، لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، ثم خلع وسُيِّمَ عيناها لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وقام بالأمر بعده ابن أخيه ((الراضى بالله)) أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدم ذكره، وتوفى لست عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. وقام بالأمر بعده أخوه ((المتقى بالله)) أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدم ذكره؛ بويغ له بالخلافة لعشر بقين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وخُلِعَ وسُيِّمَ عيناها لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

وقام بالأمر بعده ابن عمه ((المستكفي بالله)) أبو القاسم عبد الله بن المستكفي بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المتبق بالله بمشاركته له^(٢)، ثم خلع وسميت عيانه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة .

وقام بالأمر بعده ابن عمه ((المطيع لله)) أبو القاسم، ويقال أبو العباس الفضل ابن المقدر بالله المتقدم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المستكفي، وخلع نفسه منها للعجز بالمرض في الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

وولى الخلافة بعده ابنه ((الطائع لله)) أبو بكر عبد الكريم؛ بويع له بالخلافة يوم خلع أبيه المطيع لله، وقُيِّضَ عليه ثلاثي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، فخلع نفسه .

وقام بالأمر بعده ((القادر بالله)) أبو العباس أحمد بن إسحاق؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الطائع، وكان غائبا بالبطائح فأحضر، وجددت له البيعة ببغداد في شهر رمضان من السنة المذكورة، وتوفي حادى عشر ذى الحجة سنة ثمانين وعشرين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه ((القائم بأمر الله)) أبو جعفر عبد الله ، بالعهد من أبيه ، وجددت له البيعة بعد موت أبيه ، توفي ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابن ابنه ((المقتدى بأمر الله)) عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدم ذكره، وتوفي بغاة في الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه ((المستظهر بالله)) أبو العباس أحمد؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وتوفي سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

(١) كذا في العقد أيضا وفي حياة الحيوان [أبو العباس] .

(٢) ليست هذه الكلمة في العقد ولا في حياة الحيوان وهي قليلة الجدوى كما ترى .

وقام بالأمر بعده أبنه ((المسترشد بالله)) أبو منصور الفضل ؛ بويغ له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر، وقتل في قتال الباطنية سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((الراشد بالله)) أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيه ؛ وجددت له البيعة يوم قتله ، وخلع في منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ((المقتنى لأمر الله)) أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدم ذكره ؛ بويغ له بالخلافة يوم خلع الراشد بالله، وتوفى ثاني ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((المستجد بالله)) أبو المظفر يوسف ؛ بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتنى ، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((المستضيء بالله)) أبو محمد الحسن ؛ بويغ له بالخلافة يوم وفاة أبيه المستجد من أقاربه بيعة خاصة ، وفي عشرة بيعة عامة ^(١) ، وتوفى ثاني ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((الناصر لدين الله)) أبو العباس أحمد ؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه المستضيء ، وتوفى أول شوال سنة اثنين وعشرين وستائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((الظاهر بأمر الله)) أبو نصر محمد ؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه الناصر ، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((المستنصر بالله)) أبو جعفر المنصور ؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر ، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستائة .

وقام بالأمر بعده أبنه ((المستعصم بالله)) أبو أحمد عبد الله ؛ بويغ له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بانه ، وقتله هولاكو ملك التتار في العشرين من المحرم سنة

(١) أى ثاشر ربيع الآخر التالى للبيعة الخاصة الواقعة في التاسع .

ست وخمسين وستائة . وبقتله أنقرضت الخلافة العباسية من بغداد، وهو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس ببغداد إذا عدت خلافة ابن المعتز، وحسبت خلافة القاهرة أولاً وثانياً خلافة واحدة .

الطبقة الرابعة

(خلفاء بني العباس بالديار المصرية من بقايا بني العباس)

وأول من قام بأمر الخلافة بها ((المستنصر بالله)) أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد المتقدم ذكره . وذلك أنه لما قتل التتر المستعصم المتقدم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرة نحواً من ثلاث سنين ونصف ثم قدم جماعة من عرب الحجاز إلى مصر في رجب سنة تسع وخمسين وستائة أيام الظاهر بيبرس، ومعهم المستنصر المذكور، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر، فعقد الملك الظاهر له مجلساً حضره جماعة من العلماء، منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية، وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرس الشافعى، وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده، وشهد أولئك العرب بنسبه، ثم شهد جماعة من الشهود على شهادتهم بحكم الاستفاضة، وأثبت ابن بنت الأعرس نسبه، ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهل الحل والعقد، وأتم الملك الظاهر بأمره، وأستخدم له عسكرياً عظيماً، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته بفخهزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعاً أن يستولى عليها وينتزعها من التتار، فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد فقتلوه، وقتلوا غالب عسكره في العشر الأول من المحرم سنة ستين وستائة . فكانت خلافته دون السنة، وهو أول خليفة لقب بلقب خليفة قبله، وكانوا قبل ذلك يلقبون بالقبائل مرتجلة .

وقام بالأمر بعده ((الحاكم بأمر الله)) أبو العباس أحمد بن حسين بن أبي بكر ابن الأمير أبي علي القتيبي ابن الأمير حسن بن الراشد بالله أبي جعفر المنصور المتقدم ذكره في الخلفاء ببغداد . قَدِمَ مصر سنة تسع وخمسين وستائة ، وهو ابن خمس عشرة سنة في سلطنة الظاهر بيبرس ، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد ، وجلس له مجلسا عاما أثبت فيه نسبه ، وبايعه بالخلافة في سنة ست وستين وستائة ، وأشركه معه في الدماء في الخطبة على المنابر ، إلا أنه منعه التصرف والدخول والخروج . ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، فأسكنه بالكبش بخط الجامع الطولوني ، فكان يخطب أيام الجمعة في جامع القلعة ويصلي ، ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلطن المنصور لاجين ، فأباح له التصرف حيث شاء وأركبه معه في الميادين ، وتوفي في شهر سنة إحدى وسبعائة .

وقام بالأمر بعده ابنه ((المستكني بالله)) أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه الحاكم ، وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه ، وأستقر على ما كان عليه أبوه من الركوب والتزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير في شهر سنة تسع وسبعائة ، فحصل عند السلطان منه وحشة ، فجهزه إلى قوص ليقم بها ، وبقى بقوص حتى توفي في سنة أربعين وسبعائة .

وولى الخلافة بعده ابنه ((المستعصم بالله)) أبو العباس أحمد بعهد من أبيه المستكني بأربعين شاهدا بمدينة قوص ، ودعى له على المنابر في العشر الأخير من شوال سنة أربعين وسبعائة .

ثم خلعه الناصر محمد بن قلاوون ، وبايع بالخلافة ((الوائق بالله)) أبا إسحاق إبراهيم ابن الحاكم بأمر الله المتقدم ذكره ، وأمر بأن يدعى له على المنابر ، وتحمل له راية الخلافة ،

فخرى الأمر على ذلك . وكان قد هم بمبايعته بعد موت المستكفي فلم يتم له . فلما توفي الملك الناصر في العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقدم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم ، وبقي حتى توفي رابع شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعائة .

ثم ولى الخلافة بعده أخوه (المعتضد بالله) أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، وتوفي عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعائة .

وولى الخلافة بعده ابنه (المتوكل على الله) أبو عبد الله محمد بن المعتضد بالله المتقدم ذكره بالعهد من أبيه المعتضد ، واستقر له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعائة ، وبقي حتى خلعه الأمير أيك أنابك العساكر في سلطنة الملك المنصور على بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه (المستعصم بالله) أبو يحيى زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدم ذكره ، فأقام في الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل على الله محمد بن أبي بكر إلى الخلافة ثانيا في أواخر المحرم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعائة ، واستمر حتى قبض عليه الظاهر برقوق وأعتقله بقلعة الجبل في مستهل شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعائة .

وولى الخلافة مكانه (الواثق بالله) أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره ، فبقي حتى توفي في العشر الأول من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعائة ، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدم ذكره ثانيا إلى الخلافة ، والمتوكل على الله في الاعتقال والناس لا يرون في كل ذلك الخليفة غيره .

ثم عن ذلك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكل على الله من الاعتقال، وأكرمه وأحسن إليه في ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وبقي في الخلافة حتى توفي سابع عشر شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة .

وولى الخلافة بعده أبوه (أبو الفضل العباس ولقب المستعين بالله) وبقي في الخلافة على سنين من تقدمه من الخلفاء العباسيين بالديار المصرية من قصور أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على الناصر فرج بن برقوق بالشام في الثاني عشر من ربيع الأول من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فاستقل بالأمر وأستبد به، وأجمع له أمر الخلافة: من ضرب اسمه على السكة في الدنانير والدرهم والدعاء له على المنابر بمفرده، والعلامة على التقاليد والتواقيع والمكاتبات وغيرها، وفوض أمر تدبير دولته للأمر "شيخ" وكتب له تفويض في ورق، عرضه ذراع ونصف بذراع البز، يزيد عما كان يكتب فيه للسلطين نصف ذراع بقلم مختصر الطومار .

وكان المتولى لأمر كتابته المقر الشمسى محمد العمري عين أعيان كتاب التست الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية، ونائب كاتب السر . وسيأتى ذلك في الكلام على التواقيع في المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وأما مقررات الخلفاء، فهي أربع مقررات :

المقرة الأولى

(المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام)

كانت مقرة الخلفاء الراشدين إلى حين أنقراضهم، وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام بها حتى توفي في الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثاني عشر الخ ولكن في العقد "لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول" ولعل المؤلف آتبعه .

ثم كان بعده في الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، ثم الحسن إلى حين سلّم الأمر لمعاوية، وإنما كان مقام عليّ والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية .

المقرّة الثانية

(الشام)

وهي دار خلفاء بني أميّة إلى حين أنقراضهم

قد تقدّم أن معاوية كان أميراً على الشام قبل الخلافة، ثم أسقط بالأمر حين سلّم إليه الحسن، وبقي في الشام هو ومن بعده إلى حين أنقراض خلافتهم، فقتل مروان بن محمد على ما تقدّم ذكره . وكانت دار إقامتهم دمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة .

المقرّة الثالثة

(العراق)

وهي دار خلفاء بني العباس

وكان أول مبايعة السّفّاح به بالكوفة على ما تقدّم، ثم بني بعد ذلك بالأنبار مدينةً وسماها الهاشمية ونزلها . فلما ولي أخوه أبو جعفر المنصور الخلافة بعده بني بغداد . وسكنها وصارت منزلاً لخلفاء بني العباس بعده إلى حين أنقراض الخلافة منها بقتل التتر المستعصم آخر خلفائهم بها .

المقرّة الرابعة

(الديار المصرية)

وهي دار الخلافة الآن

وقد تقدّم سبب انتقال الخلافة إليها بعد أنقراضها من بغداد في الكلام على من ولي الخلافة من الخلفاء، فأغنى عن إعادته هنا .

وقد تقدّم أن الحاكم بأمر الله ثانی خلفائهم بمصر أسكنه الأشرف خليل بن قلاوون بالكبش بخط الجامع الطولوني . أما الآن فاستقرت دار الخلافة بخط المشهد النفيسي بين مصر والقاهرة ، ولا أخلى الله هذه المملكة من آثار النبوة .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثانية

(فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم ، وما كانت عليه

من الترتيب ، وما هي عليه الآن)

أما ما أنطوت عليه من الممالك ، فاعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينة من القرى تخيير ونحوها .

وفتح خالد بصرى من الشام في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وهي أول فتح فتح بالشام ، ثم كانت الفتوح الكثيرة في خلافة عمر رضى الله عنه ، ففتح بلاد الشام ، وكور دجلة والأبله ، وكور الأهواز ، وإصطخر ، وأصبهان ، والسوس ، وأذربيجان ، والرّي ، وجرجان ، وقزوین ، وزنجان ، وبعض أعمال خراسان ، وكذلك فتحت مصر ، وبرقة ، وطرابلس الغرب .

ثم فتح في خلافة عثمان رضى الله عنه : كرمان ، وسجستان ، ونيسابور ، وفارس ، وطبرستان ، وهراة ، وبقية أعمال خراسان . وفتحت أرمينية ، وحران ، وكذلك فتحت أفريقية ، والأندلس ، وسد الإسلام ما بين المشرق والمغرب ، وكانت الأموال تُجبي من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة ، فتحمل إلى الخليفة ، وتوضع في بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أثناء خلافة بني العباس ، ماعدا الأندلس فإن بقايا خلفاء بني أمية استولوا عليه

حتى يقال : إن الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر إلى السحابة مارة ويقول :
 ”أذهبى إلى حيث شئت يأتينى نراجك“ ثم اضطرب أمر الخلافة بعد ذلك
 وتناصر شأنها وآستبد أكثر أهل الأعمال بعمله من خلافة الراضى على ماسياتى ذكره
 فى الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما ترتيب الخلافة : فله حالتان ،

الحالة الأولى

(ما كان عليه الحال فى الزمن القديم)

اعلم أن الخلافة لابتداء الأمر كانت جارية على ما ألف من سيرة النبى صلى الله
 عليه وسلم ! : من خُشونة العيش ، والقُرب من الناس ، وأطراح الخيلاء وأحوال
 الملوك ، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم ، وجبى إليهم من الأموال
 التى لم يُفِرْ عظماء الملوك بجزء من أجزائها . ونَاهِيكَ أنهم فتحوا عدّة من الممالك العظيمة
 التى كانت يضرب بها المثل فى عظم قدرها ، وارتفاع شأن ملوكها ، من ممالك المشرق
 والمغرب . حتى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : ”إنما المَلِكُ الذى يأكل
 الشعير ويعسُّ على رجله بالليل ماشيا وقد فُتِحَتْ له مشارق الأرض ومغاربها“
 يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن سلّم الحسنُ
 رضى الله عنه الأمر لمعاوية ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم !
 ”الْخِلاَفَةُ فى أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ“ فكان آخر الثلاثين خلافة الحسن .

فلما سلّم الحسن رضى الله عنه لمعاوية بعد وقوع الاختلاف وتباين الآراء ، اقتضى
 الحال فى زمانه إقامة شعار الملك ، وإظهار أبهة الخِلافة ، فأخذ فى ترتيب أمور الخلافة
 على نظام الملك لما فى ذلك من إرهاب العدو وإخافته . بل كان ذلك شأنه وهو

أمير بالشام قبل أن يلى الخلافة . حتى حكى صاحب "المقد" وغيره أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قَدِمَ الشام فى خلافته وهو راكب على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية أمير على الشام، فرج معاوية ملاقاته فى موكب عظيم، فلقى فى طريقه فى خَفٍّ من القوم فلم يشعر به وتعداه طالبا له، ثم عُرِفَ ذلك فيما بعد، فرجع وسلم على أمير المؤمنين عمر، ومثنى إلى جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبت الرجل يا أمير المؤمنين، فالتفت إليه حينئذ، وقال: أنت صاحب الموكب الآن مع ماياغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ - فقال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرض يكثرفيها جواسيس العدو فأحتاج أن أظهر لهم من أبهة الملك والسلطان ما يزعمهم، فإن أمرتنى به، آثمت؛ وإن نهيتنى عنه، آتيت - فقال: إن كان ماقلت حقًا، فإنه لَرَأَى أديب! وإن كان غير حق، فإنه لخُدعة أريب. لا أمرك ولا أنهك - فقال عبد الرحمن: لحسن يا أمير المؤمنين! ما صدر به هذا الفتى عما أوردته فيه - فقال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه .

فلما صارت الخلافة إليه، زاد فى حسن الترتيب وإظهار الأبهة، وأخذ الخلفاء بعده فى مضاعفة ذلك والاحتفال به حتى أمست الخلافة فى أعين ما يكون من ترتيب الملك، وفاقته فى ذلك الأكاسرة والقيصرة . بل أضحل فى جانب الخلافة سائر الممالك العظام، وأنطوى فى ضمنها ممالك المشارق والمغرب، خصوصاً فى أوائل الدولة العباسية فى زمن الرشيد ومنّ والإه .

حتى يحكى أن صاحب عمورية من ملوك الروم كانت عنده شريفة مأسورة فى خلافة المعتصم فعذبها، فصاحت وأعتصماه! فقال لها: لا يأتى المعتصم لخلاصك إلا على أبلق . فبلغ ذلك المعتصم، فنادى فى عسكره بركوب الخيل البلق، وخرج

وفي مقدمة عسكره أربعة آلاف أبلق، وأتى عمورية فحاصرها وخلص الشريفة، وقال : أشهدى لى عند جدك المصطفى صلى الله عليه وسلم أنى جئت لخلاصك ، وفي مقدمة عسكرى أربعة آلاف أبلق .

وقد حكى ابن الأثير فى تاريخه : أنه لما وصلت رُسُل ملك الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلاثمائة فى خلافة المقتدر ، رُتِبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفاً ما بين راكب وراجل ، ووقف بين يدى الخليفة سبعمائة حاجب ، وسبعة آلاف خادم خصى : أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سُود ، ووقف الغلمان المجرية الذين هم بمثابة ممالك الطباق الآن بالباب ، بتمام الزينة والمناطق المحلاة ، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة ، وغرائب الزينة ، وغُشيت جذرائها بالستور ، وفرشت أرضها بالبُسُط ، وكان عدّة البسط اثنين وعشرين ألف بساط ، وعدّة الستور المعلقة ثمانية وثلاثين ألف ستر ، منها اثنا عشر ألف ستر من الديباج المذهب ، وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها ، وطيور الذهب والفضة على أغصانها ، وأعضائها تمثال بحركات موضوعة ، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة ، وألقيت المراكب والدبابد فى دجلة بأحسن زينة . وكان هناك مائة سَبْعَ مع مائة سَبَّاح ، إلى غير ذلك من الاحوال الملوكية التى يطول شرحها .

هذا مع تقهقر الخلافة وأنحطاط رتبها يومئذ . ولم تزل الخلافة قائمة على ترتيب واحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلى آخر أيام الراضى بالله .

فلما ولى المُتَّقِ لله ، تقاصر أمر الخلافة وتناقص ، وقنع الخلفاء من الخلافة بالدعاء على المنابر وضرب أسمهم على الدنانير والدرهم ، وربما خطب الواحد منهم بنفسه ، ومع ذلك فكان الخليفة هو الذى يولى أرباب الوظائف من القضاة وغيرهم ، وتكتب عنه العهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سلطان .

وأما شِعَارُ الخِلافةِ :

فَهِئَا - الخَاتَمُ : والأصل فيه ما ثبت في الصحيح "أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم ! قيل له : إن الملوك لا يَقْرَءُونَ كِتَابًا غيرَ مَخْتومٍ فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ ، وجعل نَقْشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ " فلما تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم ، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبي بكر ، ثم لبسه عثمانُ بعد عمر ، فوقع منه في بئر فلم يُقَدَّرْ عليه . وَاِتَّخَذَ الخُلَفَاءُ بعد ذلك خَوَاتِيمَ ، لكل خَاتَمٍ نَقْشٌ يَخْصُهُ ، وبقي الأمر على ذلك إلى انقراض الخِلافة من بَعْدَادَ .

(ومنها) البُرْدَةُ : وهى بَرْدَةُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم التى كان الخليفة يلبسها فى المَوَاقِبِ .

قال ابن الأثير : وهى شِمْلَةٌ مَخْطُوطَةٌ ، وقيل كِسَاءٌ أَسْوَدُ مَرِيعٍ فِيهِ صِغَرٌ ، وقد اختلف فى وصولها إلى الخلفاء .

حكى المَآوَرِدِيُّ فى الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبي صَلَّى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زُهَيْرٍ حين أَمْتَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ التى أولها : "بَآئَتْ سَعَادُ" فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ مَعَاوِيَةُ . والذى ذكره غيره أن كعبا لم يَسمحَ بِبَيْعِهَا لمعاوية ، وقال : لم أكن لأُوَثِّرُ بِشُوبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب اشتراها معاوية من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى المَآوَرِدِيُّ أيضا عن حَمْرَةَ بن ربيعة أن هذه البردة كان النبي صَلَّى الله عليه وسلم أعطاهَا لِأَهْلِ أَيْلَةِ أَمَانَا لَمْ ، فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدٍ بْنُ أَبِي أُوْفَى ، وهو عامل عليهم من قِبَلِ مَرْوَانَ بن محمد آخرِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، وكانت فى حِرَازَتِهِ حَتَّى أُخِذَتْ بَعْدَ قَتْلِهِ . وقيل اشترَاهَا أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ : أَوَّلُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ .

(ومنها) القَضِيب : وهو عُود كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذه بيده .

قال الماوردي : وهو من تركة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي صدقة .

قلت : وكان القَضِيب والبردة المتقدم ذكرهما عند خلفاء بني العباس ببغداد إلى أن أُنزعهما السلطان سنجر السلجُوقي من المسترشد بالله، ثم أعادهما إلى المقتنى عند ولايته في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذي يظهر أنها بقيت عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة، وهي مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما .

(ومنها) ثياب الخلافة : وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماه في تاريخه في الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بني أيوبَ بآيتين أنه كان به هَوَجٌ، فأدعى أنه من بني أمية ولبس ثياب الخلافة، ثم قال : وكان طول الكم يومئذ عشرين شبراً، فيحتمل أنه أراد زمن بني أمية، وأنه أراد زمن بني أيوب .

(ومنها) اللون في الأعلام والخِلاَع ونحوها .

وكان شعار بني أمية من الألوان الخُضْرَة، فقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد إسماعيل المتقدم ذكره : أنه حين ادعى الخلافة وأنه من بني أمية لبس الخُضْرَة، وهذا صريح في أنه شعارهم .

أما بنو العباس فشعارهم السَّوَادُ، وقد اختلف في سبب اختيارهم السَّوَادَ، فذكر القاضي الماوردي في كتابه "الخواص الكبر" في الفقه : أن السبب في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حنين ويوم الفتح عقد لعمه العباس رضى الله عنه رايةً سوداء .

وحكى أبو حلال العسكري في كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العباسي : أول القائمين من بني العباس بطلب الخلافة قال لشيخته : لا يهولنكم قتلى ، فإذا تمكنتم من أمركم فاستخلفوا عليكم أبا العباس يعني السفاح ، فلما قتله مروان ، لبس شيخته عليه السوداء ، فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم .

ومن غريب ما وقع مما يتعلق بذلك ما حكاه ابن سعيد في "المغرب" أن الظافر الفاطمي أحد خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس ، بعث نساء الخليفة شعورهن طي الكُتب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ وال بمينة بنى خصب ، فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهاراً للحرب على الظافر ، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من القال العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بني العباس بعد خمس عشرة سنة ، ورفعت راياتهم السوداء .



وأما تولية الملوك عن الخلفاء ، فكان الحال فيه مختلفاً باعتبار السلطان بحضرة الخلافة وغيره . فإن كان الذي يوليه الخليفة هو السلطان الذي بحضرة الخلافة ، كبنى بويه وبنى سلجوق وغيرهم ، فقد حكى ابن الأثير وغيره أن السلطان طغرل بك بن ميكائيل السلجوقي لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسى ارتفأه عن الأرض نحو سبعة أذرع ، وعليه البردة ، ودخل عليه طغرل بك في جماعة ، وأعيان بغداد حاضرون ، فقبل طغرل بك الأرض ويد الخليفة ، ثم جلس على كرسى نصب له ، ثم قال رئيس الرؤساء وزير الخليفة عن لسان الخليفة : "إن أمير المؤمنين قد ولّاك جميع ما ولّاه الله تعالى من

بلاده، وردَّ إليك أمرَ عبادِه، فاتق الله فيما ولَّاك، وأعرِف نعمته عليك، ثم خُلِعَ على طغربك سبعُ جبات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطُوق بطوق من ذهب، وسُورَ سِوَارَيْنِ من ذهب، وأُعْطِيَ سيفًا بغلاف من ذهب، ولقبه الخليفة، وقرئَ عهده عليه فقبل الأرض ويدَ الخليفة ثانياً وأنصرف، وقد جُهِّزَ له فرس من إصْطَبَلَاتِ الخليفة بمركب من ذهب مقندس فركب وأنصرف إلى داره، وبعث إلى الخليفة خمسين ألف دينار، وخمسين مملوكاً من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها. ولعل هذا كان ترتيبهم في لبس جميع ملوك الحضرة .

— وإن كان الذى يوليه الخليفة من ملوك النواحى البعيدة عن حضرة الخليفة كملوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهّز له التشريف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة، وهو جبة أطلس أسود بطراز مُذهَّب وطوق من ذهب يجعل في عنقه، وسِوَارَانِ من ذهب يجعلان في يديه، وسيفٌ قرأ به ملبس بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعَلَمٌ أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشر على رأسه، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل. فإذا وصل ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخِلْعَةَ والعِمَامَةَ، وتقلد السيف وركب الفرس وسار في موكبهِ حتَّى يصل إلى محل ملكه. وربما جهّز مع خلعة السلطان خلعٌ أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ .

وآخر من وصلت إليه الخِلْعَةُ والطوق والتقليد من ملوك بنى أيوب من بغداد الناصرُ يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم في سنة خمس وخمسين وستمائة .

وأما الوظائف المعتبرة عندهم ، فعلى ضربين :

الضرب الأول

(وظائف أرباب السيوف ؛ وهى عدّة وظائف)

(منها) الوزارة فى بعض الأوقات دون بعض .

وقد ذكر القضاعى وغيره أن أول من لُقّب بالوزارة فى الإسلام ، أبو سلمة ، حفص بن سلمان الخلال وزير أبى العباس السّفاح أول خلفاء بنى العباس ، ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرى الأمر على ذلك فى اتّخاذ الخلفاء الوزراء إلى اتّقراض الخلافة ببغداد بقتل التّار المستعصم فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلقمى ، وقتله هولاكو ملك التّار بعد قتل المستعصم لمائة على المستعصم مع التّار ، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد .

(ومنها) الحجّابة : وكان موضوعها عندهم حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه ، لا التّصدّى للحكم فى المظالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاعى فى " تاريخ الخلفاء " ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحجّاب من لدن الصّديق رضى الله عنه فمن بعده ، خلا الحسن بن على فإنه لم يكن له حاجب .

(ومنها) ولاية المظالم : وموضوعها قود المتظالمين إلى التناصف بالرّهبة ، وزجر المتنازعين عن التجأ بالهيبة . كما قاله الماوردى فى " الأحكام السلطانية " وهى شبيهة بالمجوبية الآن فى هذا المعنى ؛ وكانت عندهم من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة لا يتولاها إلا ذوو الأقدار الجليّة ، والأخطار الحفيلة .

(ومنها) النّقابة على ذوى الأنساب : كالطالبيين والعباسيين ومن فى معانهم ، كما فى نقابة الأشرف الآن بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لديهم من وظائف

أرباب السيوف، ولذلك أَسْتُصَحِبَ هذا المعنى في نقيب الأشراف الآن، فيكتب في ألقابه الأميرى، وإن كان من أرباب الأقلام على ما سيأتى ذلك في كتابة توقيعه إن شاء الله تعالى .

الضرب الثانى

(وظائف أرباب الأقلام، وهى نوعان، دينية وديوانية)

فأما الديوانية - فأجلها الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم . وقد مر القول في ابتداء وزارة الخلفاء وآتهاؤها فى الكلام على وزارة أرباب السيوف فى الضرب الأول .
وأما الدينية - (فمنها) القضاء، وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارة تكون عامة لبغداد وأعمالها ، وتارة قاصرة على بغداد أو أحد جانبيها .

(ومنها) الحسبة وأمرها معروف .

(ومنها) ولاية الأوقاف والنظر عليها .

(ومنها) الولاية على المساجد والنظر فى أمر الصلاة .

ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارة على الجهاد، والإمارة على الحج، وغيرهما .

ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأقلام ولاية قضاء النواحي ، والحسبة بها إلى غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحالة الثانية

ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية عند استيلاء التتار على بغداد لما بايع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة

”المستنصر بن الظاهر“ أول الخلفاء بمصر على ما تقدم ذكره وكتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الدهاليز وآلات الخلافة ورتب له الجندارية، وأستخدم له عسكريا عظيما وجهزه إلى بغداد للاستيلاء عليها فقتله التتار على ما تقدم .

ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمام ”الحاكم بأمر الله“ ثاني خلفائهم أيضا في سنة تسع وخمسين وثمانمائة على ما تقدم ذكره، بقى مدة، ثم أشركه معه في الدعاء في الخطبة على المنابر في سنة ست وستين وثمانمائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج . ولم يزل كذلك إلى أن ولي السلطنة الملك الأشرف ”خليل بن المنصور قلاوون“ فأطلق سبيله، وأسكنه في الكيش على القرب من الجامع الطولوني، وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولي السلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء ، وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولي الخلافة ”المستعصم بالله“ أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان المرة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوض إليه السلطان نظر المشهد النفيسى، وأستقر بأيدي الخلفاء إلى الآن .

والذى أستقر عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوض الأمور العامة إلى السلطان، ويكتب له عنه عهد بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا في مصلى السلطان خاصة في جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، ويستبد السلطان بما عدا ذلك : من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتى للخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة في جميع ذلك .

قلت : ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قُيِّض على السلطان الملك الناصر فرج ابن الظاهر بقوق بالشام في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة على ما تقدم ذكره .

فاستقل الإمام "المستعين بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة : من الكتابة على العهود ومناشير الإقطاعات ، والتقاليد ، والتواقيع ، والمكاتبات وغيرها ، وأُفرد بالدعاء على المنابر ، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم والطرر على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب الخلفاء ، وهيئته في لبسه عند ركوبه بالمدينة في المواكب أو غيرها .

فعمامته مدورة لطيفة عليها رَفَرٌ من خَلْفِه تقدير نصف ذراع في ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها ، وفوق ثيابه كالمِئِة ضيقة الكُم مُفَرَّجَةُ الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُم .

أما تقليده السلطان السلطنة ، فالذي رأيته في بعض التواريخ في عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس : أحمد بن أبي الربيع سليمان ، إلى السلطان الملك المنصور أبي بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة : أنه طلع القضاة والأمراء إلى القلعة واجتمعوا بدار العدل ، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت ، وعليه خِامَةٌ خضراء ، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض ، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السر على العادة ، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء ، وجاء السلطان بفلس على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة ، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى آخر الآية ، وأوصى السلطان بالرفق بالرعية ، وإقامة الحق ، وإظهار شعائر الإسلام ونُصرة الدين ؛ ثم قال : "فوضت إليك جميع أمر المسلمين ، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين" . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ إلى آخر الآية ، ثم أتى الخليفة بِخِلاعةٍ سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض ، فألبسها السلطان وقلده سيفه ، ثم أتى بالعهود المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته ، تناوله الخليفة

فكتب عليه ماصورته - فوضت إليه ذلك - وكتب - أحمد بن عم محمد صلى الله عليه وسلم - وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية، ثم أتى بالسياط على العادة .

وأخبرني من حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل على الله أبي الفتح : محمد المشار إليه فيما تقدم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، والقضاة الأربعة وأهل العلم ، وأمراء الدولة إلى مقعد الإصطبلات السلطانية يعرف بالخرافة ، وجلس الخليفة في صدر المكان على مقعد مفروش له ، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حدث ، فجلس بين يديه ، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحلم فأجاب بالبلوغ ، فخطب الخليفة خطبة ، ثم خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدم ذكره ، ثم أتى الخليفة بجلعة سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة في مكانه الذي كان جالسا فيه ، ونصب للسلطان كرسي إلى جانب مقعد الخليفة فجلس عليه ، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم ، وقد استقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكندري .

أما حضوره بمجلس السلطان في عامة الأيام ، عند حضوره إلى السلطان لسلام أومهم أو غير ذلك ، فقد أخبرني بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكل المتقدم ذكره كان إذا حضر إلى مجلس السلطان الظاهر ، قام له ، وربما مشى إليه خطوات وجلس على طرف المقعد وأجلس الخليفة إلى جانبه .

الباب الثالث

من المقالة الثانية

(في ذكر مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول)

الفصل الأول

(في مملكة الديار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في الديار المصرية، وفيه اثنا عشر مقصدا)

المقصد الأول

(في فضلها ومحاسنها)

أما فضلها فقد ورد في الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة، ويقضى لها بالفخر قال تعالى : ﴿ وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ يريد بالقوم بنى إسرائيل، وبالأرض أرض مصر؛ ووصفها بالبركة إما بمعنى الفضل كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ . وإما من الخصب وسعة الرزق بدليل قوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكَبُوا ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فأمر بالعبادة في بيوتها إشارة إلى شرف أرضها ورفعة قدرها .

وقد ذكر الله تعالى أسمها في غير موضع من كتابه العزيز في ضمن قصص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ وفي موضع آخر . ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ وفي معناه قوله تعالى خطابا لبني إسرائيل : ﴿ اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ على قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف .

قال القضاة : وكذلك قراءة من قرأ ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ مصروفا بناء على أن مصر مذكر سمي به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه ، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” إِنَّكُمْ سَتَقْتَحُونَ بِلَادًا يُذَكَّرُ فِيهَا الْقِرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لِأَهْلِهَا نَسَبًا وَصِهْرًا “ أراد بالنسب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سارة . وأراد بالصهر مارية أم إبراهيم : ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان المقوقس قد أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم في جملة هديته .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ خَيْرٌ جُنْدِ الْأَرْضِ ، قِيلَ : وَلَمْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ “ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” مِصْرُ أَطْيَبُ الْأَرْضِينَ تَرَابًا وَعَجْمُهَا أَكْرَمُ الْعَجَمِ نَصَابًا “ .

ويقال في التوراة : ” مِصْرُ خَزَائِنُ اللَّهِ ، فَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ قَصَمَهُ اللَّهُ “ .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاية مِصْرَ جامعة تعدل الخلافة .

ومن كلام كعب الأحبار ”مصرُ بلدُ معافٍ من الفتن ، فمن أرادها بسوء كبه الله على وجهه“ .

ووصفها الكِنْدِيُّ فقال : جَبَلُهَا مُقَدَّسٌ ، وَنِيلُهَا مُبَارَكٌ ، وَبِهَا الطُّورُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قال كعب الأحبار : كَلَّمَ اللهُ تَعَالَى مُوسَى مِنَ الطُّورِ إِلَى طُوًى وَفِي التَّوْرَةِ وَادٍ مُقَدَّسٌ أَفِيحٌ ، يَرِيدُ وَادِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَدَخَلَهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ ، وَيَعْقُوبُ ، وَيُوسُفُ ، وَإِخْوَتُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

وَنَقَلَ فِي ”الرُّوضِ الْمُعْطَارِ“ عَنِ الْجَاهِظِ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَ بِهَا بُكُورَةً أَهْنَسَ الْآتِي ذِكْرُهَا فِي كُورِ مِصْرَ الْمُقَدَّسَةِ ، وَأَنَّ نَحْلَةَ مَرْيَمَ كَانَتْ بِأَهْنَسَ قَائِمَةً إِلَى زَمَانِهِ . وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَ بِهَا بِمَدِينَةِ أَسْكَرَ شَرْقِ النَّيْلِ ، وَهِيَ الْآنَ قَرْيَةٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِطْفِيحِيَّةِ الْآتِي ذِكْرُهَا فِي أَعْمَالِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

وَبِهَا سَجَنُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَدِينَةِ بُوصَيْرِ الْخَرَابِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْجِيزِيَّةِ عَلَى الْقَرْبِ مِنَ الْبَدْرَشِينِ .

قَالَ الْقُضَاعِيُّ : أَجْمَعَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَكَانِ ، وَأَنَّ الْوَحْيَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِهِ ، وَسَطْحُهُ مَعْرُوفٌ بِإِجَابَةِ الدَّعَاءِ .

سَأَلَ كَافُورُ الْإِخْشِيدِيِّ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرَ بْنِ الْحَدَّادِ الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ عَنْ مَوْضِعِ يَسْتَجَابُ فِيهِ الدَّعَاءُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالدَّعَاءِ عَلَى سَطْحِ هَذَا السَّجَنِ .

قَالَ الْقُضَاعِيُّ : وَعَلَى الْقَرْبِ مِنْهُ مَسْجِدُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ مَسْجِدُ مُبَارَكٍ .

وبسفع المَقَطَّم بالقرافة الصغرى قبر (يهودا ورويل) من إخوة يوسف عليه السلام .
وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ،
ودُفِنَ بقرافتها جماعة منهم فيما ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لهيعة خمسة نفر وهم :
عمرو بن العاص ، وعبد الله بن حذافة ، وأبو بصرة الغفارى ، وعقبة بن عامر الجهنى ،
وعبد الله بن الحرث الزبيدى ، وهو آخرهم موتاً .

قال القُضَاعِي : وذكر غير ابن لهيعة أن مسلمة بن مخلد الأنصارى أيضا مات
بها ، وهو أميرها .

♦♦

أما محاسنها ، فلا شك أن مصر مع ما آشتلت عليه من الفضائل ، وحُقَّتْ به من
الآثار أعظم الأقاليم خطراً ، وأجلها قدراً ، وأخفها مملكة ، وأطيبها تربةً ، وأخفها
ماء ، وأخصبها زرعاً ، وأحسنها ثماراً ، وأعدلها هواءً ، وألطفها سائِجاً .
ولذلك ترى الناس يرحلون إليها ، وفوداً ، ويفدون عليها من كل ناحية ، وقل أن
يخرج منها من دخلها ، أو يرحل عنها من وجلها ، مع ما آشتلت عليه من حسن
المنظر ، وبهجة الروق لا سيما في زمن الربيع ، وما يبدو بها من الزروع التي تملأ
العين وسامةً وحُسناً ، وتروق صورةً ومعنى .

قال المسعودى : وصف الحكماء مصر فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة
أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة حمراء .
فاللؤلؤة البيضاء ؛ زمان النيل ، والمسكة السوداء زمان نُضُوبِ الماء عن أرضها
والزمردة الخضراء زمان طلوع زرعها ، والسبيكة الحمراء زمان هيج الزرع وأكتماله .
وقد قيل : لو ضُرب بينها وبين غيرها من البلاد سورٌ ، لغنى أهلها بها عما سواها
ولما احتاجوا إلى غيرها من البلاد . وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون مع

عتوه وتَجَبَّرَه وأَدْعَاهُ الرُّوبِيَّةَ بِأَفْتَخَارِهِ بِمَلِكهَا بِقَوْلِهِ : (أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وهي إقليم العجائب ، ومعين الغرائب ؛ كان أهلها أهل مُلْكٍ عظيم ، وعن قديم ؛ وإقليمها أحسن الأقاليم مَنْظَرًا ، وأوسعها خيرًا ؛ وفيها من الكنوز العظيمة ما لا يدخله الإحصاء . حتى يقال إنه ما فيها موضع إلا وفيه بكت .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه في "المسالك والممالك" من ذمّه مصر بقوله : هي بين بحر رَطْبٍ عَفِنٍ كثير البُخَارَاتِ الرديئة ، يولد الأذواء وَيُفْسِدُ الْغَدَاءَ ، وبين جَبَلٍ وَبَرِّيَّابٍ صُلْدٍ ، لشدّة يبسه لا تثبت فيه خُضْرَاءٌ ، ولا تُثْفَجِرُ فيه عين ماء ، فكلّامٌ مُتَعَصِّبٍ خرق الإجماع ، وأتى من سَخِيفِ القول بما تُفَرِّعُ عنه القلوب وتُثْجِهُ الْأَسْمَاعُ ؛ وكفى به نقيصة أَنْ ذَمَّ النِيلَ الذي شهد العقل والنقل بتفضيله ، وَغَضَّ من الْمُقَطَّمِ الذي وردت الآثار بتشريفه .

المقصود الثاني

(في ذكر خواصها وعجائبها ، وما بها من الآثار القديمة)

أما خواصها ، فمن أعظمها خَطَرًا مَعْدِنُ الزُّمُرْدِ الذي لا نظيره في سائر أقطار الأرض ، وهو في مَغَارَةٍ في جبلٍ على ثمانية أيام من مدينة قُوص ، يوجد عروقًا خُضْرًا في تطابق حَجَرٍ أبيض ، وأفضله الذُّبَابِيُّ ، وهو أقل من القليل ، بل لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزُّمُرْدُ إلى أثناء الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال في "مسالك الأبصار" : وجميع ملوك الأرض وأهل الآفاق تستمد منه ، وقد مرّ القول عليه في جملة الأشجار الملوكية في أواخر المقالة الأولى .

وأعظم خطراً منه وأرفع شأنًا البَلَّسَانُ الذي تسميه العامة البَلَّسَمَ ، وهو نبات يزرع ببُقعة مخصوصة بأرض المطرية من ضواحي القاهرة على القرب من عين شمس ، ويسقى من بئر مخصوصة هناك ، يقال إن المسيح عليه السلام اغتسل بها حين قدمت به أمه إلى مصر ، والنصارى تزعم أنه حفرها بعقيقه وهو طفل ، حين وضعته أمه هناك .

ومن خاصتها أن البَلَّسَان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد في بقعة من بقاع الأرض غير هذه البقعة .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وطول هذه الأرض ميل في ميل ، وشأنه أنه يُفصد في شهر كيهك من شهور القبط ، ويجمع ما يسيل من دهنه ويصفى ويطبخ ويحمل إلى خزانة السلطان ، ثم ينقل منه قدر معلوم إلى قلاع الشام والبيمارستان ليستعمل في بعض الأدوية ، وملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج يستهدونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه ، لما يعتقدونه فيه من أثر المسيح عليه السلام في البئر ، وله عليهم بذلك اليد الطولى والمنبة العظمى ، لا يساويه عندهم ذهب ولا جواهر .

قال في "مسالك الأبصار" : والنصارى كافة تعتقد فيه ما تعتقد ، وترى أنه لا يتم تنصّر نصراني حتى يوضع شيء من هذا الدهن في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها . وبها معدن النطرون ، وهو منها في مكانين .

أحدهما - بركة النطرون التي بالجبل الغربي غربى عمل البحيرة الآتى ذكره

في جملة أعمالها المستقرّة ، وهي من أعظم المعادن وأكثرها مُتَحَصِّلاً على حَقارة
النطرون وقلة ثمنه .

قال في ” التعريف “ : لا يعرف في الدنيا بركة صغيرة يُسْتَغَلُّ منها نظيرها ، فإنها
نحو مائة فَدَانٍ تغل نحو مائة ألف دينار .

والثاني - مكان بالخطّارة من الشرقية ، ولا يبلغ في الجودّة مبلغ البركة الأولى ،
ولا يبلغ في المُتَحَصِّلِ قريباً من ذلك .

وبها أيضاً معدن الشبّ على القرب من أسوان ، وهو من المعادن الكثيرة
المتحصّل أيضاً إلى غير ذلك من الخواص .

وبها معدن التّفِطِ على ساحل بحر القلزم ، يسيل دهنه من أعلى جبلٍ قليلاً قليلاً
وينزل إلى أسفله فيتحصل في ديارٍ قد وضعها له الأقولون ، وتأتى العرب فيحمله إلى
خزائن السلاح السلطانية .



وأما عجائبها ، فكثيرة .

(منها) جبل الطير شرق النيل مقابل مُنِيّة بنى خَصِيبٍ فيه صدع يأتى إليه جنس
البواكير من الطير ، وهو المعروف بالبحّ في يوم من السنة فيضعون مناقيرهم في ذلك
الصدع واحداً بعد واحد حتى يتعلق منها واحد في ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون .
قال ابن الأثير في ”عجائب المخلوقات“ : قال أبو بكر الموصليّ : سمعت من أعيان
تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصباً ، يُقْبَضُ على طائرين ؛ وإن كان متوسطاً ،
يقبض على طائر واحد ؛ وإن كان جَدْباً ، لم يقبض على شيء .

(ومنها) مكان بالجبل الشرقيّ عن النيل ، على القرب من أنصنا به تلال رمل إذا
صُعِدَ إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسافلها سمعت له أصوات كالرعد ، يسمع من
البر الغربيّ من النيل .

وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنه إذا كان الذي صعد على ذلك المكان جنباً أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شيء من تلك الأصوات لو كسح الرمل .
(ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إنحيم به تلال رمل إذا كسحها الإنسان من أعلى إلى أسفل، عادت إلى ما كانت عليه وارتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها.
قال في "الروض المعطار": وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية من أنتضى سيفه وأولجه فيه وقبض على مقبضه بيديه جميعاً، اضطرب السيف في يديه وارتعد فلا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس؛ وإذا حدث بحجارة هذا الجبل سكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبداً، وجذب الأبر والمسال أشد جذباً من المغناطيس، ولا يبطل فعلها بالثوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب .

قال القضاة: . . . ويجعل زماخير الساحرة يقال إن فيه خلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم" . وعلى القرب من الطور عين ماء في أجمة رمل ينبع الماء من وسطها فورات لطيفة وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع، ثم يغوص في الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلى أين يذهب، وهي على ذلك مدى الدهور والأيام لا ينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها في مكان يدركه البصر، وعجائبها أكثر من أن تذكر .

المقصود الثالث

(في ذكر نيلها ومبدئه وآتئائه، وزيادته وقصيه، وما تنتهي إليه زيادته،

وما تصل إليه في النقص قاعدته)

أما ابتداءه وآتئائه، فاعلم أن ابتداءه من أول الخراب الذي هو جنوبي خط الاستواء المقدم ذكره، ولذلك عسر الوقوف على حقيقة خبره .

وقد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله في "تقويم البلدان" عن ضبط ياقوت في "المشترك" وابن سعيد في "معجمه".

(١)
قال في "رسم المعمور" وطرفه الغربي عند طول ونصف وعرض إحدى عشرة ونصف في الجنوب، وطرفه الشرقي حيث الطول إحدى وستون درجة ونصف والعرض بحاله . قال في الرسم : ولونه أحمر . وذكر الطوسي أنهم شاهدوه على بُعد، ولونه أبيض لما غلب عليه من الثلج . وأعرضه في "تقويم البلدان" بأن عرض إحدى عشرة في غاية الحرارة لاسيما في الجنوب لحضيض الشمس .

قال بطليموس : والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مَسيلات، بين كل مسيلين منها درجة في الطول المتقدم بيانه، والغربي منها، وهو الأول عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثاني عند طلوع تسع وأربعين، وعلى ذلك حتى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مسيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب في بطيحتين كل خمسة منها تصب في بطيحة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعة أنهار، ثم تنفرع إلى ستة أنهار، وتسير الستة في جهة الشمال حتى تصب في بحيرة مدورة عند خط الاستواء تعرف ببخيرة كوري، فيفترق النيل منها ثلاث فرق .
ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلى مقدشو من بلاد الحبشة المسلمين على ساحل البحر الهندي مقابل بلاد اليمن . وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلى التُّكُّورِ وغانة من مملكة مالى من بلاد السودان، وتمت حتى تصب في البحر المحيط الغربي عند جزيرة أوليل وتسمى نيل السودان .

وفرة تأخذ شمالاً - وهي نيل مصر - فيمر في الشمال على بلاد زغاوة، وهي أول ما يليق من بلاد السودان .

ثم يمر على بلاد النوبة حتى ينتهي إلى مدينتها دثقة الآتي ذكرها في الكلام على ممالك السودان .

ثم يمر شمالاً بميلة إلى الغرب إلى طول إحدى وخمسين، وعرض سبع عشرة على حاله .

ثم يمر مغرباً بميلة قليلة إلى الشمال إلى طول اثنتين وثلاثين، وعرض تسع عشرة . ثم يرجع مشرقاً إلى طول إحدى وخمسين .

ثم يمر في الشمال إلى الجنادل : وهو الجبل الذي ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة في أنحدارها ومراكب مصر في صعودها، حيث الطول ست وخمسون درجة، والعرض اثنتان وعشرون درجة .

ثم يمر شمالاً إلى مدينة أسوان الآتي ذكرها في أعمال الديار المصرية على القرب من الجنادل المقدمة الذكر .

وتمر شمالاً بميلة إلى الغرب إلى طول ثلاث وخمسين، وعرض أربع وعشرين . ثم يشرق إلى طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ في الشمال حتى ينتهي إلى مدينة الفسطاط الآتي ذكرها في قواعد مصر المستقرة .

ويمتد في جهة الشمال أيضاً حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شطونوف^(١) من قرى مصر، من عمل منوف فيفترق بفترتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقية، فتمر في الشمال حتى تأتي على قرية تسمى المنصورة من عمل المرتاحية،

(١) كذا ضبطه ياقوت بالعبارة . وقال في القاموس " شَطُونُوفٌ كَحَزُونُ " .

فَتَشْعَبُ شُعْبَتَيْنِ وَتَمُرُّ الْغَرْبِيَّةُ مِنْهُمَا، وَهِيَ الْعَظْمَى إِلَى دِمِيسَاطٍ مِنْ شَرْقِيهَا، وَتَصُبُّ فِي بَحْرِ الرُّومِ حَيْثُ الطُّولُ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَخَمْسُونَ دَقِيقَةً، وَالْعَرْضُ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَخَمْسَ وَعَشْرُونَ دَقِيقَةً؛ وَتَمُرُّ الشَّرْقِيَّةُ مِنْهُمَا عَلَى أَشْهُومِ طَاحٍ، مِنْ غَرْبِهَا حَتَّى تَجَاوِزَ بِلَادَ الْمَنْزَلَةِ، وَتَصُبُّ فِي بَحِيرَةٍ شَرْقِيٍّ دِهْيَاطٍ حَتَّى بِحِيرَةِ تَنْيَسَ حَيْثُ الطُّولُ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً.

وَأَمَّا الْفِرْقَةُ الْغَرْبِيَّةُ، فَتَمُرُّ مِنْ شَطْرَ قَرْيَةِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهَا حَتَّى تَأْتِيَ بِالْقَرَبِ مِنْ قَرْيَةٍ تَسْمَى بِأَبْنَى تُسَابَّةَ مِنْ عَمَلِ الْبَحِيرَةِ، فَتَشْعَبُ شُعْبَتَيْنِ، الْغَرْبِيَّةُ مِنْهُمَا، وَهِيَ الْعَظْمَى تَأْخُذُ شِمَالًا بَيْنَ عَمَلِ الْبَحِيرَةِ مِنْ شَرْقِهَا وَبَيْنَ جَزِيرَةِ بَنِي نَصْرٍ مِنْ غَرْبِهَا، وَالشَّرْقِيَّةُ تَأْخُذُ شِمَالًا أَيْضًا بَيْنَ جَزِيرَةِ بَنِي نَصْرٍ مِنْ شَرْقِهَا، وَبَيْنَ عَمَلِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ غَرْبِهَا. وَيُسَمَّى هَذَا الْبَحْرُ بَحْرَ أَيْنَارٍ، وَتَمُرُّ حَتَّى يَلْتَقِيَ مَعَ الْفِرْقَةِ الْغَرْبِيَّةِ عِنْدَ قَرْيَةٍ تَسْمَى الْفَرَسْتَقَ مِنَ الْغَرْبِيَّةِ بِالْقَرَبِ مِنْ مَدِينَةِ أَيْنَارِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهَا الْبَحْرُ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ، وَيَصِيرُ شُعْبَةً وَاحِدَةً وَتَمُرُّ حَتَّى يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ غَرْبِيٍّ قَرْيَةٍ تَسْمَى رَشِيدَ حَيْثُ الطُّولُ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ، وَالْعَرْضُ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ.

وَمِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ يَتَفَرَّعُ خَلِيجٌ صَغِيرٌ يَدْخُلُ إِلَى الْبَحِيرَةِ نَسْتَرُوهُ ^(١) الْآتِي ذِكْرُهَا فِي جُمْلَةِ الْبَحِيرَاتِ، وَيَتَفَرَّعُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْ هَذِهِ الْفِرَقِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَعْلَى النِّيلِ خُلُجَانٌ يَأْتِي ذِكْرُ الْمَشْهُورِ مِنْهَا فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا زِيَادَتُهُ وَتَقْصُصُهُ، فَقَدْ اِخْتَلَفَ فِي مَدَدِ زِيَادَتِهِ : فَتَقُلُّ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ الْعَرَبِ أَنَّهُ يَسْتَمَدُّ مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْعَيُونِ . وَلِذَلِكَ تَنْيِضُ الْأَنْهَارُ وَالْعَيُونُ عِنْدَ زِيَادَتِهِ . وَإِذَا غَاضَ زَادَتْ ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَى الْقَضَاعِيُّ بِسِنْدِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ : ” إِنَّ نَيْلَ مِصْرَ سَيْدُ الْأَنْهَارِ ، سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ نَهْرٍ بَيْنَ

(١) كَذَا ضَبَطَهَا الْمُؤَلِّفُ فَمَا يَأْتِي وَالْحَقُّ فِيهَا الْهَاءُ وَكَذَلِكَ بَاقِيَاتُهَا إِلَّا أَنَّهُ حَذَفَ مِنْهَا الْهَاءَ : نَسْتَرُو.

المشرق والمغرب أن يُمدّه، فأمدته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيونا فأتتهى جريه إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عُنْصره .

ويقال عن أهل الهند زيادته ونقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار، ورُكُود السحاب .

وقالت القبط : زيادته من عيون في شاطئه رأها من سافر ولحق بأعاليه، ويؤيده مارواه القضاعى بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب "أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال ليعب الأبحار : أسألك بالله ! هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا؟ قال : إى والله ! إن الله عز وجل يوحى إليه في كل عام مرتين، يوحى إليه عند خروجه، فيقول : إن الله يأمرك أن تجرى، فيجرى ما كتب الله له، ثم يوحى إليه بعد ذلك، فيقول : يا نيل إن الله يأمرك أن تنزل، فينزل . ولا شك أن جميع الأقوال المتقدمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها .

وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة في الخامس من بؤنه من شهور القبط . وفي ليلة الثانى عشر منه يوزن الطين، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به، بأن يوزن من الطين الجاف الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحرير، ويرفع في ورقة أو نحوها ويوضع في صندوق أو غير ذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس، فهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة نخروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما .

وفي السادس والعشرين منه يؤخذ قاع البحر وتقاس عليه قاعدة المقياس التى تنفى عليها الزيادة .

وفي السابع والعشرين يتأدى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل آخى عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعاً وعشرين أصبعا، فإذا وفى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود ، وموسم معدود ؛ ليس له نظير في الدنيا ؛ وفيه تكتب البشارات
بوفاء النيل إلى سائر أقطار المملكة ، وتسير بها البرد ، ويكون وفاؤه في الغالب في مسرى
من شهور القبط ، وفيها جل زيادته .

وفي القيروز ، وهو أول يوم من توت يكثر قطع الخُلجان والترع عليه ، وربما
أضطرب لذلك ثم عاد .

وفي عيد الصليب ، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليه غالب
بقية الترع .

وقد حكى القضاة عن ابن عفير وغيره عن القبط المتقدمين أنه إذا كان
الماء في آثني عشر يوما من مسرى آثني عشر ذراعا ، فهي سنة ماء ، وإلا فالماء
ناقص ، وإذا تم الماء ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء يتم ، ثم غالب وفائه
يكون في النصف الأول من مسرى ، وربما وفي في النصف الثاني منها ، وقد
يتأخر عن ذلك .

وفي الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت في " تاريخ النيل " أنه تأخر وفاؤه في سنة ثمان وسبعائة إلى تاسع عشر
بابه فوق ستة عشر ذراعا ، وزاد أصبعين بعد ذلك في يومين : كل يوم أصبع بعد أن
أستسقى الناس أربع مرات ، وهذا مما لم نسمع بمثله في دهر من الدهور .

وقد جرت عادته أنه من حين ابتداء النداء بزيادته في السابع والعشرين من
بئونه إلى آخر أبيب تكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين فما حولهما إلى نحو
العشرة ، وربما زاد على ذلك . فإذا دخلت مسرى ، أشدّت زيادته وقويت ،
فيزيد العشرة فما فوقها ، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته على القرب
من الوفاء حتى ربما بلغ سبعين أصبعا .

ومن العجيب أنه يزيد في يوم الوفاء سبعين أصبعا مثلاً، ثم يزيد في صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولهما، ويتم على ذلك . وله في آخر بابيه زيادة قليلة يعبر عنها بصبة بابيه لما ينصب إلى النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم وغيره أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر بئونه، فقالوا : أيها الأمير إن لينلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان اثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرضيناها فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون في الإسلام، فأقاموا أيب ومسرئ وهو لا يزيد قليلا ولا كثيرا . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعترفه ذلك ، فكتب إليه أن أصبت ، وكتب رقة إلى النيل فيها ” من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعد، فإن كنت تجرى من قبلك، فلا تجر؛ وإن كان الله الواحد القهار الذى يجريك، فنسأل الله أن يجريك“ .

وبعث بها إليه ، فألقاها في النيل ، وقد تها أهل مصر للخروج منها ، فأصبحوا يوم الصليب ، وقد بلغ في ذلك اليوم ستة عشر ذراعا .

ويروى أنه وقع مثل ذلك في زمن موسى عليه السلام ، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، فرغبوا إلى موسى فدعاهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا ، فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعا .

ورأيت في ” تاريخ النيل “ المتقدم ذكره : أنه في زمن المستنصر أحد خلفاء الفاطميين

بمصر مكث النيل سنتين لم يَطْلُع، وطلع في السنة الثالثة وأقام إلى الخامسة لم ينزل، ثم نزل في وقته وَنَضَبَ المَاءُ عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها لقلة الناس؛ ثم طلع في السنة السادسة وأقام حتى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صُبابَةٌ من الناس، ولم يبق في الأقاليم ما يعيش على أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر، وأنه وفي ست عشرة ذراعا في ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من برٍّ إلى برٍّ؛ وأقل ما آتتهى إليه قاع النيل في النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة الهجيرة وإلى آخر الثمانمائة مرتين فقط : المرة الأولى - في سنة خمس وستين ومائة من الهجيرة . وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا . والمرة الثانية - في سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع .

وقد وقع مثل ذلك في زماننا ، في سنة ست وثمانمائة . وأغني ما آتتهى إليه القاعُ في الزيادة مما رأيتُه مسطورا إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعائة تسعة أذرع . وسمعت بعض الناس يقول إنه في سنة خمس وستين وسبعائة كان القاع آتتهى عشرة ذراعا .

وأقل ما بلغ النقص في نهاية الزيادة اثنا عشر ذراعا وأصبعا . وذلك في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وأغني ما كان ينتهى إليه في الزمن المتقدم ثمانية عشر ذراعا حتى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم آتتهى في المائة السابعة إلى أن صار يحاوز العشرين في بعض الأحيان .

ومن العجيب أنه في سنة تسع وسبعين وثلثمائة كان القاع على تسع أذرع، ولم يُوف بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع ؛ وفي ستين كثيرة كان القاع فيها

(١) - الذراع والاصبع يذكرا ويؤنثان وقد جرى في كلامه تارة بالتذكير وتارة بالتأنيث وكل صحيح .

دون الدرادين ، وجاوز التوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا فما دونها . ولا هبرة بقول المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقل ما يكون القاع ثلاثة أذرع ، وإنه فى مثل تلك السنة يكون متقصرا . فقد تقدم ما يخالف ذلك ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ .

قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس ، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل يوم وقت العصر ، ثم ينادى عليه من الغد بتلك الزيادة أصابع من غير تصريح بذرع إلا أنه يكتب فى كل يوم رقاعا لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام ، كأرباب الوظائف من الأمراء ، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، والمحاسب ، ومن فى معانهم ، فيذكر زيادته فى ذلك اليوم من الشهر العربى وموافقه من القبطى من الأصابع وما صار إليه من الأذرع ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص ، ولا يطلى على ذلك عوام الناس ورعاعهم ، فإذا وفى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع ، وما صار إليه من الأذرع ، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

وأما مقاييسه ، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" أن أول من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان : صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عقاب من نحاس : ذكر وأثنى ، يجتمع عندها كهنتهم وعلمائهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصغر أحد العقابين . فإن صغر الذكر استبشروا بزيادة النيل . وإن صغرت الأنثى استشعروا عدم زيادته فهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودى : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسف عليه السلام حين بنى الأهرام آخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعى : وذلك بمدينة مَنْف ، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة إلى أن بنى مقياس مَنْف ، وإن القِبْط كانت تقيس عليه إلى أن بطل .

قلت : وموضع المقياس بِمَنْف إلى الآن معروف على القرب من الأهرام اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبدْرشين ، وقيل كانوا يقيسونه بالرصاص .

قال المسعودى : ووَضعت دَلْوَة العجوز ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأنصنا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر بلانجيم ، ووضعت الرُّوم مقياسا بقصر الشَّمع .

قال القضاعى : وكان المقياس قبل الفتح بقيسارية الأكسية بالفسطاط إلى أن آتت المسامون أبنتهم بين الحصن والبحر ، ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بِمَنْف .

كان النيل يقاس بِمَنْف ويدخل القياس إلى الفسطاط فينادى به ، ثم بنى عمرو بن العاص مقياسا باسوان ، ثم بنى مقياسا بدندرة ، ثم بنى في أيام معاوية مقياسا بأنصنا .

فلما ولي عبد العزيز بن مروان مصر ، بنى مقياسا صغير الأذرع بمحلوان من ضواحي الفسطاط ، ثم لما ولي أسامة بن زيد التَّنُوخى بنى مقياسا في جزيرة الصَّناعَة المعروفة الآن بالروضة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أمية سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وهو أكبرها دَرعا ، ثم بنى المأمون مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة في سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الملك ^(١) على مصر ، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

(١) صوابه الموكل كما هي عبارة المقرئى وياقوت .

(٢) صوابه يزيد بن عبد الله التركي كما في المقرئى .

وكانت النصارى تتولى قياسه فعزلهم المتوكل عنه ورَبَّ فيه أبا الرِّدَاد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرِّدَاد المؤدَّب، وكان رجلاً صالحاً، فأستقرَّ قياسه في بَيْتِهِ إلى الآن؛ ثم أصلحه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعاً إلى تمام اثنتى عشرة ذراعاً، ثم يكون كل ذراع أربعة وعشرين أصبعاً، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعاً، وزعوا الذراعين الزائدين، وهما ثمانية وأربعون أصبعاً على اثني عشر ذراعاً لكل ذراع منها أربعة أصابع، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعاً، وبقي الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعاً .

قال القضاعى: وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسين بن محمد بن عبد المنعم في رسالة له أن المسلمين لما فتحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل في حدٍّ لمقياس لهم فضلاً عن تقاصره، ويدعوهم ذلك إلى الاحتكار، والاحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار، فكتب عمر إلى عمرو ابن العاص يسأله عن حقيقة ذلك، فأجابه: إني وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعاً، والحد الذي يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعاً، والنهائيتان المخوفتان في الزيادة والتقصان: في الظم والاستبحار، اثنتا عشرة ذراعاً في التقصان وثمانى عشرة ذراعاً في الزيادة. فاستشار عمر رضى الله عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه في ذلك، فأشار بأن يكتب إليه أن يبنى مقياساً، وأن يقصَّ ذراعين على اثنتى عشرة ذراعاً، ويبقى مابعدهما على الأصل .

قال القضاعى : وفى هذا نظر فى وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وانتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة على ذلك .

قال المسعودى : فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل فى ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُستسقى فيه، وكان فيه نقص من خراج السلطان . وإذا آتته الزيادة إلى ستة عشر ذراعا، ففيه تمام خراج السلطان وأخصب الناس، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضار للبهائم لعدم المرعى .

قال : وأتم الزيادات العامة النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا، وذلك كفافها ورثي جميع أرضها . وإذا زاد على السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمانى عشرة، استبحر من مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع . قال : وذلك أكثر الزيادات . قلت : هذا ما كان عليه الحال فى زمانه وما قبله وكان الحال جاريا على ما ذكره فى غالب السنين إلى ما بعد السبعائة .

أما فى زماننا، فقد عالت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء فى كل سنة وضعت الجسور، وصار النيل بحكمة الله تعالى إلى ثلاثة أقسام : متقاصرة وهى ست عشرة ذراعا فما حولها، ومتوسطة وهى سبع عشرة ذراعا إلى ثمان عشرة ذراعا فما حولها، وعالية وهى ما فوق الثمان عشرة، وربما زادت على العشرين .

المقصود الرابع في ذكر خلجانها،

(وخلجانها القديمة ستة خُلج)

الخليج الأول

(المنهى)

وهو الخليج الذى حفره "يوسف الصديق عليه السلام" ومخرجه بالقرب من دروة سربام، من عمل الأشمونين الآتى ذكرها، وهى المعروفة بدروة الشريف، ويأخذ شمالا إلى مدينة البهنسى، ثم إلى قرية اللاهون من عمل البهنسى، ويمتد فى الجبل حتى يجاوزه إلى إقليم الفيوم، ويمتد بمدينة وينبث فى نواحيه .

وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تحف فوهته فى أيام نقص النيل، وباقيه يجرى فى موضع ويحف فى آخر إلى إقليم الفيوم، فيجرى شتاء وصيفا من أعين تتفجر منه ولا يحتاج إلى حفر قط .

ويقال: إن "يوسف عليه السلام" حفره بالوحي ومياهه منقسمة على استحقاق مقدر، كما فى دمشق من البلاد الشامية .

قال فى "الروض المعطار": وكانت مقاسمه بحجر اللاهون على القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدمة الذكر. قال: وهو من عجائب الدنيا، وهو شاذروان بين قبتين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، يسقى الأعلى الأرض العليا، والأوسط الأرض الوسطى، والأسفل الأرض السفلى بوزن وقدر معلوم .

قال: ويقال إن يوسف عليه السلام عمله بالوحي، وإن ملك مصر يومئذ لما عاينه قال هذا من ملكوت السماء .

ويقال إنه عمل من الفضّة والنحاس والرخام . قلت : قد ذهبت معالم هذا
اللاهون وبقى بعض بنائه ونُقِلَت المقاسم إلى مكان آخر بالقيوم تسقى الآن الأراضى
على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التماسيح التى لا تحصى كثرة ، ولم يشتهر فى زمن من
الأزمان أنها آذت أحدا قط .

الخليج الثانى

(خليج القاهرة الذى يكسر سده يوم وفاء النيل)

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر ، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .
قال القضاعى : أمر بحفره عام الرمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وساقه إلى بحر القلزم ، فلم يتم عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد
والأطعمة إلى مكة والمدينة ، ونفع الله بذلك أهل الحجاز .

وذكر الكندى فى كتاب " الجند العربى " أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين
من الهجرة ، وفرغ منه فى ستة أشهر ، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز
فى الشهر السابع .

قال الكندى : ولم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه عمر بن عبد العزيز ، ثم
أضاعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل ، وصار منتهاه إلى ذنب التماسيح من ناحية
الطور والقلزم .

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بستده حين خرج عليه محمد بن
عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة في سنة تسع ^(١) ...
وقد ذكر المسعودي ^(٢) في "مروج الذهب" أنه أقطع جريان هذا الخليج
عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة لردم جميعها وصار شرب
أهلها من الآبار .

قال ابن عبد الظاهر : وليس لها أثر في هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان
الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب هاتين
القنطرتين الموجودتين الآن على بستان الخشاب وباب الخرق ، يعنى قنطرة السد
وقنطرة باب الخرق في سنة نيف وأربعين وستائة .

وذكر في موضع آخر من خطه أن القنطرة التي عليه خارج باب القنطرة بناها
القائد جوهر سنة ستين وثلاثمائة ، وقنطرة اللؤلؤة - وهي التي كانت بالقرب من ميدان
القمح ، وبعضها باق إلى الآن - من بناء الفاطميين أيضا ، واللؤلؤة التي تنسب هذه
القنطرة إليها منقورة على برّ الخليج القبلى ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى ،
كانت مستنزا لخلفاء الفاطميين يتزلون فيها في أيام النيل وقيمون بها إلى آخر النيل .
قلت : أما باقى القناطر التي على هذا الخليج : كقنطرة عمر شاه ، وقنطرة سنقر ،
وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستجدّة في الدولة التركية ، وغالبها في الدولة الناصرية
محمد بن قلاوون .

قال ابن أبى المنصور في "تاريخه" : وأول من رتب حفره على الناس المأمون
ابن البطائحي ، وكذلك البساتين في دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمقرده .

(١) لعلة تسع وستين فإن ابتداء ولايته لمصر في خمس وستين .

(٢) هذه الفقرة غير مناسبة هنا وقد ذكرها قريبا بالقطعة في الكلام على خليج الإسكندرية فنبه .

الخليج الثالث

(خليج السردُوس)

ويقال السردُوسى بزيادة ياء فى آخره، وهو الذى حتمه هامان لفرعون .
قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال : إنه لما حتمه سألَه أهل
البلاد أن يجريه إليهم على أن يجعلوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة
ألف دينار فحملها إلى فرعون، فقال : ويحك ! إنه ينبغي للسيد أن يعطف على
عبده ولا ينظر إلى ما فى أيديهم، وأمر برد المسال إلى أربابه .
قال : وكان هذا الخليج أحد نزعات الدنيا يسافر فيه يوماً بين بساتين مشتبكة
وأشجار ملتفة وفواكه دانية . قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج
وعوض عنه ببحر أبى المنجا الآتى ذكره .

الخليج الرابع

(خليج الإسكندرية)

وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عند قرية تسمى العطف تقابل
قوة، مدينة المزارحتين، ويميل غرباً حتى يتصل بجدران الإسكندرية، وتدخل منه
قناة تحت الأرض إلى داخلها، ويتشعب منها شعب كثيرة تدخل دُورها، وتخرج
من دار إلى أخرى، ويخالط آبارها فيحلو ماؤها وتملاً منها صهاريجها حينئذ فتسكب
من السنة إلى السنة .

وكانت قُوَّة هذا الخليج فيما تقدم جنوبى قُوَّته الآن عند قرية تسمى الظاهرية
من عمل البحيرة ، وكان يمر على دمنهور مدينة البحيرة ، ثم نقل إلى مكانه الآن ،
ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال في "تقويم البلدان" : وهو من أحسن المنتزهات لأنه مخضر الجانين بالبساتين، وفيه يقول ظافر الحداد الشاعر السكندري :

وَعَشِيَّةٌ أَهَدَتْ لِعَيْنِكَ مَنْظَرًا * جَاءَ السُّرُورُ بِهِ لِقَلْبِكَ وَافْدَا
رَوْضٌ كُخْضَرُ الْعِذَارِ وَجَدُولٌ * نَقَشَتْ عَلَيْهِ يَدُ الشَّمَالِ مَبَارِدَا
وَالنَّخْلُ كَالْعِيدِ الْحِسَانِ تَزَيَّنَتْ * وَلَيْسَنَ مِنْ أُمَّارِهِنَّ قَلَائِدَا

وقد ذكر المسعودي في "مروج الذهب" : أنه أنقطع بجرّان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها، وصار شرب أهلها من الآبار .

الخليج الخامس

(خليج منجا)

ويقال إن الذي حفره برّصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

(خليج دميّاط)

ولم أقف على تفاصيل أحواله .

أما بحر أبي المنجا، فإنه وإن عظم شأنه مستحدث حفره الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى بالله النماطمي .

قال ابن أبي المنصور في "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية كانت جارية في ديوان الخلافة، وكان معظمها لا يروى في أكثر السنين ولا يصل الماء إليها، إلا من خليج السردوس المتقدم ذكره أو من غيره من الأماكن البعيدة .

وكان يشارف العمل يهودى أسمه أبو المنجا فرغب أهل البلاد إليه في فتح ترعة يصل الماء منها إليهم في آبتدائه فرفع الأمر إلى الأفضل، فركب في النيل في آبتدائه في مركب ورمى بُحْزَم من البوص في النيل وجعل يتبعها بمركبه إلى أن رماها النيل إلى فَم ذلك البحر فحفر من هناك ، وآبتدأ جفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسة ، وأقام الحفر فيه سنتين وعُرمَ فيه مال كثير . وكان في كل سنة تظهر فائده ، ويتضاعف ارتفاع البلاد التى تحته ، وغلب عليه إضافته إلى أبى المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض على الأفضل ما صرف عليه آستعظمه وقال غَرِمنا عليه هذا المال العظيم والأسم لأبى المنجا ، فسماه البحر الأفضلى فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ، ثم سطر أبى المنجا المذكور بعد ذلك ونفى إلى الإسكندرية . ولما ولى المأمون بن البطائحي الوزارة تحدّث معه الأمراء في أن يتخذ لفتح يوم ما كفتح خليج القاهرة، فأبتنى عند سدّه منظرة متسعة يتزل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معدية يعدى فيها بين قلوب وبيسوس، وكان يحصل للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المازين، فعمر عليها الظاهر ببيرس رحمه الله قنطرة عظيمة بحجر صلد، من غرائب البناء، تمر عليها الناس والدواب، فحصل للناس بها الارتفاق العظيم، وهى باقية على جدتها إلى زماننا .

وكان سدّه يقطع في عيد الصليب في سابع عشر توت ، ثم آستقر الحال على أن يقطع يوم النوروز في أول يوم من توت حرصا على رى البلاد .
وأما بقية خلج الديار المصرية المستحدثة وترعها بالوجهين : القبلى والبحرى ، فأكثر من أن تحصر، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصود الخامس

(في ذكر بحيرات الديار المصرية ، وهي أربع بحيرات)

الأولى منها - بحيرة الفيوم ، ويعبر عنها بالبركة ، وهي بحيرة حلوة بالقرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه ، على نحو نصف يوم ، يصب فيها فضلات مائة المنصب إليه من خليجه المنهى المتقدم ذكره ، وليس لها مصرف تنصرف إليه لإحاطة الجبل بها ، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفيوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال في "تقويم البلدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم ، وبها أسماك كثيرة تحصل من صيدها جملة كثيرة من المال ، وبها من آجام القصب والطرفاء والبردى ما يتحصل منه المال الكثير .

الثانية - بحيرة بوقير (بضم الباء الموحدة وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المشناة تحت وراء مهملة في الآخر) وهي بحيرة ماء ملح يخرج من البحر الرومي بين الإسكندرية ورشيد ، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدم ذكره ، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته ، وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير ، وفيها من أنواع الطير كل غريب ، ويجوانبها الملاحات الكثيرة التي يحمل منها الملح إلى بلاد الفرنج وغيرها .

قلت : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله وهم بجعل هذه البحيرة هي بحيرة تسمى الآتي ذكرها ، على أن هذه البحيرة قد أُنقِطع مددها من البحر الملح في زماننا بواسطة غلبة الرمل على أشتونها الموصل إليها الماء من بحر الروم فجفت وصارت سبخة طويلة عريضة ، ومات ما كان يصاد منها من السمك البرى ، وما يتحصل منها من الملح المنعقد بسواحلها ، وعاد على الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح
رفق كبير .

الثالثة - بَحِيرَة نَسْتَرُوْهُ (بفتح النون وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة
فوق وضم الراء المهملة وسكون الواو وهاء في الآخر) وهى بحيرة ماء مِلْح أيضا
بالقرب من البركس في آخر بلاد الأعمال الغربية الآتى ذكرها، متسعة الأرجاء
إذا توسطها المركب لا تُرى جوانبها لعظمها، بعد مَرَكْها عن البر، وبالقرب منها
قرية تسمى نَسْتَرُوْهُ، وهى التى تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمى سِنْجَار
لا زرع فيهما ولا نفع، وليس بهما غير صيد السمك، وهى الغاية القُصْوَى فيما
يتحصل من المال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها فى كل سنة فوق عشرين ألف
دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات فى ذلك .
قلت : وأخبرنى بعض مباشريها أنها فى زماننا قد تميز متحصلها عن ذلك نحو
مثله للاجتهاد فى الصيد، وكثرة الضبط وارتفاع السعر .

الرابعة - بَحِيرَة تَنِيْسَ قال السمعاني (بكسر التاء المثناة فوق والنون المشددة
المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسين مهملة فى الآخر) وهى بَحِيرَة مَرَسَة متصلة بالبحر الرومى
أيضا بآخر عمل الدقهلية والمُرْتاحية الآتى ذكره، وفيها مصبُّ بحر أَشْمُوْم المنفرد من
الفرقة الشرقية من النيل، ولذلك يعذب مأوها فى أيام زيادة النيل، وبوسطها تَنِيْسُ
الآتى ذكرها فى الكلام على الكُور القديمة .

قال صاحب "الروض المعطار" : طمى عليها البحر قبل الفتح الإسلامى بمائة
سنة ففرقتها وصارت بحيرة، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط"
وهما فى الحقيقة كالبحيرة الواحدة .

المقصود السادس

(في ذكر جبالها)

اعلم أن وادى مِصرَ يكتنفه جبلان شرقا وغربا ، يتبدآن من الجنادل المتقدمة الذكر فوق أسوان آخِذَيْنِ في جهة الشمال على تقارب بينهما بحيث يُرى كل منهما من الآخر والنيل ماز بين جنبتيهما .

فأما الشرق منهما فيمتر بين النيل وبحر القُلْزُم المتقدم الذكر حتى يجاوز القُسْطَاط فينعطف ويأخذ شرقا حتى يأتى على آخر بحر القُلْزُم من الشمال ، يرتفع في موضع وينخفض في آخر ، وفي أوائل هذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قُوصَ (مَعْدِن الزُّمُرِد) المتقدم ذكره في خواص الديار المصرية ، في مغارة طويلة في قطعة جبل عالية ، تسمى قرشده ليس هناك أعلى منها ، وعلى القرب من ذلك (مقطع الرُّخَام) الملون من الأبيض والسَّمَاقِ وسائر الألوان المستحسنة التي لا تساوى حُسْنًا . ويسمى الجبل المطلُّ منه على النيل مقابل المراغات من عمل إنحيم . (جبل الساحرة) وأظنه جبل زماخير الساحرة المتقدمة الذكر في عجائب الديار المصرية . ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل مدينة مَنَقْلُوط (جبل أبى فيدة) بقاء ويا مشاة تحت .

ويسمى الجبل المطل منه على النيل مقابل منية بنى خصيب من الأشمونين . (جبل الطيمون) ، ويعرف الآن بجبل الطير ؛ وقد تقدم ذكره في جملة عجائب الديار المصرية .

ويسمى ماسامت القُسْطَاط والقرافة منه (المُقَطَّم) وربما أُطلق المُقَطَّم على جميع المُقَطَّم^(١) ؛ وقد اختلف في سبب تسميته بذلك ، ف قيل سمي باسم مُقَطَّم الكاهن كان مقيا فيه لعمل الكيمياء .

(١) لعله على جميع الجبل .

وقال أبو عبد الله البني : سمي بالمُقَطَّم بن مصر بن بيسر، وكان عبدا صالحا آنفرد فيه لعبادة الله تعالى .

وذكر الكِنْدِيُّ في كتاب "فضائل مصر" ما يوافق ذلك : وهو أن عمرو بن العاص رضى الله عنه سار في سفح المُقَطَّم ومعه المُقَوِّسُ ، فقال له عمرو : ما بال جبلكم هذا إقْرَع ليس عليه نبات بكبال الشام ؟ فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا - فقال المقوقس : وجدنا في الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا ونبتا وفاكهة ، وكان ينزله المُقَطَّم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كانت الليلة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام ، أوحى الله تعالى إلى الجبال : إني مكلمٌ نبياً من أنبيائي على جبل منك فسمت الجبال كلها وتشاхت إلا جبل بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر ، فأوحى الله تعالى إليه : لم فعلت ذلك ؟ وهو به أخبر ، فقال : إعظاما وإجلالا لك يارب ! فأمر الله تعالى الجبال أن يحيوه كل جبل مما عليه من النبت ، بغاد له المُقَطَّم بكل ما عليه من النبت حتى بقي كما ترى ، فأوحى الله تعالى إليه إني معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غرس الجنة .

وأنكر القضاعى وغيره أن يكون لمصر ولد اسمه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من القطم وهو القطع ، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة ، وهياكل كثيرة ، وعجائب غريبة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضة والأواني ، والآلات النفيسة ، والتماثيل العجيبة ، وتراب الصنعة ما يخرج عن حد الإحصاء . قال في "الروض المعطار" : وإذا دبرت تربته حصل منها ذهب صالح .

ويلى المُقَطَّم من جهة الشمال (اليحامي) ، وهى الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقى وجبانتها .

قال القضاعى : وقيل لها اليحامي لاختلاف ألوانها، واليحموم فى كلام العرب الأسود المظلم، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاها .

وفى شرق المقطم على بحر القلزم (طور سيناء) الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه ، وهو جبل مرتفع للغاية ، داخل فى البحر .

قال الأزهرى : وسى الطور بطور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .
قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ومن خاصته أنه كيفاً كسر ، ظهر فيه صورة شجر العليق ، وقد بنى هناك ديراً على الجبل ، وغرس بواديه بساتين وأشجاراً .



وأما الغربى منهما ، فإنه يتدنى من الجنادل أيضاً ويمتز فى الشمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والوحدات ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والقيوم حتى ينتهى إلى مقابل القسطاط . وهناك موقع الهرمين العظيمين المقدم ذكرهما على القرب من بؤصير ، ثم ينعطف ويأخذ غرباً بشمال فيما بين بلاد ريف الوجه البحرى والبرية حتى يجاوز بركة النطرون ، ويمضى إلى قريب من الإسكندرية .

ويسمى فيما سامت الواحات (جبل جالوت) نسبة إلى جالوت البربرى .
ويتصل به من جنوبى الواحات (جبل اللازورد) قيل إن به معدن لازورد ، وأنه أمتنع أستخراجه لانتقطاع العارة هناك .

المقصود السابع

(فى ذكر زروعها ، ورياحينها ، وفواكهها ، وأصناف المطعوم بها)

أما زروعها فيزرع فيها من أنواع الحبوب المقتاتة وغيرها كالثبر والشعير والذرة والأرز ، والباقلى ، والحمص ، والعدس ، والبسلا ، والخبان ، واللوبياء ، والسمن ، والقرطم ، والخشخاش ، والخروع ، والسلجم ، وبزر الكنان ، والبرسيم ، وغير ذلك .

وبها قصب السكر في غاية الكثرة، والبطيخ، والقثاء على اختلاف أنواعها،
والملوخيا، والقلقاس، واللقت، والباذنجان، والدباء، والهليون، والقنبسط، وأنواع
البقول المختلفة، كالثوم، والبصل، والكراث، والفجل وغيرها؛ وعامة زرع حبوبها
على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بابه من شهور القبط إلى أثناء طوبه منها
بحسب ما يقتضيه حال الزرع . وربما زرع فيها على السواقي والتواليب؛ وأكثر
ما يكون ذلك في بلاد الصعيد خصوصا في سنين الجذب؛ ويُزرع في الفيوم
في غير زمن النيل على نهر المنهى المتقدم ذكره في جملة الأنهار . ولا زرع فيها
على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها بل فقدته
بصعيدها .

وأما رياحينها، ففيها الآس، والورد، والبنفسج، والترجس، والياسمين،
والنسرين، والبان، واللينوفر، وأزهار الحمضات، والريحان الفارسي على اختلاف
أنواعه، والمتشور فيها بقله، وإنما أكثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع
التي يشق استيعابها .

وأما فواكهها، ففيها الرطب، والعنب، والتين، والرمان، والحوخ، والمشمش،
والقراصيا، والبرقوق، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل بقله، واللوز الأخضر،
والنبق، والثوت، والفرضاد، والموز . ولا يوجد فيها الجوز، والفستق، والبندق،
والإجاص إلا مجلوباً بعد جفافه . وإن زرع بأرضها شيء من ذلك، لم يُفلق؛
والزيتون فيها بقله، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنما يؤكل ملحا .

وفيه من الحمضات الأترج، والحماض، والبجاد، والتارج، والليمون، على
اختلاف أنواعها .

وأما أصناف الطعام ففهي ما يستطاب من الألبان، والأجبان، والعسل، الذي لا يساوى حسنا، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال، والسكر الكثير من المكرر والتبع، والوسط، والنبات. ومنها يحلب إلى أكثر البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وقد نُسِي به ما كان يذكر من سكر الأهواز.

وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذ ذلك من السكر والأشربة (؟) الفائقة مالا يوجد في غيرها من الأقاليم.

وبها من لحم الضأن، والبقر، والمعز، مالا يعادله غيره في قُطرٍ من الأقطار لطافةً ولذةً.

قلت: ومن محاسنها أن فاكهتها لا يدوم نوع منها في جميع السنة فيمَلّ، بل يأتي كل نوع منها في وقت دون وقت، فتشوق النفوس إلى طلبه، ويكون لقومه بهجة. ولا يعترض ذلك بدوام أكل الجنة، فإن الجنة أكلها لا يمل بخلاف ما كل الدنيا. ولأهل الرفاهية بذلك فرحة، وتغالي فيه في ابتدائه مع أنه يجتمع في الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه في زمنه إلى غيره.

قال المذهب بن ممتي في "قوانين الدواوين": بعثت غلاما لي ليخضر من فكاكي القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين، فأحضر لي منها الورد، والزجس، والبفسج، والياسمين، والمنثور، والمرسين، والريحان، والطلح، والبلح، والجمار، والحيار، والبطيخ الأخضر، والباقل، والتفاح، والفقوس، والأترنج، والنارنج، والأشباه، والليمون، والتمر هندي الأخضر، والعنب، والحصرم.

وقال بعض الجوالين في الآفاق: طفت أكثر المعمور من الأرض فلم أر مثل ما بمصر من ماء طوبه، ولبن أمشير، وخروب برمهات، وورد برمودة، وبنق بشنس، وتين بؤنة، وعسل أيب، وعنب مسرى، ورطب توت، وربان بابه، وموز هتور، وسمك كيهك.

المقصود الثامن

(في ذكر مواشيتها، ووحوشها، وطيورها)

أما مواشيتها، ففيها الإبل المستجادة، والبقر العظيمات القدود، والأغنام المستطابة للحموم، والخيول المسومة، والبالغ النفيسة، والحمر الفارهة مما ليس له نظير في إقليم من الأقاليم، ولا مصر من الأمصار .

وأما وحوشها، ففي براريها الغزلان، والنعام، والأرانب، والثعالب، والضباع، والدئاب، وغير ذلك، ويحلب إلى سلطانها الفيلة، والزرافات، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية، والسباع من بلاد الشام من مملكته لتكون في إصطبلاته زينة لمملكته .

وأما طيورها ففيها من الطيور الدواجن في البيوت الدجاج، والإوز، والحمام؛ ومن الطيور البرية الصقر، والعقاب، والنسر، والكركي، واللغ، والإوز التركي، والمرزم، والبجع، والبلشون، والخرج، والحجل، والكروان، والسمان، والبلبل، وسائر أنواع العصافير، والأنواع المختلفة من طيور الماء . ويحلب إلى سلطانها سائر أنواع الجوارح الصائدة على اختلاف أجناسها من أقاصى البلدان، ويقع التغالى في أثمانها للغاية القصوى على ما يأتى ذكره في الكلام على أوصافها إن شاء الله تعالى .

المقصود التاسع

(في ذكر حدودها)

قد اضطربت عبارات المصنفين في المسالك والممالك في تحديدها، والذي عليه الجمهور أن حدّها الشّمالى، وهو المعبر عنه عند المصريين بالبحرى يتبدى مما بين الزعقة وريح عند حدّها من الشام والبحر شماله، ويمتدّ غرباً على ساحل البحر

المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التي يعلق فيها العوام الحرق وتقول هذه مفاتيح الرمل، عند الكُثْبُ المجنبه عن البحر الرومى، إلى رَفْخ ثم إلى العريش آخذا على الحِقَار، إلى الفَرَمَا، إلى الطينة، إلى دِمِيَاط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية، وهى آخر العمارة بهذا الحد. ثم يأخذ على اللينونة، على العميدى، إلى بَرْقَة، إلى العَقْبَة الفاصلة بين الديار المصرية وإفريقية على ما تقدم ذكره فى الكلام على سواحل البحر الرومى.

وحدها الغربى يتبدى من ساحل البحر الرومى حيث العَقْبَة، ويمتد جنوبا، وأرض إفريقية غربيه، على ظاهر القيوم والوَاحَاتِ حتى يقع على صحراء الحبشة على ثمان مراحل من أسوان.

وحدها الجنوبى وهو المعبر عنه عند المصريين بالقبلى، يتبدى من آخر هذا الحد بصحراء الحبشة ويمتد شرقا، وبلاد الروم من بلاد البرية جنوبيه حتى يأتى إلى أسوان، ثم يمتد من أسوان شرقا حتى يتهى إلى بحر القلزم مقابل أسوان على خمس عشرة مرحلة منها.

وحدها الشرقى يتبدى من آخر هذا الحد ويمتد شمالا وبحر القلزم شرقه إلى عِيْدَابَ إلى القصير إلى القلزم إلى السويس، ثم يأخذ شرقا عن بركة الغرندل التى أغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القلزم إلى تيه بنى إسرائيل، ثم يعطف شمالا ويمر على أطراف الشام حتى يخط على ما بين الزعقة ورَفْخ ساحل البحر الرومى حيث وقعت البداءة.

وسلى هذا التحديد جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البلدان" والمقتدر الشهابى بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البلدان" جعل ابتداء الحد الشمالى نفس رَفْخ، ونهاية الحد الغربى حدود بلاد التوبة، وفى "التعريف"

جعل ابتداء الحدّ الشمالى ما بين الزعقة وريح، ونهاية الحدّ الغربى صحراء بلاد الحبشة على ما تقدم فى التحديد، والأمر فى ذلك قريب .

وخالف فى ذلك القضاعى بفعل ابتداء الحدّ الشمالى من العريش ، وليس فيه بُعد عن رَفْع بل فى الآثار ما يدل عليه . كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وجعل الحدّ الجنوبى يقطع بحر القلزم وينتهى إلى ساحل الحجاز بالحوراء: أحد منازل طريق الحجاز من مصر، والحدّ الشرقى يمتد على ساحل البحر الشرقى إلى مدين، إلى أيلة، إلى تيه بنى إسرائيل، إلى العريش . فأدخل بحر القلزم من حدّ الحوراء إلى نهايته فى الشمال، وما على ساحله من برّ الحجاز مما يسامت العريش كأيلة ومدين ونحوها فى أرض مصر .

قلت : وفيه نظر ، والظاهر ما تقدم لأن البر الشرقى من القلزم معدود من ساحل الحجاز من جملة جزيرة العرب، وهى ناحية على أنفرادها، وكأن الذى حمل القضاعى على ذلك مسامحة هذا الساحل لحدها بساحل البحر الرومى على ما تقدم . وأعلم أن جميع المحددين لها وإن اختلفت عباراتهم فى ابتداء الحدّ الشمالى الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أو من رَفْع أو بين الزعقة وريح ؟ متفقون على أن ابتداء الحدّ حيث الشجرتان ، وكأنهما شجرتان قديمتان حدّد فى الأصل بهما .

قال فى "التعريف" : وما إخال الآن بقاء الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التى تعلّق فيها العوام الحرق ، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عند الكُثْب الحنبّة عن البحر الرومى قريبا من الزعقة .

قال : فاما الأشجار التى بالمكان المعروف الآن بالسردية، ويعرف قديما بالعُش^(١) فهى وإن عظمت محدثة من زمن من حدّد الأقاليم، وليست فى موضع ما ذكره .

(١) فى الضوء، والتعريف "بالخرّوبة" .

ثم لها طول وعَرْضٌ ، فطولها ما بين جهتي الشمال والجنوب ، وعَرْضُها ما بين جهتي المشرق والمغرب . وقد قيل إن طولها مسيرة شهر وعَرْضُها مسيرة شهر . وذكر القضاة أن ما بين العريش إلى بركة أربعون ليلة .

المقصود العاشر

(في آبتداء عمارتها ، وتسميتها مصر ، وتفرع الأقاليم التي حولها عنها)

أما آبتداء عمارتها ، فقد ذكر المؤرخون أنها عُمِرَت مرتين :

المرّة الأولى - قبل الطوفان ، وأوّل من عَمَرها قبل الطوفان قفراووس بن مصرم ابن براجيل بن رزائيل بن غريباب بن آدم عليه السلام ، نزلها في سبعين رجلا من بني غريباب جبابة ، فعمَرها . وهو الذي هندس نيلها وحفره حتى أجراه ، ووجه إلى البرية جماعة هندسوه وأصلحوه ، وبني المدن وأثار المعادن ، وعمل الطلسمات .

المرّة الثانية - بعد الطوفان ، وأوّل من عَمَرها بعد الطوفان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، قدم إليها هو وأبوه بيصر في ثلاثين رجلا من قومه حين قسّم نوح الأرض بين بنيهِ ، فزلوا بسفح المقطم ، وتقرّوا فيه منازل كبيرة نزلوا بها ثم آبتنوا مدينة منف وسكنوها على ما يأتي ذكره في الكلام على قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالى .

قال ابن لِهَيْعَة : وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يُسَكِنَه الله تعالى الأرض الطيبة المباركة التي هي آمنُ البلاد وغوثُ العباد ، ونهرها أفضل الأنهار ، ويجعل له فيها أفضل البركات ، ويسخر له الأرض ولولده ويدلّلها لهم ، ويقويهم عليها . فسأله عنها فوصفها له ، وأخبره بها .

(١) لم تتفق الكتب على هذه الأسماء بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نعول عليها وأقصرنا على ما في نسختنا الخطية .

وأما تسميتها مصر ، فقليل : إن نقراووس بن مصرم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها باسم أبيه مصرم تبركا ، وأن مصر بن بيصر إنما سمي باسمه .
وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام . وعلى الوجهين تكون علما منقولاً عن أسم رجل .

وقال الجاحظ في رسالة له في مدح مصر : إنما سميت مصر لمصير الناس إليها قلت : ويجوز أن تكون سميت مصر لكونها حدا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصر في أصل لغة العرب أسم للحد بين الأرضين كما قاله القضاعي . ومنه قول أهل حجر : آشتريت الدار بمصورها ، أي بحدودها .
قال القضاعي : وكيف ما ...^(١) أما أن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما تفرغ الأقاليم التي حولها عنها . فعن ابن أبيه أنه لما استقر مصر بن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر وإخوته : فارق ، وراح ، ويح وكثر أولادهم ، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرنا وأفضلنا ، وأن هذه الأرض أسكنك إياها جدك نوح ، ونحن نضيق عليك أرضك ، ونحن نطلب إليك بالبركة التي جعلك فيها جدك نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها ، وتكون لنا ولأولادنا ، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلى ، لاتباعدوا مني ، فإن لي في بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسي ، وتكون لي ولولدى وأولادهم ، فحاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا ، ومن برقة إلى أيلة عرضا ، وحاز فارق لنفسه ما بين برقة إلى إفريقية ، فكان ولده الأفارقة ، وبذلك سميت إفريقية ، وذلك مسيرة شهر ، وحاز ماح ما بين الشجرتين من ممتى حد مصر إلى الجزيرة ، مسيرة

(١) كذا في الأصل بدون بياض وهو غير مستقيم ولعله وكيفما كان فإنها لا تنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نَبَيط الشام . وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نَبَيط العراق .

وقد قال القضاة بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربى فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من بَرَقَة إلى الأندلس .

قلت : وذلك أن المسلمين بعد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفريقية ففتحوها، ثم توجهت طائفة من إفريقية إلى الأندلس ففتحته على ما سياتى ذكره في الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

(فى ذكر قواعدها القديمة ، والمباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان ،
والقواعد المستقرة ، وما فيها من الأبنية الحسنة)

وقواعدها القديمة على ضربين :

الضرب الأول

(ما قبل الطوفان)

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

القاعدة الأولى - مدينة أسسوس، وهى أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان، بناها تقراووس بن مصرى بن براجيل بن رزائيل بن غريباب بن آدم عليه السلام : أول ملوك مصر قبل الطوفان، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرخين، وشق لها نهرا يتصل بها من النيل .

القاعدة الثانية - مدينة برسان، وهى مدينة بناها تقراووس المتقدم ذكره لأبنة مصرأيم وأسكنه فيها، ولم أقف على مكانها .

الضرب الثاني

(قواعدها فيما بعد الطوفان)

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى - مدينة منف . قال في "تقويم البلدان" : (بكر الميم وسكون النون وفاء في الآخر) والجارى على الألسنة منف (بفتح الميم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي أول مدينة بنيت بمصر بعد الطوفان، بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال في "الروض المعطار" : وأصلها بالسريانية مافه ومعناها بالعربية ثلاثون وذلك أن مصر حين نزلها كان في ثلاثين رجلاً من أهل بيته، فسمّاها بعددهم .

قال ابن الأثير في كتابه "الزاهر" : وهي على آثنى عشر ميلاً من القُسطاط . قلت : ومنف هذه في جنوبي القُسطاط على القرب من البلدة المعروفة بالبدرشين من عمل الجيزة، وهي المعروفة بمصر القديمة، وقد تحربت وصارت كيئانا، وبها آثار بنيان من الحجر الكدّان، يوجد تحت الردم على القرب من أحجار الأهرام في العظمة والمقدار وبوسطها آثار رِبَاة عظيمة، بها صنمان عظيمان من حجر صوّان أبيض، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعاً، وهما مطروحان على الأرض، وقد غطى الطين أسفلهما .

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة : جوانبه الأربعة وأرضه وسقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمد بن

قلاوون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر نقله إلى القاهرة صحيحاً فعولج فأنكسر فأمر بأن تحت منه أعتاب ففتح وت جعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليبة الجامع الطولوني، وشرقي هذه المدينة معالم سور مبنى بالحجر الكذّان النحيت فصوصاً صغاراً بالطين والجير الذي قد علمت، لونه لون الحجر. ويقال: إنه سور الأهرام التي بناها يوسف عليه السلام لأتخار الحنطة في سنبها.

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السُنْبُل الذي أخبر به يوسف عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن، وأنه في المقدار فوق مقدار الحنطة المتعارفة بقليل.

وفي شمالي هذه المدينة بلدة صغيرة تعرف بالعزيرية، يقال إنها كانت منزلة العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزليخاً، وفي غربيها إلى الشمال في سفح جبل مصر الغربي سجن يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد موسى عليه السلام، وعلى القرب من السور المقدم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام. ويقال إن النيل كان تحت هذا السور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن.



القاعدة الثانية - مدينة الإسكندرية نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس المقدوني ملك اليونان المقدم ذكره.

وقد ذكر القضاة: أنه كان بها عدة عجائب، من أعجيبها المنارة، وهي منارة مبنية بالحجر والرصاص ارتفاعها في الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار، وقيل أربع مائة ذراع، وقيل مائة وثمانون ذراعاً، وقيل بالحجر لقلبة الجير فيه. وعلى رأسها امرأة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعد، وتهتدي بها المراكب السائرة إلى الإسكندرية إذ برتها منخفض لا جبال فيها، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه

(١) لعله وقيل بالجير أي هي مبنية بالحجر والرصاص وقيل بالجير الخ تأمل.

من المراكب الواصلة ، آحتال عليها النصارى في أوائل الإسلام في خلافة الوليد
 ابن عبد الملك الأمويّ فكسروها ، وتداعى هدم المنارة شيئا فشيئا إلى أوساط
 المائة الثامنة فاستؤصلت وبقي أثرها .

(ومنها) الملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بكرة فلا تقع
 في حجر أحد إلا ملك مصر ، وإن حضر فيه ألف من الناس كان كل منهم
 ناظرا في وجه صاحبه ، وإن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ، أو أتى بنوع من اللعب
 رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلة .

وكان من غريب هذا الملعب أن عمرو بن العاص رضى الله عنه حضر فيه
 في الجاهلية في يوم لعب الكرة ف وقعت الكرة في حجره ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب
 القوم منه وقالوا ما رأينا هذه الكرة كذبت قط إلا هذه المرة ، فاتفق أن ملكها
 في الإسلام . و (عمود السوارى) الذى بظاهر الإسكندرية الآن أحد عمود هذا
 الملعب ، وهو عمود عظيم يرمى الرجل القوى السهم عن قوس قوى فلا يبلغ رأسه .
 (ومنها) عمودا الإعياء ، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهما جبل حصباؤه
 كصبرا الجمار بمنى يُقبل العبيّ بسبع حصيات حتى يستلقى على أحدهما ، ثم يرمى
 وراءه بالسبع ويقوم ولا يلتفت ، ويمضى لطلّيته فلا يحس بشيء من تعب .

(ومنها) القبة الخضراء ، وهى قبة ملبسة نحاسا كأنه ذهب إبريز لا يُبليه القدم
 ولا تُخلّقه الدهور .

(ومنها) المسلتان ، وهما جبلان قائمان على سرطانات نحاس في أركانها كل
 ركن على سرطان ، فلو أراد مرید أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفعل .
 قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وهاتان المسلتان إحداهما في الركن
 الشرقى من البلد ، والثانية ببعض البلد ، وهما عمودان مُربعان من حجر أحمر ،

وعرض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شهرا، طول كل واحدة منهما خمس قاعات، وأعلاها مُسَدِّقٌ^(١)، وعرض قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شهرا . ويقال إن عليهما مكتوب بالسريانية: "أنا يعمر بن شداد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادى ومقدام بن يعمر بن أبى رغال الثودى إلى جبل بريم الأحمر، فأقطعوا منه حجرين وحملاهما على أعناقهما، فأنكسرت ضلع البتون، فوددت أن أهل مملكتي كانوا فداء له، فأقامهما القطن بن حازم المؤتفكى في يوم السعادة".

وقد قيل فيها: إنها إرم ذات العماد، ولم تزل عامرة إلى الفتح الإسلامى، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

"أما بعد . فإني فتحت مدينة لأصِفُ ما فيها، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية، وأربعة آلاف حَمَامٍ، وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للولوك". ويقال إنه وجد فيها أربعة آلاف بَقَالٍ يبيعون البَقْلَ، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوة لحقوا بأرض الروم في المراكب، وكان من بقي ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت: وقد ذهب جلُّ ذلك وزال أكثره، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السَّوَارَى، وهو عمود عظيم من حجر صَوَّان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير في الدنيا، ويقال إنه كان قبلها مدينة في مكانها تسمى رقوقه بناها مصر بن بيسر بن حام بن نوح المتقدم ذكره حين بنى مدينة مَنَفَ، وعلى مَنَوالها نسج الإسكندر مدينته .



القاعدة الثالثة - قَصْرُ الشَّمْعِ الذى هو داخل مدينة القُسْطَاطِ الآن، وهو المعبر عنه في كتب الفتوح بالحصن، بناه كسرجوس الفارسى أحد نواب ملك الفرس

(١) يظهر أنه مكرَّم المذكور في السطر قبله . (٢) في ياقوت قَطَن بن جَاوِد .

عند آستيلائهم على مصر بعد غلبة بُحْتَنْصَر الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها .

قال الفضاغى : ولم يكمله وإنما كمله الروم بعد ذلك ^(١) التى فتحت مصر وهى مقرة الملوك بها . وقد قيل : إن المَقَوْسَ كان يقيم بالإسكندرية أربعة أشهر من السنة ، وبمدينة منف أربعة أشهر ، وبقصر الشمع أربعة أشهر .

وأعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقرات أخرى عظام كانت قواعد لبعض ملوكها فى بعض الأزمان ، ومدن دون ذلك يأتى الكلام على جميعها بعد ذكر الكور القديمة والأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .



وأما المباني العظيمة الباقية على ممر الأزمان ، فاعلم أن ملوك مصر الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم ، وكانوا يتفاحرون بذلك لإخباره على طول الزمن بعظمة ملكهم وأقدارهم على ما لم يبلغه غيرهم ، ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام) . وهى قبور اتخذوها فى غاية الوثاقة حفظاً لأجسامهم ، وكان لهم بها العناية التامة ، وأبتنوا منها عدة بالجبل الغربى من النيل ، بعضها مقابل القُسطاط ، وبعضها ببوصير السدر وسقارة ودهشور من الأعمال الخيرية ، وبعضها بميدوم من البهنساوية ؛ وأعظمها خطراً وأجلها قدراً الهرمان المقابلان للقُسطاط ، يقال إن طول عمود كل هرم منهما ثلثمائة وسبعة عشر ذراعاً ، تحيط بها أربعة سطوح متساوية الأضلاع ، طول كل ضلع منها أربعائة وستون ذراعاً .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناءً باليد حجر على حجر بهذا المقدار . ويقال : إن لها أبواباً فى أزج فى الأرض طول كل درج مائة ونمسون ذراعاً ؛ وباب الهرم الشرقى من الجهة البحرية ، وباب الهرم الغربى من الناحية الغربية ،

والصابئة تحجّ هذين الهرمين ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليه السلام ، والآخر قبر ابنه صابئ الذي إليه ينتسبون .

وقد اختلف في بانيها فأكثر المؤرخين على أن بانيها سوريد بن سملوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان ، الآتى ذكره في الكلام على ملوكها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، جعلها قبورا لأجسادهم وكنوزا لأموالهم ، حين أخبره منجموه وكهنته بما دلم عليه الرصد النجومى من حدوث حادثة تعم الأرض ؛ ورجحه محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم وقال : لو بُنيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان علمها عند الناس . وذكر ابن عفير عن أشياخه أن بانيها جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون : إن الذى بناها شداد بن عاد . وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام .

وقال ابن شبرمة بنتها العاتقة حين ملكوا مصر . وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجل المباني وأدومها ؛ والله القائل .

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمَيْنِ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا * مَا يَرَوِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَايِرِ

لَوْ يَنْطِقَانِ ، لَخَبَرَانَا بِالَّذِي * صَنَعَ الزَّمَانُ بَأَوَّلِ وَبَآخِرِ

وكيفما كان فآلها إلى الخراب ، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون : أحد خلفاء بني العباس حين دخل إلى مصر فى سنة ست عشرة ومائتين قصد هدمها فلم يقدر ، فأعمل الحيلة فى فتح طاقة فى أحدهما يتوصل منها إلى من لقان ، يصعد فى أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم ، بها ناووس من حجر ، وينزل فى أسفله إلى بئر تحت الأرض لم يعلم ما فيها . ويقال : إنه وجد فى أعلاه مالا فاعتبره

فإذا هو قدر المال الذى صرفه من غير زيادة ولا نقص ؛ وقد أخذ الآن فى قطع حجارتها الظاهرة لآتخاذ البلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخربا كغيرها من المباني .

ولله المتنبى حيث يقول :

أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ؟ * مَا قَوْمُهُ؟ مَا يَوْمُهُ؟ مَا الْمَصْرَعُ؟
تَتَخَلَّفُ الْأَثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا * دَهْرًا، وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبَعُ!

قال إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب ”العجائب“ : وقد قيل إن هوجيب أحد ملوك مصر قبل الطوفان أيضا بنى الهرم الكبير الذى بدّهشور ، والثانى بناء قفطريم ، بن قفط ، بن قبطيم ، بن مصر ، بن بيسر ، بن حام ، بن نوح عليه السلام بعد الطوفان .

قال القضاعى : أما الهرم الذى بدير أبى هرّيس : وهو الهرم المدرّج يعنى الذى شاملى أهرام دهشور ، فإنه قبر قرياس ، وهو فارس أهل مصر ، كان يعدّ فيهم بألف فارس ، فلما مات جزع عليه ملكه وبنى له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهرم الكبير من الأهرام التى غربى دير أبى هرّيس ، وعلى بابه لوح من الحجر الكدّان طوله ذراع فى ذراع مكتوب بالخط البرباوى .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حكمهم (البرابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم ، زبروا فيها حكمهم ، ورققوا توارىخ ملوكهم ، وصوّروا فيها صُور الأمم التى حولهم . فمضى قصدتهم أمة من الأمم ، أوقعوا بصُورهم المصوّرة من النّكال ما أرادوا ، فيصيب تلك الأمة على البعد ما أوقعوه بتلك الصور ، إلى غير ذلك من الحكم التى أودعوها والطلّسمات التى وضعوها يجذّرانها .

ويقال : إن أول من بنى البرابى بمصر دُلُوكَة العجوز، التى ملكت مصر بعد
فرعون لعنه الله !

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد أخبرنى الحكيم شمس الدين محمد بن سعد
الدمشقى أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك ، وأن الذى
ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل توّلى عليها قوم بعد قوم حتى تكاملت فى دورٍ،
وهو ثلاثون ألف سنة : لأن مثل هذه الأعمال لا تُعمل إلا بالأرصَاد ولا يكمل
رصد المجموع فى أقل من هذه المدة .

قلت : ويجوز أن يكون الرصد حصل على الوجه المذكور ، وزُرِ بِرُوقِمَ
فى الكُتُب فلما بنى الثانى هذه البرابى، نقل منها ما زُرِ بِرِفى الكتب من ذلك
الزمن المتقدم .

وأعلم أن أكثر البرابى بالوجه القبلى من الديار المصرية، وبالوجه البحرى القليلُ
منها ، وقد استولى الخراب على جميعها، وذهبت معالمها ولم يبق إلا آثارها ،
والذى وقفت عليه فى التواريخ، ووقفت على آثار غالبه ورسومه سبع برابٍ .

(منها) برِبا سَمْنُودٌ كانت بظاهر سَمْنُود من الأعمال الغريبة بالوجه البحرى .
قال الكندى : رأيتها وقد خزنَ فيها بعضُ عُمَلِها قَرَطًا فرأيتَ الجمل إذا دنا
من بابها بجملته وأراد أن يدخلها ، سقط كل ديبب فى القرط فلا يدخل منها شئ
إلى البربا .

قال القضاعى : ثم خربت عند الخمسين وثلاثمائة .

(ومنها) برِبا تُمى بالمرُتَاحية من الوجه البحرى على القُرب من مدينة تُمى الخراب
وعامة أهل تلك الناحية يقولون برِبا عاد، وهى باقية يُجَدِّرانها، وسقوفُها من أعظم

الحجارة العظيمة، إلى الآن باقية، وبأعلى بابها قطعة مبنية بالطوب الأحمر والجص،
وداخلها أخواض عظيمة من الصوان غربية الشان .

(ومنها) بربا إنحيم، وهي بربا بظاهر مدينة إنحيم من الوجه القبلي؛ كانت من
أعظم البرابي وأحسنها صنعةً وأكبرها حكمةً، ولم تزل عامرة إلى أوساط المائة الثامنة،
فأخذ في هدمها والعمارة بأحجارها خطيب إنحيم، ولم يبق إلا آثارها، وبعض
جدرانها قائمة إلى الآن .

(ومنها) بربا دندرة من الأعمال القوصية .

قال القضاة : وهي بربا عجيبة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل
يوم في كوة منها، ثم تكثر راجعة إلى الموضع الذي بدأت منه، وهي الآن خراب لم
يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأقصر: وكانت بربا عظيمة فهُدمت أيضا، ولم يبق منها إلا آثارها .

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوان أملس، قائم على باب ضريح الشيخ
أبي الحجاج الأقصري على حاله إلى الآن، ومر عليه زمن الشيخ وهو على ذلك،
ولعله إنما أراد ببقائه التنبيه على ضعف عقول عبدة الأصنام لكونهم يعبدون
حجرا مثل هذا .

(ومنها) بربا أرمنت، وهي بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عمدة
صوان قائمة من غير شيء محمول عليها .

(ومنها) بربا إسنا، وهي متوسطة القدر بين الكبير والصغير، وقد بق منها
قطعة جيدة جعلت شونة للغلال، وأهل إسنا يذكرون أن الفار لا يدخلها، وإن
دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مِسْلَتَانِ بعين شمس على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة من حجر صَوَّان أحمر محمدتا الرأسين. ذكر القضاعي: أن الشمس تطلع على الجنوبية منهما في أقصر يوم في السنة، وعلى الشمالية في أطول يوم في السنة؛ وتتردد فيما بينهما في بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صومعتان من نحاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر الماء من أعلاهما إلى أسفلهما، فنبت حولهما العوجج، وما في معناه من الحشيش.

ومن العجائب حائط العجوز، وهو حائط من لبن، بنتها دُلُوكة ملكة مصر بعد فرعون، من العريش إلى أسوان، دائرة على أراضى مصر من شريقها وغربها في لحف جبلها، وجعلت بين كل ثلاثة أميال محرسا، وشقت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرق والجانب الغربى.

المقصد الثانى عشر

(في ذكر قواعدها المستقرة)

وهي ثلاث قواعد، قد تقاربت وأختلطت حتى صارت كالقاعدة الواحدة.

القاعدة الأولى

(مدينة الفُسْطَاط)

بفاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية في الآخر. ويقال فيه فُسْطَاط بإبدال الطاء الأولى تاء وفُسَاط. قال الجوهرى: وكسر الفاء لغة فيهن، وهى المدينة المعروفة بين العامة بمصر وأسمها القديم باب أُلْيُون^(١). قال أبو السعادات بن الأثير في نهايته: بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون في الآخر.

(١) وفى ياقوت بابليون الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى أليون

قال القضاعى : وهو اسمها بلغة الروم والسودان ، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق باب أليون ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "كتاب الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .
والذى عليه عمل أهل زماننا فى وضع الآلات وغيرها طول خمس وخمسين درجة ، وعرض ثلاثين .

وآختلف فى سبب تسميتها بالفسطاط ، فقال ابن قتيبة : إن كل مدينة تسمى فسطاطاً ، ولذلك سميت مصر الفسطاط .

وقال الزنجشیری : الفسطاط اسم لضرب من الأبنية ، فى القدر دون السرادق والذى عليه الجمهور أنه يسمى بذلك لمكان فسطاط عمرو بن العاص رضى الله عنه يعنى خيمته ، وذلك أن عمراً لما فتح الحصن المعروف بقصر الشمع فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة وأستولى عليه ضرب فسطاطه على القرب منه فلما قصد التوجه إلى الإسكندرية لفتحها ، أمر بنزع فسطاطه للرحيل ، فإذا بجحام قد أفرخ فيه فقال : لقد تحرم منّا بحرم ، وأمر بإقرار الفسطاط مكانه ، وأوصى على الجحام ، وسار إلى الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد إلى فسطاطه ونزل به ونزل الناس حوله ، وأبتى داره الصغرى التى هى على القرب من الجامع العتيق مكان فسطاطه ، وأخذ الناس فى الاختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والاختطاط ، فوثى عمرو

على الحِطَاط معاوية بن حُذَيْفِ الثَّجِيبِيِّ، وشريك بن سُمَيِّ الغُطَيْفِيِّ، وعمرو بن قَحْزَمِ الخَوْلَانِيِّ، وَحَيَوِيل بن نَاشِرَةِ المَعَاوِرِي، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناس منازلهم، فأختطوا الحِطَاط وبنَّوْا الدور والمساجد، وعُرفت كل خُطَّة بالقبيلة أو الجماعة التي أختطتها، أو بصاحبها الذي أختطها .

فأما الحِطَاط والأدُر التي عرفت بالقبائل والجماعات .

(فمنها) خِطَّةُ أهل الرَاية، وهم جماعة من قُرَيْشٍ، والأنصار، وَخِزَاعَةَ، وَأَسْلَمَ، وَغِفَارٍ، وَمُزَيْنَةَ، وَأَشْجَعَ، وَجُهَيْنَةَ، وَتَقِيفٍ، وَدَوَسٍ، وَعَبَسٍ بن بَغِيضٍ، وَجُرَشٍ من بني كِنَانَةَ، وَلَيْثُ بن بكرٍ، لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحد، وقال يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فَعُرِفُوا بأهل الرَاية، وأنفردوا بِخِطَّةِ وحدهم، وَخِطَّتْهُمْ من أعظم الحِطَاط وأوسعها .

(ومنها) خِطَّةُ مَهْرَةَ، وهم بنو مَهْرَةَ بن حَيْدَانَ بن عمرو بن إلْحَافٍ بن قُضَاعَةَ ابن مالك بن حَمِيرٍ، من قبائل التَّيْنِ .

(ومنها) خِطَّةُ نُجَيْبٍ، وهم بنو عَدِيٍّ وسعد ابني الأَشْرَسِ بن شَيْبِ بْنِ السَّكَنِ بن الأَشْرَسِ بن كِنْدَةَ؛ وَنُجَيْبُ أَسْمِ أمهما عرفت القبيلة بها .

(ومنها) خِطَّةُ نَلْمٍ، وهي ثلاث : الأولى بنو نَلْمِ بن عَدِيٍّ بن مُرَّةَ بن أَدَدَ، وَمَنْ خالطهم من جُدَامِ . والثانية، بنو عبد ربه بن عمرو بن الحرث بن وائل بن راشدة ابن نَلْمِ . والثالثة، بنو راشدة بن أَدَبٍ بن جَزِيلَةَ بن نَلْمِ .

(ومنها) خِطَّةُ اللَّفِيفِ، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الرُّومِ حين بلغ عمرهم قُدُومُهُمُ الإسْكَندَرِيَّةَ عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد آسَ كَثَرُهُمْ : إنكم

(١) كذا في ابن دقاق أيضا ووقع في المقرئ "بنورية" وهو تصحيف .

(٢) في خطط المقرئ "وَأَبْنِ دَقَاقُ" فقال لهم عمرو بن جمالة .

لِكما قال الله : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) فُسِّمُوا اللَّفِيفَ من يومئذ .

(ومنها) خِطَطُ أهل الظاهر ، وهم جماعة من القبائل قفلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص ، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم ، فتحاكموا إلى معاوية بن حُذَيْج الذى جعله عمرو على الْخِطَطِ ، فقال لهم : إني أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل ، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) خِطَطُ غَافِقٍ ، وهم بنو غافق بن الحرث بن عك بن صُدْثَان بن عبد الله ابن الْأَزْدِ .

(ومنها) خِطَطُ الصَّدِفِ : بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين . وهم بنو مالك بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن حَمِير من قبائل اليَمَن ، وقيل بنو مالك بن مُرْقَع بن كِنْدَةَ ، سُمِيَ الصَّدِفُ لأنه صَدَفَ بوجهه عن قومه حين أتاهاهم سَيْلُ الْعَرِمِ .

(ومنها) خِطَطُ خَوَلَانَ ، وهم بنو خَوْلَان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَرِيب .

(ومنها) خِطَطُ الفارسيين ، وهم بقايا جند باذان ، عامل كسرى ملك الفُرس على اليَمَن .

(ومنها) خِطَطُ مَذْجِج ، وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أَدَد بن زيد بن كَهْلَانَ بن عبد الله .

(ومنها) خِطَطُ يَحْصَبَ ، وهم بنو يَحْصَب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غَوْث .

ابن حَمِير .

(ومنها) خِطَطُ رُعَيْنٍ ، وهم بنو رُعَيْن بن زيد بن سهل بن يَعْفَر بن مُرَّة بن أَدَد .

(ومنها) خِطَطُ بنى الْكَلَّاعِ ، وهو الْكَلَّاعُ بن شُرْحَيْل بن سَعْد بن حَمِير .

(ومنها) خِطَطُ الْمُعَافِرِ ، وهم بنو الْمُعَافِر بن يَعْفَر بن مُرَّة بن أَدَد .

(ومنها) خِطَطُ سَبَا ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سَبَا .

(ومنها) خِطَطُ بنى وائِل ، وهو وائل بن زيد مناة بن أَفْصَى بن إِيَّاس بن حَرَام بن

جَدَّام بن عَدَى .

(ومنها) خِطَّةُ الْقَبْضِ ، وهم بنو القَبْضِ بن مَرَّئِدَ .

(ومنها) خِطَطُ الْحَمْرَاوَاتِ ، وهى ثلاث ؛ سميت بذلك لتزول الروم بها ، وهم حُمْرُ الأَلْوَانِ :

الأولى - الحمراءُ الدُّنْيَا ؛ وبها خِطَّةُ بَلَى ، وهم بنو بِلَى بن عمرو بن إلخاف بن قُضَاعَةَ إلا من كان منهم فى أهل الرّاية ؛ وخِطَّةُ ثَرَاد من الأَزْدِ ، وخِطَّةُ فَهْمٍ ، وهم بنو فَهْمٍ بن عمرو بن قيس بن عَيْلَانَ ، وخِطَّةُ بنى بجر بن سَوَادَةَ من الأَزْدِ .

الثانية - الحمراءُ الوُسْطَى ، وبها خِطَّةُ بنى نَبِه ، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ؛ وخِطَّةُ هُدَيْلٍ ، وهم بنو هذيل بن مُدْرِكَةَ بن إِيَّاس بن مُضَرٍ ؛ وخِطَّةُ بنى سَلَامَانَ من الأَزْدِ .

الثالثة - الحمراءُ القُصْوَى ، وهى خِطَّةُ بنى الأَزْرَقِ من الرُّومِ ، وحضر الفتح منهم أربعائة رجل ؛ وخِطَّةُ بنى يَشْكُرَ بن جَزِيلَةَ من نَحْمٍ ، وإليهم ينسب جبل يَشْكُرُ الذى بُنِيَ عليه جامع أحمد بن طولون الآتى ذكره مع جوامع الفُسطَاطِ إن شاء الله تعالى .

(ومنها) خِطَطُ حَضْرَمَوْتَ ، وهم بنو حَضْرَمَوْتَ بن عمرو بن قَيْسٍ بن معاوية بن حَمِيرٍ ، إلى غير ذلك من الخطط التى دَرَسْتُ قبل الأهتمام بالتأليف فى الخِطَطِ .



وأعلم أنه كان فى خلال هذه الخِطَطِ دُور جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حضر الفتح .

(منها) دار عمرو بن العاص ، ودار الزُّبَيْرِ بن العوام ، ودار قَيْسٍ بن سَعْدٍ بن عُبَادَةَ الأنصارى ، ودار مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّدٍ الأنصارى ، ودار عبد الرحمن بن عَدِيْسٍ البَلَوِىّ ، ودار وَهْب بن عُمَيْرٍ بن وَهْب بن خَلَفٍ الجُمَحِىّ ، ودار نافع بن عبد القيس بن لَقِيْطٍ الفِهْرِىّ ، ودار سَعْدٍ بن أبى وَقَّاصٍ ، ودار عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنىّ ، ودار القاسم

وعمر بن قيس بن عمرو ، ودار عبد الله بن سعد بن أبي سريح العامري ، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حرام البلوي ، ودار المستورد بن شداد الفهري ، ودار حيي بن حرام الليثي ، (وفي صحبته خلاف) ، ودار الحرث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء ، ودار بشر بن أرطاة العامري ، ودار أبي ثعلبة الخشني ، ودار إياس بن البكير الليثي ، ودار معمر بن عبد الله بن نضلة القرشي العدوي ، ودار أبي الدرداء الأنصاري ، ودار يعقوب القبطي رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مارية: أم ولده إبراهيم وأختها شيرين ، ودار مهاجر مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ودار عتبة بن زيد الأنصاري ، ودار محمد ابن مسامة الأنصاري ، ودار أبي الأسود مسروح بن سدر الحصني ، ودار عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، ودار خارجة بن حذافة بن غانم العدوي ، ودار عتبة بن الحرث ، ودار عبد الله بن حذافة السهمي ، ودار محمية بن جزة الزبيدي ، ودار المطلب بن أبي وداعة السهمي ، ودار هبيب بن معقل الغفاري ، وبه يعرف وادي هبيب بالقرب من الإسكندرية ، ودار عبد الله بن السائب المخزومي ، ودار جبر القبطي رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودار يزيد بن زياد الأسامي ، ودار عبد الله بن ريان الأسامي ، (وفي صحبته خلاف) ، ودار أبي عميرة رشيد بن مالك المزني ، ودار سباع بن عرفة الغفاري ، ودار نضلة بن الحرث الغفاري ، ودار الحرث بن أسد الخزاعي (وفي صحبته خلاف) ، ودار عبد الله بن هشام بن زهرة من ولد تميم بن مرة ، ودار خارجة بن حذافة بن غانم العدوي ، وهو أول من أبتنى غرفة بالقسطنطين ، فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أمرها فكتب إلى عمرو بن العاص: أن أدخل غرفة خارجة وأنصب فيها سريرا ، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير ، فإن أطلع من كواها فاهديها . ففعل عمرو فلم

يبلغ الكوى فأقترها، ودار محمد بن حاطب الجمحي، ودار رفاعة الدؤسي، ودار فضالة
 ابن عبيد الأنصاري، ودار المطلب بن أبي وداعة السهمي^(١). إلى غير ذلك من الدور
 التي أغفلت ذكرها أصحاب الحطط.

قلت : وكان أمراء مصر القائلون بمقام ملوكها الآن يتزلون بالفُسْطَاط، ولم يكن
 لهم في ابتداء الأمر مقرّة معيّنة، ولا دار للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص
 أول أمرائها بداره على القرب من الجامع ، ولم يزل كلّ أمير بعده ينزل بالدار التي
 يكون بها سكنه إلى آخر الدولة الأمويّة، وكان عبد العزيز بن مروان ، وهو أمير
 مصر في خلافة أخيه عبد الملك بن مروان قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطَاط سنة سبع
 وستين من الهجرة وسماها دار الذهب، وجعل لها قبة مُدْهَبَة إذا طلعت عليها
 الشمس لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره، وكانت تعرف بالمدينة لسعتها
 وعظمتها، وكان عبد العزيز يزلها، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مروان بن محمد
 آخر خلفاء بني أميّة إلى مصر، نزل هذه الدار فلما رهقه القوم، أمر بإحراقها، فلامه
 في ذلك بعض بني عبد العزيز بن مروان فقال : إن أبق ، أنها لبنة من ذهب
 ولبنة من فضة، وإلا فما تصاب به في نفسك أعظم، ولا يتمتع بها عدوك من بعدك .
 فلما غلب بنو العباس على بني أميّة وهرب مروان بن محمد آخر خلفاء بني
 أميّة إلى الديار المصرية، وتبعه على بن صالح بن علي الهاشمي إلى أن أدركه بمصر
 وقتله وأستقر أميرا على مصر في خلافة السّفّاح أول خلفاء بني العباس، آبتني دارا
 للإمارة ونزلها، وصارت منزلة للأمراء بعده إلى أن ولي أحمد بن طولون الديار
 المصرية فنزل بها في أول أمره، ثم آخِطَ بعد ذلك قصره المعروف بالميدان فيما بين
 قلعة الجبل الآن والمشهد النّفيسي وما يلي ذلك في سنة ست وخمسين ومائتين ،

(١) سبق ذكرها في أعادتها سهو .

وكان له عدة أبواب : بعضها عند المشهد النفيسى ، وبعضها عند جامعة الآت ذكره ، وأختط الناس حوله ، وأقطع كل أحد قطعة آبتنى بها ، فكان يقال : قطعة هارون بن ثمارويه ، وقطعة السودان ، وقطعة القراشين ، فعرف ذلك المكان بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتى اتصلت بالقسطاط ، وصار الكل بلدا واحدا ، ونزل أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بنوه بعده ، وأهملت دار الإمارة التي آبتناها على بن صالح بالقسطاط . واستقر الأمر على ذلك بعده أيام ابنه ثمارويه وولديه جيش وهارون ، وزادت العمارة بالقطائع في أيامهما ، وكثرت الناس فيها حتى قتل هارون بن ثمارويه بعد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سليمان الكاتب بالعساكر من العراق من قبل المستكفي بالله ، ووصل إلى مصر في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وقد وثى الطولونية عليهم ربيعة بن أحمد بن طولون ، فتسلم البلد منه ونحرب القطائع وهدم القصر وقلع أساسه ، ونحرب موضعه حتى لم يبق له أثر . وكان بدر الخفيفي غلام أحمد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالقسطاط عند المصلى القديمة ، وقيل اشتراها له أحمد بن طولون ، ثم تخط عليه أحمد فنكبه ، وسكنها بعده طاهر بن ثمارويه ، ثم سكنها بعده الجماعى غلام أحمد بن طولون . فلما هدم محمد بن سليمان الكاتب قصر بنى طولون بالقطائع ، سكن هذه الدار ، ثم سكنها عيسى النوشري أمير مصر بعده ، واستقرت منزلة للأمرء إلى أن ولي الإخشيد مصر فزاد فيها وعظمها ، وعمل لها ميديانا وجعل له بابا من حديد ، وذلك في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، ولم تزل منزلة للأمرء إلى أن غلبت الخلفاء الفاطميون الإخشيدية على مصر وبنى القائد جوهر القاهرة والقصر ، فنقل باب هذه الدار إلى القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم على ماسياى ذكره في الكلام على خطط القاهرة إن شاء الله تعالى .

وصار القُسطاطُ في كل وقت تتزايد عمارته حتى صار في غاية العماره ونهاية الحسن .
به الآدُرُ الأنيقة ، والمساجد القائمة ، والحمامات الباهية ، والقياسُ الزاهية ،
والمستترهات الرائقة ؛ ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع
الجهات ؛ وغصَّ بسُكَّانه ، وضاق فضائهُ الرحيب عن قُطَّانه . حتى حكى صاحب
”إيقاظ المتنفل“ عن بعض سُكَّان القُسطاط أنه دخل حمَّاماً من بناء الروم في أيام
نُحَّارَويِّ بن طولون في سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يخدمه ، وكان
فيها سبعون صانعا قلَّ منهم من معه ثلاثة نفرٍ يغسلهم ، وأنه دخل بعسدها حمَّاماً
ثم حمَّاماً فلم يجد من يخدمه إلا في الحمام الرابعة ، وكان الذي خدمه معه ثان .

وحكى في موضع آخر عن يثق به عن أبيه أنه شاهد من مسجد الوكرة بالقُسطاط^(١)
إلى جامع ابن طولون قصبة سوق متصلة ، فعَدَّ ما بها من مقاعد الحِصص المصلوق
فكانت ثلثمائة وتسعين مقعداً غير الحوانيت وما بها .

وحكى أيضاً عن أخبره أنه عدَّ الأسطال النحاس المؤبدة في البكر لاستقاء الماء
في الطاقات المطلة على النيل ، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة
مقعد يكرى عند البيارستان الطولوني بالقُسطاط في كل يوم اثني عشر درهما .

وذكر ابن حوقل أنه كان بالقُسطاط في زمانه دار تعرف بدار ابن عبيد العزيز
بالموقف يُصبَّ لمن فيها من السكان في كل يوم أربعمئة راوية ماء ، وفيها خمسة
مساجد ، وحمَّامان ، وفُرَّان .

قلت : ولم يزل القُسطاط زاهي البنيان ، باهي السُكَّان ، إلى أن كانت دولة الفاطميين
بالديار المصرية ، وعمرت القاهرة على ماسياتي ذكره ، فتقهقر حاله وتناقص ، وأخذ
الناس في الانتقال عنه إلى القاهرة وما حولها ، فخلا من أكثر سُكَّانه ، ونتابع الخراب

(١) الذي في الخطط للقرنيزي حين روى هذه الحكاية عن ”إيقاظ المتنفل“ أيضاً ، ”مسجد عبدالله“
فلعله يسمى بذلك أيضاً .

في بنيانه، إلى أن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية في أيام العاضد: آخر خلفاء الفاطميين، ووزيره يومئذ شاور السعدى نخاف على القُسطاط أن يملكه الفرنج ويحصنوا به، فأضرم في مساكنه النار فأحرقها فتزايد الخراب فيه وكثر الخلو.

ولم يزل الأمر على ذلك في تفهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس: أحد ملوك الترك بالديار المصرية، فصرف الناس همتهم إلى هدم ما خلا من أخطائه والبناء بتقضه بساحل النيل بالقُسطاط والقاهرة، وتزايد الهدم فيه واستمر إلى الآن، حتى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل، وما جاوره إلى ما يلي الجامع العتيق وما داني ذلك، ودثرت أكثر الحطط القديمة وعفا رسمها، وأصَحَّح ما بقي منها وتغيرت معاملها. وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النساب، عرفت ما كان القُسطاط عليه من العماره وما صار إليه الآن، وإنما أجريننا ذكر بعض الخطط المتقدمة، حفظاً لأسمائها وتبنيها على ما كانت عليه. إلا أن في ساحله المِطْل على النيل الآن وما جاور ذلك المباني الحسنة، والدور العظيمة، والقصور العالية، التي تبهج الناظر، وتسر الخاطر.

وكان أكثر بنيانه بالأجر المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك، وقد صار ما خرب منه ودثر كيما ناكاب لجلال العظيمة، وهجر غالبها وترك، وسكن في بعضها رعاع الناس ممن لا يعبأ به في نجوانب منها لا تعد في العامر.

ومن كيانه المشهورة التي ذكرها القضاعى كوم الجارح، وكوم دينار، وكوم السمكة وكوم الزينة، وكوم الترمس؛ وزاد صاحب "إيقاظ المتغفل" كوم بنى وائل، وكوم ابن غراب، وكوم الشقاف، وكوم المشانيق.

ويقابل الفسطاط من الجهة البحرية جزيرة الصّناعة المعروفة الآن بالروضة ، كانت صناعة العائر أولاً بها فنسبت إليها .

قال الكندي : وكان بناؤها في سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها اسم الروضة لحسنها ونضارتها وإطافة الماء بها ، وما بها من البساتين والقصور ، وهي جزيرة قديمة كانت موجودة في زمن الروم . وكان بها حصن عليه سور وأبراج ، وبين الفسطاط وبينها جسر ممتد من المراكب على وجه النيل كما في جسر بغداد على الدجلة ولم يزل قائماً إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسراً من خشب تتر عليه المباشرة وترجع ، وبعد خروج المأمون من مصر هبت ريح عاصفة في الليل فقطعت الجسر القديم ، وصدمت بسفنه الجسر المحدث فذهب جميعاً ، ثم أعيد الجسر المحدث وبطل القديم .

وقد ذكر القضاة : أنه كان موجوداً إلى زمنه ، وكان في الدولة الفاطمية ، ثم جدد الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر في خلافة المعتمد في سنة ثلاث ومائتين ، ثم استهدم بعد ذلك بتأثير النيل في أبراجه ومرور الزمان عليه ، ثم بنى الصالح نجم الدين أيوب قلعة مكانه في سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقيت حتى هدمها المعز أيك التركاني أول ملوك الترك ، وعمر من نقضها مدرسته المعزية برحبة الخروب ، وأخذ الناس مكانها أملاكاً ، وهي على ذلك إلى زماننا ، ولم يبق بها إلا بعض أبراج أخذها الناس أملاكاً وعمرها عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر بيبرس ، هم بإعادتها فلم يتفق له ذلك وبقيت على حالها .

قلت : وكانت أُرْفَةُ^(١) النيل التي بين جزيرة الصناعة وبين الفسطاط هي أقوى الفرقتين والتي بين الجزيرة والجزيرة هي الضعيفة ، ثم انعكس الأمر إلى أن صار ما بين الجزيرة والفسطاط يحف ولا يعلوه الماء إلا في زيادة النيل ، ويبدو بين آخر

(١) في الأصل أُرْفَة وهو تصحيف والأُرْفَة بالراء المهملة الحد والمستأنة والمراد بها هنا الفرقة .

الْفُسْطَاط وهذه الجزيرة على قُوَّة خليج القاهرة حيث السد الذي يفتح عند وفاء النيل مكان كالجيزة، يعرف بِمُنْشَأَة المَهْرَانِي كان كوما يحرق فيه الأجر يعرف بالكوم الأحمر، عدّه القضاعيّ في جملة كيّان الفُسْطَاط .

قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأول من أبتدأ فيه العمارة بلبان المهرانيّ في الدولة الظاهرية ببيرس فنسبت المنشأة إليه .

ويلى الفُسْطَاط من غربيّه بركة تعرف ببركة الحبش، وهى أرض مزدرعة .
قال القضاعيّ : كانت تعرف ببركة المعافير وحمير، وكان فى شرقها جنّات تعرف بالحبش فنسبت إليها .

وذكر ابن يونس فى تاريخه أن تلك الجنّات تعرف بقتادة بن قيس بن حبشى الصديق، وهو ممن شهد فتح مصر .

قلت : وهى الآن موقوفة على الأشراف من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقفها عليهم الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاقد من الخلفاء الفاطميين، ويلىه من قبله حيث القرافة المكان المعروف بالخنديق، كان قد آخضه عبد الرحمن بن عيينة خندقا فى سنة خمس وستين من الهجرة عند مسير مروان بن الحكم إلى مصر، فعرف بذلك .



وأما جوامعُه فـ—————تة :

الأول

(الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو)

وذلك أن عمرا لما بنى داره الصغرى مكان فُسْطَاطِه على ما تقدّم ذكره، اختط الجامع المذكور فى خِطّة أهل الراية المتقدمة الذكر .

قال القضاة : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعه قيسبة بن كاثوم التميمي أحد بنى سؤم ، فزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشمع ، فلما رجع عمرو من الإسكندرية ، سأل قيسبة فيه ليجعله مسجدا فسلمه إليه ، وقال : تصدقت به على المسلمين ، وأخط له خطة مع قومه فى بنى سؤم فى ثيب ، فبنى فى سنة إحدى وعشرين ، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا ، ويقال : إنه وقف على قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبد الله بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو بصرة الغفاري وغيرهم ، ولم يكن له يومئذ محراب مجوف بل عمد قائمة بصدر الجدار ، وكان له بابان يقابلان دار عمرو ابن العاص ، وبابان فى بحريه ، وبابان فى غربيه ، وطوله من قبله إلى بحريه مثل طول دار عمرو ، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه ، اتخذ عمرو بن العاص له منبراً يخطب عليه ، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره ، ويقول : أما يكفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك ؟ فكسره . ويقال إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا ملك التوبة أهدى لعبد الله بن أبى سرج العامري^(١) فى إمارته على مصر منبرا فجعله فى الجامع ، ثم زاد فيه مسالمة بن مخلد الأنصارى فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وهو يومئذ أمير مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان زيادة من بحريه ، وزخرفته ، وهو أول من صلى على الموتى داخل الجامع ، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلى زماننا . وأول من رتب فيه قراءة المصحف

(١) فى ابن دقاق المخطوط "ابن مرقى" .

عبد العزيز بن مروان في إمارته في سنة ست وسبعين، ورفع عبد الله بن عبد الملك سقفه في سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطاطاً؛ ثم جعل فيه المحراب المجوف قبة ابن شريك العبسي أتباعا لعمر بن عبد العزيز في محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشام .

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نصر الخفجي وهو أمير مصر باتخاذ المنابر في جميع جوامع قرى مصر . وأول من نصب اللوح الأخضر فيه عبد الله ابن طاهر، وهو أمير مصر في سنة اثنتي عشرة ومائتين؛ ثم أحترق الرواق الذي فيه اللوح الأخضر في ولاية ثمارويه بن أحمد بن طولون، فعمره ثمارويه في سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدد اللوح "الظاهر ببيرس" في سنة ست وستين وستمائة ثم جدد اللوح الأخضر برهان الدين المحلى التاجر في سلطنة "الظاهر بقوق" في أواخرها وقد وصف صاحب "إيقاظ المتغفل" الجامع على ما كان في زمانه في حدود ثلاث عشرة وسبعمائة فقال : إن ذرعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل، مقدمه ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا، ومؤخره ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعا، وصحنه خمسة آلاف ذراع، جانبه الشرق ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا، وجانبه الغرب كذلك؛ وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل باب منها اسم يخصه، في جانبه القبلي باب واحد؛ وبه أربعة وعشرون رواقا، سبعة في مقدمه، وسبعة في مؤخره، وخمسة في شرقيه، وخمسة في غربيه؛ وفيه ثلثائة عمود وثمانية وستون عمودا، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره؛ وبصدره ثلاثة محاريب : المحراب الكبير المجاور للمنبر، والمحراب الأوسط، ومحراب الخمس؛ وفيه خمس صوامع : إحداها في ركنه القبلي مما يلي الغربى، وهى الغرفة؛ والثانية في ركنه القبلي مما يلي الشرقى، وهى المنارة الكبرى؛ والثالثة في ركنه البحرى

مما يلي الشرق ، وتعرف بالحديدة ، والرابعة فيما بين هذه المنارة والمنارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة ، والخامسة فى الركن البحرى مما يلي الغربى مقابل باب السطح ، وتعرف بالمستجدة .

وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد استهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التى داخله ، فأمر السلطان الملك الظاهر ببنائها ، فعلقت جذره على الخشب ، فأخترمت المنية قبل الشروع فى البناء ، وأخذ القاضى برهان الدين المحلى تاجر الخصاص فى عمارة ذلك ، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر بيبرس ، وعمر الرواقات المستهدمة أنفُس عمارة وأحسنها .

قلت : ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلا من الصحابة ، وحينئذ فليحق بحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائرا إليه بعض أصحابنا الشافعية فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتياسر فى محاريهما كما نبه عليه الشيخ تقي الدين السبكي فى شرح منهاج النووى فى الفقه ، لكن قد ذكر القضاعى فى خططه عن الليث بن سعد وابن هبيعة أنهما كانا يتيامنان فى صلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرقا جدا ، وأن قرة بن شريك حين هدمه وبناءه ، تيامن به قليلا .

وقد حكى الشيخ تقي الدين السبكي فى شرح المنهاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن أنحرافا قليلا . قال : ولعله من تغيير البناء ، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن عن ذلك ، فأخبرنى عن الشيخ تقي الدين أبى الطاهر رأس علماء الميقات فى زماننا أنه كان يقول : من الدلالة على صحة عملنا فى أستخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثانى

(الجامع الطولونى)

بناه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَشْكُرُ .

قال القضاعى : وينسب إلى يَشْكُرُ بن خزيمة من لحم ، كان خطّة لهم .

قال ابن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن ابن

طولون أنفق على هذا الجامع مائة ألف دينار وعشرين ألفاً من كثر وجده .

ويقال : إنه لما فرغ من بنائه أمر بتسميع ما يقوله الناس فيه من العيوب ،

فسمع رجل يقول : محرابه صغير ، وآخر يقول : ليس فيه عمود ، وآخر يقول :

ليس فيه ميضأة ، فقال : أما المحراب ، فإنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد

خطه لى ، فأصبحت فرأيت النمل قد أطافت بالمكان الذى خطه لى . وأما العمد ،

فإنى بنيت من مال حلال ، وهو الكثر الذى وجدته فما كنت لأشوبه بغيره ،

والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فزهرته عن ذلك . وأما الميضأة ، فأردت

تطهيره من النجاسات ، وها أنا أبنيها خلفه ، ثم أمر ببنائها على القرب .

ويحكى أنه كان لا يعبت بشىء قط ، وأنه أخذ يوماً درج ورق أبيض وأخرجه

ومده كالحزون ، ثم استيقظ لنفسه وظن أنه فطن له ، فأمر بعمارة المنارة على تلك

الهيئة ، وعلى نظير العشارى الذى على رأسها عمل العشارى الذى على رأس قبة الإمام

الشافعى رضى الله عنه . ولما فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا نزلت من

السماء فأحرقت الجامع دون ما حوله فغير رؤياه على عابر فقال له : بُشْرَاكَ قبوله ،

فإن الأمم الحالية كانوا إذا قَرَّبوا قربانا فُتُقِلَّ ، نزلت نار من السماء فأكلته ، كما فى قصة

هَابِيلَ وَقَابِيلَ ، ورأى مرة أخرى كأن الحق سبحانه وتعالى تجلّى على ما حول الجامع

فَعَبَّرَهُ لَهُ عَابِرٌ بِأَنَّهُ يَخْرُبُ مَا حَوْلَ الْجَامِعِ وَيَبْقَى هُوَ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَهَدِمَتْ مَنَازِلُ بَنِي طَوْلُونَ فِي نَكْبَتِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْجَامِعُ .

الثالث

(جامع راشدة)

بَنَاهُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ جَنُوبِيَّ الْفُسْطَاطِ ، عَلَى الْقَرَبِ مِنَ الرِّصْدِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي وَقْفِهِ مَعَ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَجَامِعِ الْمُقَسِّ .

قَالَ فِي "إِقْطَاطِ الْمُتَغَفَّلِ" : لَيْسَ هُوَ بِجَامِعِ رَاشِدَةٍ حَقِيقَةٍ ، وَإِنَّمَا جَامِعُ رَاشِدَةٍ كَانَ بِالْقَرَبِ مِنْهُ ، وَهُوَ جَامِعٌ قَدِيمٌ بَنَتْهُ قَبِيلَةُ يُقَالُ لَهَا رَاشِدَةٌ عِنْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ ، فَلَمَّا بَنَى الْحَاكِمُ هَذَا سَمَى بِاسْمِهِ . قَالَ : وَقَدْ أَدْرَكْتَ بَعْضَهُ وَمَحْرَابَهُ ، وَكَانَ فِيهِ شَجَرٌ كَثِيرٌ مِنْ شَجَرِ الْمُقَلِّ .

الرابع

(جامع الرصد)

بَنَاهُ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ أَبِيكَ الْأَقْرَمُ أَمِيرُ جَانْدَارِ الصَّالِحِيَّ النَّجْمِيَّ فِي شَهْرِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَسِتْمِائَةٍ ، عَمَرَ مَنَظَرَتَهُ الْمَعْرُوفَةَ بِهِ هُنَاكَ ، وَعَمَّرَ رِبَاطًا بِجَانِبِهِ قَرَّرَ فِيهِ عِدَدًا تَتَعَقَّدُ بِهِ الْجُمُعَةُ مُقِيمِينَ فِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا .

الخامس

(جامع الشَّعْبِيَّةِ بِظَاهِرِ مِصْرَ أَيْضًا)

بَنَاهُ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ الْأَقْرَمُ الْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَسِتْمِائَةٍ ، وَسَكَنَهُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ اللَّبَّانِ الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ الصُّوفِيَّ فَعَرَفَ بِهِ الْآلَنَ .

السادس

(الجامع الجديد)

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. بالقرب من مَوْرَدَةِ الخلفاء، وبدأ بعمارته في التاسع من المحرم في سنة إحدى عشرة وسبعائة، وأتمت عمارته في ثامن صفر سنة اثنتي عشرة وسبعائة، وخطب به قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي، وصلى فيه الجمعة في التاسع من الشهر المذكور، ورتب فيه صوفية يحضرونه بعد العصر كما في الخواثق، وهو من أحسن الجوامع وأزهرها بقعة خصوصا في أيام زيادة النيل.



وأما مساجد النجس، فكانت على العدد الذي لا يحصى لكثرتها، وخطط القضاء شاهدة بذلك :

وقد رأيت في بعض التواريخ أن الفناء وقع في أيام كافور الاخشيدى حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة، فأتوا بها إلى كافور فلم يقبلها، وقال : أبنوا بها المساجد وأتخذوا لها الأوقاف، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها، ولكنها الآن قد خربت بخراب الفسطاط ودثرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .



وأما المدارس، فكان المتقدمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق؛ وأول من أحدث المدارس بالفسطاط بنو أيوب، فعمر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين . إحداهما - مدرسة المالكية، المعروفة بالقمحية في المحرم سنة ست وستين وخمسة، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للمدرسين والطلبة قمحا .

قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل .

والثانية - المدرسة المعروفة بابن زين التجار، وكانت سجنًا يُسَجَّن فيه فيها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها

ثم عمّر الملك المظفر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل العز بالقرب من باب القنطرة قبليّ القُسْطَاط مدرسةً ووقف عليها أوقافاً من جملتها جزيرة الصّناعة المعروفة بالرّوضة .

ثم بنى السلطان الملك المعزّ أيك التُّركمانيّ أول ملوك الترك مدرسته المعزية برحبة الخروب في شهور سنة أربع وخمسين وستمائة .

وعمرّ الصاحب شرف الدين بن الفائزيّ مدرسته الفائزية قبل وزارته في شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وعمر الصاحب بهاء الدين بن حنا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .



وأما الخوانق والرُّبُط فلم تعهد بالقُسْطَاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عمّر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبليّ القسْطَاط واشترى الآثار الشريفة وهي ميلٌ من نحاس ، ومِلْقَطٌ من حديد ، وقطعة من العنزة ، وقطعة من القصعة بجملّة مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة .



وأما البيارستان فأول من أنشأه بالقُسْطَاط أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين وأنفق عليه ستين ألف دينار .

قال القضاعيّ : ولم يكن قبله بيارستان بمصر ، وشرط أن لا يعالج فيه جُنْدِيٌّ ولا مملوك .

القاعدة الثانية

(القاهرة)

(بألف ولام لازمين في أولها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء في الآخر) ويقال فيها القاهرة المعزية نسبة إلى المعز الفاطمي الذي بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهي المدينة العظمى التي ليس لها نظير في الآفاق ، ولا يسمع بثلاثها في مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزى لمولاه المعز لدين الله أبي تميم معد ، بن المنصور أبي الطاهر إسماعيل ، بن القائم أبي القاسم محمد ، بن المهدي بالله أبي محمد عبيد الله الفاطمي في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب ، واستيلائه عليها ، وموقعها شمالي القُسطاط المتقدم ذكره على القرب منه .

قال في "الروض المعطار" : وبينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليه الحال في ابتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور القُسطاط وسور القاهرة .

أما الآن فقد انتشرت الأبنية واتصلت العمارة حتى كادت المدينتان تتصلان أو اتصلتا .

قال القاضي محي الدين بن عبد الله الظاهر في خِطاط القاهرة : والذي استقر عليه الحال أن حدَّ القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رقية عرضا ، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال ابن سعيد : وكان مكانها قبل العمارة بستانا لبنى طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان ، فطولها وعرضها في معنى طول القُسطاط وعرضه أو أكثر عرضا بقليل ، وكان ابتداء عمارتها أن أمر إفریقیة وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضى إلى المعز المذكور ، وقوى طمعه في مصر بعد موت كافور الإخشيدي

وهى يومئذ والشام والحجاز بيد أحمد بن على بن الاخشيد أستاذ كافور وهو صبي لم يبلغ الحلم، والمتكلم في المملكة أهل دولته، والحسين بن عبدالله، في الشام كالنائب أو الشريك له يدعى له بعده على المنابر.

وكانت مصر قد ضُعب عسكرها لما دهمها من الغلاء والوباء، فجهز المعز قائده جوهر المتقدم ذكره، فبرز جوهر إلى مدينة رقادة من بلاد إفريقية في أكثر من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، وخرج المعز لتشييعه، فقال للشايخ الذين معه: "والله لو خرج جوهر هذا وحده، لفتح مصر، وليدخلها بالأردية من غير حرب، وليرزق في خرابات ابن طولون، ويبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا" وكان للمعز غلام بركة اسمه أفلح، فكتب إليه المعز أن يترجل لجوهر إذا عبر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يعنى من ذلك، فأبى المعز إلا ذلك، فترجل من مكانه وقبل يديه، وسار جوهر حتى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ونزل في منأخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا، وأخطت القصر وأخذ في بنائه وعمارة القاهرة، وأخطت الناس حوله.

فأما القصر، فإنه أخطه في الليلة التي أناخ فيها قبل أن يصبغ، فلما أصبح رأى فيه أزوارا غيرة معتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وتمادى في بنيانه حتى أكمله.

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رجة الأيدمرى طولابا، ومن السبع خوخ إلى رجة باب العيد عرضا، والحد الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضى إلى السبع خوخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رجة الأيدمرى، ثم إلى الركن المخلق، ثم إلى بين القصرين حتى تأتى إلى باب المدرسة

• الصالحية من حيث ابتدأت، فما كان على يسارك في جميع دَوْرَتِكَ فهو موضع القصر .
 وكان له تسعة أبواب بعضها أصلى وبعضها مستحدث .

أحدها - باب الذهب ، ويقال إنه كان مكان المدرسة الظاهرية الآن .

الثاني - باب البحر ، ويقال إن مكانه باب قصر يشبك . قال ابن عبد الظاهر :
 وهو من بناء الحاكم .

الثالث - باب الزهومة ، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية ، وكانت
 الصاغة مطبخا للقصر وكانوا يدخلون بالطعام إلى القصر من ذلك الباب فسمى باب
 الزهومة لذلك ، والزهومة الدفر .

الرابع - باب التربة ، ويقال إن مكانه بين باب الزهومة المتقدم الذكر
 ومشهد الحسين .

الخامس - باب الدَّيْلَم ، وهو باب مشهد الحسين .

السادس - باب قَصْرِ الشوك ، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك على
 القرب من رحبة الأيدمرى .

السابع - باب العيد ، وهو باب البيارستان العتيق ، سمي بذلك لأن الخليفة
 كان يخرج منه لصلاة العيد ، وإليه تنسب رحبة باب العيد .

الثامن - باب الزمرد ، وهو إلى جانب باب العيد المتقدم ذكره .

التاسع - باب الريح ، وقد ذكر ابن الطَّوَيَّر أنه كان في ركن القصر الذي
 يقابل سور دار سعيد السعداء التي هي الخاقاه الآن .

ثم أستجد المأمون بن البطائحي وزير الأمر تحت القوس الذي بين باب الذهب
 وباب البحر ثلاث مناظر ، وسمى إحداها الزاهرة ، والثانية الفاخرة ، والثالثة الناضرة .

وكان "الآمر" يجلس فيها العرض العساكر في عيد الغدير، والوزير واقفٌ في قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفين الآن سلسلةٌ ممتدةٌ إلى ما يقابلها تعلق في كل يوم من وقت الظهر حتى لا يجوز تحت القصر راكب، ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

ومما هو داخل في حدود القصر مشهد الحسين .

وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بعسقلان، فخشى الصالح طلائع بن رزيك عليها من الفرنج فبنى جامعاً خارج باب زويلة، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائر على ذلك، وأمر بابتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه في سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ومن غريب ما اتفق من بركة هذه الرأس الشريفة ما حكاه القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استولى على هذا القصر بعد موت العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر قبض على خادم من خدام القصر وحلق رأسه وشد عليها طاساً داخله خنفس فلم يتأثر بها ، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السرفيه ، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلى المشهد حملها على رأسه ، فحلق عنه السلطان وأحسن إليه .

وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافعي من جهة السبع خوخ فيه عجائز الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن المعز أول خلفائهم بمصر وإلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم ، وكانت الوزراء يتزلون بدار الوزارة التي أبتناها أمير الجيوش بدر الجمالي داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية ببيرس

(١) أنت الرأس مجازة للغة العامة واللغة العربية تذكره .

الآن. فلما وَلَّى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أسد الدين شيركوه، نزل بدار الوزارة المذكورة، وبقى بها حتى مات العاضد فتحول إلى القصر وسكنه؛ ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر. فلما ملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر انتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتى ذكره في الكلام على القلعة إن شاء الله تعالى. وصارت دار الوزارة المتقدمة الذكر منزلا للرسل الواردين من الممالك إلى أن عمّر مكانها السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الخاقاه المعروفة به، وخلا القصر من حينئذ من ساكنيه، وأهمل أمره فخر.

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر: قال لى بواب لباب الزهومة اسمه مرهف في سنة ثلاثين وستمائة: كان لى على هذا الباب المدة الطويلة ما رأيته دخل فيه حطب ولا رمى منه تراب. قال: وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويم ترابه؛ ثم أخذ الناس بعد ذلك في تملكه وأستحكاره، وعمرت فيه المدارس والأدور. فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرسته الصالحية، ثم بنى "الظاهر بيبرس" فيه مدرسته الظاهرية، وبنى فيه بشتاك أحد أمراء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فيه قصره المعروف به، وجعلت دار الضرب في وسطه، ولم يبق من آثاره إلا البيارستان العتيق، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله بن المعز الفاطمي على ما سيأتى ذكره.

وكذلك القبة التي على رأس السالك من هذا البيارستان إلى رجة باب العيد، وبعض جذر لا يعتد بها قد دخلت في جملة الأملاك.



وأما (أبواب القاهرة وأسوارها)، فإن القائد جوهر حين آخطها جعل لها أربعة أبواب: بابين متقاربين، وبابين متباعدين. فالمتقاربان (بابا زويلة) نسبة إلى زويلة

قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب، ولذلك يقع في عبارة الموثقين وغيرهم بابا زويلة؛ وأحد هذين البابين القوس الموجود الآن المجاور للمسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام؛ والثاني كان موضع الحوانيت التي يباع فيها الجبن على يسرة القوس المتقدم ذكره يدخل منه إلى المحمودية . وكان سبب إبطاله وسده أن الميز الذي بنيت له القاهرة لما دخلها عند وصوله من المغرب، دخل من القوس الموجود الآن هناك فأزدهم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر، وأشتهر بين الناس أن من دخل منه لم تقض له حاجة ، فرفض وسد ، وجعل زقاق جنوبية يتوصل منه إلى المحمودية ، وزقاق شمالية يتوصل منه إلى الأنماطين وما يليها .

والبابان المتباعدان هما القوس الذي داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين ، وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن ، فهدم ثم أبتنى أمير الجيوش بدر الجمالي المتقدم ذكره في سنة ثمانين وأربعمائة سورا من لبن دائرا على القاهرة ، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق ؛ ثم أبتنى الأفضل بن أمير الجيوش باب زويلة ، وباب النصر ، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في خطه ، إلا أنه ذكر في مواضع أخر منها أن باب زويلة بناه العزيز بالله وأكمله بدر الجمالي ، وهو من أعظم الأبواب وأشمخها ، وليس له باشورة على الأبواب ، وفيه يقول على بن محمد النيلي :

يَصَاحُ لَوْ أَبْصَرْتَ بَابَ زُوَيْلَةٍ ، * لَعَلِمْتَ قَدْرَ مَحَلِّ بَيْتَانَا

بَابٌ تَأَزَّرَ بِالْمَجْرَةِ وَأَرْتَدَى الشَّعْرَى * وَلَا تَبْرَأُ سِهَ كِيَوَانَا

لَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَاهُ لَمْ يُرِدْ * صَرَحًا وَلَا أَوْصَى بِهِ هَامَانَا

قال ابن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المعزّ، وكان قد ورد من عنده في جيش إلى جوهر وولى الرملة بعد ذلك .
قال : (وباب القنطرة) منسوب إلى القنطرة التي أمامه ، وهى من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القرامطة ليجوز عليها إلى المقس . والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجبية عند الطيورين الآن كان بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة ، وكان يعرف بالباب الحديد .

(وباب الخوخة) الذى على القرب من قنطرة الموسكى أظنه من بناء الفاطميين أيضا ؛ ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب "الديار المصرية" آتتدب لعمارة أسوار القاهرة ومصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى الرومى على كثرة من أسرى الفرنج عندهم يومئذ ، فبنى سورا دائرا عليها وعلى قلعة الجبل والفسطاط ، ولم يزل البناء به حتى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن ؛ وجعل فيها عدة أبواب :

منها باب البحر ، وباب الشعرية ، وباب البرقية ، والباب المحروق ؛ وآبتنى برجين عظيمين أحدهما بالمقس على القرب من جامع باب البحر ، وهو الذى هدمه صاحب شمس الدين المقسى وزير الأشرف شعبان بن حسين على رأس السبعين والسبعائة ، وأدخله فى حقوق الجامع المذكور حين جدد بناءه ؛ والثانى بباب القنطرة جنوبى الفسطاط .

قال القاضى محي الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوله إلى آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثائة وذراعان بالمهاشمى ، من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمر يعنى رأس منشأة المهرانى المتقدم ذكرها فى الكلام

على خِطَطِ القُسْطَاطِ عند فُوْهَةِ خَلِيجِ القَاهِرَةِ عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ؛ ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلاثمائة وأثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وأقصر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه على ذَرْعِ السُّورِ من غير تفصيل ولم يتعرّض للذراعين الزائدين .

قلت : وهذا السور قد دَثِرَ أكثره ، وتغيرت معالم غالبه : للصوق عمائر الأملاك به حتى إنه لا يتميز في غالب الأماكن من الأملاك ، وسقط ما بين باب البحر إلى الكوم الأحمر حتى لم يبق له أثر . على أن ما هو داخل سور القاهرة الأول من الأماكن أرضه سبخة ومائه زَعَاق .

قال ابن عبد الظاهر : ولذلك عَتَبَ المِعْزُ عند وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يعمُرْها مكان المَقْصِ على القرب من باب البحر أو جنوبي القُسْطَاطِ على القرب من الرصد لتكون قريبة من النيل ، عَدْبَةُ مياه الآبار .

وأعلم أن خطط القاهرة قد اتسعت وزادت العارة حولها ، وصار ما هو خارج سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلى دولة الفاطميين ، ومنها ما هو منسوب إلى من تقدمهم من الملوك ، إما لدروس اسمه الأول وغلبة اسمه الثاني عليه ، وإما لاستحداثه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ما هو مجهول لأنقطاع شهرته بطول الأيام ومرور الليالي . وإنما يقع التعرّض هنا للأماكن الظاهرة الشهيرة ، الدائرة على الألسنة دون غيرها ، وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب القِدَمِ والحدوث .

أما خططها المشهورة داخل السور .

(فمنها) ”حارة بهاء الدين“ داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشى بهاء الدين قراقوش باني سور القاهرة المتقدم ذكره ، وكانت في دولة الفاطميين تعرف بين الحارثيين ؛ ثم أخطها قوم في الدولة الفاطمية يعرفون بالرَّيْحانية والعزيرية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور ، أشتهرت به وُسِي ماقبل ذلك .

(ومنها) ”حارة بَرْجَوَان“ وتعرف بِبَرْجَوَان الخادم ، كان خادماً القُصُور في أيام العزيز بالله ابن المَعزَّ ثاني خلفاء الفاطميين بمصر ، ووصَّاه على ابنه الحاكم فعظم شأنه ، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف في تركته ألف سراويل بألف تكة حرير .

وبهذه الحارة كانت دار المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي .

(ومنها) ”خط الكافوري“ كان بستانا لكافور الاخشيدي ، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلى سنة إحدى وخمسين وستائة ، فاخطه طائفة البحرية والعزيرية إصطبلات ، وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلى كافور على ما كانت عليه .

(ومنها) ”خُط الحرنشَف“^(١) كان ميدانا للخلفاء الفاطميين ، وكان لهم سرداب تحت الأرض إليه من باب القصر يمترون فيه إلى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ثم بنى به الغز بعد الستائة إصطبلات بالحرنشَف وسكنوها فسمى بذلك .

(ومنها) ”درب شمس الدولة“ على القرب من باب الزهومة ، وكان في الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء ، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر ، وبها المدرسة المسروورية بناها مسرور الخادم ، وكان أحد خُدَّام القصر في الدولة الفاطمية وبقى إلى الدولة الأيوبية ، وأختص بالسلطان صلاح الدين وتقدم عنده ،

(١) في المقرئ ”الحرنشَف“ وفسره بأنه المتجمد من وقود الحمامات بعد إحراقها وهي تسمية عرقية .

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف ، وعمر بها دريا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زويلة" وتنسب إلى زويلة قبيلة من البربر الواصلين صحبة القائد جوهر على ما تقدم ذكره في الكلام على باب زويلة ، وهي حارة عظيمة متشعبة . (ومنها) "الجودرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودرية من الدولة الفاطمية نسبة إلى جودر خادم عبيد الله المهدي أبي الخلفاء الفاطميين ، آتخطوها وسكنوها حين بنى جوهر القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمي أنهم يهزؤون بالمسلمين ويقعون في حق الإسلام ، فسدد عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا ، وسكنوا بعد ذلك حارة زويلة المتقدمة الذكر .

(ومنها) "الوزيرية" وتعرف بالوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس وزير المعز بالله الفاطمي ، وكان يهودى الأصل يخدم في الدولة الاخشيدية ، ثم هرب إلى المعز الفاطمي بالمغرب لمال لزمه ، فلقى عسكر المعز مع جوهر فرجع معه ، وعظمت مكانته عند المعز حتى استوزره ، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفى الدين ابن شكر : وزير العادل أبي بكر بن أيوب المعروفة بالصاحبية بسويقة الصاحب ، وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج .

(ومنها) "المحمودية" قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة في أيام العزيز بالله الفاطمي إلى مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل بابي زويلة ، آتخطها الروم الواصلون صحبة جوهر القائد حين بنائه القاهرة فعرفت بهم ونسبت إليهم إلى الآن .

(ومنها) "الباطلية" قال ابن عبد الظاهر : تعرف بقوم أتوا المعز بنى القاهرة وقد قسم العطاء في الناس فلم يعطهم شيئا ، فقالوا : نحن على باطل ؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الدِّلم" وتعرف بالدِّلم الواصلين صحبة افتكين المعزى غلام المعز
 ابن بويه الديلمي، وكان قد تغلب على الشام أيام المعز الفاطمي وقاتل القائد جوهر
 وأستنصر بالقرامطة، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره في الرملة وقدم به إلى القاهرة
 فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهذه الحطة. وبها كانت دار الصالح طلائع
 ابن رزيك باني الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبل الوزارة،
 ووخخته بها معروفة إلى الآن بخوخة الصالح.

(ومنها) "حارة كُتامة" على القرب من الجامع الأزهر بجوار الباطنية، تعرف بقبيلة
 كُتامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب.

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلا للقصر، وبهذا
 الخط كانت دار الفطرة التي يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطاحي وزير
 الأمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القصر، وسيأتي الكلام على الفطرة
 مستوفى في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلى مشهد الحسين : كانت طائفة من غلمان الصالح
 طلائع بن رزيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليه.

(ومنها) "البرقية" قال ابن عبد الظاهر : آخطها قوم من أهل برقة قَدِمُوا صحبة
 جوهر فعرفت بهم. ورأيت بخط بعض الفضلاء بحاشية خط ابن عبد الظاهر
 أن الصالح طلائع بن رزيك لما قتل عباسا وزير الظافر وتقلد الوزارة عن الأمر،
 أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عوناً له وأسكنهم هذه الحطة فنسبت إليهم.
 (ومنها) "قصر الشوك" على القرب من رحبة الأيدمرى، قال ابن عبد الظاهر:
 كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبنى عذرة تعرف بقصر الشوك.

(١)

(ومنها) وكانت خزانة السلاح في الدولة الفاطمية ، ثم جعلت سجنًا في الأيام المستنصرية ، ثم احتكرت بعد ذلك وجعلت آدرًا .

(ومنها) ”رَحْبَة باب العيد“ تنسب إلى باب العيد : أحد أبواب القصر المسمى باب العيد المقدم ذكره .

(ومنها) ”دَرْب مُلُوحِيَّة“ ينسب للمُلوحيَّة صاحب رِكاب الحاكم ، وبه مدرسة القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وبه كانت داره .

(ومنها) ”العُطُوف“ وأصل أسمها العُطُوفية : نسبة إلى عطوف خادم الحاكم .

(ومنها) ”الجَوَانِيَّة“ قال ابن عبد الظاهر : وهى صفة لمحدوف ، وأصلها حارة الروم الجَوَانِيَّة ، وذلك أن الروم الواصلين صحبة جوهر أخطوا حارة الروم المتقدمة الذكر وهذه الحارة ، وكان الناس يقولون : حارة الروم البرَّانية وحارة الروم الجَوَانِيَّة فنقل ذلك عليهم ، فأطلقوا على هذه الجَوَانِيَّة وَقَصَرُوا اسم حارة الروم على تلك . قال : والوَراقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة بالجَوَانِيَّة ، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوَانِيَّين الذين منهم الشريف الجَوَانِي النَّسَابَة .

وأما خططها المشهورة خارج السور :

(فمنها) ”الحُسَيْنِيَّة“ كانت في الأيام الفاطمية ثمان حارات خارج باب الفتوح أولها الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدم ذكرها ، وهى حارة حامد ، والمنشأة الكبرى ، والحارة الكبيرة ، والمنشأة الصغيرة ، وحارة عبيد الشراء ، والحارة الوسطى ، وسوق الكبير بمصر ، والوَزيرية ، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعُجَّان وعبيد الشراء .

قال ابن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس ، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحسينيين قَدِمُوا في أيام الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر ، فترلوا بهذه الأمكنة وأستوطنوها فسميت بهم ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنوا بها الأبنية العظيمة والأدَر الضخمة .

قال ابن عبد الظاهر : هي أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه في زمانه ، ولكنها قد خربت في زماننا هذا ، وانتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القاعة بصليبة الجامع الطولوني ونحوها . وبنى بهاء الدين قراقوش خانا للسبيل تنزلة المازة وأبناء السبيل فعرف خطه به . (ومنها) "الخنديق" خارج الحسينية بالخنديق ؛ كان عنده خندق أحفره العزيز بالله الفاطمي وكان المِعْز قد أسكن المغاربة هناك في سنة ثلاث وستين وثلثمائة حين تبسطوا في القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر متاديا ينادي لهم كل ليلة : من بات منهم في المدينة أستحق العقوبة . (ومنها) "أرض الطَّبالَة" منسوبة لامرأة مغنية اسمها نَشْب ، وقيل طَرَب ، كانت مغنية لستنصر الفاطمي وأسمه مَعَد .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له ببغداد في نوبة البساسيري قريب السنة غتته نَشْب هذه :

يَا بَنِي الْعَبَّاسِ صُدُّوا * قَدْ وَلِيَ الْأَمْرَ مَعَدُّ

مُلْكُكُمْ كَانَ مُعَارًا * وَالْعَوَارِي تُسْتَرَدُّ

فوهبها هذه الأرض في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فحُكِرَت وبنيت آدرا فعرفت بها . قال : وكانت من مُلَح القاهرة وبهجتها ، وفيها يقول ابن سعيد المغربي مجانسا بين القُرط الذي ترعاه الدوابُّ والقُرط الذي يكون في الأذن .

سقى الله أرضاً كلما زُرْتُ رَوْضَهَا ، * كَسَاها وحَلَّاهَا بزَيْنَتِهِ الْقُرْطُ
تَجَلَّتْ عَرُوسًا وَالْمِيَاهُ عَقُودُهَا * وفي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَوَانِبِهَا قُرْطُ
(ومنها) "خط باب القنطرة" قال ابن عبد الظاهر : ذكر لي عَلمُ الدين بن مَمَاتِي
أنه في كتب الأُمَلَاكِ القديمة يسمى بِالْمُرْتَاجِيَةِ .

(ومنها) "المَقْسُ" قال القُضَاعِيّ في "خططه" : كانت ضِيْعَةٌ تعرف بِأَمِّ دُنَيْنٍ ،
وكان العَاشِرُ الَّذِي يأخذ المَكْسَ يقعد بها لاسْتِخْرَاجِ المَالِ ، فقليل المَكْسِ بالكاف
ثم أبدلت الكاف في الألسنة قافا .

قال ابن عبد الظاهر : . ومن الناس من يقول فيه المَقْسِمُ لأن قِسْمَةَ الغَنَائِمِ
في الفَتْوحِ كانت فيه . قال : ولم أَرِ ذلك مَسْطُورًا ، وكانت الدَكَّةُ من نَوَاحِيهِ
بِسُتَانَا إِذَا رَكِبَ الخَلِيفَةُ مِنَ الخَلِيجِ يَوْمَ الكَسْرِ أَتَى إِلَيْهِ فِي البَرِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ الخَلِيجِ
فِي مَرَكَبِهِ وَيَدْخُلُهُ بِمُفْرَدِهِ فَيَسْقِي مِنْهُ فَرَسَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى قَصْرِهِ عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرَهُ
فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلَكَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قال ابن عبد الظاهر : والدَكَّةُ الْآنَ أَدْرُ وَحَارَاتُ شَهْرَتِهَا تَغْنِي عَنْ وَصْفِهَا
فَسَبْحَانُ مِنْ لَا يَتَغَيَّرُ .

قلت : وَقَدْ نَحَرِبَ أَكْثَرَ تِلْكَ الْأَدْرُ وَالْحَارَاتِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الرُّسُومُ ،
وَبَعْضُهَا بَاقٍ يَسْكُنُهُ آحَادُ النَّاسِ .

(ومنها) "مَيْدَانُ القَمْحِ" كَانَ قَدِيمًا بِسُتَانَا سُلْطَانِيَا يُسَمَّى بِالْمَقْسِيِّ يَدْخُلُ الْمَاءُ
إِلَيْهِ مِنَ الْخَلِيجِ الْمَعْرُوفِ بِالْخَلِيجِ الذِّكْرِ الَّذِي بَنَاهُ كَافُورُ الْأَخْشِيدِيّ ، ثُمَّ أَمَرَ الظَّاهِرُ
الْفَاطِمِيّ بِنَقْلِ أَشْجَابِهِ وَحَفْرِهِ وَجَعَلَهُ بَرَكَةً قَدَامَ اللُّؤْلُؤَةِ ، وَأَبْقَى الْخَلِيجَ الْمَذْكُورَ
مُسْلَطًا عَلَى الْبَرَكَةِ لِيَسْتَنْقِعَ الْمَاءُ فِيهَا . فَلَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ، وَهُجِرَتْ
رُسُومُهَا الْقَدِيمَةُ فِي التَّفَرُّجِ فِي اللُّؤْلُؤَةِ وَغَيْرِهَا ، بَنَتْ السُّودَانُ الْمَعْرُوفُونَ بِالطَّائِفَةِ

الفرحية الساكنون بالمقّس عند ضيقه عليهم قُبالة اللؤلؤة حارة سميت حارة اللصوص بسبب تعذيبهم فيها مع غيرهم ، ثم تنقلت بها الحال حتى صار على ما هو عليه الآن .

(ومنها) ”برأبن التبان“ غربى خليج القاهرة ، وينسب إلى أبى التبان رئيس حِراقة الخلافة الفاطمية ، وكان الأمر الفاطمى قد أمر بالعارة قُبالة الخرق غربى الخليج ، فأول من عمر به أبى التبان المذكور ، أنشأ به مسجدا وبستانا ودارا فعرفت الحطة به إلى الآن .

(ومنها) ”خط اللوق“ وهو خط قديم متسع ينتهى إلى الميدان المعد لركوب السلطان عند وفاء النيل ، قد عُمر بالأبنية وسكنه رَعاع الناس وأوباشهم والمكان المعروف الآن بباب اللوق جزء منه .

(ومنها) ”بركة الفيل“ وهى بركة عظيمة متسعة جنوبى سور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال أبى عبد الظاهر : وتنسب إلى رجل من أصحاب أبى طولون يعرف بالفيل وما أحسن قول أبى سعيد المغربى :

أَنْظُرْ إِلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ الَّتِي أَكْتَنَفَتْ * بِهَا الْمَنَاطِرُ كَالْأَهْدَابِ لِلْبَصِيرِ
كَأَمَّا هِيَ وَالْأَبْصَارُ تَرْمُقُهَا * كَوَاكِبٌ قَدْ أَدَارُوهَا عَلَى الْقَمَرِ

(ومنها) ”خط الجامع الطولونى“ من الصليبية وماوالاها ، وقد تقدم فى الكلام على خِطَطِ القُسَاطِطِ أن هذه الأرض كانت منازل لأحمد بن طولون وعسكره ، والجبلى الذى فى جانبها البحرى يعرف بـجبل يَشْكُرُ ، وعليه بناء الجامع الطولونى المذكور ، وأسَـتَـحـدِثَ المَلِكُ الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليه قصورا جاءت فى نهاية الحسن والإتقان ، وهى المعروفة بالكَبْشِ ، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء إلى أن

نَحْرُهَا الْعَوَامُ فِي وَقْعَةِ الْجَلْبَانِ قَبْلَ السَّبْعِينَ وَالسَّبْعَاثَةِ وَهِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْآنَ ،
وَقَدْ شَرَعَ النَّاسُ الْآنَ فِي اسْتِحْكَارِ أَمَا كُنْهَا لِلْعَامَةِ فِيهَا فِي حُدُودِ سَنَةِ ثَمَانِمِائَةٍ .

(ومنها) "خَطُّ حَارَةِ الْمَصَامِدَةِ" وَتَنْسَبُ لَطَائِفَةِ الْمَصَامِدَةِ مِنَ الْبُرْبَرِ الَّذِينَ قَدِمُوا
مَعَ الْمُعَزِّ مِنَ الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ الْمُصمودِيّ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ بْنُ
الْبَطَّاحِيِّ وَزِيرُ الْأَمْرِ قَدْ قَدَّمَهُ وَتَوَّهْ بِذِكْرِهِ ، وَسَلَّمْ إِلَيْهِ أَبْوَابُهُ لِلْبَيْتِ عَلَيْهَا ، وَأَضَافَ
إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ .

(ومنها) "الْهَلَالِيَّةُ" قَالَ أَبُو عَبْدِ الظَّاهِرِ : أَظْنَاهَا الْحَارَةُ الَّتِي بَنَاهَا الْمَأْمُونُ بْنُ الْبَطَّاحِيِّ
خَارِجَ الْبَابِ الْجَدِيدِ الَّذِي بَنَاهُ الْحَاكِمُ بِالْشَّارِعِ عَلَى يَسْرَةِ الْخَارِجِ مِنْهُ لِلْمَصَامِدَةِ لِمَا
قَدَّمَهُمْ وَتَوَّهْ بِذِكْرِهِمْ ، وَحَذَرُ أَنْ يَبْنَى بَيْنَهَا وَيَبْنَى بَرَكَةُ الْفِيلِ حَتَّى صَارَتْ هَذِهِ الْحَارَةُ
مُشْرِفَةً عَلَى شَاطِئِ بَرَكَةِ الْفِيلِ إِلَى بَعْضِ أَيَّامِ الْحَافِظِ .

(ومنها) "الْمُتَّجِجِيَّةُ" قَالَ أَبُو عَبْدِ الظَّاهِرِ : بَلَّغْنِي أَنَّهَا مَنْسُوبَةٌ لِشَخْصٍ فِي الدَّوْلَةِ
الْفَاطِمِيَّةِ يَعْرِفُ بِمُتَّجِجِ الدَّوْلَةِ .

(ومنها) "الْيَانِسِيَّةُ" قَالَ أَبُو عَبْدِ الظَّاهِرِ : أَظْنَاهَا مَنْسُوبَةٌ لِيَانِسٍ وَزِيرِ الْحَافِظِ ،
وَكَانَ يَلْقَبُ بِأَمِيرِ الْجِيُوشِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ ، وَيَعْرِفُ بِيَانِسِ الْفَاصِدِ لِأَنَّهُ فَصَّدَ حَسَنَ
أَبْنِ الْحَافِظِ ، وَتَرَكَهُ مَحْلُولَ الْفِصَادَةِ حَتَّى مَاتَ .

قَالَ : وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَسْمِهِ يَانِسُ الْعَزِيزِيُّ ، وَالْيَانِسِيَّةُ جَمَاعَةٌ كَانُوا فِي زَمَنِ الْعَزِيزِ
بِاللَّهِ ، وَمِنْهُمْ يَانِسُ الصَّقَلِيُّ ، وَنِسْبَةُ هَذِهِ الْحَارَةِ مُحْتَمَلَةٌ لِأَنَّ تَكُونَ لِكُلِّ مِنْهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ
أَبْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ عِدَّةَ حَارَاتٍ كَانَتْ لِلْجُنْدِ خَارِجَ بَابِ زَوِيلَةَ غَيْرِ مَا لَعَلَهُ ذَكَرَهُ سَرْدًا ،
مِنْهَا مَا هُوَ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ حَارَةُ حَلَبَ وَالْحَبَانِيَّةُ . وَمِنْهَا مَا لَيْسَ كَذَلِكَ وَهُوَ
الشُّوبُكُ ، وَالْمَأْمُونِيَّةُ ، وَالْحَارَةُ الْكُبَيْرَةُ ، وَالْمَنْصُورَةُ الصَّغِيرَةُ ، وَحَارَةُ أَبِي بَكْرٍ .



وأما جوامعها فأقدمها (الجامع الأزهر) بناه القائد جوهر بعد دخول مولاه المعز إلى القاهرة وإقامته بها، وفرغ من بنائه وجمعت فيه الجمعة في شهر رمضان لسبع خلون من سنة إحدى وستين وثلاثمائة، ثم جدد العزيز بن المعز فيه أشياء وعمر به أما كن، وهو أول جامع عُمر بالقاهرة .

قال صاحب "نهاية الأرب" : وجدده العزيز بن المعز، ولما عمر الحاكم جامعه قل الخطبة إليه وبقي الجامع الأزهر شاغرا، ثم أعيدت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعة في ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة في سلطنة الظاهر بيبرس، وتزايد أمره حتى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قدرا .

قال ابن عبد الظاهر : سمعت جماعة يقولون إن به طلسما لا يسكنه عصفور .

الجامع الثاني

(الجامع الحاكمي)

بناه الحاكم الفاطمي على القرب من باب الفتوح وباب النصر، وفرغ من بنائه في سنة ست وتسعين وثلاثمائة، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن، وكان هو خارج القوسين اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأولان .

ثم قال : وفي سيرة العزيز أنه أخطأ أساسه في العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة، وفي سيرة الحاكم أنه ابتدأه بعض الوزراء وأتمه الحاكم، وعلى البدنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت في زمن المستنصر في أيام أمير الجيوش سنة ثمانين وأربعمائة، ثم استولى عليها من ملكها والزيادة التي إلى جانبها بناها الظاهر ابن الحاكم ولم يكملها، ثم ثبت في الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع .

وأن بها محراباً، فأنشئت ممن هي معه وأضيفت للجامع، وبني بها ما هو موجود الآن في الأيام المعزية أيبك الترتكاني ولم تسقف .

الجامع الثالث

(الجامع الأقمر)

بناه الأمر الفاطمي بوساطة وزيره المأمون بن البطاحي ؛ وكل بناؤه في سنة تسع عشرة وخمسمائة ؛ ويذكر أن أسم الأمر والمأمون عليه .
قلت : ولم يكن به خطبة إلى أن جدد الأمير يلغا السالمى : أخذ أمراء الظاهر برقوق عمارته في سنة إحدى وثلاثمائة ورتب فيه خطبة .

الجامع الرابع

(الجامع بالمقس بباب البحر، وهو المعروف بالجامع الأنور)

بناه الحاكم الفاطمي أيضا في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

الجامع الخامس

(^(١)الجامع الظافري، وهو المعروف الآن بجامع الفكاكين)

بناه الظافر الفاطمي داخل بابي زويلة في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وكان زربية للكباش ، وسبب بنائه جامعا أن خادما كان في مشرف على الزربية فرأى ذبأحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينته وذهب لقضاء حاجة له ، فأتى رأس الغنم الآخر فأخذ السكين بفمه ورمها في البالوعة ، وجاء الذبأح فلم يجد السكين ، فاستصرخ الخادم وخلصه منه ، فرفعت القصة إلى أهل القصر فأمروا بعمارة .

(١) في خطط المقرئى "الفكاكين" .

الجامع السادس

(الجامع الصالحى)

بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاقد من الفاطميين خارج باب زويلة، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من عسقلان إليه، عند خوف هجوم الفرنج عليها، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائز من ذلك، وأبّتنى له المشهد المعروف بمشهد الحسين بجوار القصر، ونقله إليه في سنة تسع وأربعين وخمسمائة؛ وبني به صهريجا وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل على القرب من باب الخرق. ولم يكن به خطبة، وأول ما أقيمت الجمعة فيه في الأيام المعزية أيبك الترمكاني في سنة اثنتين وخمسين وسمائة، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسعردى؛ ثم كثرت عمارة الجوامع بالقاهرة في الدولة التركية خصوصا في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها، فعمرها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة: بجامع الماردنى وجامع قوصون خارج باب زويلة وغيرهما من الجوامع، وأقيمت الجمعة في كثير من المدارس والمساجد الصغار المتفرقة في الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم.



وأما مدارسها، فكانت في الدولة الفاطمية وما قبلها قليلة الوجود بل تكاد أن تكون معدومة، غير أنه كان بجوار القصر دار تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور، كان داعى الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التي وقفها على الجامع الأزهر وجامع المقس وجامع راشدة؛ ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لاجتماع الناس فيها والنحوض في المذاهب خوفا من الاجتماع على المذهب التزاري؛ ثم أعادها الأمر

بواسطة خُدام اتقصر بشرط أن يكون مُتَوَلِّيًا رجلاً دينًا والداعى هو الناظر فيها ،
ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن .

وقد ذكر المسبحى فى تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كلس سأل
العزیز بالله فى حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ،
وبنى لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حلقوا بالجامع بعد الصلاة
وتكلموا فى الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيس الحلقة والماتى عليهم إلى وقت
العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا . ثم جاءت الدولة الأيوبية فكانت الناتحة لباب
الخير ، والغارسة لشجرة الفضل ، فأبنتى الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر (دار
الحديث الكاملية) بين القصرين فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وقرربها مذاهب
الأئمة الأربعة وخطبة ، وبقى إلى جانبها خراب حتى بُنى أدرا فى الأيام المعزية أيبك
التركي فى سنى خمسين وستائة ، ووقف على المدرسة المذكورة ، وبنى من بنى
من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شأوهذه ، وشتان بين الملوك وغيرهم .

ثم جاءت الدولة التركية فأربت على ذلك وزادت عليه ، فأبنتى الظاهر بيبرس
(المدرسة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الصالحية ، ثم أبنتى المنصور
قلاوون (المدرسة المنصورية) من داخل بيارستانه الآتى ذكره وجعل قبالتها
تربة سنية .

ثم أبنتى الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيارستان المذكور .
ثم أبنتى الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (مدرسته العظمى) تحت التلعة ،
وهى التى لم يسبق إلى مثلها ، ولا سمع فى مصر من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها
يزيد فى القدر على إيوان كسرى بأذرع .

ثم أبنتى ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين (المدرسة الأشرفية) بالصوة تحت

القلعة ومات ولم يكملها، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على القلعة في سنة أربع عشرة وثمانمائة، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التي أنشأها بالحوش بقلعة الجبل، ولم تعهد مدرسة قصّدت بالهدم قبلها .

ثم آبتى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملية بجاءت في نهاية الحسن والعظمة، وجعل فيها خطبة، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروسا للأئمة، فتعاني فيها ضخامة البناء، ونظم الشعراء فيها، فكان مما أتى به بعضهم من أبيات :

وَبَعْضُ خُدَامِهِ طَوْعًا لِحِدْمَتِهِ * يَدْعُو الصُّحُورَ فَتَأْتِيهِ عَلَى عَجَلٍ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى، فأقترح على بعض الأكابر نظم شيء من هذا المعنى فنظمت أبياتا جاء منها :

وَبِالْخَلِيلِي قَدْ رَاجَتْ عِمَارَتُهَا * فِي سُرْعَةٍ بُنِيتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلٍ *
كَمْ أَظْهَرَتْ عَجَبًا أَسْوَاطَ حِكْمَتِهِ * وَكَمْ غَدَّتْ مَثَلًا نَاهِيكَ مِنْ مَثَلٍ
وَكَمْ صَخُورٍ تَحَالُ الْحِنْ تَنْقُلُهَا * فَإِنَّهَا بِالْوَحَا تَأْتِي وَبِالْعَجَلِ

وفي خلال ذلك آبتى أكابر الأمراء وغيرهم من المدارس ماملأ الأخطاط وشحنها .



وأما الخوانق والأربط، فما لم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية، وكان المبتكر لها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله، فأبتى (الخانقاه الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء، وسعيد السعداء لقب لخادم للمستنصر الفاطمي اسمه قنبر كانت الدار له، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رزيك، ولما ولي الوزارة فتح من دار الوزارة إليها سردابا تحت الأرض، وسكنها شاور

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه ، ووقف عليها قيسارية الشرب داخل القاهرة ، وبستان الحبانية بزقاق البركة .



وأما مساجد الصلوات الخمس ، فأكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى ، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلون .



وأما البيارستان ، فقال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيارستان كان أولا بالقشاشين يعنى المكان المعروف الآن بالخراطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دار الضرب بناها المأمون بن البطائى وزير الأمر قبالة البيارستان المذكور ، وقرر دور الضرب بالإسكندرية وقوص وصو وعسقلان ، ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وأستولى على القصر ، كان فى القصر قاعة بناها العزيز بن المعز فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيارستانا : وهو البيارستان العتيق الذى داخل القصر ، وهو باقى على هيئته إلى الآن ، ويقال إن فيها طلسم لا يدخلها نمل ، وإن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيارستانا .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و... .. مائة فقالوا صحيح .^(١)

ثم أبنتى السلطان الملك "المنصور قلاوون" رحمه الله دارست الملك أخت الحاكم ، المعروفة بالدار القطبية بيارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة بمباشرة الأمير علم الدين

(١) لعله وستمائة .

الشجاعى ، وجعل من داخله اندسة المنصورة والتربة المتقدم ذكرهما فى معالم بعض الدار على ما هو عليه ، وغير بعضها . وهو من المعروف العظيم الذى ليس له نظير فى الدنيا . ونظره رتبة سنية يتولاه الوزراء ومن فى معناهم .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهو الجليل المقدار ، الجليل الآثار ، الجليل الإيثار ، لعظيم بنائه ، وكثرة أوقافه ، وسعة إنفاقه ، وتنوع الأطباء والكهالين والجراحية فيه .

قلت : ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتها ، وتتجدد معالمها ، خصوصا بعد خراب القسطنطين وانتقال أهله إليها على ما تقدم ذكره حتى صارت على ما هى عليه فى زماننا : من القصور العلية ، والدور الضخمة ، والمنازل الرحبة ، والأسواق الممتدة ، والمناظر التزهة ، والجوامع البهجة ، والمدارس الرائقة ، والخوانق الفاخرة ، مما لم يُسمع بمثله فى قُطر من الأقطار ، ولا عهد نظيره فى مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالأجر ، وجوامعها ومدارسها وبيوت رؤسائها مبنية بالحجر المنحوت ، مفروشة الأرض بالرخام ، مؤزرة الحيطان به ، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة ؛ وكلها أو أكثرها مبيضة الجدر بالكس الناصع البياض ، ولأهلها القوة العظيمة فى تعلية بعض المساكن على بعض حتى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض ، فى كل طبقة مساكن كاملة بمنافعها ومرافقها ، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسة محكمة ، وصناعة عجبية .

قال فى "مسالك الأبصار" : لا يرى مثل صنّاع مصر فى هذا الباب ، وبظاهرها البساتين الحسان ، والمناظر التزهة ، والأدر المطلة على النيل ، والخُلجان الممتدة منه ومن مده ؛ وبها المستزهرات المستطابة ، خصوصا زمن الربيع لغدرانها الممتدة من مقطعات النيل وما حولها من الزروع المختلفة وأزهارها المائسة التى تسر الناظر وتبهج خاطر .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون بَرًا وبحراً أنه لم يكن أحسن منها منظرًا ، ولا أكثر ناساً ، وإليها يُجَلَّب مافي سائر أقاليم الأرض من كل شيء غريب وزَيِّ عجيب ؛ وملكها مَلِكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزَيِّ لا يمانله في زِيَّه ملك من ملوك الأرض ؛ وأهلها في رَفَاهِيَةِ عَيْشٍ وطيب مأْكَلٍ ومَشْرَبٍ ، ونساؤها في ذَايَةِ الجمال والظَّرْفِ .

قال في "مسالك الأبصار" : أخبرني غير واحد ممن رأى المُدَنَّ الكِبَارَ أنه لم ير مدينةً اجتمع فيها من الخَلْقِ ما اجتمع في القاهرة .

قال : وسألت الصدر مَجْدَ الدين إسماعيلَ عن بَعْدَادَ وَتُورِيَزَ هل يجعان خلقاً مثل مصر ؟ فقال : في مصر خلق قدر مَنْ في جميع البلاد .

قال في "التعريف" : (والقاهرة اليوم أمُّ الممالك ، وحاضرة البلاد ، وهي في وقتنا دارُ الخلافة ، وكرسى الملك ، ومَنَبَعُ الحكماء ، ومحطُّ الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائى المكان ، بعيد المدى ، يقع لنا من أخباره ما نُكْبِرُهُ ، ونسمع من حديثه ، الا نألفه .

قال : وكان يحق لنا أن نجعل كل النُطُقِ بالقاهرة دائرة ، وإنما نفردها بما أشتملت عليه حدود الديار المصرية ، ثم ندير بأَمِّ كل مملكة نِطَاقَها ، ثم إليها مرجع الكل وإلى بحرِها مصب تلك الخُلُجِ) .

قال في "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها سَبيخة ، ولذلك يَعَجَلُ الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضى محي الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن المِعْزَ لَامَ القائدَ جوهرًا على بنائها في هذا الموضع ، وترك جانب النيل عند المَقْصِ أو جنوبى المُسَطَّاطِ حيث الرصد الآن .

القاعدة الثالثة

(القلعة)

بفتح القاف، ويعبر عنها بقلعة الجبل، وهى مَقَرَّةُ السلطان الآن ودار مملكته .
 بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش المتقدم ذكره للملك الناصر صلاح الدين
 يوسف بن أيوب رحمه الله، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المُقَطَّم والفُسْطَاط،
 وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة، وطولها وعرضها على ما تقدم
 فى الفُسْطَاط أيضا، وهى على نَسْرٍ مرتفع من تقاطيع الجبل المقطم، ترتفع فى موضع
 وتخفض فى آخر .

وكان موضعها قبل أن تبنى، مساجد من بناء الفاطميين : منها مسجد ردينى الذى
 هو بين أدْرِ الحريم السلطانية .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : عرض على
 الملك الكامل إمامته، فأمتنع لكونه بين أدْرِ الحريم . ولم يسكنها السلطان صلاح
 الدين رحمه الله، ويقال : إن أبنة الملك العزيز سكنها مدة فى حياة أبيه، ثم أنتقل
 منها إلى دار الوزارة .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : كُنَّا نَطْلُعُ
 إليها قبل أن تُسَكَنَ فى ليالى الجمع نيت متفرجين كما نبيت فى جواسق الجبل والقرافة .
 وأول من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب أنتقل إليها من
 قصر الفاطميين سنة أربع وثمانئة، وأستقرت بعده سكا للسلطين إلى الآن .

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاح الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوه
 العادل أبو بكر، فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنيت لأولادك، فنقل
 ذلك على العادل وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه - فقال : لم تفهم عنى

إنما أردت أنى أنا نجيب فلا يكون لى أولاد نجباء، وأنت غير نجيب فتكون أولادك نجباء فسرى عنه، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام، فاستناب ولده الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .
وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أول من سكنها العادل أبو بكر، ولما سكنها الكامل المذكور، احتفل بأمرها وآتم بعمارتها وعمرها أبراجا، منها البرج الأحمر وغيره .

وفى أواخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة عمربها السلطان الملك المنصور قلاوون برجا عظيما على جانب باب السر الكبير، وبني عليه مشرفات حسنة البنيان، بهجة الرخام، رائقة الزخرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عمربها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن، كلت بها معانيها، وأستحق بها القلعة على بانيتها .

أحدها - القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصه، وقد أستجد به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاء الإصطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة .

والثانى - الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة وإقامة العدل فى الرعية .

والثالث - جامع الخطبة الذى يصلى فيه السلطان الجمعة، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذات سور وأبراج، فسيحة الأفنية، كثيرة العمار، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها .

أحدها - من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزها
آستطرقا .

والثانى - باب السر، ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواص
الدولة : كالوزيروكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوة : وهى بقية النَّشْر
الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعريج يمشى فيه مع جانب جدارها
البحرى حتى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس
فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يزال مُغْلَقًا حتى ينتهى إليه من يستحق
الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلق .

والثالث - وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس ، يتوصل
إليه من أعلى الصوة المتقدم ذكرها ، يرقى إليه فى درج متناسبة حتى يكون مدخله
فى أول الجانب الشرقى من القلعة ، ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى
دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفى قبلى هذه الدركاه
(دار النيابة) ، وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب ، و (قاعة
الصاحب) ، وهى التى يجلس بها الوزير وكُتَّاب الدولة ، و (ديوان الإنشاء) ، وهو
الذى يجلس فيه كاتب السر وكُتَّاب ديوانه ، وكذلك (ديوان الجيش) ، وسائر
الدواوين السلطانية .

وبصدر هذه الدركاه باب يقال له باب القلة يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ،
على يسرة الداخل منها باب يتوصل منه إلى جامع الخطبة المتقدم ذكره ، وهو من
أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظرا ، وأكثرها زخرفة ، متسع الأرجاء ، مرتفع
البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مبطن السقوف بالذهب ، فى وسطه قبة يليها
مقصورة يصلّى فيها السلطان الجمعة ، مستورة هى والرواقات المشتملة عليها بشبابيك

من حديد محكمة الصنعة ، يحفّ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة ، ودور الحريم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدمة الذكر مَصْطَبَةٌ يجلس عليها مقدّم المالك ، وعندها مدخل باب السر المتقدم ذكره ، وفي مجنبه ذلك ممرٌ يدخل منه إلى ساحة يواجه الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العمُد ، تليه شبّابيك من حديد عظيمة الشأن محكمة الصنعة ؛ وبصدره سرير الملك ، وهو منبرٌ من رخام مرتفع ، يجلس عليه السلطان في أيام المواكب العظام لقدم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويُتيامن عن هذا الإيوان إلى ساحة لطيفة بها باب القصر الأبلق المتقدم ذكره ، وبنواحيها مصاطبٌ يجلس عليها خواصّ الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة ؛ ويدخل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبيه القدر ، يتوصّل منها إلى القصر المذكور ، وهو قصر عظيم البناء ، شاهق في الهواء ، به إيوانان في جهتي الشمال والجنوب ، أعظمهما الشمال ، يطُلّ منهما على الإصطبلات السلطانية ، ويمتدّ النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفُسْطَاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وما يلي ذلك من بلاد الجيزة والجبل وما إلى ذلك ؛ وبصدره منبرٌ من رخام كالذي في الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحياناً في وقت الخدمة على ما يأتي ذكره .

والإيوان الثاني وهو القبليّ خاصّ بخروج السلطان وخواصّه منه ، من باب السر إلى الإيوان الكبير خارج القصر للجُلوس فيه أيام المواكب العامة ، ويدخل من القصر المتقدم ذكره إلى ثلاثة قصور جَوَانِيّة : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير ، وأثنان مرفوعان ، يُصعد إليهما بدرَج ؛ في جميعها شبّابيك من حديد تُشْرِفُ على ما يُشْرِفُ عليه القصر الكبير ، ويدخل من القصور الجَوَانِيّة إلى دور الحريم وأبواب الستور

السلطانية؛ وهذه اتقصور جميعها ظاهرها بالحجر الأسود والأصفر، وداخلها مؤزَّر
بالرخام والقصَّ المذهب المشجَّر بالصَّدَف وأنواع الملونات، والسبقوف المبطنَّة
بالذهب والألأزورد تُحرق لضوء في جدرانها بطاقات من الزجاج القُبرسيّ الملون^(١)
كقِطَع الجواهر المؤنفة في العقود، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المتقول من أقطار
الأرض مما لا يوجد مثله .

قال في "مسالك الأبصار": فأما الأدر السلطانية فعلى ما صمَّع عندي خبره أنها ذوات
بساتين وأشجار ومناخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدواجن .
وخارج هذه القصور طباق واسعة للمالك السلطانية، ودور عظام لخوَّاص
الأمراء من مقدَّمي الألوْف ، ومن عَظَم قدره من أمراء الطَّبَلخانة والعشرات ،
ومن خرج عن حكم الخاصكية إلى حكم البرانيين .
وبها بيوت ومساكن لكثير من الناس ، وسوق للمأكَل ، وبياع بها النَّفيس من
السلاح والقماش مع الدَّلَّالين يطوفون به .

وبهذه القلعة مع ارتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل بئر ماء معين منقوبة
في الحجر، احتقرها بها، الدين قراقوش المتقدم ذكره حين بناء القلعة، وهى من أعجب
الآبار، بأسفلها سَوَاقٍ تدور فيها الأبقار، وتنقل الماء في وسطها، وبوسطها سَوَاقٍ
تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل الماء إلى أعلاها؛ ولها طريق إلى الماء ينزل البقر
فيه إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك نَحَتْ في الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنها لما
تقرت، جاء ماؤها عذبا فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في ماؤها فوسع تقرا في الجبل،
فخرجت منه عين مالحلة غيرت عذوبتها . ويقال : إن أرضها تسامت أرض

(١) في المقرئى هكذا [وقد مَوَّهت بالألأزورد والنور يَحرق في جدرانها الخ] .

بركة الفيل ؛ وهذه البئر ينفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الاستعمالات . أما شربهم فمن الماء العذب المنقول إليها من النيل بالروايا على ظهور الجمال والبغال مع ما ينساق إلى قصور السلطان ودور أكابر الأمراء المجاورين للسلطان من ماء النيل في المجارى ، بالسواقي الثقّلات والدواليب التي تديرها الأبقار وتقل الماء من مقر إلى آخر حتى ينتهى إلى القلعة ، ويدخل إلى القصور والآدُر في ارتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد استجّد السلطان الملك الظاهر بقوق بهذه القلعة صهرىجا عظيماً يملأ في كل سنة زمن النيل من الماء المنقول إلى القلعة من السواقي الثقّلات ، ورتب عليه سبيلاً بالدركاه التي بها دار النيابة يسقى فيه الماء وحصل به للناس رفق عظيم .

وتحت مشرف هذه القلعة مما يلي القصور السلطانية ميدانٌ عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل ، ممرج بالنجيل الأخضر ، فسيح المدى ، يسافر النظر في أرجائه ؛ به أنواع من الوحوش المستحسنة المنتظر ، وتربط به الخواص من الخيول السلطانية للتفسيح ؛ وفيه يصلى السلطان العيدين على ما سياتى ذكره ؛ وفيه تعرض الخيول السلطانية في أوقات الإطلاقات ووصول التقادُم والمشتري ، وربما أطمع فيه الجوارح السلطانية ؛ وإذا أراد السلطان النزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص ، ثم نزل إليه راكباً وخواصّ الأمراء في خدمته مشاةً ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في "خطه" : وكان هذا الميدان وما حوله يعرف قديماً بالميدان ، وبه قصر أحمد بن طولون وداره التي يسكنها ، والأماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدّم ذكره في خطط القُسطاط ، ولم يزل كذلك حتى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هذا الميدان تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرى السواقي الثقالات من النيل إليه ، وعمّر إلى جانبه ثلاث برك تملأ لسقيه ؛ ثم تعطل في أيامه مدّة ، ثم أهتم به الملك العادل ولده ، ثم أهتم به الصالح نجم الدين أيوب آهتما عظيمًا ، وجدّ له ساقية أخرى ، وغرس في جوانبه أشجارا فصّار في نهاية الحسن . فلما توفّي الصالح تلاشّى حاله إلى أن هُدم في سنة خمسين وستائة ، أو سنة إحدى وخمسين في الأيام المعزية أليك التركاني ، وهُدمت السواقي والقناطر وعفّت آثارها ، وبقي كذلك حتى عمّره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمارته ورصّفه أبدع ترصيف ، وهو على ذلك إلى الآن .

أما الميّدان السلطانيّ الذي بَحْطُ اللوق ، وهو الذي يركب إليه السلطان عند وفاء النيل للعب الكرّة ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطّوارق على بابه كما تُنصب على باب القلاع وغيرها ، ولم تزل الطّوارق منصوبة عليه إلى ما بعد السبعائة ؛ وسيأتى الكلام على كيفية الركوب إليه في المواكب في الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

والقلعة التي بالروضة تقدّم الكلام عليها [في الكلام] على خُطط القُسطاط .



ومما يتصل بهذه القواعد الثلاث ويلتحق بها القرافة التي هي مدفن أمواتها ، وهي تربة عظيمة ممتدّة في سفح المُقَطَّم ، موقعها بين المقطم والقُسطاط وبعض القاهرة ، تمتد من قلعة الجبل المتقدم ذكرها آخذة في جهة الجنوب إلى بركة الحبش وماحولها . وكان سبب جعلها مقبرة مارواه ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد : أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك ،

فكتب إليه عمر : أن سلّه لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تُزرع ولا يُسْتَنْبَط بها ماء ولا يَنْتَفَعُ بها ؛ فسأله ، فقال : إنا لنجد صِفَتَهَا في الكتب أن فيها غراس الجنة ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك ، فكتب إليه عمر : ” إني لا أرى غرس الجنة إلا المؤمنين فأقبرُ بها مَنْ مات قبْلَكَ من المسلمين ولا تَبْعُهَا بشيء “ فقال المقوقس لعمر : ما على ذا عاهدتنا ، فقطع لهم قِطْعَةً تُدْفَنُ فيها النصارى ، وهي التي على القرب من بركة الحبش ؛ وكان أوّل من قُبر بسفح المقطم من المسلمين رجلا من المعافير اسمه عامر ، فقبل عَمَرَت .

ويروى أن عيسى عليه السلام مرّ على سفح المقطم في سياحته ومعه أمّه ، فقال : ” يا أمّاه ! هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم “ . وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كإخوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسية امرأة فرعون ، ومشاهد جماعة من أهل البيت والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء .

وقد بنى الناس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البهجة ، والقصور البديعة ، يَسْرَحُ الناظر في أرجائها ، ويتهيج خاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والرُّبُط والخوانق ، وهي في الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة الساكن .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في ذكر كُورِ الديار المصرية ؛ وهي على ضربين)

الضرب الأول

(في ذكر كُورِها القديمة)

وقد جعلها القُضَاعِيّ في ” خططه “ ثلاثة أحياء ، وتشتمل على خمس وخمسين كُورة ، إلا أنه ذكرها سرّدا غير مبينة ولا مُرتّبة ، وقد أوردتها هنا مبينة مرتّبة ؛

ونَهَتْ عَلَى مَا هُوَ مُسْتَعْمَرٌ مِنْهَا عَلَى حِكْمِهِ ، وَمَا تَغْيِيرُ حِكْمِهِ بِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُسْتَعْمَرَةِ مَعَ بَقَاءِ أَسْمَائِهِ ، وَمَادَرَسِ اسْمِهِ وَنُسْبِهِ ، أَوْ تَغْيِيرِ وَلَمْ تَعْلَمْ لَهُ حَقِيقَةُ .

الحيز الأول

(أعلى الأرض ، وهو الصعيد)

والمُرَادُ مَا هُوَ مِنْ كُورِهَا جَنُوبِيّ الْفُسْطَاطِ إِلَى نَهَائِهِ فِي الْجَنُوبِ ، وَسَمِيَ صَعِيدًا لِأَنَّ أَرْضَهُ كُلُّهَا وَجَلَتْ فِي الْجَنُوبِ ، أَخَذَتْ فِي الصُّعُودِ وَالْأَرْتِفَاعِ .
وَقَدْ ذَكَرَ الْقَضَائِيُّ فِيهِ عَشْرِينَ كُورَةً :

الأولى - (كُورَةُ الْيَوْمِ) وَهِيَ كُورَةٌ بَاقِيَةٌ مُسْتَعْمَرَةٌ الْحُكْمِ إِلَى الْآنَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُسْتَقَرَّةِ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثانية - (كُورَةُ مَنَفٍ) وَمَنَفٌ هِيَ مَدِينَةُ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، الَّتِي بَنَاهَا مِصْرُ بْنُ بَيْصَرَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ مِثْلًا مِنَ الْفُسْطَاطِ فِي جَنُوبِيَّةِ عَلَى الْقَرَبِ مِنَ الْبَلَدَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِالْبَدْرَشِينِ .

الثالثة - (كُورَةُ وَسِيمٍ) وَوَسِيمٌ بَفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُنْثَنَةِ تَحْتَ وَمِيمٍ فِي الْآخِرِ . بَلَدَةٌ مِنْ عَمَلِ الْجِيْزَةِ مَعْرُوفَةٌ ، وَالثَّابِتُ فِي الدَّوَاوِينِ أَوْسِيمٌ بِزِيَادَةِ أَلْفٍ فِي أَوَّلِهَا وَسُكُونِ الْوَاوِ .

الرابعة - (كُورَةُ الشَّرْقِيَّةِ) وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا عَمَلُ إِطْفِيحِ الْآنَ إِذْ هُوَ شَرْقُ النَّيْلِ وَلَيْسَ بِالْوَجْهِ الْقِبْلِيِّ عَمَلُ مُسْتَقْلَ شَرْقِ النَّيْلِ سِوَاهُ .

الخامسة - (كُورَةُ دَلَّاصَ وَبُوصِيرٍ) أَمَّا دَلَّاصُ فَبِدَالِ مَهْمَلَةٍ مُفَتْوحَةٍ وَلَامِ أَلْفٍ ثُمَّ صَادِ مَهْمَلَةٍ قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمُعْطَارِ" : كَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً بِهَا عَجَائِبُ الْأَبْنِيَةِ ، وَبِهَا كَانَ مُجْتَمَعُ سَحَرَةِ مِصْرَ . وَأَمَّا بُوصِيرُ فَاَلْمُرَادُ هُنَا بُوصِيرُ قُورِيدُسَ الَّتِي قَتَلَ بِهَا

مَرَوَانُ الحِمَار : آخر خلفاء بنى أُمَيَّة ، ودَلَّاص وبُوصير هذه كلاهما الآن من عمل البهنسئى ، وسيأتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

قال فى "الروض المعطار" : قال الجاحظ : بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلى زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقُدس من أرض الشام على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الإيمان فى أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

السادسة - (كُورَةُ أَهْنَس) وَأَهْنَسُ بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة فى الآخر ، وتعرف بأهْنَس المدينة ، كانت مدينة فى القديم ، وهى الآن من جملة عمل البهنسئى الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

السابعة - (كُورَةُ الْقَيْس) والْقَيْسُ بفتح القاف وسكون الياء المثناة تحت وسين مهملة فى الآخر ، كانت مدينةً فى القديم ، وهى الآن قرية معدودة من عمل البهنسئى أيضا .

الثامنة - (كُورَةُ الْبَهْنَسِ) وهى ذات عمل مستقرّ ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

التاسعة - (كُورَةُ طَحَا وَحَيْرُ شُنُودَة) . أما طحا بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر ، كانت فى القديم مدينةً ذات عمل ، ولذلك تعرف بطحَا المدينة ، وهى الآن من عمل الأَشْمُونِيْنَ الآتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة ، وإليها ينسب أبو جعفر الطّحاوى إمام الحنفية ومحدثهم .

وأما حير شُنُودَة ، فمن الأسماء التى درّست ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة - (كُورَةُ بُوَيْطَ) قال ابن خَلَّكَانَ : بُوَيْطَ بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وطاء مهملة فى الآخر . وقال فى "تقويم البلدان" ^(١)

(١) نص ياقوت على الضبط وقال أكثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة في أوله وباء ساكنة ، وهو آسم واقع على بلدين بالديار المصرية :
 إحداهما بعمل البهنسي في لحف الجبل على طريق المازة ، وإليها ينسب أبو يعقوب
 البويطي : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعي رضي الله عنه . والثانية من عمل
 سيوط وتعرف ببويط البتينة ، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .
 الحادية عشرة - (كُورَةُ الْأُثْمُونَيْنِ وَأَنْصَنَا وَشُطْبُ) . أما مدينة الْأُثْمُونَيْنِ ، فذات
 عمل مستقر ، وسيأتي ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
 وأما أَنْصَنَا ، فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد
 المهملة وفتح النون وألف في الآخر ، وهي مدينة قديمة خراب في البر الشرقي من
 النيل قبالة الْأُثْمُونَيْنِ .

وقد ذكر ابن هشام في السيرة : أن مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّة التي أهداها الْمُقَوْسُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى
 الله عليه وسلم من كُورَتِهَا من قرية يقال لها حَفْنُ ، وأنصنا الآن من جملة عمل
 الْأُثْمُونَيْنِ .

وأما شُطْبُ ، فبضم الشين المعجمة وسكون الطاء المهملة وباء موحدة في الآخر ،
 وهي مدينة قديمة بنيت في زمن شَدَاد بن عديم أحد ملوك مصر بعد الطوفان
 قد خربت وعُمر عليها قرية صغيرة سميت بِأَسْمَها ، وهي الآن من جملة عمل سيوط
 الآتي ذكره في الأعمال المستقرة .

الثانية عشرة - (كُورَةُ سَيُوط) وهي مستقر الحكم ، وسيأتي ذكرها في الأعمال
 المستقرة .

الرابعة عشرة - (كُورَةُ قَهْقُوه) وهي من الأسماء التي درست ونُسيت ، ولم أعلم
 بالصعيد بلدة تسمى الآن بهذا الاسم .

الخامسة عشرة - (كورة إنحيم والدير وأنشاية) : أما كورة إنحيم، فمن الكُور المستقرة الحكم، وسيأتى الكلام عليها فى الكُور المستقرة .

وأما الدير، فيجوز أن يكون المراد به الدير والبلاص ، وهى بلدة فى شرق النيل شمالي قنّا، هى الآن من عمل قُوص الآتية الذكر .
وأما أنشاية، فمن الأسماء التى جهلت .

السادسة عشرة - (كورة هُو ودندرة وقنّا) : أما هُو، فبضم الهاء وسكون الواو، وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربى الجنوبى من النيل ، ويضاف إليها فى الدواوين الكوم الأحمر، فيقال هُو والكوم الأحمر .

وأما دندرة، فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء فى الآخر، وهى مدينة قديمة خراب على الساحل الغربى الجنوبى من النيل فى شرق هُو، وبها كانت البرّابة العظيمة المتقدم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .
وأما قنّا، فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة شرق النيل وبها ضريح السيد الخليل عبد الرحيم القنّائى ، المعروف بالبرّكة وإجابة الدعاء عنده . وهذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قُوص الآتى ذكره فى الكلام على الأعمال المستقرة .

السابعة عشرة - (كورة قفط والأقصر) . أما قفط، فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر، كانت مدينة قديمة بالبر الشرقى من النيل جنوبى قنّا المتقدمة الذكر، بناها قفط بن قبطيم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام أحد ملوك مصر بعد الطوفان، نخرت وبقيت آثارها وعمرت على القرب منها مدينة صغيرة سميت بأسمها .

(١) فى ياقوت قفط بن مصر ... ثم قال وأصله فى كلامهم قفطيم ومصرم ولكن الذى فى المقرئى نحو ما فى الاصل .

وأما الأَقْصَرُ، فبضم الهمزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة في الآخر، وتسمى الأَقْصَرَيْنِ أيضا على التثنية، وهى مدينة خراب بالبر الشرقى من النيل، قد عُمر على القرب منها قرية سميت بأسمها، وبها ضريح السيد الجليل أبو الحجاج الأَقْصَرِيّ، وكانت بها بَرَبَاة عظيمة فخرت، وأعلم أن بين قِفْط والأَقْصَر مدينة قوص، وقد ذكر القضاعى كورتها فى جملة الكُورِ، فكيف يستقيم أن تذكر قِفْط والأَقْصَر كورة واحدة؟ .

الثامنة عشرة - (كورة قُوص) وهى مستمرة الحكم، وسيأتى الكلام عليها فى جملة الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

(١)
التاسعة عشرة - (كورة أَسْنَا وَأَرْمَنْتَ) . أما أَسْنَا ، فبفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة حسنة بالبر الغربى من النيل، ويقال : إنه لم يسلم من تخريب بُحْتَ نَصَر من مدن الديار المصرية سواها، وذلك أن أهلها هربوا منه إلى الجبل بالقرب منها فتبعهم وقتلهم هناك وترك البلد على حالها .

وأما أَرْمَنْتُ ، فبفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مثناة فوق فى الآخر، وهى مدينة صغيرة بالبر الغربى الشَّمالى من النيل بينها وبين أَسْنَا مرحلة، وكلاهما الآن من عمل قُوص، وقد جرى على الألسنة الجمع بينهما فى اللفظ فيقال : أَسْنَا وَأَرْمَنْتَ، وكأن ذلك لكثرة اجتماعهما فى إقطاع واحد .

العشرون - (كورة أُسْوان) : وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرة مع الأعمال القُوصية إن شاء الله تعالى .

(١) ضبطه ياقوت بكسر الهمزة .

الحيز الثاني

(أسفل الأرض)

وقد ذكر القضاعي : أنها ثلاث وثلاثون كورة في أربع نواحي .

الناحية الأولى

(كُور الحَوْف الشرقى، وبها ثمان كُور)

الأولى - (كورة عَيْنِ شَمْسٍ) وعين شمس مدينة قديمة خرابٌ على القرب من المَطَرِيَّةِ من ضواحي القاهرة الآتى ذكرها في الأعمال المستقرة .

قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : رأيت على حاشية بعض كتب التواريخ أن مَلِكَهَا كان عَظِيمَ الشَّانِ، ودَّاش إلى زمن يوسف عليه السلام وتزوج أبنته .

الثانية - (كورة أَتْرِب) وأتريب مدينة خرابٌ على القرب من بِنَا العَسَل من أعمال الشرقية الآتى ذكرها في الأعمال المستقرة، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ابن بيسر بن حاتم بن نوح عليه السلام .

الثالثة - (كورة بَنَّا وَتَمَّى) أما بَنَّا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة أسمها بَنَّا ، وإنما بَنَّا بعمل الغربية، وسيأتى ذكرها مع بُوصير هناك .

وأما تَمَّى ، فبضم التاء المشناة فوق وفتح الميم وياء مشناة تحت في آخرها، وهى مدينة خرابٌ بعمل المُرْتاحِيَّةِ ، بها آثارٌ عَظَامٌ ، رأيت فيها أبواباً من حجر صَوَان قطعة واحدة، ارتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة على قاعدة من صَوَان أيضاً .

الرابعة - (كُورَةُ بَسْطَةَ) وبَسْطَةُ بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وهاء في الآخر، وهى مدينة خرابٌ تعرف الآن بَبَلْ بَسْطَةَ من عمل الشرقية .

الخامسة - (كورة طَرَايِيَّة) وهى من الأسماء التى دَرَسَتْ ولم تعرف .

السادسة - (كورة قُرَيْبِيْط) وهى من المجهول أيضا .

السابعة - (كورة صَان وإِيلِيل) وهى من المجهول .

الثامنة - (كورة الفَرَمَا والعَرِيْش) . أمَّا الفَرَمَا، فقال فى "تقويم البلدان" :

هى بفاء وراء مهملة وميم مفتوحات ثم ألف ، وهى بلدة خرابٌ على شاطئ بحر الروم ، على بُعد يومٍ من قُطِيَّة . قال ابن حوقَل : وبها قَبْرُ جالينوس الحكيم .

وأما العَرِيْشُ ، فبفتح العين المهملة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وشين معجمة فى الآخر، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة ذات جامعين مفترقِ البناء، وثمار وفواكه .

قال فى "تقويم البلدان" : وهى الآن مَبْرَلَةٌ على شَطِّ بحر الرُّوم ، وبها آثار قديمة من الرُّخام وغيره .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بينها وبين قَدَس طريق مسلوثة فى البر .

الناحية الثانية

(بطن الريف)

وأصل الرِّيف فى لغة العرب موضع الزَّرْع والشجر، إلا أنه غلب بالديار المصرية على أسفل الأرض منها ؛ وفيها سَبْعُ كُور .

الأولى - (كُورَةُ بَنَّا وبُوصِير) . أمَّا بَنَّا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر، وبُوصِيرُ تقدّم ضبطها فى الكلام على بوصير المعروفة بمصر يوسف بالجيزية عند ذكر قواعد مصر القديمة ، وبنا وبُوصِيرُ هذه كلاهما من عمل الغربية الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانية - (كُورَة سَمْنُودَ)، وسمْنُودُ بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشددة والواو ودال مهملة في الآخر، وهى مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقر في أول الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية .

الثالثة - (كُورَة نَوَسَا)، ونَوَسَا بفتح النون والواو والسين المهملة في الآخر، وهى الآن قرية من قُرَى المُرُتَاحِيَةِ .

الرابعة - (كورة الأَوْسِيَّة)، وهى من الأسماء التى دَرَسَتْ وَجْهَاتُ .

الخامسة - (كورة البُجُوم)، بالباء الموحدة والجيم، وهى من الأسماء المندرسة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية اسمه البُجُوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للمياه المتصرفة عن البحيرة .

السادسة - (كُورَة دَقْهَلَة)، ودَقْهَلَة بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء في الآخر، وهى مدينة قديمة بالجزيرة بين فِرْقَةِ النيل المازة إلى دمياط والفرقة التى تصب ببحيرة تَنَيسَ، وإليها ينسب عمل الدقهلية، وهى الآن قرية من عمل أَشْمُوم الآتى ذكرها في الأعمال المستقرة، وإن كان العمل فى الأصل منسوباً إليها .

السابعة - (كورة تَنَيسَ وِدِمِيَاطَ)، أما تَنَيسَ، فقال فى اللَّبَابِ: هى بكسر المثناة فوق والنون المشددة وسكون الياء المثناة تحت وسين مهملة فى الآخر، والجارى على الألسنة فتح التاء؛ كانت مدينة عظيمة فطمى عليها الماء قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحِيرَةً، وسيأتى الكلام عليها فى الكلام على بُحَيْرَتِهَا، وهى الآن قرية صغيرة بوسط البُحيرة والماء محيط بها .

قال فى "الروض المعطار": وكانت تُرْبَتُهَا من أطيب التُّرْبِ، وبها تُحَاكُ الثياب النفيسة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وقد قيل: إن الجنتين اللتين أخبر الله تعالى

عنهما في سورة الكهف بقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية ، كانتا بَنَتَيْنِ .

وأما دِمْيَاطُ ، فسيأتى ذكرها في الكلام على الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

الناحية الثالثة

(الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ، وفيها خمس كور)

الأولى - (كورة دَمِيسَ وَمَنُوفَ) . أما دَمِيسُ ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وسين مهملة في الآخر ، وهي الآن بلدة من عمل الغربية .

وأما مَنُوفُ فمن الأسماء التي نُسيِت وجهلت .

الثانية - (كورة طَوَّة مَنُوفَ) ، وهي من الأسماء التي جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة أسمها طَوَّة غير بلدين بالوجه القبلي إحداهما بالأشْمُونِي ، والثانية بالبهنساوية .

الثالثة - (كورة سَخَا وَتَيْدَة وَالْفَرَّاجُونِ) . أما سَخَا ، فبفتح السين المهملة والحاء المعجمة وألف في آخرها ، وهي بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم أَسْتَقَرَّت من عمل الغربية الآن .

وأما تَيْدَة ، فبفتح التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وفتح الدال المهملة وهاء في آخرها ، وهي الآن قرية من قرى الغربية .

وأما الْفَرَّاجُونُ ، فبالألف واللام في أولها ، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشددة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون في الآخر ، وهي بلدة مضافة إلى تَيْدَة ، فيقال : تَيْدَة وَالْفَرَّاجُون .

- الرابعة - (كورة بقيرة وديصا)، وهما من الأسماء التي نُسيت وجهلت .
الخامسة - (كُورة البَشْرُود)، وهى من الأسماء التي جهلت .

الناحية الرابعة

(الخَوَفُ الغربى، وفيها إحدى عشرة كورة)

الأولى - (كورة صَا)، وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف فى الآخر، وهى مدينة خرابٌ شرقُ الفرقة الغربية من النيل، بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية وسميت بأسمها، وكأن عملها كان من البر الغربى .

الثانية - (كُورة شَبَّاس) وشَبَّاسُ بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف ثم سين مهملة آسم لثلاث بلاد من عمل الغربية الآن، وهى شَبَّاسُ المِلْح، وشَبَّاسُ أنبارة، وشَبَّاسُ ستقر، وتعرف بِشَبَّاسِ الشهداء، وكأن المراد الثالثة فإنها أعظمها .

الثالثة - (كُورةُ البَذْقُون)، وهى من الأسماء التي درست وجهلت .

الرابعة - (كورة الخَيْسِ والشَّرَاكِ) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمى الخيس، وإنما الخَيْسُ بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة فى الآخر، بلدة من عمل الشرقية .

وأما الشَّرَاكِ، فبكسر الشين المعجمة المشددة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهى بلدة من عمل البحيرة .

الخامسة - (كورة خَرَبَتَا)، بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهى قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

السادسة - (كورة قَرَطَسَا وَمَصِيل) . أما قَرَطَسَا فبفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف في الآخر ؛ وهى قرية من عمل البحيرة الآن .

وأما مَصِيل ، فمن الأسماء التى جهلت .

السابعة - (كورة المليدس) وهى من الأسماء التى جهلت .

الثامنة - (كورة إخنا ورَشِيدَ والبُحَيْرَة) . أما إخنا ، فمن الأسماء التى جهلت ولا يعرف بالبُحَيْرَة بلد أسمها إخنا ، وإنما أخنويه من عمل الغربية ، والعامة تقول إخنا .

وأما رَشِيدُ ، بفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر ، فَلَدَة عند مَصَبِّ الفرقة الغربية التى يقع الاعتناء بحفظها . وفى ذلك نظر لاعتباره الغربية ورشيد من سواحل البحيرة ، وبينهما بعدٌ يبعد معه أن يجتمعا فى كورة واحدة .

وأما البُحَيْرَة ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بوقير المتقدم ذكرها فى الكلام على القواعد القديمة ، ويأتى بقية الكلام عليها فى الأعمال المستقرة إن شاء الله تعالى .

العاشر^(١) - (كورة مَرِيُوط) . ومَرِيُوط بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر ، وهى ناحية غربى الإسكندرية داخلية الآن فى عملها ، بها الأشجار والبساتين ، وفواكهها تحمل للإسكندرية .

الحادية عشرة - (كورة لُوبِيَّةٌ وَمَرَاقِيَّة) . أما لوبية ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى كورة

(١) سقطت التاسعة من قلم الناصح وهى "كورة البتون" وقد ذكرها ابن دقاق فى كتابه "الانتصار" .

من كُور مصر الغربية ، متصلة بالإسكندرية . قال : وقد قيل إن الإسكندر كان منها .

وأما مَرَاقِيَّةٌ ، فميم وراء مهملة وألف وقاف وياء مثناة تحت وهاء في الآخر . وقد ذكر القضاعى فى تحديد الديار المصرية ما يقتضى أنهما بجوار بَرَقَة ، فقال : إن الذى يقع عليه اسم مصر من العريش إلى لُوبِيَّة وَمَرَاقِيَّة ، ثم قال : وفى آخر أرض مَرَاقِيَّة تلقى أرض أنطابُلُس ، وهى بَرَقَة ، والظاهر أن لوبية غربى مريوط ، ومراقبة غربى لوبية وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب .

الحيز الثالث

(كُور القِبْلة ، وفيها خمس كور)

الأولى - (كورة الطُور وفاران) . أما الطُور فضبطه معروف . قال فى المشترك : والطور فى اللغة العبرانية اسم لكل جَبَل ، ثم صار علمًا لجبال بعينها ، منها جبل طُورِ زَيْتًا بلفظ الزيت ، وهو اسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة وجبل بالْقُدْس وجبل مُطَلَّ على طَبَرِيَّة ؛ وطُور هُرون بالْقُدْس ؛ وطُور سينا ، وهو المراد هنا ، وهو جبل داخل فى بحر القلْزُوم على رأسه دَيْرٌ عَظِيم ، وفى واديه بساتين وأشجار ، وهو على مَرَحَلَة من فُرْضَة الطور المتقدمة الذكر فى تحديد بحر القلْزُوم ، وكأنها سميت باسمه لقربها منه . قال ابن الأثير فى " كتابه الزاهر " : وسمى الطُور بطُور بن إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام .

وأما فاران ، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون ، قال فى " الروض المعطار " : وهى مدينة صغيرة من بر الحجاز على جون على البحر . قال : ولجبال فاران ذِكْرٌ فى التوراة .

الثانية - (كورة راية والقُلم). أما راية فمن الأسماء التي جهلت ، وقد ذكرها
آبن سعيد مقرونة بالقلم فقال : وراية والقُلم من كور مصر .

وأما القُلم ، فقال في المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي المعجمة
ثم ميم في الآخر ، وهي مدينة قديمة على ساحل بحر القُلم وإليها ينسب البحر المذكور .
قال في "القانون" : وطولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها
ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وعلى القرب منها غرق فرعون .

الثالثة - (كورة أيلة وحيزها ، ومدن وحيزها ، والعونيد وحيزها ، والخوراء وحيزها) .
أما أيلة فقال في "تقويم البلدان" : هي بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت
وفتح اللام وهاء في الآخر . قال : وهي كانت مدينة صغيرة خرابا على ساحل بحر القُلم .
قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال في "تقويم البلدان" : وبها زرع يسير ، وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم
القردة والخنازير ، وعليها طريق حجاج مصر . قال : وهي في زماننا برج وبه وآل من
مصر وليس بها مندرع ، وكان بها قلعة في البحر فبطلت ونُقل الوالى إلى البرج .

وأما مدن فضبطها معروف ؛ وهي في الأصل أسم لقبيلة شعيب عليه السلام
وكانوا مقيمين بها فسميت البلد بهم ، وهي مدينة خراب على بحر القُلم محاذية لتبوك
من بلاد الشام على نحو ست مراحل منها ، وعدّها في "الروض المعطار" من بلاد
الشام ، وبها البئر التي آستقى منها موسى عليه السلام لبنات شعيب وسقى غنمهن .

قال آبن سعيد : وسعة البحر عندها نحو مجرى .

وأما العونيد ؟ فبعين مهملة وواو وياء مثناة تحت ونون ودال . قال في "الروض
المعطار" : وهي مدينة قريبة من نصف الطريق بين جدّة والقُلم . قال : وعلى

القرب منها مرسى صناء، ينحدر الماء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينة الكعب والأُنْحَص والأصابع لم يُعَفِّها الزمان، ولا تمنحى بمرور الماء عليها .

وأما الحوراءُ ، فبحاء مهملة مفتوحة بعدها واو ساكنة وراء مهملة مفتوحة ثم ألف في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهى مدينة على ساحل وادى القرى بها مسجد جامع ، وبها ثمانية آبار عذبة ، وبها ثمار ونخل وأهلها عرب من جهينة وبلي . قلت : والمعروف فى زماننا أن الحوراء منزلة بطريق حجاج مصر ، ولعلها على القرب منها .

الرابعة - كورة بداء يعقوب وشُعَيْب ، ولم أعلم حقيقة مكانهما . قلت : ذكر القضاعى أيلة ومدين وما والاها مما على ساحل بحر القلزم من بر الحجاز فى أعمال مصر جريا على ما قدمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار المصرية ، على أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حيزين آخرين .

الحيز الأول

(بلاد ألواح)

إذ هى داخله فى حدود الديار المصرية على ما حدده هو وغيره . قال فى "اللَّبَاب" : وهى بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء مهملة ، وقال فى "المشترك" : واح بغير ألف ولام ويجمع على واحات ، وهى ناحية غربى بلاد الصعيد منقطة عنه خلف الجبل الغربى من جبل مصر المتقدم ذكرهما . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة . قال فى "تقويم البلدان" : والبرارى محيطة بها من جميع جهاتها ، وهى بينها كالجزيرة ، بين رمال ومفاوز .

قال البكري : وهو إقليم مستقل غير مفتقر إلى سواه . قال في "الروض المعطار" :
وهي آخر بلاد الإسلام ، وبينها وبين بلاد النوبة ستُّ مراحل . قال : وفي هذه
الأرض شَبَّية وزاجِيَّة وعيون حامضة الطعوم ولكل نوع منها منفعة وخاصة ،
وبها العيون الجارية ، والبساتين ، والثمار ، والتمر الكثير ، وبها مدن كثيرة مسورة
وغير مسورة .

قال في "المشترك" : وهي ثلاث كور : واحة الأولى ، واحة الوسطى ،
وواحة القصوى .

قلت : والأولى منها - مقابل الأعمال البهناوية ، وهي أعمرها وأكثرها ثمرة ،
ومنها يجلب التمر والزبيب الكثير ، وتعرف بواحة البهنسي وبالواحة الخاص .

والثانية - مقابل شمالي الأعمال الأسبوطية ، وتعرف بالواحة الداخلة ، وهي
تلو الواحة الأولى في العمارة ، بها مَدَن مشهورة ، منها السلمون والهنداو والقلمون
والقصير وغيرها .

والثالثة - مقابل جنوبي الواح الثانية ، وتعرف بالواحة الخارجة ، وبين ريف
الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربي ، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها
بحسب اختلاف الأماكن والطرق .

قال في "التعريف" : وهي جارية في اقطاع أمراء مصر ، وهم يؤثون عليها من
قَبْلِهِمْ . قال : ومَعْلَمُها كأنه مصالحة لعدم التمكن من استغلاله أسوة بقية ديار مصر ،
لوقوعه منقطعا في البلاد النائية والقفار النازحة .

قال في "مسالك الأبصار" : ولا تعد في الولايات ولا الأعمال ، ولا يحكم
عليها من قَبْلِ السلطان .

الحيز الثاني

(بَرْقَة)

بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهى من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة . وهى أرض مُتَسَّعة الأرجاء ، مديدة الفضاء ، وهى من أزكى الأراضى دواب، وأمرها مرعى .

قال في "مسالك الأبصار" : أخبرنى بعض مَنْ رآها أنها شبيهة بأطراف الشام وجبال نابلس فى منابت أشجارها وكيفية أرضها وما هى عليه، وأنها لو عمرت بالسكان وتأهلت بالزراع، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشام، قال : وبها الماشية والسائمة الكثيرة : من الإبل والغنم والخيول، وخیلها من أقوى الخيل وأصلبها حوافر، وصورها بين العرّاب والبرادين ، وقد جمعت بين حسن العرّاب وكمال تخاطيطها، وصلابة البرادين وثباتها على الوُغور، وهى إلى محاسن العرّاب أقرب، ولكنها لا تبلغ شأوَ خيل البحرين والحجاز، وفحولها أنجب من إناثها . قال : وكذلك بها المدن المبنية ، والقصور العلية، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

قال ابن سعيد : وهى سلطنة طويلة، وإن لم يكن لها استقلال لاستيلاء العرب عليها، وهى إلى إفريقية أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سيرها فى القديم بمدينة (طَبْرَقَة) . وذَكَر صاحب "الروض المعطار" : أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابُلُس)، وقد تقدّم من كلام القضاعى فى تحديد الديار المصرية فى آخر الحَدِّ الشمالى ما يوافقه . قال فى "مسالك الأبصار" : ومن مدنها طُلمَيْثًا . قلت : والتحقيق أن بَرْقَة قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية، وهو بادون العقبة الكبرى إلى الشرق .

وقسم محسوب من إفريقية، وهو مافوق العقبة المذكورة إلى الغرب، وهذه المدن الثلاث مما يلي جهة المغرب، والقسمان كلاهما بيد العرب أصحاب الماشية، قال في "مسالك الأبصار": وربما زرع بعضهم في بعض أرضها فأنجب، ولكنهم أهل بادية لا عناية لهم بعارة ولا زرع. قال: وأمرها إلى صاحب مصر يُقَطِّعها بالمناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عداها، وكأنه يريد القسم الذي هو من مصر.

الضرب الثاني

(من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة، ولها وجهان)

الوجه الأول

(القبلى)

وهو المعبر عنه بالصعيد، وقد تقدّم بيانه في الكلام على الكور القديمة، وبه تسعة أعمال:

العمل الأول - الحيزية. وهو أقربها إلى القُسطاط والقاهرة، ومقر ولايته مدينة الحيزية (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وبعدها هاء) وموقعها في الإقليم موقع القُسطاط، وطولها وعرضها واحد، وإليها ينسب الربيع الحيزي راوى الأم عن الشافعي رضى الله عنه.

قال في "الروض المعطار": ويقال إن بها قبر كعب الأخبار، وهى مدينة لطيفة على ضفة النيل الغربية مقابل جزيرة المقياس المتقدمة الذكر والنيل بينهما، وبعض هذا العمل يأخذ في جهة الشمال إلى الوجه البحرى الآتى ذكره.

قال في "الروض المعطار": والحيزية أختطها عمرو بن العاص رضى الله عنه.

العمل الثاني - الإِطْفِيجِيَّةُ . وهو شرق النيل في جنوب القُسطَاط ، مُصَاقِبُ بركة الحبش وبساتين الوزير . ومقر ولايته مدينة "إِطْفِيح" (بكسر الهمزة وإسكان الطاء المهملة وبالفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاءً مثناةً فوق ، وهي مدينة لطيفة في البر الشرقي ، وموقعها في الإقليم الثالث ، ولم يتحررلى طولها وعرضها ، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذاً عنها جنوباً وشمالاً ، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث - البَهَنَسَاوِيَّةُ . وهو مما يلي عمل الحيزة من الجهة الجنوبية ، ومقر ولايته مدينة البَهَنَسَى . قال في "المشترك" : (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهي مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربى من النيل تحت الجبل بطوق المزدرع ، مركبة على ضفة بحر الفيوم . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع - الفَيُومِيَّةُ . وهو مُصَاقِبُ لعمل البَهَنَسَى من غربيه ، ويبنهما منقطع رمل . وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة ، كثير البساتين ، غزير الفواكه ، دار الأرزاق . يقال إنه كان متصل مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثلثمائة وستين قرية لتتمير كل قرية منها بلد مصر يوماً من أيام السنة .

قلت : وأما الآن فقد نقصت عدة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التي هي متصل مياهه ، المتقدم ذكرها في جملة بحيرات الديار المصرية وركوب مائها على أكثر القرى المجاورة لها ، ولولا ما هو شامل له من بركة الصديق عليه السلام ،

(١) كذا في الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن متصل أى مكان المصل والرشح وفي خطط المقرئى وقد كان مغيب ماء النيل . وفي تقويم البلدان كان في وهدة وقد سبق إليه نهر من رشح ماء النيل . وفي المسعودى وكان مضافة .

لكانت قد غَطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفاً على ممر الدهور
وتعاقب الأيام ، وليس لها مصِّرف تنصرف منه ضرورةً إحاطة الجبال بها من الجهات
التي هي بصَدَدٍ أن تُصرف منها ، ولقد أجتهد بعض حُكَّام الزمان على أن يتحیل
في عمل مصِّرف يُقَطِّع في الجبل لتتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سيلاً .
ولو كان ذلك في حيز الإمكان ، لفعله يوسف عليه السلام .

قال ابن الأثير في ”عجائب المخلوقات“ : ويقال إنه على جميع الفَيَّوم سورٌ دائرٌ ،
ومقرُّ ولايته (مدينة الفَيَّوم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال في ”القانون“ : وطولها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

وقال في ”تقويم البلدان“ : القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة ، وعرضها
تسع وعشرون درجة ، وهي مدينة حسنة على ضَفَّة البحر المنهى حسنة الأبنية ،
زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهي راكبة على الخليج المنهى من
جانبيه ، وهو مخترق وسطها . قال في ”العزيزي“ : وبين الفَيَّوم والفُسْطَاط
ثمانية وأربعون ميلاً .

العمل الخامس - عمل الأَشْمُونِيَّين والطَّحَاوِيَّة . وهو مصاقب لعمل البهنسِيَّ
من جنوبيه ، وهو عمل واسع كثير الزرع ، واسع الفضاء ، متقارب القرى . ومقرُّ
الولاية به (مدينة الأَشْمُونِيَّين) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون
الواو وفي الآخرون . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره
في ”تقويم البلدان“ والإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام المقرِّ الشهابي بن فضل الله
في ”مسالك الأبصار“ حيث جعل آخر الإقليم الثاني دَهْرُوط من البهنساوية .

قال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل، كانت في الأصل مدينة قديمة بناها أشتون بن قطيم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام، ثم حُرِبَتْ وَدَثِرَتْ، وبُنِيَتْ هذه المدينة على القرب منها. وكان هذا العملُ فيما تقدّم عملين : أحدهما عمل الأشتونين هذا، والثاني عمل طحّا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف في الآخر) وقد تقدّم ذكرها في الأعمال القديمة، ثم أضيفا وجعلّا عملاً واحداً.

العمل السادس - المنفلوطيّة . وهو مصّابٌ لعمل الأشتونين من جنوبيه، وهو من أخصّ خاصّ السلطان البحارى في ديوان وزارته، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهراء السلطانية بالقسّطاط . ومقرّ ولايته (مدينة منفلوط) . قال في "تقويم البلدان" : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة في الآخر). وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره في "تقويم البلدان" : ومن أواخر الإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار" .

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها اثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة؛ وهي مدينة لطيفة بالبر الغربي من النيل بالقرب من شطّه .

العمل السابع - الأسيوطيّة . وهو مصّابٌ لعمل منفلوط من جنوبيه، وهو عمل جليل، ومقرّ الولاية به (مدينة أسيوط^(١)) بضم الألف وسكون السين وضم المشناة تحت وفي آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعاني في "كتاب الأنساب" :

(١) ضبطها في القاموس كذلك وضبطها ياقوت بالفتح .

وذكرها في "الروض المعطار" في حرف الهمزة ، ووقعت في شعر ابن الساعاتي
بغير ألف في قوله :

لِلَّهِ يَوْمٌ فِي سُيُوطٍ وَلَيْلَةٌ * عُمُرُ الزَّمانِ بِمِثْلِهَا لَا يَغْلُظُ
يَتَنَّا بِهَا ، وَالْبَذْرُ فِي غُلُوءَاتِهِ * وَلَهُ يَجْنُجُ اللَّيْلُ فَرْعَ أَشْمَطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ ، وَالغَدِيرُ صَحِيفَةٌ ، * وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ ، وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ

وإثبات الألف فيها هو الجارى على 'ألسنة العامة بالديار المصرية، والثابت
في الدواوين حذفها . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة،
وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق . وهى مدينة حسنة فى البر الغربى من
النيل على مرحلة من مَنَقْلُوطَ ، وبها مساجد ومدارس وأسواقٌ وقياسرٌ وحمامات .
العمل الثامن - (الإنجيمية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جنوبيه،
وهو عمل ليس بالكبير ، وبلاده أكثرها بالبر الغربى عن النيل ، وحاضرتة (مدينة
إنجيم) . قال فى "تقويم البلدان" : (بكسر الألف وسكون الخاء المعجمة والمثناة
تحت بين الميمين ، والأولى منهما مكسورة) وموقعها فى أواخر الإقليم الثانى من
الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها
ست وعشرون درجة . وهى مدينة لطيفة بالبر الشرقى عن النيل على مرحلتين من
أُسْيُوطَ ، وبها كانت البرابى العظامُ المتقدمة الذكر ، ويقال إن ذا النون المصرى
العابد الزاهد منها ، وولايتها مضافة إلى قوص .

العمل التاسع - القوصية . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جنوبه، وهو
عمل متسع الفضاء بعيد ما بين القرى، ينتهى آخره إلى أسوان : آخر الديار المصرية

في البر الشرق والغربي، وهي بلاد النمر، ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية، ومقر ولايته (مدينة قوص). قال في "المشارك" - بضم القاف وسكون الواو، وفي الآخر صاد مهملة - وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .

قال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهي مدينة جليلة في البر الشرق عن النيل، ذات ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارس وربط وحمامات، يسكنها العلماء والتجار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائق المستحسنة إلا أنها شديدة الحر، كثيرة العقارب، حتى إنه يقيض لها من يدور في الليل في شوارعها بالمسارج لقتلها، ويقاربها في الكثرة أيضا سأم أبرص .

قال المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أخبرني عن الدين حسن بن أبي المجد الصفدي أنه عد في يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين سأم أبرص على صف واحد . ومما يدخل في عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أسوان . قال السمعاني : - بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون - وخالف ابن خلكان في "تاريخه" فضبطه بضم الهمزة، وغلط السمعاني في فتحها . وهي مدينة في أوائل الحد الجنوبي من الديار المصرية وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

قال في "القانون" : طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . وهي في البر الشرق من النيل، ذات نخيل وحدائق، وهي من قوص على نحو خمس مراحل .

قال في "التعريف" : ووالها وإن كان من قبل السلطان فإنه نائب لوالى قوص .

قلت : أما الآن ، فقد صار لها وَاَلٍ مستقلٌّ بنفسه لا حكم لوالى قُوصَ عليه ،
وسياتى الكلام عليها فى مراكر البريد ، ويأتى الكلام على ولايتها فى جملة الولايات
بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

(البحرى)

وهو كل ما سفلَ عن القاهرة إلى البحر الرومى حيث مَصَبُّ النيل . وإنما
سمى بَحْرِيًّا لأن منتهاه البحرُ الرومى ، ولا يلزم من ذلك تسمية الجانب الشرقى من
الديار المصرية بَحْرِيًّا لأن نهايته إلى بحر القلزم ، لأن آتياه إليه ليس حقيقيا
لأنه يتطاع بحر القلزم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى المُقْفَرَةِ ، بخلاف بحر
الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لها فناسب النسبة إليه .

قلت : وقد وقع للمقر الشهابى بن فضل الله فى " التعريف " فى بلاده وأعماله من
الوهم ما لا يليق بمصرى على ما سياتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .
وهذا الوجه هو أرطبُ الوجهين وأقلُّهما حرا ، وأكثرهما فكهة ، وأحسنهما مدنا .
ويشتمل على ثلاث شُعب تحوى سبعة أعمال .

الشعبة الأولى

(شرقى الفرقة الشرقية من النيل)

وفىها أربعة أعمال .

العمل الأول - الضواحي : جمع ضاحية ، وهى فى أصل اللغة البارزة للشمس ،
وكانها سميت بذلك لبروز قُرَاهَا للشمس ، بخلاف المدينة لَغَلَبَةِ الكِنِّ بها ، وهو
ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى ، وولايتها مضافة إلى ولاية القاهرة
وداخلة فى حكمها ، وليست منفردة بمقر ولاية غيرها .

العمل الثانى - القَلْيُوبِيَّةُ . وهو مُصَاقِبٌ للضواحي من شمالها مما يلي جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القُرَى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقرّ الولاية به (مدينة قَلْيُوبَ) - بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة فى آخرها . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتجزئ طُولُها وعَرْضُها ، غير أنها من القاهرة فى جهة الشمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة .

قلت : ومن بلادها بَلَدُنا (قَلَقَشَنَدَةُ) وهى بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر ابن يونس فى "تاريخه" : أنه وَلِدُها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس ، وليس لما يقولونه ثَبَاتٌ عندنا .

قال ابن خَلِّكان : - بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون الهمزة وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة - ، وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوتٌ فى "مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ" اللامَ راءً ، وهو الجارى على ألسنة العامة ، وعليه جرى القُضَاعَى فيما رأيته مكتوباً فى "خَطَطه" : قال ابن خَلِّكان : وهى على ثلاثة فرائخ من القاهرة (١) وهى بلدة حسنة المنظر ، كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال ابن يونس فى "تاريخه" : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثَبَاتٌ عندنا (١) وذكر .

وقال القُضَاعَى فى "خططه" : فى الكلام على دار الليث بالْقُسْطَاط : وكان له دار بَقَرَقَشَنَدَةَ بِالرَّيْفِ ، بناها فهدمها ابن رفاعة أمير مصر عنادا له ، وكان ابن عمه ،

(١) ما بين النجمتين تقدم بلفظه قريبا فهو مكرر .

فبناها الليث ثانياً فهدمها ، فلما كانت الثالثة ، أتاه آتٍ في منامه فقال له ياليثُ :
﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
فأصبح وقد أُلججَ ابنُ رِفاعة فأوصى إليه ومات بعد ثلاث . وبقي الليث حتى توفى
في منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ؛ وصلى عليه موسى بن عيسى الهاشمي
أمير مصر للرشييد .

وترجم له ابن خلكان بالأصبهاني ، ثم قال في آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلَقَشَدَّة .
قلت : وما قاله ابن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما أنه
مصريٌّ وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم ، الثاني أنه قريب من زمن
الليث فهو به أدري ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل أباه قَلَقَشَدَّة
المذكورة وولد بها وسكنها ، فنسب إليها كما وقع في كثير من النسب ؛ وإعادة داره
بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقدم ذكره في كلام القضاعي دليل آعثنائه
بشأنها وميله إليها ، وحينئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر في "الروض المعطار" أنه كان له ضيعة على القرب من رشيد من بلاد
الديار المصرية ، يدخل عليه منها في كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .

العمل الثالث - الشرقية . وهو مصاقب للضواحي من شماليها مما يلي جهة
المُقَطَّم ، والقلوبية من جهة الشمال أيضاً ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها .
إلا أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة : لآتصاله بالسبخ وبداوة غالب
أهله ، وآخر العمران فيها من جهة الشمال الصَّالِحِيَّة ، وما وراء ذلك منقطع رمال على
ما تقدم ذكره في المنقطع عنها من جهة الشرق ؛ ومقر ولايته مدينة بلييس .
قال في "تقويم البلدان" : - بكسر الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة
(١)

(١) قال في القاموس "بلييس كفرنيق وقد يفتح أوله بلد بمصر" وضبطه ياقوت بكسر الباءين وسكون اللام .

وسكون المشاة تحت ثم سين مهملة . كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء في أولها ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها أربعاً وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعرضها ثلاثين درجةً وعشر دقائق . وهى مدينة متوسطة بها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى محط رحال الدرب الشامى . وفى الركن الشمالى الجنوبى من هذا العمل (بِهَا) . قال النووى فى شرح مسلم : بكسر الباء والمعروف فتحها ، وهى البلدة التى أهدى الموقس إلى النبى صلى الله عليه وسلم من عسلها ؛ وفى آخره من جهة الشرق (قطياً) بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وفتح الياء المشاة تحت وألف فى الآخر . كذا وقع فى "التعريف" و "مسالك الأبصار" : وفى "تقويم البلدان" : إبدال الألف فى آخره بهاء ، وهى قرية بالرمل المعروف بالحفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومى . قال فى "التعريف" : وقد جعلت لأخذ الموجبات ، وحفظ الطرقات ، وأمرها مهم ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

العمل الرابع - (الدقهلية والمرتاحية) . وهو مصابٍ لعمل الشرقية من جهة الشمال ، وأواخره تنتهى إلى السبخ وإلى بحيرة تينس المتصلة بالطينة من طريق الشام ، ومقر الولاية به (مدينة أشموم) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعدها ميم ثم واو وميم ثانية - كما ضبطه فى "تقويم البلدان" ونقله عن خط ياقوت فى "المشترك" والذى فى "اللباب" إبدال الميم فى آخرها بنون ، وعزاه فى "تقويم البلدان" للعامة .

قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهى مدينة صغيرة على ضفة الفرقة

التي تذهب إلى بُحيرة تَنَيس من فرقة النيل الشرقية من الجهة ؛ وبآخر هذا العمل
(مدينة دِمَياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم وياء مثناة من تحت وألف وطاء -
قال في "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها
إحدى وثلاثون درجة وخمسة وعشرون دقيقة .

وقال ابن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة
وعشرون دقيقة . وهي واقعة في الإقليم الثالث ، وهي مدينة حَسَنَة عند مَصَبِّ الفرقة
الشرقية من النيل في بحر الروم ، ذات أسواق وحمامات ، وكان عليها أسوار من عمارة
المتوكل : أحد خلفاء بني العباس ، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكتها مرة بعد مرة ،
خَرَّبَت المسلمون أسوارها في سنة ثمان وأربعين وستمائة خوفا من أستيلائهم عليها ،
وهي على ذلك إلى الآن ، ولها ولاية خاصة بها .

الشُّعبة الثانية

(غربيّ فرقة النيل الغربية ؛ وفيها عملان)

العمل الأوّل - عمل البُحيرة . وهو مما يلي عمل الجيزة المتقدم ذكره من الجهة
البحرية ؛ وهو عمل واسع ، كثير القرى ، فسيح الأرضين . ومقر ولايته (مدينة دَمَهُور) -
بفتح الدال المهملة والميم وسكون النون وضم الهاء وسكون الواو وفي آخرها
راء مهملة - وتعرف بدمَهُور الوَحْش . وهي مدينة متوسطة ذات مساجد ومدارس
وأسواق وحمامات . وموقعها في الإقليم الثالث ؛ ولم يتحرّر لى طولها وعرضها ، غير
أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولها وعرضها
منها بالتقريب .

قلت : ويدخل في هذا العمل حَوْف رمسيس والكُفُور الشاسعة .

العمل الثانى - عمل المزارحتين . وهو ماجاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومى ، وبعضه بالبر الشرقى من النيل ، وحاضرتة (مدينة قوة) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الفاء وتشديد الواو ؛ وهى مدينة متوسطة بالبر الشرقى من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذات بساتين وأشجار ومنظر رائع ، وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شاداً للخاص ، يتحدث فى كثير من أمور الولاية ، وهى فى الحقيقة كإخميم مع قوص .

ونيل هذين العاملين غرباً بشمال (مدينة الإسكندرية) - بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملة وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الثالث .

قال فى كتاب "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثمان وخمسون دقيقة ، وقد تقدم القول على أصل عمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .

وهى الآن بالنسبة إلى ماشهد به التواريخ من بنائها القديم جزء من كل ، وهى مع ذلك مدينة رائعة المنظر ، حسنة الترتيب ، مبنية بالحجر والكلس ، مبيضة البيوت ظاهراً وباطناً كأنها حمامة بيضاء ، ذات شوارع مشرعة ، كل خط قائم بذاته كأنها رقعة الشطرنج ، يستدير بها سوران منيعان ، يدور عليهما من خارجهما خندق فى جوانب البلد المتصلة بالبر ، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربى مما يلى الشمال إلى المشرق حيث دار النيابة ، وبهما أبراج حصينة عليها الستائر المسترة والمجانيق المنصوبة .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ويقال إن منارها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع محجّات ، وإنما أكلها البحر ، ولم يبق إلا محجة واحدة ،

وهى المدينة الباقية الآن وصار مكانُ المنار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أُحصيتُ فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ، وبها الجوامع والمساجد ، والمدارس ، والخَوَاق ، والرُّبُط ، والزوايا ، والحمامات ، والديار الجلييلة ، والأسواق الممتدة . وفيها يُسج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا ، وإليها تهوى ركائب التجار فى البر والبحر ، وتَمير من قُماشها جميع أقطار الأرض ، وهى فُرْصَةٌ بلاد المغرب ، والأندلس ، وجزائر الفرنج ، وبلاد الروم ، والشام . وشُرب أهلها من ماء النيل : من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دُورها ، وأستعمال الماء لعامة الأمر من آبارها ، ويَجَنَّبَت تلك الآبار والصحاريح بالوعاء تصرف منها مياه الأمطار ونحوها ، وبها البساتين الأنيقة ، والمستنزهات الفاتحة ، ولهم بها القصور والجواسق الدقيقة البناء ، المحكة الجُدُر والأبواب ، وبها من الفواكه والثمار ما يفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حُسنا مع رِخص الثمن ، وليس بها مزارع ولا لها عملٌ واسع ، وإن كان متحصِّلها يعدل أعمالا : من واصل البحر وغيره ، وهى أجلُّ ثغور الديار المصرية ، لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر والاحتراز من العدو الطارق ، وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال فى ”مسالك الأبصار“ : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بناية السلطنة سواها .

قلت : وهذا فيما تقدّم حين كانت النيابة بها صغيرة فى معنى ولاية . أما من حين طرقها العدو المخدول من الفرنج فى سنة سبع وستين وسبعمائة وأجتاح أهلها وقتل وسبي ، فإنها أَسْتَقَرَّت من حينئذ نياحةً كبرى تضاهى نيابة طرابلس وحمّة وما فى معناهما ، وهى على ذلك إلى الآن ، وسيأتى الكلام على نيابتهما فى الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الشعبة الثالثة

(ما بين فرقتي النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان)

الجزيرة الأولى - جانبها الشرقي يمتد في طول فرقة النيل الشرقية إلى مصبه في البحر الملح حيث دُمِيطَ بالقرب منها، وجانبها الغربي يمتد في طول فرقة النيل الغربية إلى نُجَاهِ أَبِي نُسَّابَةَ من عمل الجزيرة فينشأ بحرٌ أبيضار المتقدّم ذكره ويمتد في طولها إلى قرية الفَرَسْتَق خارج الجزيرة من الغرب فيتصل بفرقة النيل التي تفرع منها على ما تقدّم، ويمتد في طولها إلى مصبه في البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة على عمليتين :

العمل الأول - المنوفية . وأوله من الجنوب من القرية المعروفة بِسَطْنُوفَ على أول الفرقة الغربية من النيل، ومقر ولايته (مدينة منوف) - بضم الميم والنون وسكون الواو وفاء في الآخر)، وهي مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمة كانت هناك قد خربت الآن وبقيت آثارها كيانا، ولايتها من أنفس الولايات، وقد اضيف إليها عمل أبيضار، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى، وهي مدينة حسنة ذات أسواق، ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحمام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظنّ أنها منفّ المتقدمة الذكر في الكلام على قواعد مصر القديمة، وبينهما بعد كثير إذ منفّ المتقدمة الذكر جنوبي القُسطاطِ على اثني عشر ميلا منه كما تقدّم ذكره، وهذه شمالي القُسطاطِ والقاهرة في أسفل الأرض .

العمل الثاني - الغربية . وهو مُصَابِقٌ للمنوفية من جهة الشمال، ويمتد إلى البحر الملح بين مصبي النيل إلا ما هو من عمل المزارحتين على فرقة النيل الغربية من

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعناها في كثير من المواضع .

الشرق؛ وهو عمل جليل القدر، عظيم الخطر؛ به البلاد الحسنة، والقرى الزاهية، والبساتين المتراكبة وغير ذلك؛ وفي آخره مما يلي بحر الروم موقع ثغر البرّس .

ويندرج فيه ثلاثة أعمال أحرّكت قديمة، وهى القُويَسيّة، والسّمْنوديّة، والدّنجاوية، ومقر ولايته (مدينة المحلّة) . قال فى "المشترك" : - بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثمّ هاء فى الآخر - وتعرف بالمحلّة الكُبرى، وقد غلب عليها اسم المحلّة حتّى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبير عنها بِمحلّة المرحوم وهو وهُم، وإنما هى قرية من قراها .

قال فى "المشترك" : ويقال لها محلّة الدّقلا (بفتح الدال المهملة والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن، جليلة المقدار، رائعة المنظر، حسنة البناء، كثيرة الساكن، ذات جوامع، ومدارس، وأسواق، وحمامات؛ وهى تعادل قُوص من الوجه القبلى فى جلاله قدرها، ورياسة أهلها، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلى والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية - ما بين بحر أبيّار المتقدّم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل، وتعرف بجزيرة بنى نصر؛ وهى عمل واحد، وحاضرتة (مدينة أبيّار) - بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المعطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المثناة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهى مدينة لطيفة حسنة المنظر يُعمل فيها القماش الفائق من المخترات وغيرها؛ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة؛ ولم يتحرّلى طولها ولا عرضها، وهى مضافة إلى ولاية منوف، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصل الثالث

(فيمن ملك الديار المصرية ، جاهليةً وإسلاماً)

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وكانت أهل مصر
أهل مُلك عظيم في الدهور الخالية والأزمان السالفة ، ما بين قبطى ويونانى
وعمليق ، وأكثرهم القبط . قال : وأكثر من تملك مصر الغرباء .
وهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى

(من ملكها قبل الطوفان ، وقَلَّ من تعرّض له من المؤرّخين)

قد تقدّم في الكلام على ابتداء عمارة مصر أن أول من عمّرها قبل الطوفان
نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غريباب بن آدم عليه السلام ، ومعنى
نقراووس بالسريانية ملك قومه ، وهو الذى عمّر مدينة أمسوس أول قواعد مصر
المتقدّم ذكرها ؛ ثم ملكها بعده أبنه نقراووس الثانى مائة وسبع سنين ؛ ثم ملكها
بعده أخوه مصرام بن نقراووس الأول ؛ ثم ملكها بعده عنقام الكاهن ولم تطل
مدّة ملكه ؛ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِعَ في زمانه ؛ ثم ملكها بعده أبنه
غرناق ؛ ثم ملك بعده رجل من بنى نقراووس اسمه لوجيم ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه
خصليم ، وهو أول من عمل المقياس للنيل على ما تقدّم ذكره ؛ ثم ملك بعده أبنه
هرصال ، ومعناه بالسريانية خادم الزهّرة ، وهى مدينة شرق النيل ، وعمل سرباً
تحت النيل إليها ، وهو أول من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعاً وثلاثين سنة ،
ويقال إن نوحاً عليه السلام ولد فى زمانه ؛ ثم ملك بعده أبنه بُدرسان ؛ ثم ملك بعده
أخوه شمروذ ، وكان طوله فيما يقال عشرين ذراعاً ؛ ثم ملك بعده فرسيدون بن
بُدرسان المتقدّم ذكره مائة وستين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه شرناق مائة وثلاث سنين ؛

ثم ملك بعده آبنه سهلوق مائة وتسع سنين ؛ ثم ملك بعده آبنه سُوريدِن ، وهو الذى بنى الأهرام العظام بمصر على ما تقدّم ذكره فى الكلام على عجائب مصر وخواصّها ؛ ثم ملك بعده آبنه هر جيب نيفاً وسبعين سنة ، وهو الذى بنى الهرم الأول من أهرام دهشور ؛ ثم ملك بعده آبنه مناوش ثلاثا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه أفروس أربعاً وستين سنة ؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم ، وساطت الوحوش والتمايح على الناس ، وأعقمت الأرحام حتى يقال إن الملك تزوج ثلثمائة امرأة . يبنى الولد فلم يولد له ، وذلك مقدّمة الطوفان ؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت الملك اسمه أرمالينوس ؛ ثم ملك بعده آبن عمه فرعان ، وهو أول من لقب بلقب الفراعنة ، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام ، وفى زمنه كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبة الثانية

(من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامى)

وللأورخين فى ذلك خلف كثير ، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفت عليها فى ذلك ، وهم على طبقات .

الطبقة الأولى

(ملوكها من القبط)

قد تقدّم فى الكلام على ابتداء عمارتها أن أول من عمرها بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، وكان بيصر قد كبر سنه وضعف ، فأقام يسيراً ثم مات ، فدفن فى موضع دير ابى هرميس غربى الأهرام . قال القضاعى ، ويقال إنها أول مقبرة دفن فيها بأرض مصر ؛ وملك بعده آبنه مصر فعمر وطالت مدّة ملكه ،

وَعَمَرَتِ الْبِلَادُ فِي أَيَّامِهِ وَكَثُرَ خَيْرُهَا، ثُمَّ مَاتَ؛ وَمَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (قَبْطِيمُ)، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الْقِبْطُ، وَيُقَالُ إِنَّهُ أَدْرَكَ بَبْلَةَ الْأَلْسُنِ الَّتِي كَانَتْ بَعْدَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ رِيحٌ خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ وَصَارَ كُلُّ مَنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةٍ غَيْرَ لُغَةِ الْآخَرِ، وَخَرَجَ مِنْهَا بِاللُّغَةِ الْقِبْطِيَّةِ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (قَفْطُ)، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ قَفْطُ بِالْصَعِيدِ الْأَعْلَى وَسَمَّاها بِاسْمِهِ، وَأَثَارُهَا بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (أَشْمُنُ)، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْأَشْمُونِيِّينَ الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَهَا بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ، وَطَالَتْ مَدَّتُهُ حَتَّى يُقَالُ أَنَّهُ بَقِيَ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ، وَقِيلَ ثَمَانِمِائَةٌ وَثَلَاثِينَ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (أَتْرِيْبُ)، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ أَتْرِيْبِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرَ بِالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (صَا)، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ صَا الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَهَا بِالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ أَيْضًا؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (قَفْطَرِيمُ) بْنُ قَفْطُ، وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْأَهْرَامِ الدَّهْشُورِيَّةِ غَيْرِ الْهَرَمِ الْأَوَّلِ الَّذِي بَنَاهُ هَرَجِيْبُ الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَهُ قَبْلَ الطُّوفَانِ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ دَنْدَرِي بِالْصَعِيدِ الْأَعْلَى، وَأَثَارُهَا بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (بُودَشِيرُ)، وَهُوَ الَّذِي أَصْلَحَ جَنْبَتِي النَّيْلِ بِهِنْدِسْتِهِ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (عَدِيمُ)؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (شَدَاتُ)، وَهُوَ الَّذِي تَمَّ الْأَهْرَامَ الدَّهْشُورِيَّةَ الَّتِي وَضَعَ أَسَاسَهَا قَفْطَرِيمُ الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَهُ . وَيُقَالُ : إِنَّ مَدِينَةَ شُطْبِ الَّتِي بِالْقَرْبِ مِنْ مَدِينَةِ أُسْيُوطَ بَنِيَتْ فِي أَيَّامِهِ، وَأَثَارُهَا بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلَعَ بِالصَّيْدِ وَأَتَّخَذَ الْجَوَارِحَ وَالْكَلَابَ السَّلُوقِيَّةَ، وَعَمَلَ الْبَيْطَرَةَ مِنْ مَلُوكِ مِصْرَ، وَمَاتَ عَنْ أَرْبَعِمِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (مَنْقَاوَشُ)، وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ حَمَلَ لَهُ الْحَمَّامَ بِمِصْرَ؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ (مَنْقَاوَشُ) وَطَالَتْ مَدَّتُهُ فِي الْمَلِكِ حَتَّى بَقِيَ فِيمَا يُقَالُ ثَمَانِمِائَةَ سَنَةٍ، وَقِيلَ ثَمَانِمِائَةٌ وَثَلَاثِينَ سَنَةً؛ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (مَنْقَاوَشُ) بْنُ أَشْمُنِ نِيْفَا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ سِتِينَ سَنَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ لَهُ الْمِيدَانُ بِمِصْرَ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى الْبِيَارِ سِتَانَ لِعِلَاجِ الْمَرْضَى، وَفِي أَيَّامِهِ بَنِيَتْ مَدِينَةُ سَنْتَرِيَّةِ

بالوآحات ؛ ثم ملك بعده أبنه (مرقوره) نيفاً وثلاثين سنة ، وفي كتب القبط أنه أول من ذلل السباع وركبها ؛ ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة ؛ ثم ملكت بعده بنت من بنات أثريب خمسا وثلاثين سنة ، وهى أول من ملك مصر من النساء ؛ ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة ، وفي أيامه بنيت مدينة دميّاط على اسم غلام له كانت أمه ساحرة له ، وفي أيامه بنيت أيضا مدينة تيّس ؛ ثم ملك بعده أبنه (فرسون) مائتين وستين سنة ؛ ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعة لم يعين اسمهم ؛ ثم ملك بعدهم (مرقونس) الكاهن ثلاثا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه (اليساد) خمسا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه ، نيفاً وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه (تدراس) ، وهو الذى حفر خليج سخا المتقدم ذكره في حُلجان مصر القديمة ؛ ثم ملك بعده أبنه (ماليق) ، ويقال إنه خالف دين آبائه في عبادة الأصنام ، ودان بدين التوحيد . ولما أحس بالموت ، صنع له نأوسا وكنز معه كنوزا عظيمة ، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبي الذى يبعث في آخر الزمان ؛ ثم ملك بعده أبنه (حريا) ، وفي بعض التواريخ حرايا خمسا وسبعين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنه (كلكن) ، وفي بعض التواريخ كلكى نحواً من مائة سنة ، وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر ، وكان قبل ذلك مكتوما ، وفي زمنه كان الثرؤد بأرض بابل من العراق ؛ ثم ملك بعده أخوه (ماليا) ، ثم ملك بعده (حربيا) بن ماليق ؛ ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا ، وفي بعض التواريخ طوليس سبعين سنة ، وفي بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا ، والقبط تزعم أن الفراعنة سبعة هو أولهم ، وهو الذى أهدى هاجر لإبراهيم عليه السلام ؛ ثم ملكت بعده أخته (حوريا) ، وهى التى بنى لها جيرون المؤتفكى صاحب الشام مدينة الإسكندرية حين خطبها على أحد الأقوال في عمارتها ليجعلها مهرا لها ، ثم آتت عليه فسمته هو وجميع عسكره

في خلع فاتوا؛ ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) ويقال دلفه بنت مأموم؛ ثم ملك بعدها (أيمين) الأتريي، وهو آخر ملوك القبط من هذه الطبقة. والذي ذكره القضاة وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر ابنه مصر، ثم قفط بن مصر، ثم أخوه أثنى، ثم أخوه أتريب، ثم أخوه صا، ثم ابنه تدراس، ثم ابنه ماليق، ثم ابنه حريا، ثم ابنه كلكن، ثم أخوه ماليا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن ماليا، ثم ابنه حوريا، وهى أول من ملكها من النساء، ثم ابنة عمها زلفى، ومنها أنزعتها العالقة الآتى ذكرهم.

الطبقة الثانية

(ملوكها من العاليق ملوك الشام)

أول من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العمليق، وقال السهيلي: الوليد بن عمرو ابن أراشة. اقتلعها من أيمين: آخر ملوك القبط المتقدم ذكره، وهو الفرعون الثانى عند القبط، وقيل هو أول من سمي بفرعون، وقام فى الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه (الريان) مائة وعشرين سنة، والقبط تسميه نهراروس، وهو الفرعون الثالث عند القبط، ونزل مدينة عين شمس، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة منيف، وفى أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه. ويقال: إنه آمن بيوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده ابنه (دارم) ويقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القبط، وفى أيامه توفى يوسف عليه السلام، وفى أيامه ظهر بمصر معدن فضة على ثلاثة أيام فى النيل؛ ثم ملك بعده ابنه (معدان) ويقال معاديوس، وهو الفرعون الخامس عند القبط، إحدى وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القبط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسكندرية بنيت فى زمنه، وأهل الأثر يسمونه كاسم، وربما قالوا كامس؛

ثم ملك بعده آبنه (لاطس) ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه (ظلمها) كان من عُمَّاله نُفِرج عليه فقتله وملك مكانه ، وهو الفرعون السابع عند القِبْط ، وهو فرعون موسى .
قال المسعودى : وهو الوليد بن مصعب الموجود فى كتب الأثر ، والوليد بن مصعب هو فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة ، يجتمع مع الوليد بن دومع فى أراشة ، وهو آخر من ملك مصر من العماقة ، وبعضهم يقول ظلمها بن قومس من ولد أشمون أحد ملوك القِبْط المتقدم ذكرهم ؛ وعلى هذا فيكون فرعون موسى من القِبْط ، وهو أحد الأقوال فيه ، وهو الذى يعول عليه القِبْط ، ويوردونه فى كتبهم ، وآخرون يجعلونه من نَحْم من الشام ، والظاهر الأول ، وهو أول من عرّف العرفاء على الناس ، وفى زمنه حفر خليج سَرْدوس المتقدم ذكره فى خُلْجان النيل ، ويقال : إنه عاش دهرا طويلا لم يمرض ولم يشك وجعا إلى أن أهلكه الله تعالى بالغرق . (١)

الطبقة الثالثة

(ملوكها من القِبْط بعد العماقة)

أول من ملكها منهم بعد فرعون دَلُوكة ، وطالت مدتها فى الملك حتى عرفت بالعجوز ، وإليها ينسب حائط العجوز المبنى بالطوب اللين المستدير على بلاد مصر فى لحف الجبلين : الشرقى والغربى ، وأثره باق بالوجه القبلى إلى الآن ، ويقال إنها التى بنت البرابى بمصر ؛ ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكاير القِبْط اسمه (دركون) بن بطلوس ، ويقال دركوس بن ملوطس ؛ ثم ملك بعده رجل اسمه (تودس) ثم ملك بعده آبنه (لقاش) نحو من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده (هرينا) بن لقاش نحو من عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه (بلطوس) ويقال بلوطس بن مياكيل أربعين سنة ؛ ثم ملك

(١) تنبيه وقع اختلاف فيما بأيدينا من الكتب فى أسماء الملوك وترتيبهم فى هذا الذى بعده فعولنا على الاصل

بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده ميا كيل .
قال المسعودى : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل ونحرب بيت المقدس ؛
ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رجعم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن
الذى غزا رجعم كان اسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة :
وهو الأصح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو
الذى غزاه بُخْتَنَصْر وصلبه ، والذى ذكره المسعودى أنه ملك بعد ميا كيل المتقدم
ذكره (هرنيوس) ؛ ثم ملك بعده أبنة (بغاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة
(قومس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده أبنة كاييل .

قال المسعودى : وهو الذى غزاه بُخْتَنَصْر وصلبه ونحرب مصر ، وبقيت مصر
أربعين سنة خرابا .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من الفُرس)

أول من ملكها فى جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بُخْتَنَصْر كان نائبا له
ومن حين استولى عليها بُخْتَنَصْر ، توالى عليها الولاة من جهته ، وهو بيابل سبعا
ونخسين سنة وشهرا كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده أبنة (أولات)
سنة واحدة ؛ ثم أولياها بعده خوه (بلطشاش) بن بُخْتَنَصْر ، ثم استقرت مصر والشام
بأيدي نواب الفُرس عن ملوكهم .

فلما مات بهراسف ، ملك بعده كيستاسف ؛ ثم ملك بعده أبنة أَرْدَشِير بهمن
أبن آسفديار بن كيستاسف ، وأنسطت يده حتى ملك الأقاليم السبعة ؛ ثم ملك
بعده أبنة (دارا) ، وفى زمنه ملك الإسكندر بن فيلبس على اليونان فقصده ، فلما قرب

منه قتله جماعة من قومه ، ولحقوا بالإسكندر ، وهو آخر من ملك مصر من الفُرس ، ولم أقف على تفصيل ثواب الفُرس بمصر إلا أنه كان منهم كسرجوس الفارسي ، وهو الذى بنى قصر الشمع بالقُسطاط على ما تقدم ذكره ، وبعده (طحارست) الطويل ، وفى أيامه كان بقراط الحكيم .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من اليونان)

أول من ملكها منهم (الإسكندر بن فيلبس) حين غلب دارا ملك الفُرس على ملكه وأستولى على ما كان بيده ، وكان مقر ملكه مقدونية من بلاد الروم القديمة ، وأنحاز له ملك العراق ، والشام ، ومصر ، وبلاد العرب . فلما مات تفرقت ممالكه بين الملوك ، فملك مصر ونواحي الغرب البطالسة من ملوك اليونان ، كان كل منهم يلقب بطليموس .

فأول من ملكها منهم (بطليموس المنطيق) عشرين سنة ، ويقال : إنه أول من لعب بالبراة وضراها ، ثم ملك بعده (بطليموس محب أخيه) أربعين سنة ، وقيل ثمانا وثلاثين سنة ، وهو الذى نقل التوراة من العبرانية إلى اليونانية ، وفى أيامه ظهرت عبادة التماثيل والأصنام ، ثم ملك بعده (بطليموس الصائغ) خمساً ، وقيل ستاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده (بطليموس محب أبيه) سبع عشرة سنة ، ثم ملك بعده (بطليموس صاحب علم الفلك) أربعاً وعشرين سنة ، وهو الذى ألّف كتاب المجسطى ، ثم ملك بعده (بطليموس محب أمه) سبعاً وعشرين سنة ، ثم ملك بعده (بطليموس الصائغ الثانى) ثم ملك بعده (بطليموس المخلص) ست عشرة سنة ، وقيل سبع عشرة ، ثم ملك بعده (بطليموس الإسكندراتي) تسع سنين ، وقيل اثنتى عشرة سنة ،

ثم ملك بعده (بَطْلِيمُوسُ اسكندروس) ثلاث سنين ، ثم ملك بعده (بَطْلِيمُوسُ مَجِبُ أخيه) الثانى ثمان سنين ، ثم ملك بعده (بَطْلِيمُوسُ دوتيسوس) ، ثم ملكت بعده ابنته قلوبطرا اثنتين وعشرين سنة ، وبزوالها انقرض ملك اليونان عن مصر وزال .

الطبقة السادسة

(ملوكها من الروم)

أول من ملكها منهم (أغسطس) . يقال بشينين معجمتين ومهملتين ولقبه قيصراً ، وهو أول من تلقب به ، ثم صار علماً على ملوك الروم .

قصده قلوبطرا المتقدم ذكرها ، فلما أحسّت بقربه منها ، عمدت إلى مجلسها فجعلت فيه الرياحين والمشموم ، وأعملت الفكر في تحصيل حية إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقتربت يدها منها حتى ألفت سمها في يدها ، وأنسابت الحية في الرياحين ، وجاء أغسطس فوضع يده في الرياحين فنهشته الحية ، فبقي يوماً ومات بعد أن ملك الروم ثلاثاً وأربعين سنة . وفي أيامه ولد المسيح عليه السلام ، ثم ملك بعده الروم ومصر طياريوس ، ويقال طبريوس ، ويقال طبريس اثنتين وعشرين سنة . قال المسعودى : وفي زمنه رفع المسيح عليه السلام .

قال : ولما مات أغسطس ، اختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا في الملك مائتين وثمانيا وتسعين سنة ، لانظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ، ثم ملكهم غانيوس . قال صاحب حماة : وكان رفع المسيح في زمنه ، وهو مخالف لما تقدم من كلام المسعودى ، ثم ملك بعده قلدريوس أربع عشرة سنة ، ثم ملك بعده نارون ثلاث عشرة سنة ، وهو الذى قتل بطرس وبولص الحواريين برومية وصلبهما ، ثم ملك بعده

(١) في المسعودى فلوريوس . وبالجملة فبين ما بأيدينا من الكتب اختلاف في هذه الأسماء فعولنا على المخطوط والله أعلم .

ساسانوس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده طيطوس سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده
دوميطيوش ، ويقال اديطانش خمس عشرة سنة ، وكان على عبادة الأصنام فتبع
اليهود والنصارى وقتلهم ؛ ثم ملك بعده ادريانوس ستا وثلاثين سنة فأصابته علة
الجذام فسار إلى مصر يطلب طباً لذلك فلم يظفر به ومات بعلة ؛ ثم ملك بعده
ايطيئوس ، ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين سنة ، وهو الذى بنى بيت المقدس
بعد تخريبه الثانية وسماه إيليا ، ومعناه بيت الرب ، وهو أول من سماه بذلك ؛ ثم ملك
بعده مرقوس ، ويقال قومودوس سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده قومودوس ثلاث
عشرة سنة ، وكان دين النصارى قد ظهر فى أيامه ، وفى زمنه كان جالينوس الحكيم ؛
ثم ملك بعده قوطنجوس ستة أشهر ؛ ثم ملك بعده سيوارس ثمانى عشرة سنة ؛
ثم ملك بعده ايطيئوس الثانى أربع سنين ؛ ثم ملك بعده اسكندروس ثلاث عشرة
سنة ؛ ثم ملك بعده بكسمينوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده خورديانوس ست
سنين ؛ ثم ملك بعده دقيانوس ، وقيل دقيوس سنة واحدة ، فقتل النصارى وأعاد
عبادة الأصنام ، ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف ، وكان من أمرهم ما قص الله
تعالى فى كتابه العزيز ؛ ثم ملك بعده ثاليوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده علينوس
وولديانوس أشتركا فى الملك ، وقيل إن ولديانوس أنفرد بالملك بعد ذلك ، وأقام فيه
نحس عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده فلوديوس سنة واحدة ؛ ثم ملك بعده اردياس ،
ويقال اردليانوس ست سنين ؛ ثم ملك بعده قروقوس سبع سنين ؛ ثم ملك بعده
ياروس وشركته سنتين ؛ ثم ملك بعده دقلطيانوس إحدى وعشرين سنة ، وهو آخر
عبدة الأصنام من ملوك الروم ، وبمهلكه تؤرخ النصارى إلى اليوم ، وعطى عليه
أهل مصر ، فسار إليهم من رومية ، وقتل منهم خلقا عظيما ، وهم الذين يعبر عنهم
النصارى الآن بالشهداء .

ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رومية إلى قُسْطَنْطِينِيَّةَ
وَبْنَى سورها وأستقرّت دار ملكهم ، وأظهر دين النصرانية وحل الناس عليه ؛
ثم ملك بعده أبْنُه قُسْطَنْطِينُ فشيّد دينَ النصرانية وبنى الكُأْسَ الكثيرة ؛ ثم ملك
بعده إليانوس ، ويقال إليانس سنة واحدة ، وهو أبْنُ أنْخى قُسْطَنْطِينِ المتقدم ذكره ،
فرفض دينَ النصرانية ورجع إلى عبادة الأصنام ، وبموته خرج المُلكُ عن
بْنى قُسْطَنْطِينِ ؛ ثم ملك بعده بِطْرِيْق من بطارقة الروم اسمه بوثيانوس ، ويقال
سيوتيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية ، ومنع عبادة الأصنام ؛ ثم ملك بعده
قالنطيانوس أربع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك
بعده باردوسيوس الكبير تسعا وأربعين سنة ؛ ثم ملك بعده ادقادْيوس بَقُسْطَنْطِينِيَّةَ
وشريكه أويوريوس بَرُومِيَّةَ ثلاث عشرة سنة ؛ ثم ملك بعدهما مرقيانوس سبع
سنين ، وهو الذى بنى دير مارون بِمَحْصَ ؛ ثم ملك بعده وأليطيس سنة واحدة ؛
ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده زيتون ثمان عشرة سنة ؛
ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة ، وهو الذى عمّر أسوار مدينة حمّاة ؛
ثم ملك بعده بوسيطيتنوس تسع سنين ؛ ثم ملك بعده بوسيطيتنوس الثانى ثمانيا
وثلاثين سنة ؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده طبريوس الثانى
أربع سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثانى ،
ويقال مرقوس أثنتى عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده قوقاس ثمان سنين ؛ ثم ملك
بعده هرقل وأسمه بالرومية أوقليس ، وهو الذى كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ،
يدعوه إلى الإسلام ، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه .

قال المسعودى : وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق ^(١) (ثم ملك الروم بعده) قَيْصَرُ بْنُ قَيْصَرَ ،

(١) وإليه تنسب الدناير القوقية (قاموس مادة ق وق) .

وذلك في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وهو الذى حارب به أمراء الإسلام بالشام وأقتلوا الشام منه .

والذى ذكره في " التعريف " في مكتبة الازفونش صاحب طليطلة من ملوك الفرنج بالاندلس أن هرقل الذى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه وكتب إليه لم يكن الملك نفسه ، وإنما كان متسلم الشام لقيصر ، وقيصراً بالقسطنطينية لم يرم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كتب لهرقل لأنه كان مجاوراً لجزيرة العرب من الشام . وعظيم بصرى كان عاملاً له ، ويظهر أن قيصر الأخير الذى ذكره هو الذى كان المقوقس عاملاً له على مصر . ويقال : إن المقوقس تقبل مصر من هرقل بتسعة عشر ألف ألف دينار .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ الْحَالُ يَقْتَضِي أَنْ نَذْكُرَ ثَوَابَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ وَالْيُونَانِ وَالْقُرْسِ عَلَى مِصْرَ ، وَلَكِنْ أَصْحَابُ التَّوَارِيخِ لَمْ تَعْتَنِ بِأَمْرِ ذَلِكَ ، فَتَعَذَّرَ الْعِلْمُ بِهِ . وَإِذَا ذَكَرَ الْأَصْلَ ، اسْتَغْنَى بِهِ عَنِ الْفُرْعِ .

وذكر القضاعى : أنه بعد عمارة مصر من نحراب بُحْتَنَصَرُ ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين إلى أن صالحوهم على شيء فى كل عام ، على أن يكونوا فى ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس ، ثم ظهرت فارس على الروم وغلبوهم على الشام وألحوا على مصر بالقتال ، ثم استتقر الحال على نحراب مصر أن يكون بين فارس والروم فى كل عام ، وأقاموا على ذلك تسع سنين ، ثم غلبت الروم فارس وأخرجوهم من الشام وصاروا ماصولحت عليه أهل مصر كله خالصاً للروم ، وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

المرتبة الثالثة

(من وليها في الإسلام : من بداية الأمر إلى زماننا، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(فيمن وليها نيابةً، وهو الصدر الأول، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عمّال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

قد تقدّم أنها لم تزل بيد الروم والمُقَوِّس عامل عليها إلى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلى أن فتحها عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير في سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قبل عمر، وهو أول من وليها في الإسلام، وبقى عليها إلى سنة خمس وعشرين ، وبنى الجامع العتيق بالقسطنطينية ثم وليها عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه (أبو يحيى العامري) فمكث فيها إحدى عشرة سنة، وتوفي سنة ست وثلاثين ؛ ثم وليها عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (قيس بن سعد) الخزرجي في أول سنة سبع وثلاثين ؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحارث النخعي) المعروف بالأشتر في وسط سنة سبع وثلاثين ، وكتب له عنه عهدا يأتي ذكره في الكلام على اليهود إن شاء الله تعالى، فُسِّمَ ومات قبل دخوله إلى مصر؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبي بكر الصديق) رضى الله عنه في آخر سنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة ؛ ثم وليها عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه (عمرو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفي بها سنة ثلاث وأربعين ؛ ثم وليها عنه (عقبة بن عامر الجهني) في سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكسراً؛ ثم وليها عنه (مسلمة بن مخلد) الخزرجي سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمس عشرة سنة .

الطبقة الثانية

(عُمَّال خلفاء بنى أُمَيَّةَ بالشَّام)

لما أفضت الخلافة بعد معاوية إلى ابنه يزيد، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدى) في سنة اثنتين وستين، فمكث فيها سنتين وكسراً؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهري) في سنة أربع وستين، وأقره على الولاية بعد يزيد ابنه معاوية، ثم مروان ابن الحكم، فمكث فيها اثنتين وعشرين سنة؛ ثم وليها عن عبد الملك بن مروان (عبد الله بن عبد الملك بن مروان) في أول سنة ست وثمانين، فمكث فيها خمس سنين؛ ثم وليها عنه (قُرَّة بن شريك) في سنة تسعين، وأقره عليها الوليد بن عبد الملك بعده، فمكث فيها سبع سنين؛ ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبد الملك بن رفاعه) في سنة سبع وتسعين، فمكث فيها ثلاث سنين وكسراً؛ ثم وليها عن عمر بن عبد العزيز (أيوب بن شرحبيل الأصبغي) آخر سنة تسع وتسعين، فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فوليها عنه (صفوان الكلبي) سنة إحدى ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر أيضاً؛ ثم وليها عن هشام بن عبد الملك (محمد بن عبد الملك) أخو هشام في سنة خمس ومائة، فمكث فيها أشهراً؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن يوسف الثقفي) في ذي الحجة سنة خمس ومائة، فمكث فيها أربع سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) في سنة تسع ومائة وعزل فيها؛ ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد الملك في سنة تسع المذكورة، فمكث فيها عشر سنين وكسراً، وتوفي سنة تسع عشرة ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهري) ثانياً في آخر سنة تسع عشرة ومائة، فأقام بها سبعة أشهر؛ ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الذي في المقرئى بشر بن صفوان الكلبي.

(٢) أى ابن رفاعه ثانياً كما في المقرئى.

ثانياً^(١) في سنة عشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل؛ ثم وليها عن مروان بن محمد الجعدي^(٢)؛ فوليا عنه (عتابة التجيبي) سنة سبع وعشرين ومائة، فمكث فيها خمس سنين أو دونها؛ ثم وليها عنه (خفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (الفزاري) سنة إحدى وثلاثين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مروان) مولى لحكم سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو آخر من وليها عن بني أمية.

الطبقة الثالثة

(عُثمّال خلفاء بني العباس بالعراق)

أول من وليها في الدولة العباسية عن أبي العباس السفّاح : أول خلفائهم، (صالح بن علي) بن عبدالله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها أشهراً قلائل؛ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولى بني أسد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (صالح بن علي) ثانياً في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. ثم وليها عن أبي جعفر المنصور (عبد الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (القيس التميمي) سنة إحدى وأربعين ومائة، فمكث فيها سنتين؛ ثم وليها عنه (حميد الطائي) سنة ثلاث وأربعين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (يزيد المهلبي) سنة أربع وأربعين ومائة، فمكث فيها تسع سنين؛ ثم وليها عنه (عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة اثنتين وخمسين ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين

(١) لم يذكر أن حفظة كان أميراً على مصر فيما سبق [ولكن في المقرئى أن بشر بن صفوان استخلف أخاه حفظة على مصر حينما ولاه يزيد على أفريقية في سنة اثنتين ومائة فتكون ولايته هذه المرة ثانية].

(٢) صوابه: ثم وليها عنه [أى عن مروان] حسان بن عتاهية التجيبي كما ذكره المقرئى والمقام فيه أوضح.

ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عليّ اللخميّ) في سنة خمس وخمسين ومائة ، فمكث فيها سنتين وستة أشهر .

ثم وليها عن المهديّ (عيسى اللخميّ) سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة ؛ ثم وليها عنه (أصبح) مولى المنصور في سنة اثنتين وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (زيد بن منصور) الحميريّ في وسط سنة اثنتين وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (يحيى أبو صالح) في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التيميّ) سنة أربع وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (إبراهيم العباسيّ) في سنة خمس وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (معين الدين ختم) في سنة ست وستين ومائة .

ثم وليها عن الهادي (أسامة بن عمرو العامريّ) في سنة ثمان وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسيّ) في سنة تسع وستين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عليّ بن سليمان العباسيّ) آخر السنة المذكورة .

ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسيّ) في سنة اثنتين وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزديّ سنة ثلاث وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه داود بن يزيد المهلبيّ سنة أربع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسيّ) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها ؛ ثم وليها عنه (عبدالله بن المسيب الضبيّ) في أول سنة سبع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (هرثمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبد الملك العباسيّ) في سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهديّ العباسيّ) في سنة تسع وسبعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التنوخيّ في آخر سنة ثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهديّ) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) في آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (سمية بن عيسى) (٣) ابن إسماعيل) سنة اثنتين وثمانين ومائة ؛ ثم وليها عنه (الليث البيورديّ) في آخر السنة

(١) في المقرئيّ الجمعيّ . (٢) في المقرئيّ واضح . (٣) في المقرئيّ "إسماعيل"

المذكورة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) في آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسي) المعروف بابن زئب في سنة تسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (مالك بن دهم الكلابي) سنة اثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسين بن الحجاج) سنة ثلاث وتسعين ومائة.

ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هرثمة بن أعين) سنة خمس وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عباد أبونصر) مولى كندة سنة ست وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطلب بن عبد الله الخزاعي) سنة ثمان وتسعين ومائة.

ثم وليها عن المأمون (العباس بن موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (المطلب بن عبد الله) ثانيا في سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (السري بن الحكم) في سنة مائتين؛ ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) في سنة إحدى ومائتين؛ ثم وليها عنه (أبونصر محمد بن السري) في سنة خمس ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبيد الله) في سنة ست ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن طاهر) مولى خراة في سنة عشر ومائتين (وهو أول من جلب البطيخ الخراساني المعروف بالعبدلى من خراسان إلى مصر فنسب إليه)؛ ثم وليها عنه (عيسى الجلودى) في سنة ثلاث عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عمرو بن الوليد التيمي) في سنة أربع عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى الجلودى) ثانيا في آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عبدويه بن جبلة) في سنة خمس عشرة ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى بن منصور) مولى بنى نصر في سنة ست عشرة ومائتين.

(وفي هذه السنة دخل المأمون مصر وفتح الهرم).

ثم وليها عن المعتصم بالله ^(١) المسعودى في أول سنة تسع عشرة ومائتين؛

(١) بياض في الأصل، والذي في المسعودى أن خلافة المعتصم كانت في سنة تسع عشرة ومائتين، وفي المقرئ أنه ولي على مصر في هذا التاريخ (كيدر) ومات كيدر في ربيع الآخر من السنة المذكورة، فولى آية (المظفر) باستخلاف أبيه.

ثم وليها عنه (المظفر بن كيدر) في وسط السنة المذكورة أشهراً قلائل ؛ ثم وليها عنه (أبو العباس الحمقى) في آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (مبارك بن كيدر) في سنة أربع وعشرين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (علي بن يحيى) في سنة ست وعشرين ومائتين .

ثم وليها عن الواثق بالله (عيسى بن منصور الجلودى) ثالث مرة في سنة تسع وعشرين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (علي بن يحيى) ثانياً في سنة أربع وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (إسحاق الجلبى) في سنة خمس وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (نخاعة) في سنة ست وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (عقبة الضبي) في سنة ثمان وثلاثين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) في سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وأقره عليها بعده المنتصر بالله ، ثم المستعين بالله .

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزاحم بن خاقان) في سنة ثلاث وخمسين ومائتين ؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزاحم) في سنة أربع وخمسين ومائتين وأقره عليها المهتدي بالله .

الضرب الثاني

(من وليها مُلكاً ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من وليها عن بنى العباس قبل دولة الفاطميين)

وأولهم (أحمد بن طولون) وليها عن المعتمد في سنة ست وستين ومائتين وعمر بها جامعته المتقدم ذكره في خطط الفسطاط ، وفي أيامه عظمّت نيابة مصر وشمخت إلى المُلْك (وهو أول من جلب الممالك الترك إلى الديار المصرية وأستخدمهم في عسكرها) .

(١) مقتضاه أن المذكور ولي عن الواثق في هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت في سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، فالذكر كان عن المتوكل فاعل الصواب ثم وليها عن المتوكل فتأمل .

وأقره المعتضد بالله بعد المعتمد، وبقى بها حتى مات فوليا عن المعتضد (نُحَارَوِيَه بن أحمد بن طولون) في أول سنة آئنتين وثمانين ومائتين، وقتله جُنْدُه في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَاش بن نُحَارَوِيَه) في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله جُنْدُه في السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هرون بن نحارويه) في آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل في سنة آئنتين وتسعين .

ثم وليها عن المكتفى بالله (شَيْبَانُ بن أحمد بن طولون) في سنة آئنتين وتسعين ومائتين فبقي آخى عشر يوما وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (محمد بن سليمان الوائقي) في آخر سنة آئنتين وتسعين ومائتين؛ ثم وليها عنه أو عن المقتدر بالله (عيسى النوشري) في سنة خمس وتسعين ومائتين .

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تكين) في سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) في سنة ثلاث وثلثمائة وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعُزِلَ؛ ثم وليها عنه (هلال) سنة تسع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كيغَلغ) في سنة إحدى عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثالث مرة في السنة المذكورة .

ثم وليها عن القاهرة بالله (محمد بن طنج) في سنة إحدى وعشرين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن كيغَلغ) ثانيا في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفى المستكفى بالله بعده .

ثم وليها عن المطيع لله (أبو القاسم الأخشيد) في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (علي بن الأخشيد) سنة تسع وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (كافور الأخشيدى) الخادم في سنة خمس وخمسين وثلثمائة، وكان يحب العلماء والفقهاء، ويكرمهم، ويتعاهدهم بالثقات، ويكثر الصدقات حتى استغنى الناس في أيامه، ولم يجد أرباب

الأموال من يقبل منهم الزكاة فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبتئوا بها المساجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا ؛ ثم وليها عنه (أحمد بن عليّ الأخشيدي) في سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، وهو آخر من وليها من العمال عن خلفاء بني العباس بالعراق .

الطبقة الثانية

(من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعبيديين)

أول من وليها منهم (المعز لدين الله أبو تميم معاذ بن تميم بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي) وإليه ينسبون ، جهز إليها قائده : جوهرا من بلاد المغرب إلى الديار المصرية ففتحتها في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة على ما تقدم في الكلام على قواعد الديار المصرية وأنقطعت الخطبة العباسية منها ؛ ورحل المعز من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصره بالقاهرة في سابع رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة وصارت مصر والمغرب مملكة واحدة وبلاد المغرب نيابة من مصر ، وتوفي ثالث ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة .

ثم ولي بعده أبنه (العزيز بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه ، وإليه ينسب الجامع العزيزي بمدينة بليس ، وتوفي بالحمّام في بليس ثامن رمضان المعظم قدره سنة ست وثمانين وثلثمائة .

ثم ولي بعده أبنه (الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور) ليلة وفاة أبيه ، وبني الجامع الحاكمي في سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وهو يومئذ خارج سور القاهرة ، وفارق مصر ونحرج إلى الجبل المقطم فوجدت ثيابه مزررة الأطواق وفيها آتار السكاكين ولا جثة فيها ، وذلك في سابع شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يشك في قتله . والدرزية من المبتدعة يعتقدون أنه حي وأنه سيرجع ويعود على ما سيأتي في الكلام على أيمانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .

ثم ولى بعده آبنه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على) وبقي حتى توفى
في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولى بعده آبنه (المستنصر بالله أبو تميم معد) بعد وفاة أبيه . وفي أيامه جدد سور
القاهرة الكبير في سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفى في ذى الحجة سنة سبع وثمانين
وأربعمائة . وفي أيامه كان الغلاء الذي لم يعهد مثله ، مكث سبع سنين حتى خربت
مصر ، ولم يبق بها إلا صُبابَة من الناس على ما تقدم في سياقة الكلام على زيادة النيل .
ثم ولى بعده آبنه (المستعلى بالله) أبو القاسم أحمد يوم وفاة أبيه . وتوفى لسبع عشرة
ليلة خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده (الأمير بأحكام الله أبو على المنصور) في يوم وفاة المستعلى ، وقتل بجزيرة
مصر في الثالث من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولى بعده آبن عمه (الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد الحميد بن الأمر أبي القاسم
محمد) يوم وفاة الأمر . وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (الظافر بأمر الله إسماعيل) رابع جمادى الآخرة سنة أربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده آبنه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) صبيحة وفاة أبيه . وتوفى
في سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (آبنه العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف) يوم وفاة الفائز .
وتوفى يوم عاشوراء سنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطان صلاح الدين
خطبته بالديار المصرية وخطب للخلفاء العباسيين ببغداد قبل موته ، وهو آخر من
ولى منهم .

الطبقة الثالثة

(ملوك بني أيوب)

وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بني العباس فهم ملوكٌ مستقلون، وفي دولتهم زاد ارتفاع قدر مصر وملوكها .

أول من ملك مصر منهم الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام رحمه الله قد جهّزه صحبة عمه : أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين استغاث به أهل مصر في زمن العاضد الفاطمي المتقدم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاث مرّات انتهت الحال في آخرها إلى أن السلطان صلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور فقتله وتقلد عمه أسد الدين شيركوه الوزارة مكانه عن العاضد، وكتب له بذلك عهد من إنشاء القاضي الفاضل، فأقام فيها مدّة قريبة ومات، ففوّض العاضد الوزارة مكانه للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهد من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وبقي في الوزارة حتى ضعف العاضد وطال ضعفه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبة للعاضد، وخطب للخليفة العباسي ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب فاستقل السلطان صلاح الدين بالسلطنة بمصر وقوى جأشه، وثبتت في الدولة قدمه . وتوفي بدمشق في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ؛ وكانت مدّة ملكه بالديار المصرية أربعاً وعشرين سنة وملكه الشام تسع عشرة سنة ؛ ثم ملك بعده مصر أبنته (الملك العزيز) وملك معها دمشق وسلمها إلى عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وتفرقت بقية الممالك الشامية بيد بني عمه من بني أيوب .

ملك مصر والشام جميعا في ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ؛ وتوفي

بدمشق سنة خمس عشرة وستائة .

ثم ملك بعده أبْنُه (الملك الكامل) عقيبَ وفاة أبيه المذكور، وهو أول من سكن قلعة الجبل بعد قصر الفاطميين بالقاهرة على ما تقدم ذكره في الكلام على القلعة، واستمر في ذلك عشرين سنة، وفتح حرّان وديار بكر، وكان الفرنج قد استعادوا بعض ما فتحه السلطان صلاح الدين من ساحل الشام، وكتب الهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ست وعشرين وستمائة على أن يكون بأيدي الفرنج القلاع والنواحي التي ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين، وهي جبلة، وبيروت، وصيدا، وقلعة الشقيف، وقلعة تينين، وقلعة هونين، وإسكندرونة، وقلعة صفد، وقلعة الطور والجبون، وقلعة كوكب، ومجدل يافا ولُدّ،^(١) والرملة، وعسقلان، وبيت جبريل، والقدس وأعمال ذلك ومضافاته. وبني مدرسته الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث، وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أبْنُه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل في أوائل سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

ثم ملك بعده أبْنُه الملك المعظم (توران شاه) وهو الذي كسر الفرنج على المنصورة في المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة، وقتل في الثامن والعشرين من المحرم المذكور. ثم ملك بعده أم خليل (شجرة الدر) في صفر سنة ثمان وأربعين وستمائة، فأقامت ثمانية أشهر، ولم يملك مصر في الإسلام امرأة غيرها.

ثم ملك بعدها الملك الأشرف (موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل ابن العادل أبي بكر بن أيوب) في شوال سنة ثمان وأربعين وستمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية.

(١) سيأتي له في الجزء الرابع هكذا "مجدل يافا"

الطبقة الرابعة

(ملوك التُّرك خَلَدَ اللهُ تعالى دولتهم)

أول من ملكها منهم (الملك المِعْزُ أَيْبُك التُّركماني) بعد خلع الأشرَف موسى : آخر ملوك الأيوبية في شَوال سنة ثمان وأربعين وستمائة؛ وُجِّعَ له بين مصر والشام، وأستمرَّ الجمع بينهما إلى الآن، وبنى المدرسة المِعْزِيَّة برحبة الخُزُوب بالفُسْطَاط، وتزوج بأم خايل المقدم ذكرها، وقتل بجَمَام القلعة في سنة أربع وخمسين وستمائة . ثم ملك بعده أبْنُه (الملك المنصور على) عقيب وفاة والده المذكور. وقُتِلَتْ أم خليل المذكورة، ورميت من سُور القلعة، وقُبِضَ على المظفر سنة سبع وخمسين وستمائة . ثم ملك بعده الملك (المظفر قُطُز) وكان المَصَافُ بينه وبين التتار على عَيْن جالوت بعد أن استولوا على جميع الشام في رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكسروهم أشد كسرة واستقلع الشام منهم، وبقي حتى قتل في مُنْصَرَفه بطريق الشام وهو عائد منه بالقرب من قصير الصالحية على أثر ذلك في السنة المذكورة .

ثم ملك بعده الملك (الظاهر بيبرس) البندقداري في ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وأخذ في جهاد الفرنج واستعادة ما أرتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البيرة في سنة تسع وخمسين وستمائة والكَرْك في سنة إحدى وستين، وخص في آخر سنة اثنتين وستين وستمائة، وقيسارية وأرسُوف في سنة ثلاث وستين، وصَفَد في سنة أربع وستين، وإفا والشَّيْف، وأنطاكية في سنة ست وستين، وحِصْن الأكراد وعكَّا وصافيتا في سنة تسع وستين، وكَسَرَ التَّارَ على البيرة بعد أن عدى الفُرات خوضا بعساكره في سنة إحدى وسبعين، وفتح قلاعاً من بلاد سِيس في سنة ثلاث وسبعين، ودخل بلاد الروم، وجلس على

(١) لعل مراده الأشرَف مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المعز في السلطنة . وأنظر المقام في خطط

كرسى بنى سَلْجُوقَ بَقِيَسَارِيَّةَ الروم، ورجع إلى دمشق في آخر سنة خمس وسبعين .
وتُوفِّيَ بدمشق في المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وبنى مدرسته الظاهرية
بين القصرين .

وملك بعده أبْنُهُ (الملك السعيد بَرَكَةُ) في صفر سنة ست وسبعين وستمائة ،
وخلع وسُيِّرَ إلى الكرك .

وملك بعده أخوه (الملك العادل سلامش) في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين
وستمائة ، وبقي أربعة أشهر ثم خلع .

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحى) الشهير بالألئىّ في رجب سنة ثمان
وسبعين وستمائة ، وسمى الألئىّ لأنْ أَقْسُنُقَرَ الكامل كان قد اشتراه بألف دينار، وفتح
حصن المَرْقَبَ بالشَّامَ في تاسع عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وستمائة ؛ وفتح
طَرَابُلُسَ في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وهو الذى بنى البيمارستان
المنصورى والمدرسة المنصورية والقبّة اللتين داخل البيمارستان بين القَصْرَيْنِ . وتُوفِّيَ
بظاهر القاهرة المحروسة ، وهو قاصد الغزو فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة
ودفن بترتبه بالقبة المنصورية داخل البيمارستان المتقدم ذكره .

وملك بعده أبْنُهُ (الملك الأشرف خليل) صبيحة وفاة أبيه وأخذ فى الغزو ففتح عكا
وصُورًا ، وصَيْدَا ، وَيَرُوتَ ، وَعَنْثَلِيثَ ، والساحل جميعه ؛ وأقتلعه من الفرنج فى رجب
سنة تسعين وستمائة . وقتل فى متصيده بالبحيرة فى العشر الأوسط من المحرم سنة ثلاث
وتسعين وستمائة ، وهو الذى عمّر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى .

ثم ملك بعده (الملك المعظم بيدر) وخلع من يومه .

وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) فى صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ،
وهى سلطنته الأولى . وخلع بعد ذلك وبعث به إلى الكرك فحُيِّسَ بها .

وملك بعده (الملك العادل كتبغا) عقب خلعه، ووقع في أيامه غلاء شديد وفناء عظيم؛ ثم خلع في صفر سنة ست وتسعين وستمائة، وتولى بعد ذلك نيابة صرخد ثم حماة، وبقي حتى توفي بعد ذلك؛ وهو الذي ابتدأ عمارة المدرسة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصر محمد بن قلاوون فنسبت إليه .

وملك بعده (الملك المنصور حسام الدين لاجين) في الخامس والعشرين من صفر المذكور^(١) بحدّد الجامع الطولوني وعمل الروك الحسامي في رجب الفرد سنة سبع وتسعين وستمائة، وقتل في الحادي عشر من شوال^(٢) من السنة المذكورة، وبقي الأمر شورى مدة يسيرة، ثم حضر الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة في حادي عشر شوال من السنة المذكورة .

وملك بعده (الملك المظفر بيبرس الجاشنكير) في الثالث والعشرين من شوال المذكور وخلع في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وسبعائة، وهو الذي عمر الخانقاه الركنية بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجدّد الجامع الحامى .

وملك بعده (الملك الناصر محمد بن قلاوون) في مستهل شوال من السنة المذكورة، وهى سلطته الثالثة . وفيها طالت مدته وقوى ملكه، وعمل الروك الناصري في سنة ست عشرة وسبعائة، وبني مدرسته الناصرية بين القصرين، وبقي حتى توفي في العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة، ودفن بتربة والده . ثم ملك بعده أبنة الملك المنصور أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعائة .

(١) أى سنة ست وتسعين وستمائة .

(٢) في المقرئى "من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة" وإن تولية ابن قلاوون المرة الثانية في السادس من جمادى الأولى من السنة المذكورة وبقي إلى الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وسبعائة ثم ولي المظفر في التاريخ المذكور . [وبملاحظة ذلك يستقيم الكلام ويعلم ما فى الأصل] .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الأشرف بك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه المنصور المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .
ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر أحمد) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أُحضِر من الكرك، وأستمر في السلطنة حتى خلع نفسه في أوائل المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل) بن الناصر محمد بن قلاوون في العشرين من المحرم المذكور، وبقي حتى توفي في ربيع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعائة .
وملك بعده أخوه ^(١) (الملك المظفر حاجي) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الكامل شعبان ، وبقي حتى خلع في ثاني عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) بن الناصر محمد بن قلاوون في ربيع عشر شهر رمضان المذكور، وخلع في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالح صالح) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع أخيه الناصر حسن ، وبقي حتى خلع في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعائة .
ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح ، وبقي حتى خلع وقُتل في عاشر جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعائة ؛ وبني مدرسته المعظمة تحت القلعة التي ليس لها نظير في الدنيا ، وفي أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ماسياتي ذكره ، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصلبه .

(١) سقط من قلم النسخ الكامل شعبان فانه تولى بعد أخيه الصالح إسماعيل ومكث سنة واحدة وثمانية وخمسين يوما ثم خلع كما تشير اليه بقية العبارة .

وملك بعده ابن أخيه (الملك المنصور محمد) بن المظفر حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع عمه الناصر حسن، وبقى حتى خلع في خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعائة .

وملك بعده ابن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خلع المنصور المتقدم ذكره وهو طفل، وبقى حتى كمل سلطانه وبني مدرسته بأعلى الصوة تحت القلعة ولم يتمها، وجج نخرج عليه مماليكه في عقبه أيلة فقر منهم وعاد إلى القاهرة فقيض عليه وقتل في ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين وسبعائة، وفي أيامه فتحت مدينة سيس وأقتلعت من الأرمن على ما سيأتي ذكره في الكلام على أعمال حلب .

وملك بعده ابنه (الملك المنصور على) يوم خلع أبيه وهو طفل، فبقى حتى توفي في الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجي) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه، وبقى حتى خلع في العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمانين وسبعائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظم أمره، وأرتفع صيته، وشاع ذكره في الممالك وهابته الملوك وهادته، وساس الملك أحسن سياسة، وبقى حتى خلع وبعث به إلى السجن بالكرك في شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجي) بن شعبان، وهو الملقب أولاً بالصالح حاجي وهي ساططته الثانية، وبقى حتى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدم ذكره في سنة (١) [أثنتين] وتسعين وسبعائة، فزاد في التيه وضخامة الملك، وبلغ شأوا لم يبلغه غيره من غالب متقدمي الملوك، وبقى حتى توفي في منتصف شوال المبارك سنة إحدى وثمانمائة .

وملك بعده أبنه (الناصر فرج) وسنه إحدى عشرة سنة بعهد من أبيه، وقام بتدبير أمره أمراء دولته، فبقى حتى تغير عليه بعض مماليكه وبعض أمرائه، وحضر الممالك بالقلعة، فزل منها محتفيا على حين غفلة في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لابتداء أمره أين توجه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) في التاريخ المذكور .

ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجا كان محتفيا في بعض أماكن القاهرة، فركب في ليلة السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه، وخرج الأمراء للقيام بنصرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرج، ومن معه فولوا هارين، وطلع السلطان الملك الناصر القلعة في صبيحة النهار المذكور وأستقر على عادته، وبقي في السلطنة حتى توجه إلى الشام لقتال الأمير شيخ والأمير نوروز نائجي دمشق وحلب، ومعه الإمام (المستعين بالله أبو الفضل العباس) بن المتوكل محمد خليفة العصر، ودخل دمشق وحصر بقلعتها حتى قبض عليه في ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمانمائة، وأستبد الإمام المستعين بالله بالأمر من غير سلطان، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العلامة على المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمناشير وغيرها، وأفرد اسمه في السكة على الدينار والدراهم، وأفرد بالدعاء في الخطبة على المنابر، ثم عاد إلى الديار المصرية في أوائل ربيع الآخر من السنة المذكورة، وسكن الأدر السلطانية بالقلعة، وقام بتدبير دولته الأمير شيخ المقدم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوض إليه الإمام المستعين بالله ما وراء سرير الخلافة، وكتب له تفويض بذلك في قطع كبير، عرضة ذراع ونصف بزيادة نصف ذراع عما يكتب به للسلطين . إلا أنه لم يصرح له فيه بسلطنة ولا إمارة، بل كتب له بدل الأميرى الأمرى بإسقاط الياء على ما سياتى ذكره في الكلام على عهود الملوك إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

من الباب الثالث من المقالة الثانية
(في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في ذكر معاملاتها، وفيه ثلاثة أركان)

الركن الأول

(الأثمان، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(الدنانير المسكوكة مما يضرب بالديار المصرية، أو يأتي إليها من المسكوك
في غيرها من الممالك، وهي ضربان)

الضرب الأول

(ما يتعامل به وزنا كالذهب المصري وما في معناه)

والعبرة في وزنها بالمثاقيل، وضابطها أن كل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم من
الدراهم الآتي ذكرها، والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدر ثنتين وسبعين
حبة شعير من الشعير الواسط باتفاق العلماء، خلافا لابن خزم فإنه قدره بأربع وثمانين
حبة، على أن المثقال لم يتغير وزنه في جاهلية ولا إسلام.

قلت : وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام في الدولة الأشرفية شعبان بن
حسين بعد السبعين والسبعائة ضرب بالإسكندرية، وهو نائب السلطنة بها يومئذ،
دنانير زنة كل دينار منها مثقال، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه
الآخر "ضرب بالإسكندرية في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نصره"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر؛ ثم ضرب الأمير يلبغا السالمى أستاذار العالية فى الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانير زنة كل واحد منها مثقال، فى وسط سكتة دائرة فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف أو مثقالان، وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال. إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها، وكأنهم جعلوا نقصها فى نظير كلفة ضربها.

الضرب الثانى

(ما يتعامل به معادة)

وهى دنانير يؤتى بها من بلاد الإفرنجية والروم، معلومة الأوزان، كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطا ونصف قيراط من المصرى، وأعتبره بصنج الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتي خروب يرجح قليلا، وهذه الدنانير مخصصة على أحد وجهيها صورة الملك الذى تُضرب فى زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رومية، ويعبر عنها بالإفرنجية جمع إفرنجي، وأصله إفرنجى بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلى إفرنجية: مدينة من مدنها، وربما قيل فيها إفرنجية، وإليها تنسب طائفة الفرنج، وهى مقرّة الفرنسيين ملكهم، ويعبر عنه أيضا بالدوكات. وهذا الاسم فى الحقيقة لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البندقية من الفرنجة، وذلك أن الملك آسمه عندهم دوك، وكأن الألف والتاء فى الآخر قائمان مقام ياء النسب.

قلت: ثم ضرب الناصر فرج بن برقوق دنانير على زنة الدنانير الإفرنجية المتقدمة الذكر؛ فى أحد الوجهين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفى الآخر آسم السلطان، وفى وسطه سقطة مستطيلة بين خطين، وعرفت بالناصرية وكثر وجودها،

وصار بها أكثر المعاملات . إلا أنهم يَتَقَصُّونها في الأثمان عن الدنانير الإفريقية عشرة دراهم .

ثم صَرَبَ على نظيرها "الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس" ^(١) حين أَسْتَبَدَّ بالأمر بعد الناصر فرج، ولم يتغير فيها غير السَّكَّةِ، باعتبار آنتقالها من اسم السلطان إلى اسم أمير المؤمنين .

ثم صَرَفُ الذهب بالدينار المصرية لا يثبت على حالة بل يعلو تارة ويهبط أخرى بحسب ما تقتضيه الحال، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصري فيما أدرَكَناه في التسعين والسبعائة وما حولها عشرون درهما، والإفريقي سبعة عشر درهما وماقارب ذلك أما الآن فقد زاد وخرج عن الحد خصوصا في سنة ثلاث عشرة وثمانائة، وإن كان في الدولة الظاهرية ببيرس قد بلغ المصري ثمانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته في بعض التواريخ .

أما الدينار الجَيْشِيّ، فمسمًى لاحقيقة، وإنما يستعمله أهل ديوان الجَيْشِ في عبرة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبرة دنانير معينة من قليل أو كثير، وربما أخليت بعض الإقطاعات من العبرة . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة في تعيينها، فربما كان متحصِّل مائة دينار في إقطاع أكثر من متحصِّل مائتي دينار فأكثر في إقطاع آخر . على أن صاحب "قوانين الدواوين" قد ذكر الدينار الجَيْشِيّ في الإقطاعات على طبقات مختلفة في عبرة الإقطاعات، فالأجناد من التُّرك والأكراد والتركيان دينارهم دينارٌ كامل، والكثانية والعساقلة ومن يجرى مجراهم دينارهم نصف دينار، والعُربان في الغالب دينارهم ثُمْنُ دينار، وفي عُرف الناس ثلاثة عشر درهما وثلاث، وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش في الزمن

(١) كذا في "حياة الحيوان" أيضا وفي "مروج الذهب" أبو العباس كاسبق للؤلُف في الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرف الذهب في الزمن الأول كان قريبا من هذا المعنى، ولذلك جعلت الدية عند من قدرها بالنقد من الفقهاء ألف دينار وأثنى عشر ألف درهم، فيكون عن كل دينار اثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ.

النوع الثاني

(الدراهم النُقرة)

وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير، ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة على ما سيأتى ذكره في الكلام على دار الضرب فيما بعد إن شاء الله تعالى.

والعبرة في وزنها بالدرهم، وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدّر بست عشرة حبة من حب الخروب، فتكون كل خروبتين ثمن درهم، وهى أربع حبات من حب البرالمعتدل، والدرهم من الدينار نصفه وخمسه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم.

أما الدراهم السوداء، فاسمها على غير مسميات كاللدينار الجيشية، وكل درهم منها معتبر في العرف بثلاث دراهم نقرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتى الكلام عليها في معاملة الإسكندرية إن شاء الله تعالى.

النوع الثالث

(الفلوس، وهى صنفان: مطبوع بالسكة، وغير مطبوع)

فأما المطبوع فكان في الزمن الأول إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن قلاوون فلوس لطاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين فلوسا منها بدرهم من النقرة على اختلاف السكة فيها، ثم أحدث في سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة حسن أيضا

فلوس شهرت بالجُدُّ جمع جَدِيد، زِنَةُ كل فَلْسٍ منها مثقالٌ، وكل فلس منها قيراطٌ من الدرهم ، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية على ما سيأتى ذكره فى الكلام على دار الضرب إن شاء الله تعالى، فجاءت فى نهاية الحُسْن ، وبطل ما عداها من الفُلُوس ، وهى أكثر ما يتعامل به أهل زماننا . إلا أنها فسد قانونها فى تنقيصها فى الوزن عن المثقال حتى صار فيها ما هو دون الدرهم ، وصار تكوينها غير مستدير، وكانت توزن بالقَبَّان كلُّ مائة وثمانية عشر رطلا بالمصرى بمبلغ خمسمائة درهم، ثم أخذت فى التناقص لصغر الفلوس ونقص أوزانها حتى صار كل مائة وأحد عشر رطلا بمبلغ خمسمائة . قلت : ثم استقر الحال فيها^(١) على أنه لو جعل كل أوقية فما دونها بدرهم، لكان حسنا باعتبار غلُو النحاس وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية، ومحل التجار الفلوس المضروبة من الديار المصرية إلى الحجاز واليمن وغيرهما من الأقاليم متجرا ، ويوشك إن دام هذا أن تنفد الفلوس من الديار المصرية ، ولا يوجد ما يتعامل به الناس .

وأما غير المطبوعة فُنُحاس مكسر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعق، وكانت فى الزمن الأول كل زينة رطل منها بالمصرى بدرهمين من الثَّقرة، فلما عُمِلت الفلوس الجُدُّ المتقدمة الذكر، استقر كل رطل منها بدرهم ونصف، وهى على ذلك إلى الآن .

قلت : ثم تَفِدَّت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلُو النحاس، وصار مهما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُدُّ وراج معها على مثل وزنها .

(١) لعل الأوضح ثم استقر الحال فيها على ذلك على أنه الخ تأمل .

الركن الثاني

(في المُثَمَّنَات ، وهى على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(الموزونات)

ورطلها الذى يعتبر بوزنه فى حاضرتها من القاهرة والفُسطاط وما قاربهما الرطلُ المصرى ، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما ، وأوقيته اثنا عشر درهما ، وعنه يتفرّع القِنْطَارُ المصرى ، وهو مائة رطل ، وتعتبر أوزان الطيب بها بالمتن ، وهو مائتان وستون درهما ، وأوقيته ست وعشرون أوقية ، فتكون أوقيته عشرة دراهم .

النوع الثانى

(المكيّلات من الجيوب ونحوها)

وأعلم أن بمصر أقداحا مختلفة المقادير أيضا كالأرطال بحسبه ^(١) ، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إردبها ، والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصرى ، وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحبّ المعتدل مائتان واثان وثلاثون درهما ، وقدره الشيخ تقي الدين بن رزين فى الكلام على صاع الفِطْرَةِ باثني وثلاثين ألف حبة وسبعائة وأثنتين وستين حبة ، وكل ستة عشر قدحا تسمى وَيْبَةٌ ، وكل ستة وتسعين قدحا تسمى إردباً ؛ وبنواحيها بالوجهين القبلى والبحرى أرادبٌ متفاوتة يبلغ مقدار الإردب فى بعضها إحدى عشرة ويبة بالمصرى فأكثر .

(١) لعله بحسب إردبها . أو هى زائدة من قلم الناسخ .

النوع الثالث

(المقيسات ، وهى الأراضى والأقمشة)

فأما الأراضى فصنفان :

الصنف الأول

(أرض الزراعة)

وقد اصطاح أهلها على قياسها بقصبة تعرف بالحكمة ، كأنها حررت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت إليه ، وطولها ستة أذرع بالهاشمى كما ذكره أبو القاسم الزجاجى فى "شرح مقدمة أدب الكاتب" وخمسة أذرع بالنجارى كما ذكره ابن ممتى فى "قوانين الدواوين" ومائة أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهما ؛ وذراع اليد ست قبضات بقبضة إنسان معتدل ، كل قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبنصر والوسطى والسبابة ، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهراً لبطن على ما تقدم فى الكلام على الأميال . وقد تقدر القصبة بباعين من رجل معتدل ؛ وربما وقع القياس فى بعض بلاد الوجه البحرى منها بقصبة تعرف بالسندفاوية أطول من الحكمة بقليل ، نسبة إلى بلد تسمى سندفاً بالقرب من مدينة المحلة ، ثم كل أربعائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بقدان ؛ وهو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ست عشرة قصبة فى التكسير .

الصنف الثانى

(أرض البئان من الدور وغيرها)

وقد اصطالحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثة أشبار بشبر رجل معتدل ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السواد بالعراق ، فقد ذكر الزجاجى

أنه ذراع وثلاث بذراع اليد، وكان ابتداء وضع الذراع لقياس الأرضين أن زياد ابن أبيه حين ولّاه معاوية العراق وأراد قياس السّواد، جمع ثلاثة رجال : رجلاً من طوال القوم ورجلاً من قصارهم ورجلاً متوسطاً بين ذلك ، وأخذ طول ذراع كل منهم ، فجمع ذلك وأخذ ثلثه ، فجعله ذراعاً لقياس الأرضين ، وهو المعروف بالذراع الزّيادى لوقوع تقديره بأمر زياد، ولم يزل ذلك حتى صارت الخلافة لبني العباس فأتخذوا ذراعاً مخالفاً لذلك كأنه أطول منه ، فسمّى بالهاشمى لوقوعه في خلافة بني العباس ، ضرورة كونهم من بني هاشم .

وأما الأقمشة ، فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة ، ويزيد عليه ذراع القماش بالقسطاط بعض الشيء ، وربما زاد في بعض نواحي الديار المصرية أيضاً نحو ذلك . ولغير القماش من الأصناف أيضاً كالخصر وغيرها ذراع يخصه .

الركن الثالث

(في الأسعار)

وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" جملة من الأسعار في زمانه فقال : وأوسط أسعارها في غالب الأوقات أن يكون الإردب القمح بنخسة عشه درهماً ، والشعير بسعره^(١) ، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج ؛ والأرض يبلغ فوق ذلك ؛ واللحم أقل سعره الرطل بنصف درهم ، وفي الغالب أكثر من ذلك ؛ والدجاج يختلف سعره بحسب حاله ، بخيذه الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة ، والدون منه بدرهم واحد ؛ والسكر الرطل بدرهم ونصف ، وربما زاد ، والمكّر منه بدرهمين ونصف .

(١) لعله بعشرة .

قلت : وهذه الأسعار التي ذكرها قد أدركنا غالبها ، وبقيت إلى ما بعد الثمانين والسبعائة فغلت الأسعار وتزايدت في كل صنف من ذلك وغيره ، وصار المثل إلى ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ذي المنن الحسيمة القادر على إعادة ذلك على ما كان عليه أو دونه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

الطرف الثاني

(في ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل على أرض بلادها إلى حين استحقاق الزراعة ؛ وأصناف أرضها ؛ وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين كُتَّابها ؛ ومزارعها ؛ وبيان أصناف مزروعاتها وأحوال زرعها)
فأما جسورها ، فعلى صنفين :

الصنف الأول

(الجسور السلطانية)

وهي الجسور العامة الجامعة للبلاد الكثيرة التي تُعمر في كل سنة من الديوان السلطاني بالوجهين : القبلي والبحري ، ولها جرافيت ومحاريث وأبقار مرتبة على غالب البلدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهز لكل عمل في كل سنة أمير بسبب عمارة جسوره ، ويعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلاني ، ويعرف بذلك في تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربما أضيف كُشف جسور عمل من الأعمال إلى متولى جريه ، ويقال في تعريفه : وإلى فلانة وكاشف الجسور بها ، إذا كانت المكاتبه بسبب شيء يتعلق بالجسور ؛ ولهذا الجسور كاتب منفرد بها مقر في ديوانه ما على كل بلد من الجرافيت والأبقار ، وتكتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل في الورق الشامي المربع ، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالآسم الشريف ، وللمسور حولة ومهندسون لكل عمل يقومون في خدمة الكاشف في عمارة الجسور إلى أن تنتهى عمارتها .

الصنف الثاني

(الجسور البلدية)

وهي الخاصة ببلد دون بلد ، ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية في إقطاعهم ، ولها ضرائب مقررة في كل سنة .

قال ابن مماتي في "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية مجرى سور المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارته والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر الفكرة فيه ، والبلدية جارية مجرى الأدر والمساكن التي داخل السور ، كل صاحب دار منها ينظر في مصلحتها ويلتزم تدير أمره فيها . قال : وقد جرت عادة الديوان أن المقطع المنفصل إذا أنفق شيئا من إقطاعه في إقامة جسر لعمارة السنة التي أنتقل الخير عنه لها ، آستعيد له نظير منفقته من المقطع الثاني ، وكذلك كل ما أنفق من مال سنته في عمارة سنة غيره كان له آستعادة نظيره .

قلت : وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور في زماننا ، وترك عمارة أكثر الجسور البلدية ، واقتصر في عمارة الجسور السلطانية على الشيء اليسير الذي لا يحصل به كبير نفع ، ولولا ما من الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة في النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لغات رى أكثر

البلاد وتعطلت زراعتها ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ وإلا فقد كان النيل في الغالب يقف على سبع عشرة ذراعا فما حولها، بل قد تقدّم من كلام المسعودي أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، آستبحر من أراضيها الثلث .



وأما أنواع أرضها وما يختص بكل نوع من الأسماء، فإنها تختلف باختلاف الزراعة وعدمها، وبسبب ذلك تتفاوت الرغبة فيها وتختلف قيمتها باختلاف قيمة ما يزرع فيها، وقد عدّ منها ابن مماتي ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأول - الباق : قال ابن مماتي : وهو أثر القرط والقطاني والمقائي . قال : وهو خير الأرضين وأغلاها قيمة وأوفاهما سعرا وقطيعه، لأنها تصلح لزراعة القمح والكتان .

قلت : والمعروف في زماننا أن الباق أثر القرط والقول خاصة . أما المقائي فإن أثرها يسمى البرش، وسيأتى ذكره فيما بعد .

النوع الثاني - رى الشراقى : قال ابن مماتي : وهو يتبع الباق في الجودة، ويُلقَقُ به في القطيعه : لأن الأرض قد ظمّت في السنة الماضية وأشدّت حاجتها إلى الماء . فلما رويت حصل لها من الرى بمقدار ما حصل لها من الظم، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُحِبُّ .

النوع الثالث - البرويية، وأهل زماننا يقولون البرايب : قال ابن مماتي : وهو أثر القمح والشعير، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تضعف بزراعة هذين الصنفين . فتى زرع أحدهما على الآخر لم تنجب كنجابة الباق وسعرها دون سعره، ويجب أن تزرع قُرُوطًا وقَطَانِيَّ ومَقَائِيَّ لتستريح الأرض وتصير باقا في السنة الآتية .

النوع الرابع - البُقْهَة ، بضم الباء الموحدة وسكون القاف - وهو أثر الكَّان .
قال ابن ممتى : ومتى زُرِع فيه القمح لم يُحِبُّ ، وجاء رقيق الحب أسود اللون .
النوع الخامس - الشتونية ، وأهل زماننا يقولون الشتانى : وهو أثر ما روى
وبار فى السنة الماضية . قال ابن ممتى : وقطيعته دون قطعة الشراقى .

النوع السادس - شق شمس ، قال ابن ممتى : وهو عبارة عما روى وبار
فُحِرَتْ وعُطِّل ، وهو يجرى مجرى الباق ورى الشراقى ، ويحىء ناجب الزرع .
النوع السابع - البرش النقاء ، قال : وهو عبارة عن كل أرض خَلَّتْ من أثر
ما زرع فيها للسنة الماضية ، لا شاغل لها عن قبول ما نوعه من أصناف المزدروعات .
النوع الثامن - الوسخ المزدرع ، قال : وهو عبارة عن كل أرض لم يستحكم
وسخها ، ولم يَقْدِر المزارعون على آسنتكال إزالته منها فخرثوها وزرعوها وطلع زرعها
مختلطا بوسخها .

النوع التاسع - الوسخ الغالب : وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من
النبات الذى شغلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنعهم بكثرتة عن
الزراعة فيها ، وهى تباع مراعى للبهائم .

النوع العاشر - الخرس : وهو عبارة عن فساد الأرض بما آسنتحكم فيها من
موانع قبول الزرع ، وهو أشد من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح ، وهى مرعى
الدواب .

النوع الحادى عشر - الشراقى : وهو عبارة عما لم يصل إليه الماء لقُصُور
النيل وعلو الأرض ، أو سد طريق الماء عنه .

النوع الثاني عشر - المستبحر : وهو عبارة عن أرض واطئة إذا حصل الماء فيها لا يجد مصرفاً له عنها فيمضي زمن المزارعة قبل زواله بالأنضوب . قال ابن ممتى : وربما أنتفع به من أزدرع الأرض بالاستقاء منه بالسواقى لما زرعه فى العلؤ .

النوع الثالث عشر - السباح : وهو أرض غلب عليها الملح فملحت حتى لم يُنتفع بها فى زراعة الحبوب ، وهى أردئ الأرضين . قال ابن ممتى : وربما زرع فيما لم يستحكم منها الهليون والبادنجان ، وربما قطع منها ما يسبخ به الكائن ، ويزرع فيها القصب الفارسى فينتجب .

الطرف الثالث

(فى وجوه أموالها الديوانية ، وهى على ضربين : شرعى وغير شرعى)

الضرب الأول الشرعى ،

(وهو على سبعة أنواع)

النوع الأول

(المال الخراجى : وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين ؛ وله حالان)

الحال الأول - ما كان عليه الأمر فى الزمن المتقدم ، وقد أورد ابن ممتى فى "قوانين الدواوين" ما يقتضى أنه كان على كل صنف من أصناف المزدروعات قطعة مقررة فى الديوان السلطانى لا يختلف أمرها : فذكر أن قطعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فدان ثلاثة أرباب ، ثم إنه تقرّر عند المساحة فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

ذلك ما يباع بعين، ومنه ما يُزرع مُشاطرة . قال : وقطيعه الشعير كذلك ؛ وقطيعه
 القُول عن كل فدان من ثلاثة أَرادبٍّ إلى إردبين ونصف ؛ وقطيعه الجُلْبَانِ والحِصِّصِ
 والعَدَسِ عن كل فدان إردبان ونصف ؛ وقطيعه الكَنَّانِ تختلف باختلاف البلاد . ثم
 قال : وهى على آخر ما تقرّر فى الديوان عن كل فدان ثلاثة دنانير إلى مادونها ؛
 وقطيعه القُرْطِ بالديوان عن كل فدان دينار واحد ، وفيما بين الناس مختلف ؛ وقطيعه
 الثُّومِ والبَصَلِ عن كل فدان ديناران ؛ وقطيعه التُّرْسِ عن كل فدان دينار واحد
 ورُبْعٍ ؛ وقطيعه الكُمُونِ والكراويا والسَّلْجَمِ الصِّيفِيِّ عن كل فدان دينار واحد .
 قال : وكان قبل ذلك دينارين ؛ وقطيعه البَطِيخِ الأخضر والأصفر ، واللُّوبِيَاءِ عن
 كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطيعه السَّمْسِمِ عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطيعه القُطْنِ
 كذلك ؛ وقطيعه قَصَبِ السُّكَّرِ عن كل فدان إن كان رأساً خمسة دنانير ، وإن كان
 خلفاً ديناران وخمسة قراريط ؛ وقطيعه القُلْقَاسِ عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطيعه
 النِّيلةِ عن كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطيعه الفُجْلِ عن كل فدان دينار واحد ؛ وقطيعه
 اللَّفْتِ كذلك ؛ وقطيعه الحَسِّ عن كل فدان ديناران ؛ وقطيعه الكُرْبِ كذلك .
 قال : والقطيعه المستقرّة عن خراج الشَّجَرِ والكَرَمِ تختلف باختلاف سنيها . ثم قال :
 وهو يدرك فى السنة الرابعة ويترتب على كل فدان ثلاثة دنانير ؛ وقطيعه القَصَبِ
 الفارسى عن كل فدان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى - ما الأمر عليه فى زماننا ، والحال فيه يختلف باختلاف البلاد .

فالوجه القبلى الذى هو الصعيد أكثر خراجه غلالاً من قمح وشعير وحمص وفول
 وعدس وبسلة وجلبان ، ويعبر فى عرف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحمص
 بالحبوب ، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدان من الأصناف المذكورة ما بين
 إردبين إلى ثلاثة بكيل تلك الناحية ، وربما زاد أو نقص عن ذلك ، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها في الزيادة والنقص في الأرداب والدراهم ؛ وربما كان الخراج في بعض هذه البلاد دراهم ؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المريع^(١) متاجرة، وربما أخذ فيه العدد^(٢) على حسب عرف البلاد .

والوجه البحرى غالب نراج بلاده دراهم، وليس فيه مانحراج بلاده غلة إلا القليل على العكس من الوجه القبلى .

ثم الذى كان عليه الحال إلى نحو التسعين والسبعائة في غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقي كل فدان بأربعين درهما فما حولها، والبراب كل فدان بثلاثين درهما فما حولها، ثم غلا السعر بعد ذلك حتى جاوز الباقي المائة والبراب الثمانين، وبلغ البرش نحو المائتين، وذلك عند غلو الغلال وارتفاع سعرها .

قلت : ثم تزايد الحال في ذلك بعد الثمانمائة إلى ما بعد العشر والثمانمائة حتى صار يؤخذ في الباقي عن كل فدان نحو الأربعائة درهم، وربما زادت الأرض الطبية حتى بلغت ستمائة درهم، وفي البراب ونحوه دون ذلك بالنسبة؛ ثم إنه إذا كان المقرر في خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنف من الأصناف أن يؤخذ البديل عنها من صنف آخر من الغلة .

وقد ذكر في "قوانين الدواوين" أن قاعدة البديل أن يؤخذ عن القمح بدل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن الفول إردب واحد ونصف، ومن الحمص إردب، ومن الجلبان إردب ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

(١) مراده بالعدد المواشى الزراعية : من الابل والبقر والغنم .

(٢) في التركيب ركازة والمعنى مفهوم .

القمح أو ثلثا إردب من الفول أو نصف إردب من الحِصّ أو ثلثا إردب من الجلبان ؛ وفي الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو نصف إردب من الشعير أو ثلث إردب من الحِصّ أو إردب من الجلبان ؛ وفي الحِصّ يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف من الفول أو إردب ونصف من الجلبان ؛ وفي الجلبان يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلث إردب من الحِصّ . ثم قال : والسَّمِسْمُ والسَّلْجَمُ والكَنَّانُ ما رأيت لها بدلا ، والاحتياط في جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر ، فإنه أسلم طريقةً وأحسن عاقبةً .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلي والبحري بجملة جارية في الدواوين السلطانية وإقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجند إلا التزرّ اليسير مما يجري في وقف مَنْ سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخواق ونحوها مما لا يُعتدّ به لقلته .

والجارى في الدواوين على ضربين .

الضرب الأول

(ما هو داخل في الدواوين السلطانية ، وهو الآن على أربعة أصناف)

الصنف الأول

(ما هو جار في ديوان الوزارة ؛ وأعظمه خطراً وأرفعُه قدراً جهتان)

إحداهما - عمل الجيزية المتقدم ذكره في أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرين بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومُسْتَوْفٍ وشهود وصيرفي وغيرهم ، وغالب

نحاجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المال فتثبت فيه وتصرف منه في جملة مصارف بيت المال ، وربما حمل من بعضها الغلّة اليسيرة من القمح وغيره للأهراء السلطانية بالقُسْطَاط ، ومن أرضها تفرد الإطلاقات ؛ وييذر فيها البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأهراء والممالك السلطانية .

الثانية - عمل مَنقُوط ، وله مباشرون كما تقدّم في الجيزيّة بل هي أرفع قدرا وأكثر متحصّلا ، وغالب نحاجه غلال : من قمح وفول وشعير ، وغلالها تحمل إلى الأهراء السلطانية بالقُسْطَاط ، ويصرف منها في جملة مصارف الأهراء على الطواحين السلطانية والمناخات وغير ذلك ، وربما حمل منها المبلغ اليسير إلى بيت المال فيثبت فيه ويصرف منه على ما تقدّم في الأعمال الجيزيّة ، وما عدا هاتين الجهتين من البلاد الجارية في ديوان الوزارة مفرّقة في الأعمال بالوجهين القبلي والبحري ، وهي في الوجه القبلي أكثر ، ولكنها قد تناقصت في هذا الزمن حتى لم يبقَ فيها إلا بعض بلاد بالوجه القبلي .

الصنف الثاني

(ما هو جار في ديوان الخالص)

وهو الديوان الذي أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة على ما سيأتى ذكره ؛ وأعظم بلاده وأرفعها قدرا مدينة الإسكندريّة فإنها في الغالب مضافة إليه ؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشادين وغيرهم . وربما أُثّرت عنه في جهات أخرى جارية فيه ، يليها تروجة وقوة وتسترّوه ، ومأل جميعها يحمل إلى خزانة الخالص الآتى ذكرها تحت نظر ناظر الخالص الآتى ذكره .

الصنف الثالث

(ما هو جار في الديوان المفرد)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" في سلطته، وأفرد له بلادا، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير، ورُتب عليه نفقة مما يليكه من جامكيات وعليق وكسوة وغير ذلك .

قلت : وليس هو المخترع لهذا الاسم بل رأيت في ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى الديوان المفرد .

الصنف الرابع

(ما هو جار في ديوان الأملاك)

وهو ديوان أحدثه "الظاهر برقوق" المتقدم ذكره، وأفرد له بلادا سماها أملاكاً، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كلفة .

الضرب الثاني

(ما هو جار في الإقطاعات)

وهو جُلُّ البلاد بالوجهين القبلي والبحري، والبلاد النفيسة الكثيرة المتحصلة في الغالب تقطع للأمرء على قدر درجاتهم، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة، وما دون ذلك من البلدان يقطع للمالك السلطانية، يشترك الاثنان فما فوقهما في البلدة الواحدة في الغالب، وربما انفرد الواحد منهم بالبلد الواحد .

وما دون ذلك يكون لأجناد الحلقة تجتمع الجماعة منهم في البلد الواحد بحسب مقداره وحال مُقْطَعِيهِ ، وفي معنى أجناد الحلقة المُقْطَعُونَ من العُربان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملترى خيل البريد وغيرهم .

ثم أعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين .

الحال الأول - أن تجزَّ إجارة طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص ، وطلب الحراج على حكمها .

الحال الثاني - أن تكون البلاد مما جرت العادة بمساحة أرضها لِسَعَةِ طينها واختلاف الرى فيه بالكثرة والقلة في السنين ؛ وقد جرت العادة في ذلك أن كاتب حراج الناحية يطلب خَوَلة القانون بذلك البلد وتورِخ الأحواض على المزارعين بفقن مقدرة ، وتكتب بها أوراق تسمى أوراق المسجل ، وتحمل نسختها إلى ديوان صاحب الإقطاع فتخلد فيه ؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرون ، فيمسحون أرض تلك البلد في كل قبالة بأسماء المزارعين ، ويكتب أصل ذلك في أوراق تسمى الفُنداق ، ثم تجمع القبائل بأوراق تسمى تاريخ القبائل ، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمى تاريخ الأسماء ، ويقابل بين ما أشتملت عليه أوراق المسجل وما أشتملت عليه مساحته ، وفي الغالب يزيد عن أوراق المسجل ، ويُجمع ذلك وتنظم به أوراق تسمى المكلفة ، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمل ، وتحمل لديوان المُقْطَع نسخا .

النوع الثاني

(ما يتحصّل مما يُستخرج من المعادن)

وقد تقدّم في الكلام على خواص الديار المصرية أن الموجود الآن بها ثلاثة معادن .

الأول - معدن الزمرد على القرب من مدينة قوص، ولم يزل مستمرّ الاستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون"، ثم أُهملَ قلّة ما يتحصّل منه مع كثرة الكلف وبقي مهملاً إلى الآن . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان له مباشرون وأمناء من جهة السلطان يتولّون استخراجه وتحصيله ، ولهم جوامك على ذلك . ومهما تحصل منه يُحْمَل إلى الخزائن السلطانية فيباع ما يباع، ويبقى ما يصلح للخزائن المملوكية .

الثاني - معدن الشَّبّ (بالباء الموحدة في آخره) . قال في "قوانين الدواوين" : ويحتاج إليه في أشياء كثيرة ، أهمّها صبغ الأحمر ، وللرُّوم فيه من الرغبة بمقدار ما يجدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لا بُدَّ منه ولا مندوحة عنه ؛ ومعادنه بأما كن من بلاد الصعيد والواحات على ما تقدّم في الكلام على خواص الديار المصرية .

قال : وعادة الديوان أن يُنفَق في تحصيل كل قنطارٍ منه بالليثي ثلاثين درهماً ، وربما كان دون ذلك . وتهبّط به العرب إلى ساحل قوص ، وساحل إخميم ، وساحل أسوط ، وإلى البهنسي إن كان الإتيان به من الواحات ، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإسكندرية ، ولا يعتدّ للبشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الاعتبار . قال ابن مماتي : وأكثر ما يباع منه في المتجر بالإسكندرية خمسة آلاف قنطارٍ بالبحرّوى ، وبيع منه في بعض السنين ثلاثة عشر ألف قنطار ، وسعره من خمسة دنانير إلى خمسة

دنانير وربع وسدس كل قنطار . قال : أما القاهرة ، فأكثر ما يباع فيها منه في كل سنة ثمانون قنطارا كل قنطار بسبعة دنانير ونصف ؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه ، ولا يشتريه سوى الديوان السلطاني ، ومتى وجد مع أحد شيء من صفه آسئله . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث - معدن النطرون ، وقد تقدم في الكلام على خواص الديار المصرية أن النطرون يوجد في معدنين : أحدهما بعمل البحيرة مقابل بلدة تسمى الطرانة على مسيرة يوم منها ، وتقدم في كلام صاحب "التعريف" أنه لا يعلم في الدنيا بقعة صغيرة يستغل منها أكثر مما يستغل منها ، فإنها نحو مائة فدان تغل نحو مائة ألف دينار في كل سنة . والمعدن الثاني بالقوسية على القرب من الخطارة ، ويعرف بالخطاري ، وهو غير لاحق في الجودة بالأول :

قال في "نهاية الأرب" : وأول من احتجر النطرون أحمد بن محمد بن مبر نائب مصر قبل أحمد بن طولون ، وكان قبل ذلك مباحا . قال في "قوانين الدواوين" : وهو في طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان ، والنفقة على كل قنطار منه درهمان ، وثمن كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهما . قال : والعادة المستقرة أنه متى أنفق من الديوان في العربان عن أجرة حولة عشرة آلاف قنطار ، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار ، حسابا عن كل قنطار قنطار ونصف ؛ ثم قال : وأكثره مصروف في نفقة الغزاة .

قلت : أما في زماننا فقد تضاعفت قيمة النطرون وغلا سعره لاحتجار السلطان له ، وأفرط حتى خرج عن الحد ، حتى إنه ربما بلغ القنطار منه مبلغ ثلثمائة درهم أو نحوها . وقد كان على النطرون مرتبون من دواب دس وكباب درج وأطباء وحقالين وغيرهم وجماعة من أرباب الصدقات يستأدون ذلك ، وينفقون على حملته إلى ساحل النيل

بالبلدة المعروفة بالطَّزَّانة المتقدمة الذكر، ويبيعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به في المراكب إلى الوجه القبلى، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحرى جملةً، ثم بطل ذلك في أواخر الدولة الظاهرية برقوق، وصار النطرون بجملته خالصا للسلطان جاريا في الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخزَن في شُؤن ثم يباع منها، وعليه مباشرون يحضرون الواصل والمبيع، ويعملون الحسابات بذلك، وتَمَيَّزَ بذلك متحصِّله للغاية القصوى.

النوع الثالث

(الزكاة)

قد تقرّر في كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان مخيرا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه، وبين أن يفترقها بنفسه . والذي عليه العمل في زماننا بالديار المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفترقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يؤخذ على صورة الزكاة إلا شيئين :

أحدهما ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة ، فإنهم يأخذون على كل مائتى درهم خمسة دراهم ، ثم إذا اشترى بها شيئا ونرج به وعاد بنظير المبلغ الأول لا يؤخذ منه شيء عليه حتى يجاوز سنة . إلا أنهم آتقصوا سنة ذلك بفعلوها عشرة أشهر ، وخصَّوه بما إذا لم يزد في المدة المذكورة على أربع مرار . فإن زاد عليها آستأنفوا له المدة ، ثم إنه إذا كان بالبلد متجرا لأحد من تجار الكارم من بهار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد ، أخذوا عليه الزكاة أيضا . ومجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصِّل الإسكندرية في المباشرة وغيرها .

الثانى ما يؤخذ من العداد من مواشى أهل بركة من الغنم والإبل عند وصولهم إلى عمل البحيرة بسبب المرعى، وفي الغالب يُقَطَّع لبعض الأمراء، ويخرج قصادهم لأخذه .

النوع الرابع (الجوالى)

وهى ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم فى كل سنة ، وهى على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من الفسطاط والقاهرة ، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة الديار المصرية، فإن لهذه الجهة بها ناظرًا يولّى من جهة السلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرون من شاذ وعامل وشهود ، وتحت يده حاشر لليهود وحاشر للنصارى يعرف أرباب الأسماء الواردة فى الديوان ومن ينضم إليهم من يبلغ فى كل عام من الصبيان ، ويعبر عنهم بالنشوء، ومن يقدم إلى الحاضرة من البلاد الخارجة عنها، ويعبر عنهم بالطارئ، ومن يهتدى أو يموت ممن اسمه وارد الديوان . ويُملى على كُتّاب الديوان ما يتجدد من ذلك .

قال فى "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت فى زمانه على ثلاث طبقات : عليًا، وهى أربعة دنانير وسدس عن كل رأس فى كل سنة، ووُسْطى وهى ديناران وقيراطان، وسُفلى وهى دينار واحد وثلاث وربع دينار وحبّتان من دينار، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشاذ والمباشرين . ثم قال : وقد كانت العادة جارية باستخراجها فى أول المحرم من كل سنة، ثم صارت تُستخرج فى أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقد نقصت حتى صار أعلاها خمسة وعشرين درهماً ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأدى معجلة فى شهر رمضان، ثم ما يتحصّل منها يحمل منه قدر معين فى كل سنة لبيت المال، وباقى ذلك عليه مرتبون من القضاة وأهل العلم والديانة يوزّع عليهم على قدر المتحصّل .

وأما ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بلدانها فإن جزية أهل الذمة في كل بلد تكون لمُقطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية في بعض الدواوين السلطانية ، كان ما يتحصّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا في ذلك الديوان .

النوع الخامس

(ما يؤخذ من تُجَّار الكفار الواصلين في البحر إلى الديار المصرية)

وأعلم أن المقرّر في الشرع أخذ العشر من بضائعهم التي يقدّمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرِط ذلك عليهم . والمفتى به في مذهب الشافعي رضي الله عنه أن للإمام أن يزيد في المأخوذ عن العشر وأن ينقص عنه إلى نصف العشر للحاجة إلى الأزدیاد من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين ، وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأى فيه المصلحة . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مرّة من كل قادم بالتجارة في كل سنة ، حتّى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة في سنته لا يؤخذ منه شيء إلا أن يقع التراضي على ذلك ، ثم الذي ترد إليه تُجَّار الكفار من بلاد الديار المصرية تُغرّ الإسكندرية ، وتغرّد مياط المحروستين ، تأتي إليهما مراكب الفرنج والرُّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تبتاع منهما ما تحتاج إليه من البضائع ، وقد تقرّر الحال على أن يؤخذ منهم الخمس وهو ضعف العشر عن كل ما يصل لهم في كل مرة ، وربما زاد ما يؤخذ منهم على الخمس أيضا .

قال ابن ممتى في "قوانين الدواوين" : وربما بلغ قيمة ما يُستخرج عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما آنحط عن العشرين دينارا . قال : ويطلق على كليهما خمس ، قال : ومن الروم من يُستأدى منه العشر ، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرة في الدواوين وأوضاع معروفة .

النوع السادس

(الموارث الحشرية)

وهي مال من يموت وليس له وارث خاص : بقرابة أو نكاح أو ولاء، أو الباقي بعد الفرض من مال مَنْ يموتُ وله وارثٌ ذو فرض لا يستغرق جميع المال ولا عاصبٌ له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : مافي حاضرة الديار المصرية، وماهو خارج عنها . فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يولّي من قبل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شاذ وكاتب ومُشارف وشهود، وهي مضافة إلى مائحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُتَحَصِّلُهَا يحلّ إلى بيت المال، وربما كان عليها مرتّبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقد جرت عادة هذا الديوان أن كاتبه في كل يوم يكتب تعريفا بمن يموت بمصر والقاهرة من حشري أو أهلي وتفصيله من رجال ونساء وصغار ويهود ونصارى، وتكتب منه نسخ لديوان الوزارة، ولنظر الدواوين ومستوفي الدولة، ويُسَدّد من وقت العصر . فن أطلق بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأما ماهو خارج عن حاضرة الديار المصرية ، فلها مباشرون يُحَصِّلُونها ويحملون ما يتحصّل منها إلى الديوان السلطاني .

النوع السابع
(ما يتحصّل من دار الضرب بالقاهرة)
والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف .

الصنف الأول (الذهب)

وأصله مما يجلب إلى الديار المصرية من التبر من بلاد التّكُور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال في "قوانين الدواوين" : وطريق العمل فيها أن يُسبَك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتّى يصير ماء واحدا ، ثم يقلب قُضباناً ويقطع من أطرافها قطع بمباشرة النائب فى الحكم ، ويحرر بالوزن ويسبك سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أربعة مثاقيل ويضاف إليها من الذهب الحائف المسبوك بدار الضرب أربعة مثاقيل ، ويعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات فى قدح نحار بعد تحرير وزنها ، ويوقد عليها فى الأتون ليلة ، ثم تخرج الورقات وتسمح ويعبر القدح على الأصل (؟) فإن تساوى الوزن وأجازته النائب فى الحكم ، ضُرب دنانير . وإن نقص أعيد إلى أن يتساوى ويصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .

قال ابن الطوير فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقة الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له إلام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة ، حيث ينبت البلسان ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما فى أرض صلدة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسة نواويس فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا مُصبرا فى عسل ، وعلى صدره لوح لطيف من ذهب فيه كتابة لاتعرف ، والنواويس الأربعة مملوءة بسبائك الذهب ، فنقل ذلك الذهب

ولم يجد من يقرأ ما في اللوح ، فدلَّ على راهب شيخ بدير العربة بالصعيد له معرفة بخط الأولين ، فأمر بإحضاره فأخبر بضعفه عن الحركة ، فوجه باللوح إليه ، فلما وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، وذَهَبِي أخلص الذهب . فلما بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هذا الكافر أكبر منه أو ذهبه أخلص من ذهبه ، فشدد في العيار في دور الضرب ، وكان يحضّر ما يعلّق من الذهب ويختم بنفسه فبقى الأمر على ما قرره في ذلك من التشديد في العيار . وكانت دار الضرب في الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضي القضاة تعظيماً لشأنها ، وتكتب في عهده في جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء ، ويقوم لمباشرة ذلك من يختاره من نواب الحكم ، وبقى الأمر على ذلك زمناً بعد الدولة الفاطمية أيضاً . أما في زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخاص الذي استحدثه ”الملك الناصر محمد بن قلاوون“ عند تعطيله الوزارة على ماسياتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

والسكة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد الوجهين - لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون^(١) - وعلى الوجه الآخر اسم السلطان الذي ضرب في زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصنف الثاني

(الفضة النقرة)

وقد ذكر ابن مماتي في ”قوانين الدواوين“ في عيارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم فضة فتضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر ، ويسبك ذلك حتى يصير ماء واحدا فيقلب قضباناً ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهماً ، ثم تسبك ، فإن خلص

(١) ليس نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حسابا عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن تصح . وكأن هذا ما كان الأمر عليه في زمانه ؛ والذي ذكره المقر الشهابي ابن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أن عيارها الثلاثان من فضة والثالث من نحاس، وهذا هو الذي عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان في أيام الظاهر بيبرس وما والاهما، وربما زاد عيار النحاس في زماننا على الثلث شيئا يسيرا بحيث يظهره النقد، ولكنه يروج في جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت : أما بعد الثمانمائة فقد قلّت الفضة، وبطل ضرب الدراهم بالديار المصرية إلا في القليل النادر لاستهلاكها في السروج والآنية ونحوها، وأنقطاع أصلها إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها . ومن ثمّ عزّ وجود الدراهم في المعاملة بل لم تكد توجد . ثم حدث بالشام ضرب دراهم رديئة فيها الثلث فما دونه فضة والباقي نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضببان قطعا صغارا كما تقدّم في الدنانير، ثم تُرّصع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحا مستديرة، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله ؛ وصورة السكة على الفضة كما في الذهب من غير فرق .

الصنف الثالث

(الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر)

وقد تقدّم أنه كان في الزمن الأول فلوس صغار كل ثمانية وأربعين فلسا منها معتبرة بدرهم من النقرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعائة في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثانية، فأحدثت فلوس عبر عنها بالجُدّد زنة كل فلس منها مثقال، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطا من الدرهم، ثم تناقص مقدارها حتى كادت

تفسد وهى على ذلك . وطريق عملها : أن يُسبك التُّحَّاسُ الأحمر حتَّى يصير كالماء ، ثم يخرج فيضرب قضباناً ، ثم يُقَطَّع قطعاً صغاراً ، ثم تُرْصَع وتسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين آسم السلطان ولقبه ونسبه ، وعلى الآخر آسم بلد ضربه وتاريخ السنة التى ضرب فيها .

الضرب الثانى

(من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى ،

وهو المكوس ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(ما يختص بالديوان السلطانى وهو صنفان)

الصنف الأول

(ما يؤخذ على الواصل المجلوب ، وأكثره مُتَحَصِّلاً جهتان)

الجهة الأولى

(ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القلزم

من جهة الحجاز واليمن وما والاها ، وذلك بأربعة

سواحل بالبحر المذكور)

الساحل الأول - عَيْدَابُ . وقد كان أكثر السواحل واصلًا لرغبة رؤساء

المراكب فى التعدية من جُدَّةَ إليه ، وإن كانت باحته متسعة لغزارة الماء وأمن

الطَّاقِ بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر ، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوصَ

بالبضائع ومن قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارم بالْقُسْطَاطِ فى بحر النيل .

الساحل الثانى - القَصِير . وهو فى جهة الشمال عن عِيذاب ، وكان يصل إليه بعض المراكب لقربه من قُوص وبعْد عِيذاب منها ؛ وتُجمل البضائع منه إلى قُوص ، ثم من قُوص إلى فُنْدُق الكارم بالقُسْطَاط على ما تقدّم ، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدّ عِيذاب .

الساحل الثالث - الطُور . وهو ساحل فى جانب الرأس الداخلى فى بحر القلزم بين عقبة أيلة وبين بر الديار المصرية ؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن المتقدم : لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه ، لقرب المراكب فيه من برّ الحجاز حتّى لا يغيب البر عن المسافرين فيه وكثرة المراسى فى برّه ، متى تغير البحر على صاحب المركب وجد مرّسة يدخل إليها ، ثم ترك قصْدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد انقراض بنى بدير العباسية التجار ، ورغب المسافرين عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخشى على المراكب بسببه ، ولذلك لا يُسافر فيه إلا نهاراً ، وبقى على ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعائة ، فعمر فيه الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، وهو يومئذ حاجب الحجاب بالديار المصرية مرّكباً وسفّرها ، ثم أتبعها بمركب آخر بخسر الناس على السفر فيه وعَمَرُوا المراكب فيه ، ووصلت إليه مراكب اليمَن بالبضائع ، ورُفِضت عِيذاب والقَصِير ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلى الحجاز ، وغزرت فوائد التجار فى حمل الحنطة إليه .

الساحل الرابع - السُوَيْس على القرب من مدينة القلزم الخراب بساحل الديار المصرية . وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والقُسْطَاط إلا أن الدخول إليه نادر ، والعمدة على ساحل الطور كما تقدّم .

قلت : وهذه السواحل على حدّ واحد فى أخذ المرتب السلطانى ، وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" : أن واصل عِيذاب كان آسَقرَ فيه الزكاة . أما الذى عليه

الحال في زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشر مع لواحق أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطاني أيضا .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَصَلَّ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتب السلطاني على ما توجه الضرائب .

الجهة الثانية

(ما يؤخذ على واصل التجار بقُطيا في طريق الشام إلى الديار المصرية)
وعليها يردُّ سائر التجار الواصلين في البر من الشام والعراق وما والاها ، وهي أكثر الجهات متحصلا وأشدّها على التجار تضيقا وعندهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصنف الثاني

(ما يؤخذ بمحاضرة الديار المصرية : بالفسطاط والقاهرة)

وهو جهات كثيرة، يقال إنها تبلغ اثنتين وسبعين جهة، منها ما يكثر متحصله ومنها ما يقل، ثم بعضها بحسب ما يتحصّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمَانٌ ^(١) بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقد عمت البلوى بهذه المكوس ، ونحرجت في التزيّد عن الحدّ ، ودخلت الشبهة في أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله في سلطته قد رفع هذه المكوس ومحا آثارها ، وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتح من البلاد والأقاليم ، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خطرا

وأرفعه أجراً ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بطلان مكوس الملاحى والقراريط على الأملاك المبيعة .

النوع الثانى

(ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني)

وهى المكوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فتحصلها لذلك الديوان ، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فتحصلها لصاحب الإقطاع ، ويعبر عنها فى الدواوين بالهلالي كما يعبر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجى .

المقصد الثالث^(١)

(فى ترتيب المملكة ، ولها ثلاث حالات)

الحالة الأولى - ما كانت عليه فى زمن عمال الخلقاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الأخشيدية - ولم يتحزرنى ترتيبها ، والظاهر أنه لم يزل توابها وأمرأؤها حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبنوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان ، حتى يقال إنه كان فى عسكره اثنا عشر ألف أسود ، وتبعتهم الدولة الأخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجعل كعادته فعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شئ من هذا القبيل فأقتضى التنبيه .

الحالة الثانية - من أحوال الديار المصرية ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ؛ وينحصر المقصود من ترتيب مملكتهم في ثلاث ^(١) جمل

الجملة الأولى

(في الآلات المملوكية المختصة بالمواكب العظام)

وهي على أصناف متعددة :

منها (التاج) . وكان يُنَعَت عندهم بالتاج الشريف ، ويعرف بشدة الوقار . وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام ، وفيه جوهرة عظيمة تُعرف بالتيمة زنتها سبعة دراهم ولا يقوم عليها لتفاستها ؛ وحولها جواهر أخرى دونها ؛ يلبس الخليفة هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها (قضيب الملك) . وهو عُود طول شبر ونصف ، ملبس بالذهب المرصع بالذّر والجوهر ، يكون بيد الخليفة في المواكب العظام .

ومنها (السيف الخاص) الذي يحمل مع الخليفة في المواكب . يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظفر بها فعمل منها هذا السيف ، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر ، وهو في خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة في الموكب .

ومنها (الدواة) . وهي دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على صلابته ومناعته ، تلف في منديل شرب ^(٢) أبيض ، ويحملها شخص من الأستاذين في الموكب أمام الخليفة تكون بينه وبين السرج ، ثم جعل حملها لعدل من العدول المعبرين .

(١) وصلت في العدالي سبع جمل . (٢) كذا في الأصل وسيأتي ولعله نوع مخصوص من الحرير .

ومنها (الريح) . وهو ربح لطيف في غلاف منظوم باللؤلؤ؛ وله سنان مختصر بحلية الذهب؛ وله شخص مختص بحمله .

ومنها (الدَّرَقَةُ) . وهى دَرَقَةٌ كبيرة بكوايخ من ذهب؛ يقولون إنها دَرَقَةٌ حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم، وعليها غِشَاء من حرير؛ ويحملها في الموكب أمير من أكابر الأمراء، له عندهم جلالة .

ومنها (الحافر) . وهى قطعة ياقوت أحمر فى شكل الهلال، زنتها أحد عشر مثقالا، ليس لها نظير فى الدنيا، تحاط خياطة حسنة على خرقة من حرير، وبدائرها قضب زمرد ذبابى عظيم الشأن، تجعل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى المواكب .

ومنها (المِظْلَةُ) التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه . وهى قُبَّةٌ على هيئة خيمة على رأس عمود كالمِظْلَةِ التى يركب بها السلطان الآن، وكانت اثني عشر شوزكا عرض سُفل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلاث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة، وعمودها قنطارية من الزان ملبَّسة بأنايب الذهب، وفى آخر أنبوبة ثلثى رأس العمود ملكة بارزة مقدار عرض إبهام تشد آخر الشواذك فى حلقة من ذهب، وتنزل فى رأس الريح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة، وحاملها من أكبر الأمراء .

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب، لا تخالف ذلك .

ومنها (الأعلام) . وأعلامها اللواءان المعروفان بلوائى الحمد، وهما رحمان طويلان ملبَّسان بأنايب من ذهب إلى حدٍّ أسنتهما، وبأعلامهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين، يُجرَّجان لخروج المِظْلَةِ إلى أميرين معدين لحملها، ودونهما رحمان برءوسهما أهلة من ذهب صامت، فى كل واحد

(١) لعله فلكة بالفاء .

منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيها الرمح فيفتحان فيظهر شكلهما، يحملهما فارسان من صبيان الخاص، ووراءهما رايات لطاف ملونة من الحرير المرقوم ومكتوب عليها ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ طول كل راية منها ذراعان في عرض ذراع ونصف، في كل واحدة ثلاثة طرازات على رماح من القنأ، عدتها أبدا إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بغلة .

ومنها (المذبذبان) وهما مذبذبان عظيمتان كالنخلتين ملويتان محمولتان عند رأس فرس الخليفة في الركوب .

ومنها (السلاح) الذي يحملها الركابية حول الخليفة . وهو صامص مصقولة، ودبابيس ملبسة بالكميخت الأحمر والأسود، ورؤوسها مدقورة، ولتوت حديد كذلك ورؤوسها مستطيلة، وهي عمد حديد طول ذراعين، مربعات الأشكال بمقابض مدقورة بعدة معلومة من كل صنّف، وستائة حربة بأسنّة مصقولة، تحتها جلب الفضة، وثلاثمائة درقة بكوايج فضة، يحمل ذلك في الموكب ثلاثمائة عبد أسود كل عبد حربتان ودرقة واحدة، وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع، برأسها طلعة وعقبها من حديد، يحملها قوم يقال لهم السريرية يقتلونهم بأيديهم اليمنى قتلا متدارك الدوران، ومائة درقة لطيفة، ومائة سيف بيد مائة رجل، كل رجل درقة وسيف يسرون رجالة في الموكب، وعشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم، تكون في أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتل أحد . وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجميل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمنة العساكر لتجملهم في الموكب، وهي نحو أربعائة راية مرقومة الأطراف، وبأعلاها رمامين الفضة المذهبة، وعدة من العاريات : وهي

شبه الكسجاوات ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزى وغير ذلك ، وعليها
كوايج الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عمارية ، ويختص لواءان
على رنحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه في الموكب إلى غير ذلك
من الآلات التي يطول ذكرها ، ويعسر استيعابها .

ومنها (التقارات) . وكانت على عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل تقارات
الكوسات بغير كوسات ، تسير في الموكب اثنتين اثنتين ولها حُسن حسن .

ومنها (الخيام والفساطيط) وكان من أعظم خيمهم خيمة تعرف بالقاتول ، طول
عمودها سبعون ذراعا ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها ما يزيد على فدانين
في التدوير . وسميت بالقاتول لأن فرأشاً سقط من أعلاها فمات .

قلت : ولعمري إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوة قدرة ، وأنى
يتأتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وإن جل قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

(في حواصل الخليفة ، وهي على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الخزائن ، وهي ثمان خزائن)

الأولى - (خزانة الكتب) . وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم ،
وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدّة كثيرة ،
ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم
مما يُدهش الناظر ويحيره ، وربما اجتمع من المصنّف الواحد فيها عشر نسخ

فما دونها، وكان فيها من الدُرُوج المكتبة بالخطوط المنسوبة نخط ابن مقلة وابن البواب، ومن جرى مجراهما^(١).

الثانية - (خزانة الكسوة) وهي في الحقيقة خزانتان . إحداهما - الخزانة الظاهرة، وهي المعبر عنها في زماننا بالخزانة الكبرى على ما كانت عليه أولاً، والمعبر عنها بخزانة الخالص على ما استقرّ عليه الحال آخراً، وكان فيها من الحواصل من الديباج الملوّن على اختلاف ضروبها، والشرب الخالص الدقيق والسقلاطون، وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عظم المملكة، وإليها يحمل ما يُعمل بدار الطراز بتّيس ودِمياط والإسكندرية من مستعملات الخالص، وفيها يفصل ما يؤمر به من لباس الخليفة، وما يحتاج إليه من الخلع والتشريف وغير ذلك . الثانية - معدّة للباس الخليفة خاصة، وهي المعبر عنها في زماننا بالبطشت خاناه، وإليها ينقل القماش المفصل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة - (خزانة الشراب). وهي المعبر عنها في زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمرببات الفاخرة وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصّينيّة من الزبادى والصّحون والبرانيّ والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك .

الرابعة - خزانة الطّعم . وهي المعبر عنها في زماننا بالحوائج خاناه، وكانت تحتوى على عدّة أصناف من جميع أصناف القلويّات من الفستق وغيره والسكر والقند والأعسال على أصنافها والزيت والشمع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصاً وعاماً، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات في كل شهر، ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر .

(١) لعل الأنسب ما فوقها (٢) لعل تمامه [ما يدل على عظم المملكة] كما سيأتى في نظيره .

الخامسة - (خزانة السروج) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالركاب خاناه ، وكانت قاعة كبيرة بالقصر ، بها السروج والجلج من الذهب والفضة ، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة ، ثم منها ما هو قريب من الخاص ، ومنها ما هو وسط برسم من هو من أرباب الرتب العالية ، ومنها ما هو دون ، برسم من هو برسم العوارى أيام للمواكب لأرباب الخدم .

السادسة - (خزانة القرش) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالفراش خاناه ؛ وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك ؛ وكان الخليفة يحضر إليها من غير جلوس ويطوف فيها ، ويسأل عن أحوالها ، ويأمر بإدامة عمل الاحتياجات وحملها إليها .

السابعة - (خزانة السلاح) . وهى المعبر عنها فى زماننا بالسلاح خاناه ؛ فيها من أنواع السلاح المختلفة مالا نظيره : من الزرديات المغشاة بالديباج المحكة الصنعة المحلاة بالفضة ، والجواشن المذهبة ، والخوذ المحلاة بالذهب والفضة ، والسيوف العربيات والقلجورية ، والرماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة ، والأسنة العظيمة والقسي المحبورة المنسوبة إلى أفاضل الصناع ، وقسي الرجل والركاب ، وقسي اللولب التى تبلغ زنة نصله خمسة أرطال بالمصرى ، والنبل الذى يرمى به عن القسي العربية فى المجارى المصنوعة لذلك .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : كان يصرف فيها فى كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار .

الثامنة - (خزانة التجمل) . وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يخرج منها للوزير والأمراء فى المواكب الأولى والثضب الفضة والعماريات وغيرها . قال ابن الطوير : هى من حقوق خزائن السلاح .

وأما (خزائن المال) فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة، والذخائر العظيمة، والأقمشة الفاخرة مالا تحصره الأقلام.

وناهيك أن المستنصر لما وقع الغلاء العظيم بمصر، أخرج من خزائنه في سنة اثنتين وستين وأربعمائة ذخائر تسعها للإعانة على قيام أمر المملكة والجند، فكان مما أخرجهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار، وسبعون ألف قطعة من الدياج، وعشرون ألف سيف محلي. ولما استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على القصر بعد وفاة العاضد: آخر خلفائهم، وجد فيه من الأعلاق الثينة والتجف ما يخرج عن حد الإحصاء، من جملة الخافر الياقوت المقدم ذكره. ويقال إنه وجد فيه قضيب زمردي يزيد على قامته الرجل على ما تقدم ذكره في الكلام على الأحجار الملوكة في أثناء المقالة الأولى، ووجد فيه أيضا الهرم العنبر الذي عمله الأمين زنته ألف رطل بالمصرى.

النوع الثاني

(حواصل المواشى المعبر عنها عند كُتَّاب زماننا بالكراع؛ وهي حاصلان)

الأول - الإصطبلات. وهي حواصل الخيول والبغال وما في معناها، قال ابن الطوير: وكان لهم إصطبلان. قال: وكان للخليفة برسم الخاص^(١) في كل إصطبل ما يقرب من الألف رأس، النصف من ذلك برسم الخاص، والنصف برسم العواري في المواكب لأرباب الرتب والمستخدمين، وكان لكل ثلاثة رؤس منها سائس واحد، لكل واحد منها شداد برسم تسييرها، وبكل من الإصطبلين راض كأمير اخور. ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حصانا أدهم قط، ولا يرون إضافته إلى دوابهم بالإصطبلات.

(١) لعلها زائدتان من قلم الناصح.

الثانى - المَنَاحَت . وهى حواصل الجمال ، وكان لهم من الجمال الكثيرة بالمَنَاحَت وعُدَّدها الفائقة ما يقصر عنه الحد .

النوع الثالث

(حواصل الغلال وشُؤنُ الأتبان)

أما الغلال ، فكانت لهم الأهرأء فى عدة أماكن : بالقاهرة وبالقُسْطَاط ، والمَقْسيم ، ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتى تقطع بالمساحى .

وأما شُؤنُ الأتبان ، فكان بطريق القُسْطَاط شونتان عظيمتان مملوءتان بالبنين معبأتان تعبئة المراكب كالجلبين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الديوانية وعوامل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثمائة وستين رطلا .

النوع الرابع

(حواصل البضاعة)

قال ابن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القنب والكَنّ ، والمنجنقات والصنّاع الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أولا بالجزيرة المعروفة الآن بالرّوضة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصّناعة قاله القضاعى .

النوع الخامس

(مافى معنى' الحواصل : لوقوع الصرف والتفرقة منه ،

وهو الطواحين والمطبخ ودار الفطرة)

فأما الطواحين ، فإنها كانت معلقة ، مداراتها أسفل وطواحينها فوق كما فى السواقى حتى لا يقارب الدقيق زبل الدواب الدائرة لاختصاصه بالخليفة . وأما المطبخ ، فقد تقدّم فى الكلام على خطط القاهرة ، وكان يدخل بالطعام منه إلى القصر من باب الزهومة مكان قاعة الحنابلة من المدرسة الصالحية الآن على ما تقدّم فى خطط القاهرة . قال ابن الطوير : ولم يكن لهم أسمطة عامّة فى سوى العيدين وشهر رمضان .

المجملة الثالثة

(فى ذكر جيوش الدولة الفاطمية ، وبيان مراتب أرباب السيوف)

وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول الأمراء ،

(وهم على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة الأمراء المطوقين . وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم ؛ وكأنهم بمثابة الأمراء مقدّمى الألو فى زماننا .

المرتبة الثانية - مرتبة أرباب القُصْب ، وهم الذين يركبون فى المواكب بالقُصْب الفِصّة التى يخرجها لهم الخليفة من خزانة التّجمل تكون بأيديهم ، وهم بمثابة الطبلخاناه فى زماننا .

المرتبة الثالثة - أدوان الأمراء ممن لم يؤهل لحمل القُصْب . وهم بمثابة أمراء العشرات والخمسات فى زماننا .

الصنف الثاني

(خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(الأستاذون)

وهم المعروفون الآن بالخدام وبالطواشيّة ، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ، وأجلهم المُنَكُّون ، وهم الذين يُدَوِّرون عمائمهم على أحناءهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصمهم به ، وكانت عدتهم تزيد على ألف . قال ابن الطوير : وكان من طريقتهم أنه متى ترشح أستاذ منهم للحك وحك ، حمل إليه كل أستاذ من المُنَكِّين بدلة كاملة من ثيابه وسيفا وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفي يده مثل ما في أيديهم .

النوع الثاني

(صبيان الخاص)

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصية في زماننا .

النوع الثالث

(صبيان الحجر)

وهم جماعة من الشّباب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون في حُجَرٍ منفردة لكل حُجْرة منها اسم يخصها ، يضاهاون ممالك الطباقي السلطانية الآن المعبر عنهم بالكنانية إلا أن عدتهم كاملة وعللهم مزاحة ، ومتى طُلبوا لهم لم يجدوا عائقا ، وللصبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الأستاذين ، وكانت حُجَرَتهم بمعزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية ببيرس الآن .

الصنف الثالث

(طوائف الأجناد)

وكانوا عدّة كثيرة، تنسب كلّ طائفة منهم إلى مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم ، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر ، أو إلى مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجُيُوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجماليّ وولده الأفضل ، أو إلى مَنْ هى منتسبةٌ إليه فى الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والديلم والمصامدة ، أو من المستصنعين كالروم والفرننج والصقالبة ، أو من السُودان من عبيد الشراء ، أو العتقاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قُوداء ومقدمون يحكون عليهم .

الجملة الرابعة

(فى ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ، وهم على قسمين)

القسم الأول

(ما بحضرة الخليفة ، وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب الوظائف من أرباب السيوف ، وهم نوعان)

النوع الأول

(وظائف عاقمة الجند ، وهى تسع وظائف)

الوظيفة الأولى - (الوزارة) وهى أرفع وظائفهم وأعلىها رتبةً . وأعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة تكون فى أرباب السيوف، وتارة فى أرباب الأقاليم، وفى كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارة تفويض تضاهى السلطنة الآن

أو قريبا منها، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة؛ وتارة تتحط فتكون دون ذلك، ويعبر عنها حينئذ بالوساطة .

قال في "نهاية الأرب" : وأول من خُوطب منهم بالوزارة يعقوب بن كلس وزير العزيز، وأول وزارتهم من عطاء أرباب السيوف بدر الجمالي وزير المستنصر، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومنها استقل بالسلطنة على ما تقدم .

الوظيفة الثانية - (وظيفة صاحب الباب) وهي ثاني رتبة الوزارة . قال ابن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب الكافل في زماننا، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزيراً صاحب سيف ، فإن كان ثم وزيراً صاحب سيف ، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه، وصاحب الباب من جملة من يقف في خدمته .

الوظيفة الثالثة - (الاسفهلارية) . قال ابن الطوير : وصاحبها زمام كل زمام، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة - (حمل المظلة) في المواسم العظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهي من الوظائف العظام، وصاحبها يسمى حامل المظلة، وهو أمير جليل، وله عندهم التقدم والرفعة : لجل ما يعلو رأس الخليفة .

الوظيفة الخامسة - (حمل سيف الخليفة) في الموكب التي تحمل فيها المظلة، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة - (حمل رُح الخليفة) في الموكب التي تحمل فيها المظلة . وهو رح صغير يحمل مع الخليفة في الموكب، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرح .

الوظيفة السابعة - (حمل السلاح) حول الخليفة في المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيهم بالركابية وبصبيان الركاب الخاص أيضا، وهم الذين يعبر عنهم في زماننا بالسلاح دارية والطبردارية، وكانت عدتهم تزيد على ألفي رجل، ولهم أئسا عشر مقدما، وهم أصحاب ركاب الخليفة، ولهم ثقباء موكلون بمعرفتهم، والأكاب من هؤلاء الركابية تندب في الأشغال السلطانية، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصيت المرتفع .

الوظيفة الثامنة - (ولاية القاهرة). وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرمة الوافرة، وله مكان في الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسعة - (ولاية مصر) . وهي دون ولاية القاهرة في الرتبة كما هي الآن، إلا أن مصر كانت إذ ذاك عامرة أهلة، فكان مقدارها أرفع مما هي عليه في زماننا .

النوع الثاني

(وظائف خواص الخليفة من الأستاذين، وهي عدة وظائف، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يختص بالأستاذين المحنكين، وهي تسع وظائف)

الأول - (شدّ التاج) . وموضوعها أن صاحبها يتولى شدّ تاج الخليفة الذي يلبسه في المواكب العظيمة بمثابة اللّفاف في زماننا، وله ميزة على غيره بلمسه التاج الذي يعلو رأس الخليفة، وكان لشده عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يأتي به في هيئة مستطيلة، ويكون شده بمنديل من لون لبس الخليفة، ويعبر عن هذه الشدة بشدة الوقار كما تقدم .

الثانية - وظيفة (صاحب المجلس) . وهو الذى يتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام فى المواعيد ، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يعلمهم بذلك ، وينعت (بأمين الملك) ، وهو بمثابة أمير خازن دار فى زماننا .

الثالثة - وظيفة (صاحب الرسالة) . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره .

الرابعة - وظيفة (زمام القصور) . وهو بمثابة زمام الدور فى زماننا .

الخامسة - وظيفة (صاحب بيت المال) . وهو بمثابة الخازن دار فى زماننا .

السادسة - وظيفة (صاحب الدفتر) المعروف بدفتر المجلس . وهو المتحدث على الدواوين الجامعة لأمر الخلافة .

السابعة - وظيفة (حامل الدواة) . وهى دواة الخليفة المتقدم ذكرها ، وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدامه على السرج ويسير بها فى المواعيد .

الثامنة - وظيفة (زَم الأَقارب) . وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم .

التاسعة - (زَم الرجال) . وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة .

الضرب الثانى

(ما يكون من غير المحنكين ، ومن مشهوره وظيفتان)

الأولى - تَقَابَة الطالبيين . وهى بمثابة تَقَابَة الأشراف الآن ، ولا يكون إلا من شيوخ هذه الطائفة وأجلهم قَدْرًا ؛ وله النظر فى أمورهم ، ومنع من يدخل فيهم من

الأدعياء، وإذا آرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مَرْضاهم، ويمشَى في جنازهم، ويسعى في حوائجهم، ويأخذ على يد المتعدى منهم، ويمنع من الاعتداء، ولا يَقْطَعُ أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانية - (زم الرجال) . صاحبها يتحدَّث على طوائف الرجال والأجناد كرم صبيان الجُحْر، وزم الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية، وزم السُّودان وغير ذلك؛ وهو بمثابة مقدّم الممالك في زماننا .

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أربابُ الأفلام، وهم على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الدينية، والمشهور منهم ستة)

الأول - (قاضى القُصَاة) . وهو عندهم من أجل أرباب الوظائف وأعلام شأنًا وأرفعهم قدرا . قال ابن الطوير : ولا يتقدّم عليه أحد أو يحتّمى عليه، وله النظر في الأحكام الشرعية ودُور الضَرْبِ وضبط عيارها، وربما جُمِعَ قضاء الديار المصرية وأجناد الشام وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهدٌ واحد كما سيأتى في الكلام على الولايات إن شاء الله تعالى .

ثم إن كان الوزير صاحب سيف، كان تقليدُه من قبَلِه نيابة عنه، وإن لم يكن، كان تقليده من الخليفة،

ويقدم له من إصطبلات الخليفة بغلةً شهباء يركبها دائما، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة، ويخرج له من خزانة السروج مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفضة، وفي المواسم الأطواق، وتُخلَع عليه الخلع المذهبة؛ وكان من

مصطلحهم أنه لا يعدل شاهدا إلا بأمر الخليفة، ولا يحضر إملاكا ولا جنازة إلا بإذن، وإذا كان ثم وزير لا يخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير؛ ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أول النهار للسلام على الخليفة، ويوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر، وله طرحة ومسدند للجلوس وكُرسيّ توضع عليه دوائه. وإذا جلس بالمجلس، جلس الشهود حوَالَيْهِ يَمَنَةً وَيَسَرَةً على مراتبهم في تقدّم تعديلهم. قال ابن الطوير: حتى يجلس الشاب المتقدّم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل، وبين يديه أربعة موقعون: آثنان مقابل آثنين، وبجانبه خمسة حُجَّاب: آثنان بين يديه وآثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم. ولا يقوم لأحد وهو في مجلس الحكم البتة.

الثانى - (داعى الدعاة). وكان عندهم على قاضى القضاة فى الرتبة ويترياً بزيه فى اللباس وغيره. وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم، ويأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم.

الثالث - (المحتسب). وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجّله بمصر والقاهرة على المنبر؛ ويده مُطْلَقَةٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة؛ ولا يُحَال بينه وبين مصلحة أرادها؛ ويتقدّم إلى الولاة بالشّد منه، ويقيم الثّواب عنه بالقاهرة ومصر. وجميع الأعمال كنوّاب الحُكْم؛ ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوماً بيوم، وباقى أمره على ما الحال عليه الآن.

قلت: ورأيت فى بعض سجّلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبي الشرطة بهما أحياناً.

الرابع - (وكالة بيت المال). وكانت هذه الوكالة لا تُسند إلا لذوى الهيبة من شيوخ العدول، ويفوّض إليه عن الخليفة بيع ما يرى بيعه من كل صنف يملك

ويجوز التصرف فيه شرعاً، وعتق الممالك، وتزويج الإماء، وتضمين ما يقتضى الضمان، وأبتياع ما يرى أبتياعه، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه في التصرف عن الخليفة .

الخامس - (النائب). والمراد نائب صاحب الباب المتقدم ذكره المعبر عنه في زماننا بالمهمندار . قال ابن الطوير : ويعبر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . قال : وهى رتبة جليلة، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأقلام ؛ وصاحبها ينوب عن صاحب الباب فى تلقى الرسل الواردين على الخليفة على مسافة وقفه ثواب الباب فى خدمته ، ويُنزل كلاً منهم فى المكان اللائق به ، ويرتب لهم ما يحتاجون إليه ، ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم ، ويتولى أفتقادهم ، ويُدّكر صاحب الباب بهم ، ويسعى فى نجاز أمرهم ، وهو الذى يسلم بهم على الخليفة أو الوزير ويتقدمهم ويستأذن عليهم ، ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى ، والنائب قابض على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويحتمد فى انفصالهم على أحسن الوجوه ، وإذا غاب أقام عنه نائباً إلى أن يعود . ومن شريطته أنه لا يتناول من أحد من الرسل مقدمة ولا طرفة إلا بإذن .

قال ابن الطوير : وهو المسمى الآن بالمهمندار ، وسيأتى فى الكلام على ترتيب المملكة المستقر أن المهمندار الآن من أصحاب السيوف ، وكأن ذلك لموافقة الدولة فى اللسان والهيئة .

السادس - (القراء) . وكان لهم قراء يقرءون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المراكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم "قراء الحضرة" يزيدون فى العدة على عشرة نفر ، وكانوا يأتون فى قراءتهم فى المجالس ومراكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملابسة ، قد ألفوا ذلك وصار سهل الاستحضار عليهم ، وكان ذلك يقع منهم موقع

الاستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غَضِبَ على أمير فامر باعتقاله ، فقرأ قارئ الحضره : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إذا رُوِيَ قصدهم فيها، أخرجت القراءان عن معناه : كما يحكى أنه لما استُوزِر المستنصر بدر الجمالى قرأ قارئهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَاتَّمَّ أَذْلَهُ ﴾ ولما استُوزِر الحافظ رضوان قرأ قارئهم : ﴿ يَشْرَهُمْ رَبَّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ إلى غير ذلك من الوقائع .

النوع الثانى

(من أرباب الأقاليم أصحاب الوظائف الديوانية ، وهى على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم)

أعلم أن أكثر وزراءهم فى ابتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأقاليم : تارة وزارة تامة وتارة وساطة ، وهى رتبة دون الوزارة ، ومن اشتهر من وزراءهم أرباب الأقاليم فيما ذكره ابن الطوير يعقوب بن كلس وزير العزيز ، والحسن بن عبد الله اليازورى وزير المستنصر ، وأبو سعيد التستري ، والجرجاني ، وابن أبي كدينة ، وأبو الطاهر أحمد بن بابشاذ صاحب المقدمة فى النحو ، ووزير الوزراء على بن فلاح ، والمغربى وزير المستنصر ، وهو آخر من وُزِّرَ لهم من أصحاب الأقاليم ، وعليه قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فوزر للمستنصر على ما تقدم ذكره ، وربما تخلل تلك المدة الأولى فى الوساطة أرباب السيوف ، كبرجوان الخادم ، وقائد القواد الحسين بن جوهر ، وثقة ثقات السيف والقلم على بن صالح

كلهم في أيام الحاكم . وربما وَلَّى الوساطة بعضُ النصارى، كعميسى بن نسطورس في أيام العزيز، ومنصور بن عبَّدون الملقب بالكافى، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافى كلاهما في أيام الحاكم . وربما كان الأمر شورى في أهل المروادنى^(١)، وكان من زمرى وزرائهم أصحاب الأقالام أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم كالعدول، وينفردون بلبس الدرايع مشقوقةً من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرى؛ وهذه علامة الوزارة؛ ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ، وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه المُجَّاب، وأمره نافذ في أرباب السيوف من الأجناد، وفي أرباب الأقالام .

الضرب الثانى

(ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف)

الأولى - صحابة ديوان الإنشاء والمكاتبات، وكان لا يتولاه إلا أجلُّ كُتَّاب البلاغة، ويخاطب بالأجلِّ؛ وكان يقال له عندهم كاتب الدست الشريف، وإليه تسلَّم المكاتبات الواردة مختومةً فيعرضها على الخليفة من يده، وهو الذى يأمر بتزيلها والإجابة عنها؛ ويستشير الخليفة فى أكثر أموره؛ ولا يُحجب عنه متى قصد المثلّ بين يديه، وربما بات عنده الليالى، ولا سبيل إلى أن يدخل إلى ديوانه ولا يجتمع بكُتَّابه أحدٌ إلا خواص الخليفة . وله حاجب من الأمراء الشيوخ، وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمخاد والمسد، ودواته من أخص الدوى وأحسنها إلا أنه ليس لها كرسى توضع عليه كدواة قاضى القضاة، ويحملها له أستاذ من الأساتذین المختصين بالخليفة إذا أتى إلى حضرته .

(١) كذا فى الأصل مضبياً عليه إشارة للتوقف ولعله المروءات .

الثانية - (التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم) وهي رتبة جليلة تلي رتبة صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات، يكون صاحبها جلسا للخليفة في أكثر أيام الأسبوع في خلوته، إذا كره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين، ويقرأ عليه ملح السَّير، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق، ويقوى يده في تجويد الخط وغير ذلك. وصحبته للجلوس دواة مُحَلَّاة، فإذا فرغ من المجالسة ألقى في الدواة كأغدة فيها عشرة دنانير، وقِرطاس فيه ثلاثة مثاقيل نَدَّ مثلث خاص ليتخبر به عند دخوله على الخليفة ثانی دَفْعَة. وإذا جلس الوزير صاحب السيف للمظالم، كان إلى جانبه يوقِّع بما يأمر به في المظالم. وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن، وفراش لتقديم القصص؛ ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن.

الثالثة - (التوقيع بالقلم الجليل). وكان يسمى عندهم الخدمة الصغيرة لجلالته، ولصاحبها الطَّراحة والمسند في مجلسه بغير حاجب. وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقِّع به صاحب القلم الدقيق، وبسطه. وصاحب القلم الدقيق في المعنى ككاتب السر أو كاتب الدَّست في زماننا، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدَّرَج. فإذا رفعت قِصَص المظالم، حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه، ثم تحمل إلى الموقع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق، ثم تحمل في خريطة إلى الخليفة فيوقِّع عليها، ثم تُخْرَج في خريطة إلى الحاجب فيقف على باب القصر، ويسلم كل توقيع لصاحبه. أما توقيع الخليفة بيده على القِصَص، فإنه إن كان ثمَّ وزيرٌ صاحب سيف وقَّع الخليفة على القصة بخطه: "وزيرنا السيد لأجل (ونعته بالمعروف به) أمتنا الله تعالى ببقائه يتقدم بكذا وكذا إن شاء الله تعالى" ويحمل إلى الوزير فإن كان يحسن الكتابة،

كتب تحت خط الخليفة : " أمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه " وإن كان لا يحسن الكتابة ، كتب أمتثل فقط ، وإن لم يكن وزيراً صاحب سيف : فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته ، وقّع في الجانب الأيمن من القصة " يوقع بذلك " فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها بالقلم الجليل ويخلى موضع العلامة ، ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب في موضع العلامة (يُعتمد) وثبتت في الدواوين بعد ذلك . وإن كان يوقع في مساحة أو تسويغ أو تحبيس ، كتب لرافعها بذلك " وقد أمضينا ذلك " وإن أراد علم حقيقة القصة ، وقّع على جانب القصة " ليخرج الحال في ذلك " وتحمل إلى الكاتب فيكتب الحال وتعاد إلى الخليفة فيفعل فيها ما أراد من توقيع ومنع ، والله أعلم .

الضرب الثالث

(ديوان الجيش والرواتب، وهو على ثلاثة أقسام)

الاول - (ديوان الجيش) . ولا يكون صاحبه إلا مُسلياً، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة؛ وبين يديه حاجبٌ، وإليه عرض الأجناد وخبولهم، وذكر حلالهم وشيآت خيولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم أن لا يثبت لأحد من الأجناد إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والبراذين، وليس له تغيير أحد من الأجناد ولا شيء من اقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدي صاحب هذا الديوان نُقباء الأمراء ، يُعرّفونه أحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبّة والحضور وغير ذلك ، على ما الحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد في المقايضة بالإقطاعات لما لهم في ذلك من المصالح كما هو اليوم ، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير علامة ؛ ولم يكن لأمر من أمرائهم بلد كاملة ، وإن علا قدره إلا في النادر . ومن هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات، وله خازنان برسم رفع الشواهد .

الثانى - (ديوان الرواتب) . وكان يشتمل على أسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجرية ؛ وفيه كاتب أصيل بطراحة ونحو عشرة معينين ، والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات ، وفيه عدة عروض يأتي ذكرها فى الكلام على إجراء الأرزاق والعطاء .

الثالث - (ديوان الإقطاع) . وكان مختصا عندهم بما هو مقطاع للأجناد ، وليس للباشرين فيه تنزيل حلية جندى ولا شية دابته ، وكان يقال لإقطاعات العربان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد ، وهى دون عبرة الأجناد .

الضرب الرابع (نظر الدواوين)

وصاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل ، وله الولاية والعزل ، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة على الخليفة والوزير ، وله الجلوس بالمرتبة والمسند ؛ وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ؛ وتخرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسى ، وإليه طلب الأموال واستخراجها والمحاسبة عليها ، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال ابن الطوير : ولم يرفى هذه الوظيفة نصرانى إلا الأحرم .

الثنائية^(١) - ديوان التحقيق . وموضوعه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير ، وله الخلع ومرتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه ، ويُفْتَقَرُ إليه فى كثير من الأوقات ، ويُتَحَقَّقُ برأس الدواوين المتقدم ذكره .

الثالثة - ديوان المجلس . قال ابن الطوير : وهو أصل الدواوين قديما ، وفيه معالم الدولة بأجمعها ، وفيه عدة كُتَّاب ، وعنده معين أو معينان ، وصاحب هذا الديوان

(١) لم يتقدم له تقسيم ولم يذكر أولى لتكون هذه ثانيها والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أولى ونظر ديوان التحقيق ثانية وهكذا تأمل .

هو المتحدث في الإقطاعات، ويُجْلَع عليه وينشأ له سجلٌ بذلك لاحق بديوان النظر، وله دواة تُخْرَج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عندهم أحد كُتَّاب الدولة ممن يكون مترشحاً لأن يكون رأس الدواوين، ويسمى أَسْتِيَارُهُ دفتر المجلس، وهو متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم التي تقرّر في غُرّة السنة والضحايا، وما ينفق في دار الفِطْرَةِ في عيد الفطر، وفي فتح الخليج والأسمطة المستعملة في رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات، وما يطلّق من الأهراء من الغلّات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على اختلاف الطبقات من المُرتَّب، وما يَريد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يَبْعَثُ به إليهم من الملاطفات، ومقاديرِ صلات الرسل الواردين بالمكاتبات، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحريم، وضبط ما يُنفَق في الدولة من المهمّات ليَعْلَمَ ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة. وهذا الديوان في زماننا قد تفرّق إلى عدّة دواوين كالوزارة ونظر الخصاص والجيش وغيرها.

الرابعة - (ديوان خزائن الكُسوة). وكان لها عندهم رتبة عظيمة في المباشرات، وقد تقدّم ذكر حواصلها في جملة الخزائن فيما سبق.

الخامسة - (الطراز). وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين من أرباب الأقاليم، وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومُقامه بِدِمِيَّاطَ وَتَيْسَ وغيرهما من مواضع الاستعالات، ومن عنده تحمل المستعملات إلى خزانة الكسوة المقدّمة الذكر.

السادسة - (الخدمة في ديوان الأحباس). قال ابن الطوير: وهي أوكد الدواوين مباشرة ولا يخدم فيها إلا أعيان كُتَّاب المسلمين من الشهود المعدّلين، وفيها عدّة مدراء (١)

(١) تقدم له مثل هذا الجمع في الجزء الأول ونهنا عليه.

بسبب أرباب الرواتب ، وكان فيه كاتبان ومُعِينان لنظم الاستياريات ، ويُورد في استياريه كل ما في الرقاع والرواتب ، وما يُجِبُّ له من جهات كل من الوجهين القبلي والبحري .

السابعة - (الخدمة بديوان الرواتب) . وفيه مرتبات الوزير فن دونه إلى الضوى . قال ابن الطوير : بلغ في بعض السنين ما يزيد على مائة ألف دينار ونحوها من مائتي ألف ، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب ، وكان استياري الرواتب يعرض في كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد ، وينقص من ينقص ، وإنه عُرِضَ سنة على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتبين بنقص ، ووقع على ظاهر الاستياري بخطه "الفقر مر المذاق ، والحاجة تذلل الأعناق ، وحراسة النعم بإدراار الأرزاق ، فليجروا على رسومهم في الإطلاق ، ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق" وأمر ولي الدولة ابن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك .

الثامنة - (الخدمة في ديوان الصعيد) من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى . وكان فيه عدة كُتَّاب فروع ، والاستيفاء مقسوم بينهم ، وسليهم عمل التذاكر بطلب ما تاجر من الحساب . وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه ، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقع عليها بالاسترفاع ، ويندب لها من الحجاب أو غيرهم من يراه ، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدة بقاءه عندهم ويحضرها نسخاً للتواوين الأصول .

التاسعة - (الخدمة في ديوان أسفل الأرض) . وهو الوجه البحري خلا الثغور ، وحكمه فيما تقدم من الكُتَّاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصعيد المتقدم الذكر من غير فرق .

العاشرة - (الخدمة في ديوان الثغور) . وهي الإسكندرية ودمياط وسائر واهب البرلس والفرما ، وحكمه حكم ما تقدم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض .

الحادية عشرة - (الخدمة في الجوالى والموارث الحشرية) . قال ابن الطوير: كان لا يتولاه إلا عدل ، وفيه جماعة من الكُتَّاب على ما تقدم في غيره من الدواوين أيضا .
الثانية عشرة - (الخدمة في ديوانى الخراجى والهلالي) وتجرى فيه الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتفقين .

الثالثة عشرة - (الخدمة في ديوان الكُراع) . وفيه معاملة الإصطبلات ، وما فيها من الدواب الخاص وغيرها والبغال والجمال ودواب المَرَمَّة المُرَصَّدة للعمائر ورباع الديوان ، وعدد ذلك وآلاته ، وعلوفات ذلك مع ما ينضم إليه من علوفة الفيلة والزراف والوحوش وراتب مَنْ يخدمها . وكان في هذا الديوان كاتباً أصل ومستوفى ومُعِينان .
الرابعة عشرة - (الخدمة في ديوان الجهاد) . ويقال له ديوان العمائر ، وكان محله بالصَّناعة بمصر ، وفيه إنشاء المراكب للأسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها ، ومنه يُنْفَق على رؤساء المراكب ورجالها ، وإذا لم يف ارتفاقه بما يحتاج إليه أَسْتُدْعَى له من بيت المال بما يكفيه .

الصنف الثالث من أرباب الوظائف

(أصحاب الوظائف الصناعية)

وأعظمها وظائف الأطباء ، وكان للخليفة طبيب يُعرَف بطبيب الخاص يجلس على باب دار الخليفة كل يوم ، ويجلس على الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يحدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتب لهم رقاعاً على خزانة الشراب فيأخذون ما فيها ، وتبقى الرقاع عند مباشرها شاهداً لهم . ولكل منهم الجارى والراتب على قدره .

(١) لم نعر على هذا الجمع في كتب اللغة ولعله جارى العامة في تعبيراتهم .

الصنف الرابع

(الشعراء)

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سُنَّة لا يَغْلُون
في المديح، وشيعة يَغْلُون فيه. فَمِنْ أَحْسَنِ مَدِجٍ فِيهِمْ لُسْنِيَّ قول عمارة التيمي رحمه الله:
أَفَاعِلُهُمْ فِي الْجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ * وَإِنْ خَالَفُونِي فِي اعْتِقَادِ التَّشْيِيعِ

ومن الذى وقعت فيه المغالاة قول بعضهم :

هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجْلِسُ * أَبْصَرْتُ فِيهِ الْوَحْيَ وَالْتِزِيلَا

وَإِذَا تَمَثَّلَ رَأْسُكَ بِي مَوْكِبٍ، * عَايَنْتُ تَحْتَ رِكَابِهِ جِبْرِيلَا

قلت : وهذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التى لا يجوز الإقدام عليها لسنى
ولا متشيع، وإنما هى من اقتحام الشعراء البوائق .

القسم الثانى

(من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج

عن حضرة الخلافة، وهو صنفان)

الصنف الأول

(الثواب والولاءة)

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَمْلَكَتَهُمْ كَانَتْ قَدْ ^(١) فِي ثَلَاثِ مَمَالِكٍ فِيهَا ثَوَابُهُمْ وَوَلَايَتُهُمْ .
الملكة الأولى الديار المصرية، وهى التى كانت قد أَسْتَقَرَّتْ قَاعِدَةُ مَلِكِهِمْ، وَمَحَطَّ
رَحْلَتُهُمْ، وَكَانَ بِهَا أَرْبَعُ وِلَايَاتٍ .

الأولى - ولاية قُوصَ . وكانت هى أعظم ولايات الديار المصرية، وواليتها
يَحْكُمُ عَلَى جَمِيعِ بِلَادِ الصَّعِيدِ، وَرَبْمَا وَلَّى بِالْأَشْمُونِينَ وَنَحْوِهَا مِنْ يَكُونُ دُونَهُ .

(١) بياض بالأصل ولعله "أنحصرت" كما يفهم من سياق كلامه .

الثانية - ولاية الشَّرْقِيَّة . وكانت دون ولاية قُوصَ في الرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل بُلْبَيْسَ وعمل قَلْيُوبَ وعمل أَشْمُومَ .

الثالثة - ولاية الغَربِيَّة . وكانت دون ولاية الشرقية في المرتبة ، وكان متوليها يحكم على عمل المَحَلَّة ، وعمل مَنُوفَ ، وعمل أبيار .

الرابعة - ولاية الإسْكَندَرِيَّة . وهى دون الغربية في الرتبة، وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ابن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخْلَعُ عليهم من خزانة الكُسُوة بالبدنة، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة في يوم فتح الخليج .

قلت : لعل هذه الولايات الأربع ولايات الولاية التى تدخل تحت حكمها الولايات الصَّغار، أو تكون هى التى آسَفتَر عليه الحال في آخر دولتهم ، وإلا فقد رأيت في تذكرة أبى الفضل الصورى : ^(١) أحد كُتَّاب الإنشاء في أيام القاضى الفاضل سِجِلَاتٍ كثيرة لولاية الوجهين القبلى والبحرى .

الجملة الخامسة

(من ترتيب مملكتهم، في هيئة الخليفة في مواكبه وقصوره، وهى على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(جلوسه في المواكب ، وله ثلاثة جلوسات)

الجلوس الأول

(جلوسه في المجلس العام أيام المواكب)

وَأَعْلَمُ أن جلوس الخليفة أولاً كان بالإيوان الكبير الذى كان بالقصر على سرير المُلْك الذى كان بصدرة إلى آخر أيام المستعلى . فلما ولى أبته الأمر الخلافة بعده ،

(١) لم يذكر بقية الممالك الثلاث أقصارا على المقصود وسيأتى ذكر البقية في الجزء الرابع .

نقل الجلوس من الإيوان الكبير إلى القاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ، وصار يجلس من مجالسها على سرير الملك به ، وجعل الإيوان الكبير خزانة للسلاح ، ولم يتعرض لإزالة سرير الملك منه حتى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان جلوس الخليفة في هذه الحالة لا يتعدى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك على الدوام بل على التقرير بحسب ما تقتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان في الشتاء علق المجلس الذى يجلس فيه بستور الديباج ، وفرش بالبط الخريز ، وإن كان في الصيف ، علق بالستور الديبقي وفرش بطبرى طبرستان المذهب الفائق ، وهيئت المرتبة المعدة لجلوسه على سرير الملك بصدر المجلس ، وغشى السرير بالقرطوبى ، ثم يستدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان فى أسرع حركة على خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء ، وهو راكب إلى أول باب من الدهاليز الطوال عند دهليز يعرف بدھليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلى مقطع الوزارة بقاء الذهب ، فإذا تمأ جلوس الخليفة ، استدعى الوزير من مقطع الوزارة إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مغلق ، وعلى بابه ستر مغلق ، فيقف زمام القصر عن يمين باب المجلس وزمام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الأمراء المطوقون وأرباب الخدم الجليلة ، وفى خلال القوم قراء الحضرة ، ويضع صاحب المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكمامه يعرف بفرد الكم ويشير إلى زمام القصر وزمام بيت المال الواقفين بباب المجلس ، فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا على سرير الملك مستقبلا القوم بوجهه ، ويستفتح القراء بالقرآن ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ، ثم يقبل يدى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تُخْرَج له مَحْدَّة عن الجانب الأيمن من الخليفة ويؤمر بالجلوس إليها ، ويقف
 الأمراء في أماكنهم المقررة لهم فصاحب الباب وأسفهلار من جانبي الباب
 يمينا ويسارا ، ويلبهم من خارجه ملاصقا للعتبة زِمَام الأمرية والحافظية وباقي الأمراء
 على مراتبهم إلى آخر الرواق ، وهو إفريز عالٍ عن أرض القاعة ، ثم أرباب القصب
 والعماريات يَمْنَةً وَيَسْرَةً كذلك ، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة ،
 ويقف مستندا بالقدر الذي يقابل باب المجلس تَوَابُ الباب والمجانب ، فإذا انتظم
 الأمر على ذلك ، فأقول مائل للخدمة بالسلاسل قاضي القضاة والشهود المعروفون
 بالاستخدام فيجيز صاحبُ الباب القاضي دون من معه فيسلم على الخليفة بأدب
 الخلافة ، بأن يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ، ويقول بصوت مسموع : ” السلام
 على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ” يتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل
 السلام ، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زَمَامُهُمْ ، وبالأشراف الطالبين نقيهم ، فتمضي
 عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاث ، ثم يسلم عليه من خُلِعَ عليه بقُوص أو الشرقية
 أو الغربية أو الإسكندرية ، ويشرفون بتقبيل العتبة ، وإذا دعت حاجة الوزير
 إلى مخاطبة الخليفة في أمر ، قام من مكانه وقرب منه مُنَحْنِيًا على سيفه ، ويخاطبه
 مرة أو مرتين أو ثلاثا ، ثم يؤمر الحاضرون بالانصراف فينصرفون ، ويكون آخرهم
 خروج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله . فإذا خرج إلى الدهليز الذي ترجل فيه ،
 ركب منه إلى داره ، وفي خدمته من حضر في خدمته إلى القصر ، ويدخل الخليفة
 إلى سكّنه مع خواصّ الأستاذين ، ثم يُغْلَق باب المجلس ويرنخى الستر إلى أن يحتاج
 إلى حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك .

الجلوس الثانى

(جلوسه للقاضى والشهود فى ليلالى الوقود الأربع من كل سنة)

وهى : ليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادى الآخرة حمل إلى القاضى من حواصل الخليفة ستون شمعة ، زنة كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى ليركب بها فى أول ليلة من شهر رجب ؛ فإذا كان أول ليلة منه جلس الخليفة فى منظره عالية كانت عند باب الزمرد من أبواب القصر المتقدم ذكره ، وبين يديه شمع يوقد فى العلوتيين شخصه على ارتفاعه . ويركب القاضى من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشمع المحمول إليه من حرانة الخليفة موقودا ، من كل جانب ثلاثون شمعة ، وبين الصفيين مؤذنو الجوامع ، يعلنون بذكر الله تعالى ، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرر محفوظ ، ويحجبه ثلاثة من نواب الباب ، وعشرة من حجاب الخليفة ، خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وهم خمسة فى زى الأمراء ، وفى ركابه القراء يقرءون القرآن ، والشهود وراءه على ترتيب جلوسهم يجلس الحكم الأقدم فالأقدم ؛ وحول كل منهم ثلاث شمعات أو شمعتان أو شمعة واحدة إلى بين القصرين فى جمع عظيم حتى يأتى باب الزمرد من أبواب القصر ، فيجلسون فى رجة تحت المنظره التى فيها الخليفة ، ويحضر بين يديه بسمت ووقار وتشوف لا تنتظار ظهور الخليفة ، فيفتح الخليفة إحدى طاقات المنظره فيظهر منها رأسه ووجهه ، وعلى رأسه عدة من خواص الأساذين من المحنكين وغيرهم ، فيفتح بعض الأساذين طاقة أخرى فيخرج منها رأسه ويده اليمنى ، ويشير بكمه قائلا : " أمير المؤمنين یرد علیکم السلام " فيسلم بقاضى القضاة أولا بنعوته ، وبصاحب الباب بعده كذلك ، وبالجماعة الباقية جملة من غير تعيين أحد ؛ ويستفتح قراء الحضرة بالقراءة وهم قیام فى الصدر ، ظهورهم

إلى حائط المَنْظَرَةِ ووجوههم للحاضرين . ثم يتقدم خطيب الجامع الأنور (وهو الذى بباب البحر) فيخطب كما يخطب فوق المنبر ، وينبه على فضيلة ذلك الشهر ، وأن ذلك الركوب علامته ثم ينجم كلامه بالدعاء للخليفة ؛ ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ؛ ثم يتقدم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك ، والقراء فى خلال تلك الخطب يقرءون ، فإذا آتته خطابة الخطباء ، أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام ؛ ثم تغلق الطاقان وينفض الناس ، ثم يركب القاضى والشهود إلى دار الوزير فيجلس لهم لسانوا عليه ، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ، ثم ينصرفون ويذهب القاضى والشهود صحبته إلى مصر ، وإلى القاهرة فى خدمته ، ويمر بجامع ابن طولون فيصلى فيه ويخرج منه فيجد وإلى مصر فى تلقائه فيمضى فى خدمته ، ويمر على المشاهد فيتبرك بها ، ويمضى إلى الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التى يحكم فيها فيصلى فى الجامع ركعتين ، ويؤقده التنور الفضة الذى بالجامع ، وهو تنور عظيم حسن التكوين فيه نحو ألف وخمسمائة براق ، وبسفله نحو مائة قنديل ؛ ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر استقر بها ، وإن كان ساكنا بالقاهرة آتتظره وإلى القاهرة فى مكانه حتى يعود من مصر فيذهب فى خدمته إلى داره .

وكذلك يركب فى ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعد صلاته فى جامع مصر يتوجه إلى القرافة فيصلى فى جامعها ؛ ثم يركب فى أول شعبان كذلك ؛ ثم فى نصفه كذلك .

الجلوس الثالث

(جلوسه فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول)
وكان عادتهم فيه أن يعمل فى دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف ، وتُعطى فى ثلاثمائة صينية نحاس . فإذا كان ليلة ذلك المولد ،

تفرّق في أرباب الرسوم : كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقراء الحاضرة، والخطباء، والمتصدّرين بالجموع بالقاهرة ومصر، وقومة المشاهد وغيرهم ممن له اسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة في منظره قريبة من الأرض مقابل الدار القطيعة المتقدمة الذكر (وهى البيمارستان المنصوريّ الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني المتقدمة الذكر، فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة، وتُسَدُّ الطريق تحت القصر من جهة السيوفين وسُوَيْقَة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رشاً، ويرش تحت المنظره بالرمال الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطُّرُق لمنع المارة، ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحضرون ويتجلّون على القرب من المنظره ويجمعون تحتها وهم متشوّفون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات المنظره فيظهر منها وجهه، ثم يُخْرِجُ إحدى الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرّد عليكم السلام، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء كما تقدّم في ليلى الوقود فإذا آتته خُطابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيراً برّد السلام كما تقدّم، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم، وكذلك شأنهم في مولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه الخاص في أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضرب الثانى

(ركوبه فى المواكب، وهو على نوعين)

النوع الأول

(ركوبه فى المواكب العظام، وهى ستة مواكب)

الموكب الاول

(ركوب أول العام)

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة، وقع

الاهتمام بانخراج ما يحتاج إليه في المواكب من حواصل الخليفة : فيُخَرَّج من خزائن السلاح ما يحمله الركابية وغيرهم حول الخليفة كالصَّاصم ، والدَّبَّابيس ، والثُّنُوت ، وعمد الحديد ، والسيوف ، والدَّرَق ، والرماح ، والألوية ، والأعلام . ومن خزانة التَّجَمُّل برسم الوزير والأمراء وأرباب الحِجْدَم الألوِيَّة والقُضْب ، والعماريات ، وغير ذلك مما تقدّم ذكره . ومن الإصطبلات مائةُ فرس مسوَّمة برسم ركوب الخليفة وما يجنبه . ويُخَرَّج من خزانة السروج مائةُ سرج بالذهب والفضة مرصَّع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب ، وفي أعناق الخيل أطواق الذهب وقلائد العنبر ، وفي أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة ، قيمة كل فرس وما عليها من العدة ألف دينار ، يُدْفَع للوزير منها عشرة بعثتها برسم ركوبه وركوب أخصائه ، وتسلم إلى المناخات أغشية العماريات لتحمل على الجمال ، إلى غير ذلك من الآلات المستعملة في المواكب مما تقدّم ذكره في الكلام على الخزائن ، ويُبعث إلى أرباب الحِجْدَم من الإصطبلات بخيول عادية ليركبوها في الموكب . فإذا كان يوم التاسع والعشرين من ذى الحجة ، آستدعى الخليفة الوزير من داره على الرسم المعتاد في الإسراع ، فإذا عاد صاحب الرسالة من آستدعاء الوزير ، خرج الخليفة من مكانه راجعا في القصر ، فينزل في السِدِّي ، بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك ، وعليه ستر من ظاهره ، فيقف من جانبه الأيمن زمامُ القصر ، ومن جانبه الأيسر صاحبُ بيت المال ، ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء ، فإذا وصل إلى باب القصر تَرَجَّل الأمراء وهو راكب ، ويدخل من باب العيد ، ولا يزال راجعا إلى أول باب من الدهاليز الطوال ، فينزل ويمشي فيها وحواليه حاشيته ومن يُرأيه من أولاده وأقاربه . فإذا وصل إلى الشباك ، وجد تحته كرسيًا كبيرا من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطلُّ الأرض ، فإذا جلس ، رفع كلُّ من زمام القصر وصاحب بيت المال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة ، فيقف ويسلم ويخدم بيده في الأرض ثلاث مرّات ، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس . ويستفتح القراء بقراءة آيات لائحة بذلك المكان مقدار نصف ساعة ، ثم يسلم الأمراء ، ويُشرع في عرض خيول الخصاص المقدم ذكرها واحدة واحدة إلى آخرها . فإذا تكمل عرضها ، قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس . فإذا فرغوا أرحى السترو قام الوزير فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج الأمراء معه إلى خارج فيمضون معه إلى داره رُجّانا ومُشاة على حسب مراتبهم . فإذا صلى الخليفة الظهر ، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين ما يلبس في ذلك الموكب ولباسه فيه ، فيعين منديلا لشدّ التاج ، وبدلة من هذا النوع ، والجوهرة الثمينة وما معها من الجواهر المتقدمة الذكر لشدّ التاج وتشدّ مظلة تشبه تلك البدلة ، وتلف في منديل ديبقى فلا يكشفها إلا حاملها عند ركوب الخليفة ، ثم يشدّ لواءى الحمد المتقدمى الذكر . فإذا كان أول يوم من العام ، بكرّ أرباب الرتب من ذوى السيوف والأفلام فلا يُصبح الصبح إلا وهم بين القصرين منتظرين ركوب الخليفة (وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء) ويكرّ الأمراء إلى دار الوزير ليركبوا معه ، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير استدعاء وأمامه ماشرة به الخليفة من الألوية والأعلام ، والأمراء بين يديه رُجّانا ومُشاة ، وأولاده وإخوته قدامه ، وكل منهم مرئى الدّوابة بلا حنك ، وهو في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل والحنك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر ، ترجّل الأمراء ودخل هورا كما إلى محل نزوله بدهليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجّل هناك ويمشى في بقية الدهاليز حتى يصل إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب هو وأولاده وإخوته وخواص حاشيته ، ويجلس الأمراء بالقاعة على ديكّ معدة لهم ،

وَيُدْخَلُ فَرَسُ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَابِ الْمَجْلِسِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَعَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ كُرْسِيٌّ يَرْكَبُ مِنْ عَلَيْهِ . فَإِذَا آسَتَوَتِ الدَّابَّةُ إِلَى ذَلِكَ الْكُرْسِيِّ، أُخْرِجَتِ الْمِظْلَةُ إِلَى حَامِلِهَا فَيَكْشِفُهَا مِمَّا هِيَ مَلْفُوفَةٌ فِيهِ وَيَتَسَلَّمُهَا بِإِعَانَةِ أَرْبَعَةِ مَعْدِنٍ لَخْدْمَتِهَا فَيَرْكُضُهَا فِي آلَةٍ مِنْ حَدِيدٍ تُشَبِّهُ الْقَرْنَ الْمَصْطَحِبَ مَشْدُودَةً فِي رِكَابِ حَامِلِهَا الْإِيْمَنَ بِقُوَّةٍ، وَيُمْسِكُ الْعَمُودَ بِحَاجِزٍ فَوْقَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُخْرِجُ السِّيفَ فَيَتَسَلَّمُ حَامِلَهُ . فَإِذَا تَسَلَّمَهُ أَرْخَى ذُوَابَتَهُ فَلَا تَزَالُ مَرْخَاةً مَا دَامَ حَامِلًا لَهُ، ثُمَّ تُخْرَجُ الدَّوَاةُ فَيَتَسَلَّمُهَا حَامِلُهَا وَيَجْعَلُهَا قَدَامَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّرَجِ، ثُمَّ يُخْرِجُ الْوَزِيرَ عَنِ الْمَقْطَعِ وَيَنْضُمُ إِلَيْهِ الْأُمَرَاءَ وَيَقْفُونَ إِلَى جَانِبِ فَرَسِ الْخَلِيفَةِ، وَيَرْفَعُ صَاحِبُ الْمَجْلِسِ السِّتْرَ فَيُخْرِجُ مَنْ كَانَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ لِلْخِدْمَةِ مِنَ الْأَسْتَازِينَ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةُ فِي أَثَرِهِمْ فِي ثِيَابِهِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَلَى رَأْسِهِ التَّاجَ الشَّرِيفَ وَالْذَّرَّةَ الْيَتِيْمَةَ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَهُوَ مُحَنَّكَ مَرْنَحَى الذُّوَابَةِ مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ الْأَيْسَرَ مُتَقَلِّدًا بِالسِّيفِ الْعَرَبِيِّ وَقَضِيبُ الْمُلْكِ بِيَدِهِ، وَيَسْلُمُ عَلَى الْوَزِيرِ قَوْمَ مَرْتَبُونٍ لَذَلِكَ، ثُمَّ عَلَى الْقَاضِي وَعَلَى الْأُمَرَاءِ بَعْدَهُمَا، ثُمَّ يُخْرِجُ الْأُمَرَاءَ وَبَعْدَهُمُ الْوَزِيرَ فَيَرْكَبُ وَيَقِفُ قُبَالَةَ بَابِ الْقَصْرِ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةُ رَاكِبًا وَفَرَسَهُ مَاشِيَةً عَلَى بُسْطِ خَشْيَةٍ أَنْ تَرْتَلِقَ عَلَى الرِّخَامِ وَالْأَسْتَازُونَ حَوْلَهُ . فَإِذَا قَارَبَ الْبَابَ وَظَهَرَ وَجْهُهُ، ضَرَبَ رَجُلٌ بِبُوقٍ لَطِيفٍ مُعَوَّجٍ الرَّأْسَ مَتَّخِذٍ مِنَ الذَّهَبِ يَقَالُ لَهُ الْغَرِيبَةُ مُخَالَفٌ لَصَوْتِ الْأَبْوَابِ، فَتَضْرِبُ الْبُوقَاتُ فِي الْمَوَكِبِ، وَتُنْشَرُ الْمِظْلَةُ، وَيُخْرِجُ الْخَلِيفَةُ مَنْ بَابِ الْقَصْرِ فَيَقِفُ وَقَفَةً يَسِيرَةً بِمَقْدَارِ رُكُوبِ الْأَسْتَازِينَ الْمُحَنِّكِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَرْبَابِ الرَّتَبِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْخِدْمَةِ بِالْقَاعَةِ، ثُمَّ يَسِيرُ الْخَلِيفَةُ فِي الْمَوَكِبِ وَصَاحِبُ الْمِظْلَةِ عَلَى يَسَارِهِ، وَهُوَ يَحْرِصُ أَنْ لَا يَزُولَ ظِلُّهَا عَنْ الْخَلِيفَةِ، ثُمَّ يَكْتَتِفُ الْخَلِيفَةُ مُقَدِّمُو صِيَّانِ الرِّكَابِ، اثْنَانِ مِنْهُمْ فِي شَكِيمَتِي لِحَامِ فَرَسِهِ، وَاثْنَانِ فِي عُنُقِ الْفَرَسِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَاثْنَانِ فِي رِكَابِهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَيْضًا، وَالْإِيْمَنُ مِنْهُمَا هُوَ صَاحِبُ الْمِقْرَعَةِ

الذى يتناولها الخليفة ويتناولها منه ، وهو الذى يؤدى عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامر والنواهي ، واللواءان المعروفان بلواءى الحمد عن جانبيه ، والمَدَبَتَانِ عند رأس فرس الخليفة ، والركابية يمينه وشماله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط بالمناذيل والسلاح ، وهم من جانبي الخليفة كالجنّاحين المادّين ، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد ، وبالقرب من رأسها الصقليّان الحاملان للمدبتين ، وهما مرفوعتان كالنخلتين . (ويترتب الموكب) : أجنّاد الأُمراء وأولادهم وأخلاط العسكر أمام الموكب وأدوان الأُمراء يلونهم ، وبعدهم أرباب القُضْبِ الفضة من الأُمراء ، ثم أرباب الأطواق منهم ، ثم الأستاذون المحنكون ، ثم أهل الوزير المتقدّم ذكرهم ، ثم الحاملان للواءى الحمد من الجنّين ، ثم حامل الدواة وحامل السيوف بعده ، وهما من الجانب الأيسر ، وكل واحد من تقدّم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه ، ثم الخليفة بين الركابية ، وهو سائر على تُودّة ورفق ، وفي أوائل العسكر ومتقدميه وإلى القاهرة ذاهبا وعائدا لفسح الطرقات وتسيير من يقف ، وفي وسط العسكر أسفهلار يَحُثُّ الأجنّاد على الحركة ويزجر المتراحمين والمعترضين في العسكر ذاهبا وعائدا ، وفي زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراسة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا ، يليق صاحبُ الباب أسفهلار ، وأسفهلار يُلِقُّ وإلى القاهرة ، وفي يد كل منهم دُبُّوس ، وخلف الخليفة جماعة من الركابية لحفظ أعقابه ، ثم عشرة يحملون عشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر يقال لها سيوف الدم يرسم ضرب الأعناق ، وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير المتقدّم الذكر ، ووراء الوزير في هيئة عظيمة ، وفي ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه ، وقوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الأجنّاد من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة مجتهدا أن لا يغيب الخليفة عن نظره ، وخلفه الطبول والصُّنُوج والصفافير في عدّة

كثيرة تَدْوِي من أصواتها الدنيا، ووراء ذلك حاملُ الرمح المقدم ذكره والدِرَقَةُ المنسوبة إلى حمزة، ثم رجال الأساطيل مشاةً ومعهم القِسيّ العربية، وتسمّى قسيّ الرّجل والركاب، ما يزيد على خمسمائة رجل؛ ثم طوائف الرجال من المصامدة، ثم الرّيحانية والجُوشية، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية: زُمرَةٌ بعد زُمرَةٍ في عدّة وافرة تزيد على أربعة آلاف؛ ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر: من الآمرية والحافظية والمجرية الكبار والمجرية الصّغار والأفضلية والجُوشية، ثم الأتراك المصطنعون، ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الغزّ المصطنعة وغيرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس .

قال ابن الطوير: وهذا كله بعضٌ من كلّ . وإذا ترتب الموكب على ذلك، سار من باب القصر الذي خرج منه بين القصرين، يسير بموكبه حتّى يخرج من باب النصر ويصل إلى حوض كان هناك يعرف بعز الملك على القرب من باب النصر، ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح، وربما عطف عند خروجه من باب النصر على يساره، وسار بجانب السور حتّى يأتي باب الفتوح فيدخل منه . وكيفما كان فإنه يدخل منه، ويسير الموكب حتّى ينتهي بين القصرين فيقف العسكر هناك على ما كان عليه عند الركوب ويترجل الأمراء . فإذا آتته الخليفة إلى الجامع الأقمر، وقف هناك في جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرّك مسرعا ليصير أمام الخليفة .

فإذا مرّ بالخليفة، سَكَحَ له سَكْعَةٌ ظاهرة، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة، وهذه أعظم كرامة تصدر من الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف .

فإذا جاوز الوزير الخليفة، سبقه إلى باب القصر ودخل راكبا على عادته والأمراء أمامه مشاةً إلى الموضع الذي ركب منه بدلهيز العمود المقدم ذكره، فيترجل هناك ويقف هو والأمراء لانتظار الخليفة . فإذا آتته الخليفة إلى باب القصر، ترجل الأستاذون المجنّون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأستاذون مُحَدِّقون به .

فإذا انتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسي الذي ركب من عليه فيخدمه الوزير والأمرء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دُوره . فإذا خرج الوزير إلى مكان ترجله ركب، والأمرء بين يديه، وأقاربه حواليه إلى خارج باب القصر، فيركب منهم من يستحق الركوب، ويمشي من يستحق المشي، ويسيرون في خدمته إلى داره، فيدخل راكبا وينزل على كرسي فيخدمه الجماعة وينصرفون، وقد رأى الناس من حسن الموكب ما أبهرهم وراق خواطرهم، ويتفرق الناس إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغزاة : وهى دنانير رباعية ودرهم خفاف مدقورة، ويكون الخليفة قد أمر بضرها في العشر الأخير من ذى الحجة برسم التفرقة في هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمرء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدر مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مَخَلَّقات بالبشائر بركوب أول العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب الميدان الآن.

الموكب الثانى

(ركوب أول شهر رمضان)

وهو قائم عند الشيعة مقام رؤية الهلال ، والأمر في العرس واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق السلوكية على ما تقدم في أول العام من غير فرق، ويكتب فيه المَخَلَّقات بالبشائر كما يكتب في أول العام .

الموكب الثالث

(ركوبه في أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان)

وهى الجمعة الثانية [والثالثة ^(١) والرابعة] ، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكر صاحب بيت المال إلى الجامع بالقرش المختص بالخليفة محمولا

(١) الزيادة ليست بالأصل ، ولكن سياق كلامه يدل عليها .

على أيدي أكابر الفَرَّاشين ملفوفا في العَرَّاضى الدبيقية ، فيُفَرَّش في المحراب ثلاث طَرَاحات إنما شاميات ، وإِما دَبِيق أبيض ، منقوشة بالجمرة ، وتُفَرَّش واحدة فوق واحدة ، ويعلّق ستران يَمَنَّة وَيَسْرَة ، في السترا الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سورة الفاتحة وسورة الجمعة ، وفي السترا الأيسر سورة الفاتحة وسورة المنافقين كُتَابَةً واضحة مضبوطة ، ويصعد قاضى القضاة المنبر ، وفي يده مِدْخنة لطيفة خَيْرَان يُحْضَرها إليه صاحبُ بيت المال وفيها نَدْمَلْت لا يشم مثله إلا هنالك ، فيبخر ذُرْوَة المنبر التى عليها القَنَّا كالقبة جلوس الخليفة للخطابة ثلاث دَفْعَات ، ويركب الخليفة فى هيئة ما تقدّم فى أوّل العام وأوّل رمضان : من المِظَلَّة والآلات ، ولباسه فيه الثياب البياض غير المذهّبة توقيرا للصلاة ، والمِنْدِيل والطيلسان المقوّر . وحول ركابه خارج الركابية قراء الحضرة من الجانين يرفعون أصواتهم بالقراءة نوبةً بعد نوبة من حين ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخطابة ، فيدخل من باب الخطابة فيجلس فيها ، وإن احتاج إلى تجديد وضوء فعل ، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب أصحاب الباب وأسفهلار وصبيان الخاص ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أولها إلى آخرها ، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلى المنبر . فإذا أذن للجمعة دخل إليه قاضى القضاة ، فقال : "السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى الخطيب ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنكون والوزير وراءه ، ومن يليهم من الأمراء من صبيان الخاص ، وبأيديهم الأسلحة حتى ينتهى إلى المنبر فيصعد حتى يصل إلى الدّروة تحت القبة المُبَخَّرَة ، والوزير على باب المنبر ووجهه إليه . فإذا آستوى جالسا أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه ، فيقبلُ يديه ورجليه بحيث يراه الناس ، ثم يزّر عليه تلك القبة وتصير كالمهودج ، ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر . فإن لم يكن وزير صاحب

سيف، كان الذى يَزُرُّ عليه قاضى القضاة، ويقف صاحب الباب ضابطاً للنبر، فيخطب خطبة قصيرة من سَفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، ويقرأ فيها آية من القرآن الكريم، ثم يصلى فيها على أبيه وجده يعنى النبى صلى الله عليه وسلم، وعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه، ويعظ الناس وعظاً بلغا قليل اللفظ، ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فيقول: "اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسى ضرّاً ولا نفعاً" ويتوسل بدعوات نخمة تليق به، ويدعو للوزير إن كان ثم وزير ولجيش بالنصر والتألف، وللعاكر بالطّفر، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقهر، ثم يختم بقوله ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ يَذْكُرْكُمْ﴾^(١) فيطلع إليه من زرّ عليه فيك ذلك التّريعر عنه، وينزل القهقري، فيدخل المحراب ويقف على تلك الطراحات إماماً والوزير وقاضى القضاة صفاً، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمرء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام، والمؤذّنون وقوف وظهورهم لحائط المقصورة، والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه فيقرأ فى الركعة الأولى ما هو مكتوب فى السّتر الأيمن، وفى الثانية ما فى السّتر الأيسر. فإذا سمع الخليفة، سمع القاضى المؤذّنين، فيسمع المؤذّنون الناس. فإذا فرغ نخرج الناس وركبوا أولاً فأولاً وعاد إلى القصر والوزير وراءه حتى يأتى إلى القصر، والطبول والبوقات تضرب ذهاباً وإياباً.

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجامع الأزهر كذلك وفعل كما فعل فى الجمعة الأولى، لا يختلف فى ذلك غير الجامع.

فإذا كانت الجمعة الرابعة منه، ركب إلى الجامع العتيق بمصر ويزين له أهل القاهرة من باب القصر إلى الجامع الطولونى، ويزين له أهل مصر من الجامع الطولونى إلى

(١) لعله فينزل (أى الخليفة) فيدخل الخ. (٢) لعله خرج ونخرج الناس الخ.

الجامع العتيق ، وقد ندب الواليان بالبلدين من يحفظ الناس والزينة . ويركب من باب القصر ويسير في الشارع الأعظم بمصر ، يمشى في شارع واحد بين العمارة إلى الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل في الجامعين الأولين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة ، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره ، وفي خلال ذلك كله لا يمتز بمسجد إلا أعطى أهله دينارا على كثرة المساجد في طريقه .

الموكب الرابع

(ركوبه لصلاة عيدي الفطر والأضحى)

أما عيد الفطر فيقع الأهتمام بركوبه في العشر الأخير من رمضان ، وتعقب أهبة المواكب على ما تقدم في أول العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلى على ربوة وجميعها مبنى بالحجر ، ولها سور دائر عليها وقلعة على بابها ، وفي صدرها قبة كبيرة في صدرها محراب ، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلى مكشوفاً تحت السماء ، ارتفاعه ثلاثون درجة وعرضه ثلاثة أذرع ، وفي أعلاه مصطبة . فإذا كل رمضان ، وهو عندهم ثلاثون يوماً من غير نقص . فإذا كان اليوم الأول من شوال ، سار صاحب بيت المال إلى المصلى خارج باب النصر ، وفرش الطراحات بمحراب المصلى ، كما تقدم في الجوامع في أيام الجمع ، ويلقى سترين يمينه ويساره ، في الأيمن الفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى ، وفي الأيسر الفاتحة ، وهل أتاك حديث الغاشية ، ويركز في جانبي المصلى لواءين مشدودين على رحمين ملبسين بأنايب الفضة ، وهما منشوران مرخيان ، ويوضع على ذروة المنبر طراحة من شاميات أو دبيق ، ويفرش بأقيه بستر من بياض ، على مقداره في تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغير بالمشى وغيره ، ويجعل في أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يمينه ويساره ، ثم سار الوزير من داره إلى

قصر الخليفة على عادته المتقدمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدم في أول العام : من المظلة والتاج وغير ذلك من الآلات ، ويكون لباسه في هذا اليوم الثياب البيض الموشحة المجومة ، وهى أجل لباسه ومظله كذلك ، ويخرج من باب العيد على عادته في ركوب المواكب إلا أن العساكر في هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره، وينتظم القوم له صفين من باب القصر إلى المصلى ، ويركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرقها إلى مكان يستريح فيه دقيقة ، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما في صلاة الجمع المتقدمة الذكر فيصير إلى المحراب ، والوزير والقاضى وراءه كما تقدم ، فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة ، ويقرأ في الركعة الأولى مافى الستر الذى على يمينه ، وفى الثانية مافى الستر الذى على يساره . فإذا فرغ وسلم ، صعد المنبر لخطابة العيد . فإذا انتهى إلى ذروة المنبر ، جلس على تلك الطراحة بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزير ، وقاضى القضاة ، وصاحب الباب وأسفهلار ، وصاحب السيف ، وصاحب الرسالة ، وزمأم القصر ، وصاحب دفتر المجاس ، وصاحب المظلة ، وزمأم الأشراف الأقارب ، وصاحب بيت المال ، وحامل الرح ، ونقيب الأشراف الطالبين .^(١) ووجه الوزير إليه فيقبلهما بحيث يراه الناس ، ثم يقوم فيقف على يمين الخليفة . فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة بالصعود فيصعد إلى سابع درجة ، ثم يتطلع إليه منتظرا مايقول ، فيشير إليه فيخرج من كفه درجا قد أحضر إليه فى أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير ، فيعلن بقراءة مضمونه [ويقول] بعد البسملة : شرف بصعود المنبر الشريف فى يوم كذا ، وهو عيد الفطر من سنة

(١) فيه سقط وفى المخرى بعد هذا [فيشير إليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا لرجليه فيقبلهما الخ].

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل (يذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يُشرفه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضي ولكنه يكون هو القارئ للثبّت فلا يسعه ذكر نعوته فيقول : الملوك فلان بن فلان ونحو ذلك ، ثم الواقفين على باب المنبر ممن تقدّم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا، وكلما ذكر واحدا استدعاه وطلع المنبر، كل منهم يعرف مقامه في المنبر يَمَنَّةً وَيَسْرَةً . فإذا لم يبق أحد ممن أُطلع إلى المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل من هو في جانب بيده نصيبا من اللواء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون، وينادى في الناس بالإنصات، فيخطب الخليفة خطبةً بليغةً مناسبة لذلك المقام ، يقرأها من السّفَطِ الذي يُحْضَرُ إليه مسطّرا من ديوان الإنشاء كما في جُمع رمضان المتقدمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبة ، ألقى كلّ من في يده شيء من اللواء خارج المنبر، فينكشفون ويتزلون القهقريّ أولا بأول الأقرب فالأقرب . فإذا خلا المنبر للخليفة ، هبط ودخل المكان الذي خرج منه ، فلبث قليلا ثم يركب في هيئته التي أتى فيها إلى المصلّى ، ويعود في طريقه التي أتى منها . فإذا قرب من القصر، تقدّمه الوزير على العادة، ثم يدخل من باب العيد الذي خرج منه ، فيجلس في الشُّبَّاك الذي في الإيوان الكبير ، وقد مدّ منه إلى فسقية في وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سَمَاطٌ فيه من الخُشْكَاك والبُسندود، وغير ذلك مما يعمل في العيد مثل الجبل الشاهق ، كل قطعة ما بين ربع قطار إلى رطل واحد ، فإكل من يأكل وينقل من ينقل لا تجر عليه ولا مانع دونه ، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِبَ ، ووضع له مائدة من فضة ، ومدّ السّمَاط تحت السرير فيتزجل عن السرير، ويجلس على المائدة ، ويستدعى الوزير فيجلس معه، ويجلس الأمراء على السّمَاط ولا يزال كذلك حتى

يستهدم السباط قريب صلاة الظهر، ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء في خدمته فيمدّ لهم سباطاً يأكلون منه وينصرفون .

وأما عيد الأضحى، فإنه إذا دخل ذوالحجة وقع الأهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة على ما تقدّم في عيد الفطر من الزيّ والترتيب والركوب إلى المصلّى، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشّح، ومطلّته كذلك، ويخرج إلى المصلّى خارج باب النصر ويخطب، ثم يعود إلى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص، ثم بعد دخوله إلى القصر يخرج من باب الفرج، وهو باب القصر الذي كان مسامتا لدار سعيد السعداء التي هي الخانقاه الآن، فيجد الوزير راكباً على الباب المذكور، فيترجل الوزير، ويمشي في خدمته إلى المنحَر، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك فضاء واسعاً لابناء فيه، وهناك مصطبة مفروشة يطلّع عليها الخليفة والوزير وقاضى القضاة والأستاذون المحنّكون وأكابر الدولة، ويكون قد سبق إلى المنحَر أحدٌ وثلاثون فصيلاً وناقّةً للأضحى، ويده حربة، وقاضى القضاة ممسك بأصل سنانها، وتقدّم إليه الأضحى رأساً رأساً فيجعل القاضى السنّان في نحر النخيرة ويطعن به الخليفة في لَبِّها، فتخزيّن يديه حتّى يأتى على الجميع، ثم يسير رسوم الأضحى إلى أرباب الرسوم المقرّرة، وفي اليوم الثانى يساق إلى المنحَر سبعة وعشرون رأساً، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك، وفي اليوم الثالث يساق إليه ثلاثٌ وعشرون رأساً فيفعل بها كذلك . فإذا آنقضى ذلك في اليوم الثالث وعاد الخليفة إلى القصر، خلع على الوزير ثيابه الجمر التي كانت عليه يوم العيد، ومندبلاً بغير القيمة والعقد المنظوم بالجواهر، ويركب الوزير بالخيل من القصر، ويشق القاهرة بالشارع سالكا إلى الخليج فيسير عليه حتّى يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، وبذلك آنفصال العيد . ثم أول نخيرة تعمر تقدّد وتسير إلى داعى اليمّين فيفرّقها على المعتقدين من وزن نصف درهم

إلى وزن ربع درهم، وبقى ذلك يفرق على أرباب الرسوم في أطباق للبركة، وأكثره يفرقه قاضي القضاة وداعي الدعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدّرين بجوامع القاهرة، وفي اليوم الأول يمدّ السباط بقاعة الذهب على ما تقدّم في عيد الفطر من غير فرق .

الموكب الخامس

(ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل)

قد تقدّم عند ذكر النيل في الكلام على الديار المصرية ابتداءً زيادة النيل ووفاءه وأتّهاؤه ، وذكر المناداة عليه على ما الأمر مستقرّ عليه . إلا أنه في زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبل الوفاء ، وإنما يؤخذ قاعه وتكتب به رُقعة للخليفة والوزير ، ثم ينزل بديوان الرسائل في مسير معدّ له في الديوان ، ويستمرّ الحال على ذلك في كل يوم ترفع رُقعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لا يطلّع عليها غير الخليفة والوزير ، وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (وهو السادس عشر) أصبع أو أصبعان ، فيؤمر بأن يبيت في جامع المقياس تلك الليلة قراءً الحضرة والمتصدّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم نلّهم القرآن الكريم في تلك الليلة هناك ، ويمدّ لهم السباط بالأطعمة الفاخرة ، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح الصبح وأذن الله تعالى بوفاء النيل في تلك الليلة ، طلعت رُقعة ابن أبي الرّداد إلى الخليفة ، فحضر إليه بالقصر ، فركب الخليفة في هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم ، إلا أنه يلبس التاج الذي فيه اليتيمة ، ولا يُحلى المظلة على رأسه في ذلك اليوم ، ويركب الوزير وراءه في الجمع العظيم على ترتيب الموكب ، ويخرج من القصر شاقاً القاهرة إلى باب زويلة فيخرج منه ، ويسلك الشارع إلى أن يجاوز البستان المعروف بعباس عند رأس الصليبة بالقرب من الخانقاه الشيعونية

الآن، فيعطف سالكا على الجامع الطولوني والجسر الأعظم حتى يأتي مصر، ويدخل من الصناعة - وهي يومئذ في غاية العمار، وبها دهليزٌ ممتدٌ بمصاطب مفروشة بالحصر العبداني مؤزر بها - ويخرج من بابها شاقاً مصر حتى يأتي المنطرة المعروفة برواق الملك على القرب من باب القنطرة، فيدخلها من الباب المواجه له والوزير معه ماشياً إلى المكان المعد له، ويكون العشارى الخاص المبرر عنه الآن بالحراقة واقفاً هناك بشاطئ النيل، وقد حمل إليه من القصر بيتٌ مثنى من العاج والآبنوس كل جانب منه ثلاثة أذرع، وطوله قائمة رجل تام، فيركب في العشارى المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة، وهو وقبته ملبس صفائح الفضة المذهبة، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكورة ومعه من الأستاذين المحنكين من يختاره من ثلاثة إلى أربعة، ثم يطلع خواص الخليفة إلى العشارى والوزير ومعه من خواصه آثنان أو ثلاثة لا غير، فيجلس الوزير في رواقٍ بظاهر البيت المذكور، بفوانيس من خشب مخروط مدهونة مذهبة، يستور مسدلة عليه، ويسير العشارى من باب المنطرة إلى باب المقياس العالى على الدرج، فيطلع من العشارى، ويدخل إلى الفسقية التى فيها المقياس، والوزير والأستاذون المحنكون بين يديه، فيصلى هو والوزير كل منهما ركعتين بمفرده، ثم يؤتى بالزعفران والمسك فيديفه في إناء بيده بآلة معه، ويتناوله صاحب بيت المال فيتناوله لأبن أبى الرداد، فيلق نفسه في الفسقية بثبابة فيتعلق في العمود برجليه ويده اليسرى ويحلقه بيده اليمنى، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤون القرآن، ثم يخرج على فوره راكباً في العشارى المذكور، ثم يعود إلى دار الملك، ويركب منها عائداً إلى القاهرة، وتارة ينحدر في العشارى إلى المقس، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلى القاهرة. ويكون في البحر ذلك اليوم نحو ألف مركب مشحونة بالناس للتفرج وإظهار الفرح. فإذا كان اليوم الثانى من التخليق أتى أبى الرداد

إلى الإيوان الكبير الذى فيه الشباك بالقصر فيجد خلعة مذهبة بطيلسان مقور ،
ويُدفعُ إليه خمسة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهياة له ، فيلبس الخلعة ،
ويخرج من باب العيد المتقدم ذكره فى أبواب القصر ، وقد هيئ له خمس بغال على
ظهورها الأحمال المزينة بالخلى ، على ظهر كل منها راكب وبيده أحد الأكياس
الخمسة المتقدمة الذكر ظاهر في يده ، وأقاربه وبنوعه يحجبونه وأصدقاؤه حوله ،
وأمامه حلمان من النقارات السلطانية ، والأبواق تضرب أمامه ، والطبل وراءه مثل
الأمراء ؛ فيشقى بين القصرين ، وكلما مر على باب من أبواب القصر يدخل منه
الخليفة أو يخرج ، نزل قبله ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتى يأتى
مصر فيشقى وسطها ويمر بالجامع العتيق ، ويحاوره إلى شاطئ النيل فيعدى إلى المقياس
بخلعته ومعه من الأكياس ، يأخذ من الأكياس قدرا مقظرا له ، ويفرق باقى ذلك
على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

الموكب السادس

(ركوبه لفتح الخليج)

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدم ذكره ، وليس كما فى زماننا
من فتحه فى يوم التخليق ؛ وكان يقع الأهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين
يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعمل فى بيت المال موائد من التماثيل المختلفة : من
الغزلان ، والسباع ، والفيلة ، والزرايرف عدة وافرة ، منها ما هو ملبس بالعنبر ،
وما هو ملبس بالصندل ، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب ، وكذلك يعمل أشكال
الثفاج والأترج وغير ذلك ، وتخرج الحيمة العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدمة الذكر
فتنصب للخليفة فى بر الخليج الغربى على حافته عند منطرة يقال لها السكرة على

القرب من فم الخليج، ويلف عمود الخيمة بديباج أحمر أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلى أسفله، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويغشى بقُرفوبى، وعرايسه ذهبٌ ظاهرة، ويوضع عليه مرتبة عظيمة من الفرش للخليفة، ويضرب لأرباب الرتب من الأمراء بحجري هذه الخيمة خيم كثيرة على قدر مراتبهم في المقدار والقرب من خيمة الخليفة، ثم يركب الخليفة على عادته في المواكب العظيمة بالمظلة وتوابعها من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات، ويزاد فيه أربعون بوقا: عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة، يكون المنقرون بها ركبانا، والمنقرون بالأبواق الثحاس مشاة، ومن الطبول العظام عشرة طبول. فإذا كان يوم الركوب، حضر الوزير من دار الوزارة رابكا في هيئة عظيمة، ويركب حينئذ إلى باب القصر الذى يخرج منه الخليفة، ويخرج الخليفة من باب القصر رابكا والأستاذون المحنكون مشاة حوله، وعليه ثوب يسمى البدنة حرير مرقوم بذهب، لا يلبسه غير ذلك اليوم، والمظلة بنسبته، فيركب الأستاذون المحنكون ويسير الموكب على الترتيب المتقدم في ركوب أول العام سائرا في الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتى يأتى الجامع الطولونى، ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا ببابه من هذه الجهة، فيقف لهم الخليفة وقفه لطيفة، ويسلم على القاضى، فيتقدم القاضى ويقبل رجله التى من جانبه، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم، ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج، فيسير حتى يقارب الخليفة الخيمة، فيتقدمه الوزير على العادة، فيترجل على باب الخيمة، ويجلس على المرتبة الموضوعة له فوقه^(١)، ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم، ويوضع للوزير كرسى الجارى به العادة على ما تقدم في جلوسه فى القصر، فيجلس

(١) أى فوق السرير المتقدم وصفه قريبا.

ورجله يُحْكَن الأرض ، ويقف أرباب الرُّتب صفين من سرير المُلك إلى باب الخيمة ، وقراء الحضرة يقرءون القرآن ساعة زمانية . فإذا فرغوا من القراءة ، استأذن صاحبُ الباب على حضور الشعراء للخدمة ، فيؤذن لهم فيتقدمون واحدا بعد واحد على مقدار منازلهم المقررة لهم ، ويُنشد كلُّ منهم ما وقع له نظمه مما يناسب الحال . فإذا فرغ أتى غيره وأنشد ما نظمه إلى أن يفرغ إنشادهم ، والحاضرون ينتقدون على كل شاعر ما يقوله ، ويحسنون منه ما حسنَ ويوهون منه ما وهى .

فإذا آنقضى هذا المجلس ، قام الخليفة عن السرير فركب إلى المنطرة المعروفة بالسكرة بقرب الخيمة والوزير بين يديه ، وقد فرشت بالفرش المعدة لها ، فيجلس الخليفة بمكان معد له منها ، ويجلس الوزير بمكان منها بمفرده ، ويجلس القاضى والشهود فى الخيمة البيضاء الدبقية ؛ فيطُلُّ منها أستاذ من الأستاذين المحنكين فيشير بفتح السد فيفتح بالمعاول ، وتضرب الطبول والأبواق من البرين ، وفى أثناء ذلك يصل السباط من القصر صحبة صاحب المائدة القائم مقام أستاذ دار الصحة الآن ، وعدتها مائة شدة فى الطيافير الواسعة فى القواوير الحرير ، وفوقها الطراحات النفيسة ، وريح المسك والأفاويه تفوح منها ، فتوضع فى خيمة وسيدة معدة لذلك ، ويحمل منها للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم ، ثم لقاضى القضاة والشهود ، ثم إلى الأمراء على قدر مراتبهم : على أنواع الموائد من التماثيل المقدمة الذكر خلا القاضى والشهود ، فإنه لا يكون فى موائد تماثيل . فإذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت فيه العشاريات اللطاف ووراءها العشاريات الكبار ، وهى سبعة : الذهبى المختص بالخليفة ، وهو الذى يركب فيه يوم التخليق ، والفِضى ، والأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والألأزوردى ، والصقلى ، وهو عشارى أنشأه نجارٌ من صقلية على الإنشاء المعتاد فنسب إليه ، وعليها الستور الدبيق الملونة ، وفى أعناقها الأهلة وقلائد العنبر والحرز

الأزرق، وتسير حتى ترسو على بالمنظرة التي فيها الخليفة . فإذا صلى الخليفة العصر، ركب لابسا غير الثياب التي كانت عليه في أول النهار، ومظلته مناسبة لثيابه التي لبسها، وباقي الموكب على حاله، ويسير في البر الغربي من الخليج شاقاً للبساتين حتى يصل إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمر الوزير إلى داره على عادته في مثل ذلك اليوم .

وذكر القاضي محي الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنظرة المعروفة بالسكره، سار في بر الخليج الغربي على ما تقدم ذكره حتى يأتي بستان الدكة، وقد علقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسقى منه فرسه، ثم يخرج حتى يقف على الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثاني

(من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة)

وهي أربعة أيام أو خمسة فيما بين أول العام ورمضان ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم على الركوب في يوم من هذه الأيام، قدم تفرقة السلاح على الركابية على ما تقدم ذكره في أول العام، وأكثر ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب والوزير وراءه على أخصر من النظام المتقدم له في المواكب العظام وأقل جمعا، ولبسه في هذه الأيام الثياب المدهبة من البياض والملون ومنديل من نسبة ذلك مشدودة بشدة عسر شدات غيره، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة في الشارع الأعظم حتى يجاوز الجامع الطولوني على المشاهد إلى الجامع العتيق . فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها مخراب، مفروشة

(١) كذا في الأصل ولعله غير شدات .

بمحصر وعليها سجادة معلقة ، وفي يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلى أمير المؤمنين
عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فيناوله المصحف من يده فيقبله ويتبرك به ويأمر
له بعتاء يفرق على أهل الجامع .

الضرب الثالث

(من هيئة الخليفة هيئته في قصوره)

قال ابن الطوير : كان له ثياب يلبسها في الدور أكامها على النصف من أكام
ثيابه التي يلبسها في المواكب ، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان
في القصر في ليل أو نهار إلا وهو راكب ، ولا يقتصر في القصر على ركوب الخيل
بل يركب البغال والحمير الإناث لما تدعوه الضرورة إليه من الجواز في السرايب
القصيرة والطلوع على الزلاقات إلى أعلى المناظر والمساكن ، وله في الليل نسوة يرسم
شد ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والحمير ، وفي كل محلة من محلات القصر فسقية
مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل ، ويبت خارج القصر في كل ليلة
نحسون فارسا للحراسة . فإذا أذن بالعشاء الآخرة داخل قاعة الذهب وصلى الإمام
الراتب فيها بالمقيمين من الأستاذين وغيرهم ، وقف على باب القصر أمير يقال له سنان
الدولة - مقام أمير جاندار الآن - فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقية من الطبول
والبوقات وتوابعها على طريق مستحسنة ساعة زمانية ، ثم يخرج أستاذ يرسم هذه
الخدمة فيقول : "أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام" فيغرز سنان الدولة
حربة على الباب ثم يرفعها بيده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، ودار حول القصر سبع
دورات . فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البوايين والقراشين وأوى المؤذنون
إلى خزائن لهم هناك ، وترعى السلسلة عند المضيق : آخرين القصرين عند السيوفين

فينقطع المار من ذلك المكان إلى أن تضرب البوقية سحرا قرب الفجر فتُرفع السلسلة ويحوز الناس من هناك .

الجملة السادسة

(في آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وأعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم في رعاياهم، وأستماله قلوب مخالفيهم)

أما آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وأعتنائهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهمّ أمورهم، وأجلّ ما وقع الاعتناء به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسكندرية ودمياط من الديار المصرية، وعسقلان وعكا وصور وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلبهم عليها الفرنج، وكانت جريدة قوادهم تزيد على خمسة آلاف مقاتل مدوّنة، وجوامكهم في كل شهر من عشرين ديناراً إلى خمسة عشر ديناراً إلى عشرة إلى ثمانية إلى دينارين، وعلى الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقواهم جاشاً، وكان أسطولهم يومئذ يزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حمالات، وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع . فإذا أراد الخليفة تجهيزها للغزو، جلس للنفقة بنفسه حتى يكملها، ثم يخرج مع الوزير إلى ساحل النيل بالمقسم، فيجلس في منظره كانت يجامع باب البحر والوزير معه للوداعة^(١)، ويأتى القواد بالمراكب إلى تحت المنطرة، وهى مزينة بالأسلحة والمنجنيقات واللعب منصوبة فى بعضها، فتسير بالمجاديف ذهاباً وعوداً كما يفعل حالة القتال، ثم يحضر إلى بن يدى الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة، وتتحدر المراكب إلى دميّاط وتخرج إلى البحر الملح، فيكون لها فى بلاد العدو الصيت والسمعة . فإذا غنموا مرّجاً أصطفى الخليفة

(١) أى التوديع . وقد جرى فيه وفى كثير غيره على اصطلاحات العامة .

لنفسه السبي الذي فيه من رجال أو نساء أو أطفال ، وكذلك السلاح ، وما عدا ذلك يكون للغنائم لا يُساهمون فيه . وكان لهم أيضا أسطول بعِذاب يتلقى به الكارم فيما بين عِذاب وسواكن ، وما حولها خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا يجزأون بحر القلزم هناك يعترضون المراكب ، فيحميمهم الأسطول منهم ، وكان عدة هذا الأسطول خمسة مراكب ، ثم صارت إلى ثلاث ، وكان إلى قوص هو المتولى لأمر هذا الأسطول ، وربما تولاه أمير من الباب ، ويحمل إليه من خزائن السلاح ما يكفيه .

وأما سيرهم في رعيتهم واستمالة قلوب مخالفيهم ، فكان لهم الإقبال على من يَفِدُّ عليهم من أهل الأقاليم جلَّ أودق ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام ، ويعوضون أرباب الهدايا بأضعافها . وكانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك ^(١) بذكر الصحابة رضوان الله عليهم ، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم ، بخلاف مذهب أبي حنيفة ، ويراعون مذهب مالك ، ومن سألهم الحكم به أجابوه ، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب في علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا في مكاتبه إلا بالكاف حتى الوزير صاحب السيف ، وإنما المكاتبات عن الوزير هي التي تتفاوت مراتبها ؛ ولا يخاطب عنهم أحد إلا بنعت مقرر له ودعاء معروف به ؛ ويراعون من يموت في خدمتهم في عقبه ، وإن كان له مرتب تقوله إلى ذريته من رجال أو نساء .

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

الجملة السابعة

(في إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم ،
وما يتصل بذلك من الطعمة)

أما إجراء الأرزاق والعطاء ، فقد تقدم أن ديوان الجيوش كان عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشيآت دوابهم ، وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق في الدولة من راتب وجار وجرية ، ولكل من الثلاثة كُتَّابٌ يختصون بخدمته . والقسم الثالث هو المقصود هنا ؛ وكان راتبهم فيه بالدنانير الخيشية ، وكان يشتمل على ثمانية أقسام .

الأول - فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته .

فراتب الوزير في كل شهر خمسة آلاف دينار ، ومن يليه من ولد أو أخ من ثلثمائة دينار إلى مائتي دينار ، ولم يقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى الكامل بن شاور ، ثم حواشيه من خمسمائة دينار ، إلى أربعمائة دينار ، إلى ثلثمائة دينار خارجا عن الإقطاعات الثاني - فيه حواشي الخليفة .

فأولهم الأستاذون المحنكون على رُتبهم . فزِمَامُ القصر ، وصاحبُ بيت المال ، وحامل الرسالة ، وصاحب الدفتر ، وشادُّ التاج ، وزِمَامُ الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس ، لكل واحد منهم في الشهر مائة دينار ، ثمَّ من دونهم من تسعين دينارا إلى عشرة دنانير على تفاوت الرُتب . وفي هذا طبيا الخاص ، ولكل واحد منهما في الشهر خمسون دينارا ، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

الثالث - فيه أرباب الرُتب بحضرة الخليفة .

فأول مسطور فيه كاتبُ الدَّستِ - وهو المعبرُّ عنه الآن بكاتب السرِّ - وله في الشهر مائة وخمسون ديناراً، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون ديناراً - ثم الموقَّع بالقلم الدقيق، وله مائة دينار - ثم صاحب الباب، وله مائة وعشرون ديناراً - ثم حامل السيف وحامل الرمح، ولكل منهما سبعون ديناراً، وبقية الأئمة على العساكر والسودان من خمسين ديناراً، إلى أربعين ديناراً، إلى ثلاثين .

الرابع - فيه قاضى القضاة، وله في الشهر مائة دينار - وداعى الدعاة وله مثله؛ وقراء الحضرة، ولكل منهم عشرون ديناراً، إلى خمسة عشر ديناراً، إلى عشرة .

الخامس - فيه أرباب الدواوين ومن يجرى مجراهم .

فأولهم متولَّى ديوان النظر، وله في الشهر سبعون ديناراً - ثم متولَّى ديوان التحقيق، وله خمسون ديناراً - ثم متولَّى ديوان المجلس، وله أربعون ديناراً - ثم متولَّى ديوان الجيوش، وله أربعون ديناراً؛ ثم صاحب دفتر المجلس، وله خمسة وثلاثون ديناراً؛ ثم الموقَّع بالقلم الخليل القائم مقام كاتب الدَّرَج الآن، وله ثلاثون ديناراً . ولكل مُعين عشرة دنائير، إلى سبعة، إلى خمسة .

السادس - فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر في خدمة واليهما، ولكل واحد منهما خمسون ديناراً - وللحماة بالأهراء والمناخات والجوالى والبساتين والأماكن وغيرها لكل منهم ما يقوم به من عشرين ديناراً، إلى خمسة عشر، إلى عشرة، إلى خمسة .

السابع - فيه عدة القراشين برسم خدِّمة الخليفة والقصور وتظيفها خارجاً وداخلاً ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر، ولكل منهم في الشهر ثلاثون ديناراً فما حولها - ثم من يليهم من الرشاخين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل، ولكل منهم من عشرة دنائير إلى خمسة .

الثامن - فيه الركابية ومقدموهم، ولكل من مقدميهم في الشهر خمسون دينارا وللركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .
وأما الطعمة فعلى ضريين .

الضرب الأول

(الأسمطة التي تمتد في شهر رمضان والعيدين)

أما شهر رمضان فإن الخليفة كان يرتب بقاعة الذهب بالقصر سَمَاطًا في كل ليلة من استقبال الرابع منه، وإلى آخر السادس والعشرين منه، ويستدعى الأمراء لحضوره في كل ليلة بالنوبة، يحضر منهم في كل ليلة قومٌ كي لا يحرمهم الإفطار في بيوتهم طول الشهر، ولا يكلف قاضي القضاة الحضور سوى ليالي الجمع توقيرا له، ولا يحضر الخليفة هذا السَاط، ويحضر الوزير فيجلس على رأس السَاط . فإن غاب قام ولده أو أخوه مقامه . فإن لم يحضر أحد منهم، كان صاحبُ الباب عِوضَه . وكان هذا السَاط من أعظم الأسمطة وأحسنها، يمتد من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة؛ ويخرجون من هنالك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، ويفترق فضلُ السَاط كل ليلة، ويتهاداه أرباب الرسوم حتى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفة إليه من طعامه الذي يأكل منه تشريفا له، وربما خصه بشيء من سَحُوره .

وأما سَاط العيدين فإنه يمتد في عيد الفطر وعيد الأضحى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذي يجلس فيه الخليفة الجلوس العام أيام الموابك، وتنصب على الكرسي مائدة من فضة تعرف بالمدورة، وعليها من الأواني الذهبيات والصيني الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك؛ وينصب السَاط العام تحت السرير من خشب مدهون في طول القاعة في عرض عشرة أذرع، وتفرش

فوقه الأزهارُ المشمومة ، ويرصُّ الخبز على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرتال من نقيّ الدقيق ، ويعمر داخل السباط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، في كل طبق أحد وعشرون حرفا من الشوى ، وفي كل واحد منها ثلثائة وخمسون طيرا من الدجاج والفراريح وأفراخ الحمام ، ويعبئ مستطيلا في العلو حتى يكون كقامة الرجل الطويل ، ويسور بتشاريح الحلواء اليابسة على اختلاف ألوانها ، ويسدّ خلل تلك الأطباق على السباط نحو من خمسمائة صحن من الصحن الخزفية المترعة بالألوان الفاتكة ، وفي كل منها سبع دجاجات من الحلواء المائنة والأطعمة الفانخة ، ويعمل بدار الفطرة الآتي ذكرها قصران من حلوى زنة كل منهما سبعة عشر قنطارا في أحسن شكل ، عليها صور الحيوان المختلفة ، ويمحلان إلى القاعة فيوضعان في طرفي السباط . ويأتي الخليفة راكبا فيترجل على السرير الذي قد نصبت عليه المائدة الفضة ويجلس على المائدة وعلى رأسه أربعة من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعي الوزير وحده فيطلع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء المطوقين فمن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السباط على قدر مراتبهم فيأكلون وقرءاء الحضرة في خلال ذلك يقرءون القرآن ، ويبقى السباط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتى يستهلك جميع ما عليه أكلا وحملًا ، وتفرقة على أرباب الرسوم .

الضرب الثاني

(فيما كان يعمل بدار الفطرة في عيد الفطر)

وكان لهم بها الاهتمام العظيم . وقد ذكر ابن عبد الظاهر أوصافها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة قنطار سكر ، وستة قناطير فُسْتُق ، وأربعمائة وثلاثين

(١) عبارة المقرئ " من الصحن الخزفية " التي في كل منها سبع دجاجات وهي مترعة الخ .

إردب زبيب، وخمسة عشر قنطار عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين سمس وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، وخمس نواخج مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون قنطارا. في أصناف أخرى يطول ذكرها. قال ابن الطوير: ويندب لها مائة صانع من الحلاويين. ومائة فرّاش برسم تفرقة الطوافير على أصحاب الرسوم خارجا عن هو مرتب فيها، ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سريره فيها، ويجلس الوزير على كرسي له، في النصف الأخير من رمضان، وقد صار ماله من المستعمالات كالجبال الرواسي، فتفرق الحلوى من رُبع قنطار إلى عشرة أرتال إلى رطل واحد، والخشكان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين، إلى خمس وعشرين، إلى عشرين، ويفرق على السودان على يد مقدمهم بالأفراد من تسعة أفراد إلى سبعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة كل طائفة على مقدارها (١)

بسماط يوم الفطر ما يمد في الإيوان الكبير قبل مَد سباط الطعام بقاعة الذهب. وقد وقع في كلام ابن الطوير خُلف في وقته، فذكر في موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر في موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة.

الطرف الثامن^(٢)

(في جلوس الوزير للظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه)

يجلس الوزير في صدر المكان، وقاضى القضاة مقابله، وعن جانبيه شاهدان من المعبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال، وبين يديه

(١) بياض بالأصل. ولعله وقد كان سباط يوم الفطر يمد الخ.

(٢) لم يتقدم في هذا الفصل تقسم بالأطراف.

صاحب الباب وأسفهلار، وبين أيديهما التواب والحجاب على طبقاتهم . وذلك يومان في الأسبوع .

وقد رثاهم عمارة اليمنى بعد أنقراضهم وأستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على الملكة بقصيدة وصف فيها ملكتهم، وعدّ مواكبهم، وحكى مكارمهم، وجلّى محاسنهم، وهى :

رَمَيْتَ يَادَهُرُ كَفَّ الْمَجْدِ بِالشَّلِّ * وَجِدَهُ بَعْدَ حُسْنِ الْحَلِّ بِالْعَطْلِ
سَعَيْتَ فِي مَنَهِجِ الرَّأْيِ الْعُثُورِ فَإِنْ * قَدَرْتَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ فَاسْتَقِلْ
جَدَعْتَ مَا رَنَكَ الْأَقْفَى قَاتُكَ لَا * يَنْفُكُ مَا بَيْنَ أَمْرِ الشَّيْنِ ^(١) وَالتَّجَلِّ
هَدَمْتَ قَاعِدَةَ الْمَعْرُوفِ عَنْ عَجَل * شَقِيتَ، مَهَلًا أَمَا تَمْشِي عَلَى مَهَلٍ
لَهْفَى وَلَهْفَ بَنَى الْأَمَالِ قَاطِبَةً * عَلَى يَجِيعَتِهَا فِي أَكْرَمِ الدُّوَلِ
قَدِمْتُ مَصْرَ فَأَوَلَّتْنِي خِلَافُهَا * مِنَ الْمَكَارِمِ مَا أُرْبَى عَلَى أَمَلِ
قَوْمٌ عَرَفْتُ لَهُمْ كَسْبَ الْأُلُوفِ، وَمِنْ * كَمَالِهَا أَنَهَا جَاءَتْ وَلَمْ أَسْأَلِ
وُكِّنْتُ مِنْ وَزَرَاءِ الدَّسِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسَ الْحِصَانِ يَهَادِيهِ عَلَى الْكَفْلِ
وَنِلْتُ مِنْ عِظَاءِ الْجَيْشِ تَكْرِمَةً * وَخَلَّةً حُرِسَتْ مِنْ عَارِضِ الْخَلَلِ
يَاعَاذِلِي فِي هَوَى أُنْبَاءِ فَاطِمَةٍ * لَكَ الْمَلَامَةُ إِنْ قَصَّرْتَ فِي عَدَلِي
بِاللهِ! زُرْسَاحَةَ الْقَصْرَيْنِ وَأَبْكَ مَعِي * عَلَيْهِمَا لَا عَلَى صِفَتَيْنِ وَالْجَمَلِ!
وَقُلْ لِأَهْلِيهِمَا : وَاللهِ مَا أَلْتَحَمْتُ * فِيكُمْ جُرُوحِي وَلَا قَرَحِي بِمُسَدِّلِ!
مَاذَا تَرَى كَانَتْ الْإِفْرِجُجُ فَاعِلَةً * فِي تَسْلِيلِ آلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
[هَلْ كَانَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ قِسْمَةٍ مَا * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبْيِ وَالنَّفْلِ ^(٢)؟]

(١) فى المخطوط للقرزى "قرع السن". (٢) الزيادة عن المقرزى .

وَقَدْ حَصَلْتُمْ عَلَيْهَا، وَأَسْمُ جَدِّكُمْ * مُحَمَّدٌ وَأَبُوكُمْ خَيْرُ مُتَعَلِّ
 مَرَرْتُ بِالْقَصْرِ وَالْأَرْكَانُ خَالِيَةٌ * مِنَ الْوُفُودِ، وَكَانَتْ قِبْلَةَ الْقَبْلِ
 فَمِلْتُ عَنْهَا بِوَجْهِ خَوْفٍ مُتَقِيدٍ * مِنَ الْأَعَادِي، وَوَجْهُ الْوُدِّ لَمْ يَمِلِ
 أَسْبَلْتُ مِنْ أَسْفَى دَمْعِي غَدَاةَ خَلْتُ * رِحَابَكُمْ وَغَدَتِ مَهْجُورَةَ السَّبِيلِ
 أَبْكِي عَلَى مَآثِرَاتٍ مِنْ مَكَارِمِكُمْ * حَالِ الزَّمَانِ عَلَيْهَا وَهِيَ لَمْ تَحِلِ
 (دَارُ الصِّيَافَةِ) كَانَتْ أُنْسٌ وَافِدْتُكُمْ * وَالْيَوْمَ أَوْحَشُ مِنْ رَسْمٍ وَمِنْ طَلَلِ
 وَ(فِطْرَةُ الصَّوْمِ) إِذَا نُحِثَ مَكَارِمُكُمْ، * تَسْكُو مِنَ الدَّهْرِ حَيْفًا غَيْرُ مُحْتَمِلِ
 وَ(كُسُوءُ النَّاسِ) فِي الْفَضْلَيْنِ قَدْ دَرَسَتْ * وَرَثَ مِنْهَا جَدِيدٌ عَنْدهُمْ وَبَلِ
 وَمَوْسِمٌ كَانَ فِي (يَوْمِ الْخَلِيجِ) لَكُمْ * يَأْتِي تَجَمُّلُكُمْ فِيهِ عَلَى الْجَمَلِ
 وَ(أَوَّلُ الْغَامِ) وَ(الْعِيدِينَ) كَمْ لَكُمْ * فِيمَنْ مِنْ وَبِلِ جُودٍ لَيْسَ بِالْوَشْلِ
 وَالْأَرْضُ تَهْتَرُ فِي (يَوْمِ الْغَدِيرِ) كَمَا * يَهْتَرُمَا يَنْ قَصْرَيْكُمْ مِنَ الْأَسَلِ
 وَالْخَيْلُ تُعَرِّضُ فِي وَشْيٍ فِي شَيْءٍ * مِثْلَ الْعَرَائِسِ فِي حَلَى وَفِي حُلَلِ
 وَمَا حَمَلْتُمْ قِرَى الْأَضْيَافِ مِنْ سَعَةِ الْأَطْبَاقِ إِلَّا عَلَى الْأَكَاثِفِ وَالْعَجَلِ
 وَمَا خَصَصْتُمْ بِرَأْهَلِ مَمْلَكَةٍ * حَتَّى عَمَّكُمْ بِهِ الْأَقْصَى مِنَ الْمَلَلِ
 كَانَتْ رَوَائِبِكُمْ لِلْوَافِدِينَ وَلِلضَّيْفِ الْمُقِيمِ وَلِلطَّائِرِ مِنَ الرُّسُلِ
 ثُمَّ (الطَّارِزُ) يَتَبَيَّنُ الَّذِي عَظُمَتْ * مِنْهُ الصَّلَاتُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَالْأَوَّلِ
 وَلِلْجَوَامِعِ مِنْ أَحْمَاسِكُمْ نَعَمْ * مِمَّنْ تَصَدَّرَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلِ
 وَرُبَّمَا عَادَتِ الدُّنْيَا فَمَعْقُلَهَا * مِنْكُمْ وَأُخِثَتْ بِكُمْ مَحْلُولَةُ الْعُقُلِ

والله ! لا فَاَزَ يَوْمَ الْحَشْرِ مُبْغِضُكُمْ * ولا نَجَا من عذاب النَّارِ غَيْرُ وَايَ
ولا سُقِيَ الْمَاءَ من حَرٍّ ومن ظَمِئٍ * من كَفَّ خَيْرَ الْبَرَاءَا خَاتَمَ الرُّسُلِ
[ولا رَأَى جَنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خُلِقَتْ * مَنْ خَانَ عَهْدَ الْإِمَامِ الْعَاضِدِ بْنِ عَلِيٍّ (١)]
أَمَّتَنِي وَهَدَاتَنِي وَالذَّخِيرَةَ لِي * إِذَا أَرْتِهْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْ عَمَلٍ
وَاللَّهِ لَمْ نُوفِهِمْ فِي الْمَدْحِ حَقَّهُمْ ! * لَأَنْتَ فَضْلُهُمْ كَالْوَالِدِ الْهَاطِلِ
وَلَوْ تَضَاعَفَتِ الْأَقْوَالُ وَاسْتَبَقَتْ * مَا كُنْتُ فِيهِمْ بِحَمْدِ اللَّهِ بِاتِّجَاسٍ
بَابُ النِّجَاةِ ، هُمْ دُنْيَا وَآخِرَةٌ * وَحُبُّهُمْ فَهُوَ أَصْلُ الدِّينِ وَالْعَمَلِ
نُورُ الدُّجَى وَمَصَابِيحُ الْهُدَى وَهُمْ * مِنْ نُورٍ خَالِصٍ نُورِ اللَّهِ لَمْ يَغْلِ
وَاللَّهُ لَا زُلَّتْ عَنْ حُبِّي لَهُمْ أَبَدًا * مَا أَنْعَرَ اللَّهُ لِي فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ !

قلت : وعمارة هذا لم يكن على مُعْتَقِدِ الشَّيْعَةِ بل فقيها شافعيًا ، قَدِمَ مِصْرَ بِرِسَالَةٍ
عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ أَبِي فُلَيْتَةَ أَمِيرِ مَكَّةَ إِلَى الْفَائِزِ أَحَدِ خُلَفَائِهِمْ فِي سَنَةِ خَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ
فِي وَزَارَةِ الصَّالِحِ طَلَّاحِ بْنِ رَزِيكٍ ، فَأَحْسَنُوا لَهُ وَبَالَغُوا فِي بَرِّهِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ
وَتَأَلَّفَ بِهِمْ ، وَأَتَى فِيهِمْ مِنَ الْمَدْحِ بِمَا بَهَرَ الْعُقُولَ ، وَلَمْ يَزَلْ مَوَالِيَا لَهُمْ حَتَّى زَالَتْ
دَوْلَتُهُمْ وَأَسْتَوْلَى السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ أَيُّوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَرَنَادَهُمُ بِهِذِهِ
الْقَصِيدَةَ ، فَكَانَتْ آتَرَ أَسْبَابِ حَتْفِهِ ، فَصَلَبَ فَيَمَنْ صُلِبَ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ مِنْ أَتْبَاعِ
الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ .

(تم الجزء الثالث)

ويليه الجزء الرابع ؛ وأوله ” الحالة الثالثة من أحوال المملكة ،
ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا “

(١) الزيادة عن المقرئ في الخطط .

فهرست

الجزء الثالث

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

- الفصل الثانى — من الباب الثانى من المقالة الأولى فى الكلام على
 نفس الخط ؛ وفيه سبعة [ثمانية] أطراف ... ٥
- الطرف الأول — فى فضيلة الخط ... ٥
- الطرف الثانى — فى بيان حقيقة الخط ... ٧
- الطرف الثالث — فى وضع الخط ؛ وفيه جملتان ... ٩
- الجملة الأولى — فى بيان المقصود من وضعه ، والموازنة بينه وبين اللفظ ... ٩
- الجملة الثانية — فى أصل وضعه ؛ وفيه مسلكان ... ١٠
- المسلك الأول — فى وضع مطلق الحروف ... ١٠
- المسلك الثانى — فى وضع حروف العربية ... ١١
- الطرف الرابع — فى عدد الحروف وجهة ابتدائها وكيفية ترتيبها ؛
 وفيه أربع [خمس] جمل ... ١٩
- الجملة الأولى — فى مطلق الحروف فى جميع اللغات ... ١٩
- الجملة الثانية — فى حروف العربية ... ١٩
- الجملة الثالثة — فى بيان جهة ابتدآت الحروف ... ٢١
- الجملة الرابعة — فى كيفية ترتيب الحروف ... ٢٢
- الجملة الخامسة — فى كيفية صور الحروف العربية ، وتداخل أشكالها ... ٢٣
- الطرف الخامس — فى تحسين الخط ؛ وفيه جملتان ... ٢٤
- الجملة الأولى — فى الحث على تحسين الخط ... ٢٤
- الجملة الثانية — فى الطريق إلى تحسين الخط ... ٢٦
- الطرف السادس — فى قواعد تتعلق بالكتابة لا يستغنى الكاتب المجيد
 عن معرفتها ؛ وفيه جملتان ... ٢٧

صفحة

- الجملة الأولى — في هندسة الحروف، ومعرفة اعتبار صحتها ... ٢٧
- الجملة الثانية — في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وانتهائها من نقطة
أوشظية أو غير ذلك. أما الابتداء فعلى ثلاثة أضرب ٣٩
- الضرب الأول — ما يتبدأ بنقطة ... ٣٩
- الضرب الثاني — ما يتبدأ بشظية ... ٣٩
- الضرب الثالث — ما يتبدأ بحلقة ... ٤٠
- الضرب الأول — [من ضروب الاختتام] ما يختم بقطة القلم ... ٤٠
- الضرب الثاني — ما يختم بشظية ... ٤٠
- الضرب الثالث — ما يرسل في ختمه لإرسالاً ... ٤٠
- الطرف السابع — في مقدمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة ؛
وفيه ثلاث جمل ... ٤١
- الجملة الأولى — في كيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه على الورق ... ٤١
- الجملة الثانية — في كيفية الاستعداد ووضع القلم على الدرج ... ٤٢
- الجملة الثالثة — في وضع القلم على الأذن حال الكتابة عند التفكير ... ٤٣
- الطرف الثامن — في ذكر قوانين يعتمدها الكاتب في الخط، وفيه ست جمل ... ٤٤
- الجملة الأولى — في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة ... ٤٤
- الجملة الثانية — في تناسب الحروف ومقاديرها في كل قلم ... ٤٥
- الجملة الثالثة — فيما يجب اعتماده لكل ناحية من نواحي القلم ... ٤٩
- الجملة الرابعة — في الترويس ... ٥٠
- الجملة الخامسة — فيما يطمس من الحروف ويفتح ... ٥٠
- الجملة السادسة — في ذكر الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء
في زمان المؤلف ... ٥١

صفحة

٥٣	القلم الأول — قلم الطومار
٥٩	القلم الثانى — قلم مختصر الطومار
٦٢	القلم الثالث — قلم الثلث ؛ وهو على نوعين
٦٢	النوع الأول — الثلث الثقيل ، وصوره مفردة ومركبة
	الألف على ضربين : مفردة ومركبة
٦٢	الضرب الأول — المفردة
٦٤	الضرب الثانى — المركب مع غيره من الحروف
٦٤	الصورة الثانية — صورة الباء ؛ وهى على ضربين
٦٤	الضرب الأول — المفردة
٦٥	وأما المركبة فعلى نوعين : متوسطة ومتطرفة
٦٦	الصورة الثالثة — صورة الجيم وما شاكلها
٧٠	الصورة الرابعة — صورة الدال وأختها ؛ وهى على ضربين
٧٠	الضرب الأول — المفردة
٧١	الضرب الثانى — المركبة
٧٢	الصورة الخامسة — صورة الراء وأختها ؛ وهى على ضربين
٧٢	الضرب الأول — المفردة
٧٤	الضرب الثانى — المركبة
٧٥	الصورة السادسة — صورة السين
٧٦	الصورة السابعة — صورة الصاد
٧٧	الصورة الثامنة — صورة الطاء وأختها
٧٩	الصورة التاسعة — صورة العين وأختها

صفحة	
٨٣	الصورة العاشرة — صورة الفاء
٨٣	الصورة الحادية عشرة — صورة القاف
٨٤	الصورة الثانية عشرة — صورة الكاف
٨٦	الصورة الثالثة عشرة — صورة اللام ؛ وهي على ضربين
٨٦	الضرب الأول — المفردة
٨٧	الضرب الثاني — المركبة
٨٨	الصورة الرابعة عشرة — صورة الميم ؛ وهي على خمسة أضرب
٨٨	الضرب الأول — المحققة
٨٩	الضرب الثاني — المعلقة
٩٠	الضرب الثالث — المسبلة
٩٠	الضرب الرابع — المبسوطة
٩١	الضرب الخامس — المفتولة
٩١	الصورة الخامسة عشرة — صورة النون
٩٣	الصورة السادسة عشرة — صورة الهاء ؛ وهي على ضربين
٩٣	الضرب الأول — المفردة
٩٤	الضرب الثاني — المركبة
٩٩	الصورة السابعة عشرة — صورة الواو
٩٩	الصورة الثامنة عشرة — صورة اللام ألف
١٠١	الصورة التاسعة عشرة — صورة الياء ؛ وهي على ضربين
١٠١	الضرب الأول — المفردة
١٠٢	الضرب الثاني — المركبة

صفحة

- التسوع الثاني - قلم الثلث الخفيف ... ١٠٤
- القلم الرابع - قلم التوقيع ... ١٠٤
- القلم الخامس - قلم الرقاع ... ١١٩
- القلم السادس - قلم الغبار ... ١٣٢
- الجملة السابعة - في كتابة البسملة؛ وفيها مهيعان ... ١٣٣
- المهيع الأول - في ذكر قواعد جامعة للبسملة في جميع الأقلام ... ١٣٣
- المهيع الثاني - في بيان صورة البسملة في كل قلم من الأقلام التي تستعمل في ديوان الانشاء ... ١٣٥
- الجملة الثامنة - في وجوه تجويد الكتابة وتحسينها؛ وهي على ضربين ... ١٤٣
- الضرب الأول - حسن التشكيل ... ١٤٣
- الضرب الثاني - حسن الوضع ... ١٤٤
- الكلمة الأصلية - أسماء كانت أو حرفاً أو فعلاً، لا تخرج عن أربعة أصناف ... ١٤٥
- الصف الأول - الثنائية ... ١٤٥
- الصف الثاني - الثلاثية ... ١٤٦
- الصف الثالث - الرباعية ... ١٤٦
- الصف الرابع - الخماسية ... ١٤٧
- مراعاة فواصل الكلام ... ١٤٩
- حسن التدوير - في قطع الكلام ووصله في أواخر السطور وأوائلها ... ١٥١
- الفصل المستقبح - في آخر السطر وأول الذي يليه صنفان ... ١٥١
- الصف الأول - فصل بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض وتفريقها في السطر والذي يليه ... ١٥١
- الصف الثاني - فصل الكلمة التامة وصلتها ... ١٥٢

صفحة

الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الأولى في لواحق الخط؛	
وفيه مقصدان	١٥٣
المقصد الأول — في النقط؛ وفيه أربع جمل	١٥٣
الجملة الأولى — في ميسس الحاجة إليه	١٥٣
الجملة الثانية — في ذكر أول من وضع النقط	١٥٥
الجملة الثالثة — في بيان صورة النقط وكيفية وضعه	١٥٥
الجملة الرابعة — فيما يختص بكل حرف من النقط وما لا تقط له	١٥٦
المقصد الثاني — في الشكل؛ وفيه خمس جمل	١٦٠
الجملة الأولى — في اشتقاقه ومعناه	١٦٠
الجملة الثانية — في أول من وضع الشكل	١٦٠
الجملة الثالثة — في الترغيب في الشكل والترهيب عنه	١٦١
الجملة الرابعة — فيما ينشأ عنه الشكل ويترتب عليه	١٦٢
الجملة الخامسة — في صور الشكل ومحال وضعه على طريقة المتقدمين	
والمتاخرين	١٦٤
الأولى — علامة السكون	١٦٤
الثانية — علامة الفتح	١٦٥
الثالثة — علامة الضم	١٦٥
الرابعة — علامة الكسر	١٦٦
الخامسة — علامة التشديد	١٦٦
السادسة — علامة الهمزة	١٦٧
السابعة — علامة الصلة في ألفات الوصل	١٧٠

- الفصل الرابع - من الباب الثاني من المقالة الأولى في الهجاء ؛
 وفيه مقصدان ... ١٧٢ ...
 المقصد الأول - في مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربين ... ١٧٢ ...
 الضرب الأول - المصطلح الرسمي ... ١٧٢ ...
 الضرب الثاني - المصطلح العروضي ... ١٧٢ ...
 المقصد الثاني - في المصطلح العام ؛ وفيه جملتان ... ١٧٣ ...
 الجملة الأولى - في الأفراد والحذف والإثبات والإبدال ... ١٧٣ ...
 المكتوب على المصطلح المعروف على قسمين ... ١٧٤ ...
 القسم الأول - ماله صورة تخصه من الحروف ؛ وهو على ضربين ... ١٧٤ ...
 الضرب الأول - ما هو على أصله المعترف به في ذوات الحروف وعددها الخ ... ١٧٤ ...
 اللفظ الذي يكتب ، على نوعين ... ١٧٧ ...
 النوع الأول - أن يكون أسما لحرف من حروف الهجاء ... ١٧٧ ...
 النوع الثاني - أن لا يكون أسما لحرف من حروف المعجم ... ١٧٩ ...
 الضرب الثاني - ما تغير عن أصله ؛ وهو على ثلاثة أنواع ... ١٧٩ ...
 النوع الأول - ما تغير بالزيادة ... ١٧٩ ...
 النوع الثاني - ما يغير بالنقص ... ١٨٤ ...
 النوع الثالث - ما يغير بالبدل ... ٢٠٠ ...
 القسم الثاني - ما ليس له صورة تخصه ، وهو الهمزة ؛ ولها ثلاثة أحوال ... ٢٠٨ ...
 الحال الأول - أن تكون في أول الكلمة ... ٢٠٨ ...
 الحال الثاني - أن تكون متوسطة ؛ ولها حالتان ... ٢٠٩ ...
 الحال الثالث - أن تكون الهمزة آخر ؛ ولها حالتان ... ٢١٢ ...
 الجملة الثانية - في حالة التركيب والفصل والوصل ... ٢١٥ ...

سفرة

الفصل الخامس — من الباب الثاني من المقالة الأولى فيما يكتب بالظاء
مع بيان ما يقع الاشتباه فيه مما يكتب بالضاد ... ٢٢٢

المقالة الثانية

في المسالك والممالك؛ وفيها أربعة أبواب ... ٢٢٧
الباب الأول — في ذكر الأرض على سبيل الإجمال؛ وفيه ثلاثة فصول ٢٢٧

الفصل الأول — في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها؛
وفيه طرفان ... ٢٢٧

الطرف الأول — في شكل الأرض وإحاطة البحر بها ... ٢٢٧

الطرف الثاني — فيما أشتملت عليه الأرض من الأقاليم الطبيعية ... ٢٣٠

الفصل الثاني — في البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان؛ وفيه طرفان ٢٣٣

الطرف الأول — في البحر المحيط ... ٢٣٣

الطرف الثاني — في البحار المنبثة في أقطار الأرض؛ وهي على ضربين ٢٣٤

الضرب الأول — الخارج من البحر المحيط وما يتصل به ... ٢٣٤

الضرب الثاني — من البحار المنبثة في أقطار الأرض ما ليس له اتصال

بالبحر المحيط ... ٢٤٨

الفصل الثالث — في كيفية استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة

بينها؛ وفيه طرفان ... ٢٥٠

الطرف الأول — في كيفية استخراج جهات البلدان ... ٢٥٠

الطرف الثاني — في معرفة الأبعاد الواقعة بين البلدان ... ٢٥١

الباب الثاني - في ذكر الخلافة ومنّ وليها من الخلفاء، ومقرّاتهم في القديم

والحديث آنح، وفيه فصلان ... ٢٥٤

الفصل الأول - في ذكر الخلافة ومنّ وليها من الخلفاء، وهم على أربع طبقات

الطبقة الأولى - الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٢٥٤

الطبقة الثانية - خلفاء بني أمية ... ٢٥٦

الطبقة الثالثة - خلفاء بني العباس بالعراق ... ٢٥٨

الطبقة الرابعة - خلفاء بني العباس بالديار المصرية ... ٢٦٤

وأما مقرّات الخلفاء، فهي أربع مقرّات :

المقرّة الأولى - المدينة النبوية ... ٢٦٧

المقرّة الثانية - الشام ... ٢٦٨

المقرّة الثالثة - العراق ... ٢٦٨

المقرّة الرابعة - الديار المصرية ... ٢٦٨

الفصل الثاني - فيما أنطوت عليه الخلافة من الممالك في القديم، وما كانت

عليه من الترتيب، وما هي عليه الآن، ولها حالتان ... ٢٦٩

الحالة الأولى - ما كان عليه الحال في الزمن القديم ... ٢٧٠

شعار الخلافة ... ٢٧٣

الوظائف المعتبرة عندهم على ضربين ... ٢٧٧

الضرب الأوّل - وظائف أرباب السيوف ... ٢٧٧

الضرب الثاني - وظائف أرباب الأقلام ... ٢٧٨

الحالة الثانية - ما صار إليه الأمر بعد انتقال الخلافة إلى الديار المصرية ... ٢٧٨

صفحة

الباب الثالث - في ذكر مملكة الديار المصرية ؛ وفيه ثلاثة فصول ... ٢٨٢

الفصل الأول - في مملكة الديار المصرية ومضافاتها ؛ وفيه طرفان ... ٢٨٢

الطرف الأول - في الديار المصرية ؛ وفيه اثنا عشر مقصدا ... ٢٨٢

المقصد الأول - في فضلها ومحاسنها ... ٢٨٢

المقصد الثاني - في ذكر خواصها وعجائنها ، وما بها من الآثار القديمة ٢٨٦

المقصد الثالث - في ذكر نيلها ومبدئه وأتتهائه وزيادته ونقصه الخ ... ٢٨٩

المقصد الرابع - في ذكر خلجانها ؛ وهي ستة ... ٣٠١

الخليج الأول - المنهى ... ٣٠١

الخليج الثاني - خليج القاهرة ... ٣٠٢

الخليج الثالث - خليج السردوس ... ٣٠٤

الخليج الرابع - الإسكندرية ... ٣٠٤

الخليج الخامس - خليج منجا ... ٣٠٥

الخليج السادس - خليج دمياط ... ٣٠٥

المقصد الخامس - في ذكر بحيرات الديار المصرية ؛ وهي أربع بحيرات ٣٠٧

المقصد السادس - في ذكر جبالها ... ٣٠٩

المقصد السابع - في ذكر زروعها ورياحينها وفواكهها وأصناف

المطعوم بها ... ٣١١

المقصد الثامن - في ذكر مواشها ووحوشها وطيورها ... ٣١٤

المقصد التاسع - في ذكر حدودها ... ٣١٤

المقصد العاشر - في ابتداء عمارتها ، وتسميتها مصر . وتفرع الأقاليم

التي حولها عنها ... ٣١٧

صفحة

المقصد الحادى عشر — فى ذكر قواعدها القديمة والمباني العظيمة الباقية الخ ٣١٩
وقواعدها القديمة على ضرين :

الضرب الأول — ما قبل الطوفان ٣١٩

الضرب الثانى — قواعدها فيما بعد الطوفان ٣٢٠

المقصد الثانى عشر — فى ذكر قواعدها المستقرة ؛ وهى ثلاث ... ٣٢٩

القاعدة الاولى — مدينة الفسطاط ٣٢٩

(جوامعها) ٣٤٠

القاعدة الثانية — القاهرة ٣٤٨

(جوامعها) ٣٦٤

القاعدة الثالثة — القلعة ٣٧٢

الفصل الثانى — فى ذكر كور الديار المصرية ؛ وهى على ضرين ... ٣٧٩

الضرب الأول — فى ذكر كورها القديمة ؛ وهى ثلاثة أحياز ... ٣٧٩

الحيز الاول — أعلى الأرض ؛ وهو الصعيد ٣٨٠

الحيز الثانى — أسفل الأرض ؛ وهو أربع نواح ٣٨٥

الناحية الأولى — كور الحوف الشرقى ؛ وبها ثمان كور ... ٣٨٥

الناحية الثانية — بطن الريف ؛ وفيها سبع كور ... ٣٨٦

الناحية الثالثة — الجزيرة بين فرقى النيل الشرقية والغربية ؛

وفيها خمس كور ٣٨٨

الناحية الرابعة — الحوف الغربى ؛ وفيها إحدى عشرة كورة ... ٣٨٩

الحيز الثالث — كور القبلة ؛ وفيها خمس كور ... ٣٩١

الحيز الاول — [مما لم يذكره القضاى] بلاد الواح ... ٣٩٣

صفحة

الحيز الثاني — برقة ... ٣٩٥

الضرب الثاني — من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرة

ولها وجهان ... ٣٩٦

الوجه الأول — القبلى ... ٣٩٦

الوجه الثاني — البحرى؛ ويشتمل على ثلاث شعب ... ٤٠٢

الشعبة الأولى — شرق الفرقة الشرقية من النيل؛ وفيها أربعة أعمال ... ٤٠٢

الشعبة الثانية — غربى فرقة النيل الغربية؛ وفيها عملان ... ٤٠٦

الشعبة الثالثة — مابين فرقى النيل الشرقية والغربية؛ وهو جزيرتان ... ٤٠٩

الفصل الثالث — فيمن ملك الديار المصرية جاهلية وإسلاما؛ وهم

على ثلاث مراتب ... ٤١١

المرتبة الأولى — من ملكها قبل الطوفان ... ٤١١

المرتبة الثانية — من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامى؛ وهم

على طبقات ... ٤١٢

الطبقة الأولى — ملوكها من القبط ... ٤١٢

الطبقة الثانية — ملوكها من العماليق ملوك الشام ... ٤١٥

الطبقة الثالثة — ملوكها من القبط بعد العماليق ... ٤١٦

الطبقة الرابعة — ملوكها من الفرس ... ٤١٧

الطبقة الخامسة — ملوكها من اليونان ... ٤١٨

الطبقة السادسة — ملوكها من الروم ... ٤١٩

المرتبة الثالثة — من وليها فى الإسلام من بداية الأمر إلى زمن المؤلف؛

وهم على ضربين ... ٤٢٣

صفحة

الضرب الأول — فيمن وليها نيابة، وهو الصدر الأول؛ وهم على ثلاث طبقات ٤٢٣	
الطبقة الأولى — عمال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٢٣	
الطبقة الثانية — عمال خلفاء بني أمية بالشام ٤٢٤	
الطبقة الثالثة — عمال خلفاء بني العباس بالعراق ٤٢٥	
الضرب الثاني — مَنْ وليها مُلكاً؛ وهم على أربع طبقات ٤٢٨	
الطبقة الأولى — من وليها عن بني العباس قبل دولة الفاطميين ... ٤٢٨	
الطبقة الثانية — من وليها من الخلفاء الفاطميين ٤٣٠	
الطبقة الثالثة — ملوك بني أيوب ٤٣٢	
الطبقة الرابعة — ملوك الترك ٤٣٤	
الفصل الرابع — في ذكر ترتيب أحوال الديار المصرية؛ وفيه ثلاثة أطراف ٤٤٠	
الطرف الأول — في ذكر معاملاتها؛ وفيه ثلاثة أركان ٤٤٠	
الركن الأول — الأئمان؛ وهي على ثلاثة أنواع ٤٤٠	
النوع الأول — الدينار المسكوكة؛ وهي ضربان ٤٤٠	
الضرب الأول — ما يتعامل به وزناً ٤٤٠	
الضرب الثاني — ما يتعامل به معادة ٤٤١	
النوع الثاني — الدراهم النقرة ٤٤٣	
النوع الثالث — الفلوس ٤٤٣	
الركن الثاني — في المشتمات؛ وهي على ثلاثة أنواع ٤٤٥	
النوع الأول — الموزونات ٤٤٥	

صفحة

النوع الثانى — المكيلات ٤٤٥

النوع الثالث — المقيسات؛ وهى الأراضى والأقشة ٤٤٦

أما الأراضى فصنفان :

الصنف الأول — أرض الزراعة ٤٤٦

الصنف الثانى — أرض البنان ٤٤٦

الركن الثالث — فى الأسعار ٤٤٧

الطرف الثانى — فى ذكر جسورها وأصناف أرضها؛ وما يختص بكل

صنف آخر ٤٤٨

أما جسورها فعلى صنفين :

الصنف الأول — الجسور السلطانية ٤٤٨

الصنف الثانى — الجسور البلدية ٤٤٩

الطرف الثالث — فى وجوه أموالها الديوانية؛ وهى على ضربين ... ٤٥٢

الضرب الأول — الشرعى؛ وهو على سبعة أنواع ٤٥٢

النوع الأول — المال الخارجى ٤٥٢

والجارى فى الدواوين منه على ضربين :

الضرب الأول — ماهو داخل فى الدواوين السلطانية؛ وهو الآن (زمن

المؤلف) على أربعة أصناف ٤٥٥

الصنف الأول — ماهو جار فى ديوان الوزارة ٤٥٥

الصنف الثانى — ماهو جار فى ديوان الخالص ٤٥٦

الصنف الثالث — ماهو جار فى الديوان المفرد ٤٥٧

الصنف الرابع — ماهو جار فى ديوان الأملاك ٤٥٧

صفحة

الضرب الثانى — ماهو جار فى الإقطاعات... ٤٥٧

النوع الثانى — ما يتحصل مما يستخرج من المعادن ... ٤٥٩

النوع الثالث — الزكاة ... ٤٦١

النوع الرابع — الجوالى ... ٤٦٢

النوع الخامس — ما يؤخذ من تجار الكفار الواصلين فى البحر إلى

الديار المصرية ... ٤٦٣

النوع السادس — الموارىث الحشرية ... ٤٦٤

النوع السابع — ما يتحصل من دار الضرب بالقاهرة؛ والذي يضرب

فيها ثلاثة أصناف ... ٤٦٥

الصف الأول — الذهب ... ٤٦٥

الصف الثانى — الفضة النقرة... ٤٦٦

الصف الثالث — الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر... ٤٦٧

الضرب الثانى — من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى،

وهو المكوس؛ وهى على نوعين ... ٤٦٨

النوع الأول — ما يختص بالديوان السلطانى؛ وهو صنفان ... ٤٦٨

الصف الأول — ما يؤخذ على الواصل المجلوب وأكثره متحصلا

جهتان ... ٤٦٨

الجهة الأولى — ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر

القلزم من جهة الحجاز واليمن وما والاها ... ٤٦٨

الجهة الثانية — ما يؤخذ على واصل التجار بتطيا فى طريق الشام ... ٤٧٠

الصف الثانى — ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية بالقسوط والقاهرة ... ٤٧٠

صفحة

- النوع الثاني — ما لا اختصاص له بالديوان السلطاني ... ٤٧١
- في ترتيب المملكة ؛ ولها ثلاث حالات ... ٤٧١
- الحالة الأولى — ما كانت عليه من حين الفتح إلى آخر الدولة الأخشيديّة ٤٧١
- الحالة الثانية — ما كانت عليه في زمن الخلفاء الفاطميين ؛ وتنحصر
- في ثلاث جمل ... ٤٧٢
- الجملة الأولى — في الآلات الملوكة المختصة بالمواكب العظام ... ٤٧٢
- الجملة الثانية — في حواصل الخليفة ؛ وهي على خمسة أنواع ... ٤٧٥
- النوع الأول — الخزائن — ... ٤٧٥
- النوع الثاني — حواصل المواشي ... ٤٧٨
- النوع الثالث — حواصل الغلال وشون الأتبان ... ٤٧٩
- النوع الرابع — حواصل البضاعة ... ٤٧٩
- النوع الخامس — ما في معنى الحواصل ... ٤٨٠
- الجملة الثالثة — في ذكر جيوش الدولة الفاطمية وبيان مراتب أرباب
- السيوف ؛ وهم على ثلاثة أصناف ... ٤٨٠
- الصف الأول — الأمراء ... ٤٨٠
- الصف الثاني — خواص الخليفة ؛ وهم على ثلاثة أنواع ... ٤٨١
- النوع الأول — الأستاذون ... ٤٨١
- النوع الثاني — صبيان الخصاص ... ٤٨١
- النوع الثالث — صبيان الحجر ... ٤٨١
- الصف الثالث — طوائف الأجناد ... ٤٨٢
- الجملة الرابعة — في ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ؛ وهم على قسمين ٤٨٢

صفحة

القسم الأول — ما بحضرة الخليفة ؛ وهم أربعة أصناف ... ٤٨٢

الصف الأول — أرباب الوظائف من أرباب السيوف ؛ وهم نوعان ٤٨٢

النوع الأول — وظائف عامة الجند ... ٤٨٢

النوع الثاني — وظائف خواص الخليفة من الأستاذين ؛ وهي

على ضربين ... ٤٨٤

الضرب الأول — ما يختص بالأستاذين المحنكين ... ٤٨٤

الضرب الثاني — ما يكون من غير المحنكين ... ٤٨٥

الصف الثاني — من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أرباب الأقلام ؛

وهم على ثلاثة أنواع ... ٤٨٦

النوع الأول — أرباب الوظائف الدينية ... ٤٨٦

النوع الثالث — من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الدينية ؛ وهي

على ثلاثة [أربعة] أضرب ... ٤٨٩

الضرب الأول — الوزارة إذا كان الوزير صاحب قلم ... ٤٨٩

الضرب الثاني — ديوان الإنشاء ... ٤٩٠

الضرب الثالث — ديوان الجيش ... ٤٩٢

الضرب الرابع — نظر الدواوين ... ٤٩٣

الصف الثالث — من أرباب الوظائف أصحاب الوظائف الصناعية ٤٩٦

الصف الرابع — الشعراء ... ٤٩٧

القسم الثاني — من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج

عن حضرة الخلافة . وهو صنفان ... ٤٩٧

الصف الأول — النواب والولاة ... ٤٩٧

صفحة

الجملة الخامسة - من ترتيب مملكتهم في هيئة الخليفة في مواكبه وقصوره،

وهي على ثلاثة أضرب ٤٩٨

الذ-رب الأول - جلوسه في المواكب؛ وله ثلاثة جلوسات ... ٤٩٨

الجلوس الأول — جلوسه في المجلس العام أيام الموابك ٤٩٨

الجلوس الثاني — جلوسه للقاضي والشهود في ليالى الوقود الأربع

من كل سنة ٥٠١

الجلوس الثالث — جلوسه في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٥٠٢

الضرب الثاني - ركوبه في المواكب ؛ وهو على نوعين ٥٠٣

النوع الأول - ركوبه في المواكب العظام، وهي ستة مواكب ... ٥٠٣

الموكب الأول — ركوب أول العام... .. ٥٠٣

الموكب الثاني — ركوب أول شهر رمضان ٥٠٩

الموكب الثالث — ركوبه في أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان ٥٠٩

الموكب الرابع — ركوبه لصلاة عيدي الفطر والأضحي ... ٥١٢

الموكب الخامس — ركوبه لتخليق المقياس عند وفاء النيل ... ٥١٦

الموكب السادس — ركوبه لفتح الخليج ٥١٨

النوع الثاني - من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة ... ٥٢١

الضرب الثالث — من هيئة الخليفة هيئته في قصوره ٥٢٢

الجملة السادسة — في اهتمامهم بالأساطيل، وحفظ الثغور، وأعتنائهم بأمر

الجهاد، وسيرهم في رعاياهم، وأستالة قلوب مخالفينهم ٥٢٣

الجملة السابعة — فى إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم

وما يتصل بذلك من الطعمة ٥٢٥

ما عليه ترتيب المملكة: من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا،